بعلبك وقلعتها

او هيكل الشمس

زرنا بعلبك منذ بضع عشرة سنة وشاهدنا آثارها وكانت قلعتها الشهيرة لا يزال كثير منها تحت الردم ولم توضع لها الرسوم الكافية لايضاح اجزائها . ثم علمنا ان امبراطور الالمان لما زارها سنة ١٨٩٨ ورأى افتقارها الى التنقيب والبحث استأذن السلطان السابق في توجيه لجنة من علماء الآثار الالمانيين لهذه الغاية فاذن له فأتت اللجنة برئاسة احد كبار العلماء واخذت في العمل من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٤ فكشفت عن الآثار المردومة ودرست احوال ذلك البناء العجيب وفرقت بين اجزائه الوثنية والنصرانية والاسلامية على اختلاف العصور . ووضعت في ذلك الرسوم والخرائط فتاقت نفسنا للاطلاع على ثمار ذلك العمل فاغتنمنا مصيفنا في لبنان هذا العام وقصدنا بعلبك ودرسنا آثارها وقد اعاننا في ذلك حضرة ميخائيل افندي الوف مدير تلك الآثار وصاحب كتاب تاريخ بعلبك وسهل علينا تفهم ما هنالك من الاطلال المختلطة بما عرفه بطول الدرس والتنقيب حتى كان عوناً كبيراً للجنة الالمانية في عملها المتقدم ذكره وهو اعلم الناس ببعلبك وآثارها — وهاك خلاصة ما وصلنا اليه

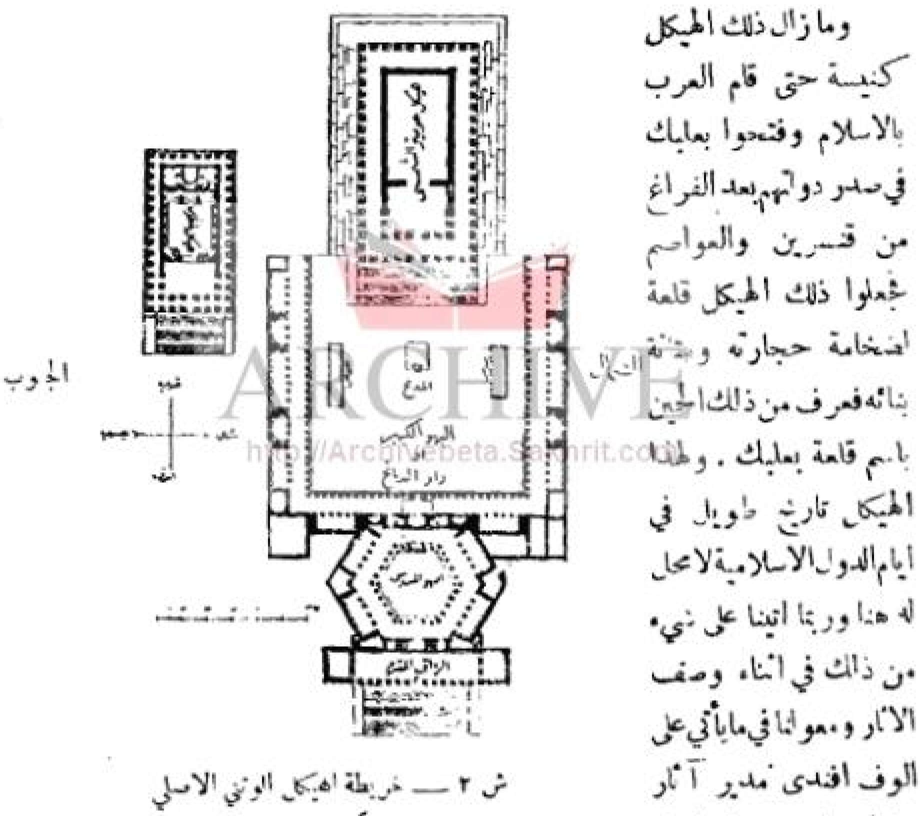
تاريخ بعلبك وهياكلها

يؤخذ من اسم بعلبك انها مدينة فينيقية قديمة كان يعبد فيها « البعل » الذي يعبر عنه اليونان باسم جوبيتر . وهي تعد من اقدم مدائن العالم وقد جعلها الفينيقيون حجاً لطلاب الآخرة واشتهر بعلها بالكرامات فتقاطر الناس الى بعلبك اكثر مما الى سواها من مدنهم ومعابدهم . فلما دخلت سوريا في حوزة السلوقيين وهم يونان ابدلوا اسمها الفينيقي « بعلبك » باسم يوناني او ترجموه الى اليونانية فقالوا « هليوبوليس » اي مدينة الشمس او مدينة الاله الاعظم في معتقدهم وهو مفاد لفظ بعلبك بالسريانية القديمة

ثم افتتح يوليوس قيصر القائد الروماني الشهير سوريا في منتصف القرن الاول قبل الميلاد وجعل بعلبك مستعمرة لقبها باسم ابنته « جوليا » وضرب النقود فيها فرسم على احد وجهيها فلاحاً يحرث سهلاً وكتب تحته باللاتينية « مستعمرة جوليا اوغسطا مدينة الشمس السعيدة » وعني الرومانيون بعده في عمارة بعلبك فبنوا فيها الهيكل

الذي نحن في صدده ولعلهم بنوه على انقاض هيكل فينيقي . وعلى كل حال ان بناءه لم يتم الا في قرنين او اكثر . ولما تولى قسطنطين وتدين بالنصرانية كان العمل لا يزال جارياً في بناء ذلك الهيكل فأمر بتوقيفه . وكانت عادتهم في البناء ان ينصبوا الحجارة ويتموا البناء ثم ينقشون عليه مايريدون نقشه من التماثيل او الرسوم . فلما امر قسطنطين بالكف عن البناء كان بعض الافاريز ومواقف الاصنام لم يتم نحتها بعد

ولما افضت حكومة الروم الى ثيودوسيوس الاعظم (سنة ٣٧٩ – ٣٩٥) م نصر النصرانية بالقوة فأمر بهدم المعابد الوثنية وتكسير الاصنام من المملكة الرومانية وفي جملتها بعلبك وانشأ في هيكلها كنيسة شاهدنا آثارها في وسط البهو الكبير كما سيأتي



ش ٢ — خريطة الهيكل الوثني الاصلي

وما زال ذلك الهيكل كنيسة حتى قام العرب بالاسلام وفتحوا بعلبك في صدر دولتهم بعد الفراغ من قنسرين والعواصم فجعلوا ذلك الهيكل قلعة لضخامة حجارته ومتانة بنائه فعرف من ذلك الحين باسم قلعة بعلبك . ولهذا الهيكل تاريخ طويل في ايام الدول الاسلامية لامحل له هنا وربما اتينا على شيء من ذلك في اثناء وصف الآثار ومعولنا فيما يأتي على الوف افندي مدير آثار بعلبك مما وصفه لنا او اطلعنا عليه في تاريخه فضلاً عما استنتجناه بنفسنا

الهيكل الوثني الاصلي

ظهر مما تقدم ان الرومانيين هم اول من شاد هيكل الشمس الباقية انقاضه الى الان بنوه على اسم الشمس وهاك رسمه كما كان قبل تغلب النصرانية في المملكة الرومانية وتحويله الى معبد مسيحي (انظر ش ٢)

فقد كان مؤلفاً من خمسة ابنية تمتد من الشرق الى الغرب على هذه الصورة (١) الرواق المقدم (٢) البهو المسدس (٣) البهو الكبير او دار الذبائح وفي وسطه المذبح (٤) هيكل جوبتير (٥) الى جنوبيه هيكل باخوس

فلما حوله الرومانيون بعد النصرانية الى معبد بنو الكنيسة في وسط البهو الكبير حول المذبح . ولما دخلت بعلبك في حوزة العرب وجعلوا هيكلها قلعة بنوا اسواراً وابراجاً وحصوناً وجامعاً في الفراغ بين هيكل باخوس وهيكل جوبتير (راجع الخريطة في صدر الهلال) وبنوا حصوناً اخرى في اماكن اخرى . ولتمييز ما بناه العرب عما بناه الرومان المسيحيون او الوثنيون لوناً بقايا الوثنيين في تلك الخريطة باللون الاسود بلا تخطيط . وبقايا بناء المسيحيين رسمناها مخططة وجعلنا بقايا بناء العرب منقطة واذا تدبرت بقايا ذلك الهيكل العظيم رأيتها تقسم الى رواقات واقبية وابهية وهياكل واليك وصفها جزءاً جزءاً

١ — الرواق المقدم

هو مدخل الهيكل القديم الحقيقي يعلو عن سطح الارض الخارجية ثمانية امتار يصعد اليه بسلم . والرواق مربع مستطيل طوله من الشمال الى الجنوب ٥٠ متراً وعرضه ١١ . وله في طرفيه غرفتان مزدانتان بنقوش كثيرة ومواقف للاصنام طول الواحدة منهما ٩ امتار ونصف والشمالية منهما اكثر نباتاً واوفر عمراناً من الجنوبية . وقد بنى العرب فوق الاثنتين حصوناً ومرامي للسهام . وكان بين هاتين الغرفتين في مقدم الرواق صف مؤلف من اثني عشر عموداً من الحجر المحبب « الغرانيت » وامامها السلم وبين درجاته ثلاث مساطب . فلما ملك العرب البلد وحصنوا القلعة رفعوا هذه الاعمدة ودكوا الدرج الى اسه وبنوا بحجارته جداراً كبيراً فوق قواعد الاثني عشر عموداً وفتحوا فيه مرامي للسهام . ولكن الالمان هدموا القسم الاكبر من الجدار العربي ليظهر الرواق بمظهره القديم

وعلى الرواق من الخارج كتابة لاتينية مكررة على ثلاث قواعد مفادها ان احد قواد جيش الامبراطور انطونينوس (كراكلا) وجوليا دومنا ذهب تاجات الاعمدة النحاسية على نفقته بعد نذر قدمه لآلهة هليوبوليس العظيمة

والجدار الداخلي من الرواق كان مزداناً بنقوش جميلة ومواقف للاصنام بارزة في الجدار محاها العرب لئلا تكون وسيلة للعدو في تسلق الجدران والوصول الى داخل القلعة . وكان في هذا الجدار الداخلي ثلاثة ابواب اكبرها اوسطها وكان علوه نحو ١٠

امتار وعرضه ٧ وربع وعلو كل من الاثنين الآخرين ٤ امتار ونصف وعرضه ٣ ونصف وسمك جدار الابواب ٦ امتار لكن الباب الكبير في الوسط والباب الصغير لجهة اليمين سدتهما العرب ففتح الالمان الباب الكبير . وبين هذه الابواب سلالم لولبية يصعد منها الى سقف الرواق والبهو الذي كان يعبر اليه من هذه الابواب

٢ — البهو المسدس

وهو دار مسدسة الشكل قطرها نحو ٥٠ متراً ما عدا الابنية المحيطة بها . ولكل زاوية منها غرفة وبين كل غرفة والاخرى معبد مربع الشكل مستطيله مفتوح الواجهة وكان امامه اربعة اعمدة من الغرانيت واكثر هذه المعابد والغرف مشعثة الآن وقد فتح العرب في جدران المعابد مرامي للسهام وبنوا عليها قناطر لتحمي الرماة من حر الشمس (انظر ش ٣)



ش ٣ — بقايا البهو المسدس كما هي الآن

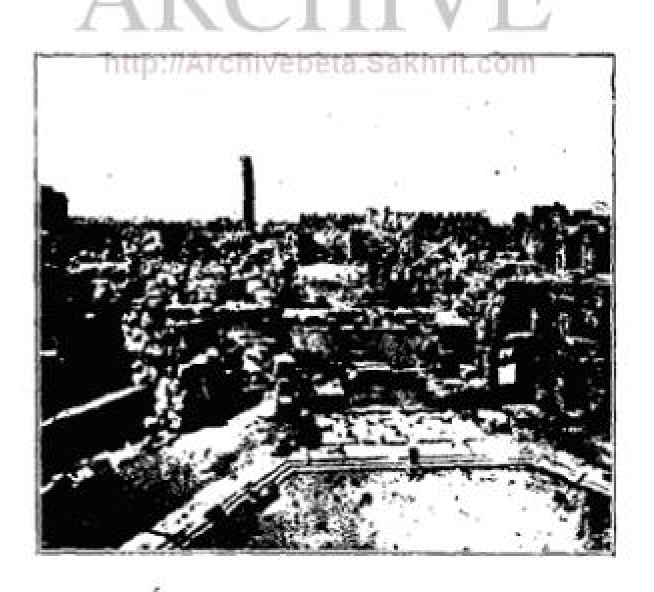
ولما نظف الالمان هذا البهو استدلوا على انه كان على بعد ٨ امتار من كل جهة من هذه المعابد نحو الداخل خط مسدس الشكل كالبهو يتألف من ٣ درجات وفوقه صف من الاعمدة الغرانيتية كانه بهو ثان داخل البهو الاول وكان بين رؤوس الاعمدة الغرانيتية وبين جدار البهو الخارجي سقف هرمي الشكل . وهكذا كان الشعب يمرّ امام المعابد تحت رواق مسقوف من العمد وساحة البهو كانت مكشوفة للشمس ولا يبعد انها كانت ملعباً يتلاهى به الشعب

ووجد الالمان بين الابواب التي نوهنا بها سلالم لولبية يصعد منها الى سقف البهو

وبازاء هذه الابواب من الجهة الاخرى كانت الابواب التي يدخل منها الى البهو الكبير المربع وقد تهدم منها الباب الكبير الاوسط والباب الذي الى جانبه على اليسار . والثالث الايمن محفوظ وفوقه احدى غرف البهو . وكان بين هذه الابواب سلالم لولبية كتلك

٣ -- البهو الكبير أو هيكل كل الآلهة

هو بناء مربع الشكل يحيط به أثنا عشر معبداً ربما كانت للآلهة الاثني عشر العظمى . اربعة منها بشكل نصف دائرة في الجهة الشمالية والجنوبية (انظر ش ٥) والباقية مربعة مستطيلة وجميعها مفتوحة الواجهة وامامها عمد من الغرانيت . وكل معبد منها يشتمل في جداره على صفين من مواقف الاصنام الواحد فوق الاخر . وكان على جانبي كل صنم عمودان صغيران ويفصل بين المعابد حائط على واجهته موقف صنمين علوي وسفلي . ونقوش هذه المواقف مختلفة الاشكال . وفوق المواقف العلوية واجهات مثلثة الشكل حسنة النقش ويعلو ذلك كله افريز وطنف (قفا تخته) بديعان في منقوشاتهما وزخارفهما . وطول هذا البهو من الشمال الى الجنوب ١١٧ متراً مع المعابد وعرضه ١١٢ ما عدا القاعات التي في زواياه . وفي الشكل الخامس معبد مستدير في الزاوية الشمالية ترى فيه مواقف الاصنام في صفين وفوقها الافاريز



ش ٤ — البهو الكبير او هيكل الآلهة او دار المذابح

وظهر بعد حفريات الالمان انه كان امام هذه المعابد من الجهات الثلاث وعلى بعد ٨ أمتار ونصف منها رواق مؤلف من ٨٤ عموداً غرانيتياً امامها خط وفوقها

تيجان قورنثية والعمود قطعة واحدة طوله ٨ امتار ومحيطه متران و٨٠ سنتيمتراً وعلو قاعدة العامود وتاجه متر و٨٠ س وفوق العمد جميعها افريز ثم طنف (قفا تخته) بديعا الصنعة وعلوهما متر و٨٠ س مزدانان بنقوش محفورة تمثل البيض والنبال وحب اللؤلؤ واسنان العجوز واغصان الورد والزهور واوراق النباتات المختلفة وجميع هذه النقوش ناتئة ومفرغة حتى يمر الاصبع تحتها بسهولة . وكان بين هذا الرواق والمعابد الخلفية من الاعلى سقف هرمي . فكانت هذه الاعمدة كرواق امام المعابد يقيها حرارة الشمس وامطار الشتاء . وكان البهو ذاته مكشوفاً للشمس . ولم يبق من هذه الاعمدة الجميلة سوى بضع قواعد باقية في مراكزها وعمود صحيح في الجهة الشمالية الغربية وكثير من القطع ملقاة على الارض . ووجدوا كثيراً من الافاريز والطنف البديعة النقش حتى ان المرء ليقف حائراً في كيفية تفريغها ودقة صنعها . فكأنها وضعت وضعاً على الحجر مع انها واياه قطعة واحدة



ش ٥ — معبد مستدير في شمالي البهو الكبير

واكتشف الالمان في وسط هذا البهو مذبح المحرقات ذرعه عشرة امتار ونصف طولاً وتسعة امتار ونصف عرضاً والى جانبيه على بعد ٢٤ متراً منه حوضان للماء طول الواحد منهما نحو ٢١ متراً وعرضه ٧ امتار وارتفاعه ٨٠ سنتمتراً . وجدران الحوض من الحجر الاصم مقسمة بين مربعات مستطيلة وانصاف دوائر ومزينة برسوم بديعة تمثل رؤوس البقر وبينها اكاليل الزهور . وكذلك آلهة الحب حاملة الاكاليل او ترى

راكبة على التنانين تصيد الدلفين . ورسوم اخرى تمثل ميدوزا وشعرها مسترسل كالحيات . وهناك رسوم من ادق صناعة النقش تمثل التريتون تنفخ بالشبابة وخلفها حوريات البحر تلاعب ملائكة الحب

وكانت الجهة الغربية من هذا البهو مفتوحة لا بناء فيها لئلا تستر مبانيها منظر هيكل جوبيتر العظيم الذي كان في ما يلي هذا البهو وسيأتي ذكره . وكان امام الهيكل سلم ذو ثلاث مساطب طوله ٥٠ متراً وعلوه الى قواعد عمد الهيكل الكبير ٨ امتار وامتداده في دار البهو امام الهيكل ١٦ متراً

ويظهر أن قسطنطين الملك بدأ بهدم هيكل جوبيتر المذكور ثم اكمل خرابه تيودوسيوس فوضعت انقاضه واتربته في وسط البهو الكبير بين الحوضين المذكورين آنفاً حتى تعالت فوق مذابح المحرقات وطمرت القسم الأسفل من السلم العظيم . وعلى هذا المرتفع بنى تيودوسيوس كنيسة عظيمة لم تزل آثارها باقية في وسط البهو . وكان مدخلها من الشرق وهيكلها في الغرب خلافاً للاصطلاح الشرقي وقد اكره البانون على ذلك لان مدخل الهياكل الاصلي من الشرق . وقد هدم القسم الثاني والثالث من السلم الاصلي لتقوم مذابح الكنيسة مكانه . وطول هذه الكنيسة ٦٣ متراً وعرضها ٣٦ وهي مقسومة في الداخل بثلاث قناطر واسعة وعالية قائمة على ركائز ضخمة الى ثلاث ممرات تقابل مذابح الخورس الثلاثة . ووجد في جدران الكنيسة بعض الكتابات اللاتينية وكثير من النقوش وقطع من العمد الضخمة والافاريز وكلها من انقاض الهيكل الكبير . والى جانب الخورس للشمال الغربي بحذاء الكنيسة بنى موقف صغير (سكرستيا) وجهة مذبحه الى الشرق . وامام ابواب الكنيسة الثلاثة فسحة يتقدمها سلم عظيم طوله كعرض الكنيسة ٣٦ متراً وضع هناك من انقاض القسم العلوي من سلم هيكل جوبيتر الذي ذكرناه قبلاً . ويظهر انه بعد مدة طويلة من بناء الكنيسة رأى البيزنطيون (رومان القسطنطينية) ان اتجاه المذبح للغرب يخالف الرسوم الشرقية فنقلوه الى الشرق حيث كانت الابواب ووضعوها هناك على الفسحة التي يتقدمها السلم وفتحوا باباً من الغرب مكان المذبح القديم وقد وجدت آثار تدل على ذلك

ولما استولى العرب على البلد حولوا ابنيتها العظيمة الى قلعة ومحوا آثار الديانة المسيحية من داخلها وبنوا في ممر الكنيسة الايمن حماماً وفي صحنها والممر الايسر بيوتاً للسكن وفرشوا ارضها بالفسيفساء الملونة ووضعوا في فناء دورها الحياض المزخرفة وقد ترك الانسان بعض الآثار التي تدل على ذلك

٤ — الهيكل الكبير او هيكل جوبيتر

هو الهيكل الذي كانت ولم تزل شاخصة الى عظمته وفخامته عيون زائري بعلبك . وقد جعل الاقدمون امامه البهو والأروقة التي فصلناها ثم رفعوه على دكة عظيمة تزيد عن ارتفاع الابنية التي امامه ثمانية وعشرين متراً عن سطح ارض المدينة المجاورة واحاطوه بالاعمدة الهائلة وزينوه بالزخارف المجسمة فتصاغرت امامه تلك الابنية مع انها والحق يقال اعجوبة الزمان ومن ابدع ما ولدته فكرة الانسان



ش ٦ — مثال من النقش في افريز هيكل جوبيتر

طول هذا الهيكل من الشرق الى الغرب ٨٧ متراً و ٥٠ س وعرضه ٤٧ متراً و ٥٠ س بما فيه اعمدته وما عدا سوره الخارجي . وكان يحيط به اربعة وخمسون عموداً من الطرز القورنثي منها في جهتيه الشمالية والجنوبية اربعة وثلاثون وامامه عشرة وخلفه عشرة اخرى . وكل عمود مركب من خمس قطع مع التاج والقاعدة مجموع ارتفاعها ٢٠ متراً وقطر العمود متران و ٢٣ سنتيمتراً . وفوق العمود افريز علوه اربعة امتار وهو بديع النقش وفي قسمه الاسفل سلسلة من تماثيل الثيران والاسود مرتكزة على قاعدة من ورق الخرشوف . وقد وجد الاثار عدة منها سالمة من التهشيم وفي طنفه الاعلى (القفا تحته) خط من نقوش اسنان العجوز والبيض والنبال وحب اللؤلؤ وفوقها نقش المفتاح اليوناني وفوق ذلك كله اوراق مختلفة مجسمة يتخللها على خط مستقيم فوق كل عمود رؤوس سباع فاغرة اشداقها لتصريف ماء المطر من سقف الهيكل . وقد وجدوا قطعة من هذا الطنف في جهة الهيكل الجنوبية سالمة بجميع رسومها وهي تنبئ

بما كانت عليه النقوش من الاتقان (انظر ش ٦)

وكان وراء العشرة الاعمدة الامامية صف آخر من الاعمدة ينتهي منه الى فسحة كانت امام باب الهيكل (انظر ش ٢) وكان فوق طنف الاعمدة الامامية والخلفية واجهة مثلثة الشكل تماثل سقف الهيكل وتحاذيه وهي مبنية بحجارة ضخمة وعليها نقوش كنقوش الطنف وتحمل فوقها تماثيل الآلهة المتقربة للمشتري وقد بقي منها انقاض قليلة وجدت في جدران الكنيسة البزنطية المتقدم ذكرها



ش ٧ — الاعمدة الستة الباقية من هيكل جوبتير

غير انه لسوء الحظ جنت يد الجهل على الهيكل فخربت جدرانه وقوّضت بنيانه ودكت اسسه الى غور بعيد . ولم تترك منه سوى ستة اعمدة في جهته الجنوبية وقد كانت قبل زلزلة سنة ١٧٥٩ تسعة . وهذه الاعمدة الستة الباقية لم تزل واقفة يغص بها الجو صابرة على ما فعل باخواتها الدهر الخلاب . وهي اول مايبدو للقادم الى بعلبك فتمثل له عظمة الهيكل كله يوم كان واقفاً بعمده الاثنين والستين . وكان البادئ بهدم هذا الهيكل الامبراطرة البيزنطيين حيث استعملوا انقاضه لبناء كنيستهم في البهو الكبير . كما تقدم ثم حذا حذوهم العرب لقرب الهيكل من المحال الضعيفة في القلعة فجعلوه مقلعاً يستخرجون من اسسه الاحجار ليحصنوا بها قلعتهم . وقد ادرك الالمان بحفرياتهم

اعماق الهيكل فكشفوا عن اسس الجدران التي كانت وراء الاعمدة الخارجية وعن اسس الابواب . واستدلوا على انه كان فوق العمد والابنية الداخلية سقف هرمي يدفع عن الهيكل حرارة الشمس وعواصف الشتاء

ويحيط بالهيكل من جهاته الثلاث بناء هائل قائم بالحجارة الضخمة (انظر ش ١) وهو الآن اوطأ من قواعد عمد الهيكل الخارجية بتسعة امتار من الجنوب وبخمسة امتار من الغرب . وكلا الحائطين القبلي والشمالي يتركب من تسعة حجارة فقط يبلغ طول الحجر منها تسعة امتار ونصف وعلوه ٤ امتار و ١٠ س وضخامته ثلاثة امتار و ١٥ س وفي الحائط الغربي ستة احجار كذلك وعلى خط واحد معها يعلوها ثلاثة احجار طول الواحد منها عشرون متراً وعلوه ٤ امتار و ١٠ س وضخامته ٣ امتار و ٦٥ س . وبين هذا البناء والجدران الحاملة العمد فسحة تبلغ ٦ امتار عرضاً وهي مرصوفة بالحجارة الكبيرة من الجنوب والغرب فقط . وقد تأكد ان باني هذا البناء لم يتم عمله فالحائطان الشمالي والجنوبي كانا معدين لمدماك آخر من الحجارة الهائلة على نسبة الثلاثة في الحائط الغربي ليتساويا ارتفاعاً وحجر الحبلى الباقي في المقلع كان معداً لهذا المدماك . وفوق ذلك كله من الجهات الثلاث طنف (قفا تخته) يكاد يحاذي قواعد العمد الكبيرة وهكذا يكون هذا البناء كسور عظيم محدق بالهيكل من جهاته الثلاث وكان سطحه المرصوف كممشى امام اعمدة الهيكل مشرف على المدينة والسهول

وفي الزاوية الشمالية الغربية من الهيكل (انظر ش١) برج بناه العرب في زمن الملك الامجد بهرام شاه سنة ٦٢٢ هجرية ويدعوه الاهالي الآن « باب الهواء » ومنه يرى سور الهيكل الخارجي ذو التسعة الاحجار وعلى يسار البرج باب آخر لدرج ينزل فيه الى باب في اسفل البرج يؤدي الى ظاهر القلعة . ويشرف هذا البرج على بساتين البلد النضرة المحيطة بالقلعة من جميع جهاتها وعلى سهل بعلبك الخصب وجبال لبنان الشاهقة

٥ — الهيكل الصغير أو هيكل باخوس

وتسميه الاهالي « دار السعادة » وهو جنوبي الهيكل الكبير (انظر ش ٢) وقد رجح رجال البعثة الالمانية انه كان مكرساً لاله الخمر ديونيس اوباخوس ولم يؤكدوا زعمهم هذا . ولم تعلم الغاية التي حدت بالرومان لبنائه بجانب الهيكل الكبير في منخفض من الارض وعلى طراز يشبه بهندسته ونقوشه ذاك الهيكل دون ان يكون امامه قاعات ولا اروقة

أما هذا الهيكل فانه من اجود الآثار حفظاً يفوق في اتقانه وبديع نقوشه جميع

الهياكل الباقية من عصر الرومان في المعمور كله . وقد بني على دكة ضخمة بغاية الاحكام في التحام الاحجار بعضها ببعض . ولها افريز من اسفل وطنف علوي . يبلغ طول الدكة ٦٨ متراً وعرضها ٣٤ وارتفاعها ٤ امتار و٧٠ س

وكان يحيط بالهيكل ٥٠ عموداً منها ١٥ على الجانبين وفي جملتها اعمدة الزوايا و ٦ اعمدة مما يلي الهيكل والباقي قد قام صفين امامه . وكلها من النسق الكورنثي غير المضلع ما عدا الاعمدة الامامية فانها كانت مضلعة . واكثرها ذو خمس قطع مع التاج والقاعدة علو العمود مع قاعدته وتاجه ١٨ متراً و٢٠ س وثخنه من اسفل ٥ امتار و ٧٣ س ومن اعلى ٤ م و٧٣ س وفوق تيجانها افريز وطنف يشبه بنقوشه مثله في الهيكل الكبير وان يكن اصغر حجماً . وبين العمد وجدار الهيكل فسحة تبلغ الثلاثة الامتار عرضاً مسقوفة بين افريز الاعمدة وجدار الهيكل بالواح حجرية هائلة في الكبر ومغشاة بنقوش لا تقع العين على اجمل منها أو أكثر اتقاناً . ونقوش هذا السقف مقسمة بمسدسات ومثلثات ومعينات حولها حتى كأنها نجم مسدس الاشعة كالرسم المعروف بخاتم سليمان . وفي وسط المسدس صورة مجسمة لاله من الآلهة اليونانية والرومانية . وفي المعينات صورة صغيرة لانصاف الآلهة او الاشخاص الممتازين . وقد شوهت اوجه كل الصور ولم يبق من السقوف الا القليل

وقد بقي في الجهة الشمالية تسعة اعمدة من الخمسة عشر الاصلية . وعرفوا من الصور الكبيرة في السقف للجهة الشرقي مارس اله الحرب لابساً الدرع وبعده الانتصار ثم ديمترة أم الارض ثم ديانا آلهة الصيد وبعدها فولكان اله الحديد تميزه المطرقة على كتفه ثم باخوس اله الخمر والعنب يحيط برأسه وبعده سيرس آلهة الزرع ويجانبها سنابل القمح والخشخاش وما بقي فقد ذهبت عنهم معرفته . وقد بقي من الستة الاعمدة في الجهة الغربية ثلاثة واما السقف فساقط كله . ولكن هناك على احد الالواح الحجرية الساقطة صورة ايريني الهة السلام ترضع بلوتوس اله الغنى وعلامتها سنبلة القمح لان اساس الغنى الزراعة ولا زراعة بدون استتباب الامن ووجود الراحة

وبقي من اعمدة الجهة الجنوبية الخمسة عشر عموداً مائل بفعل الزلزلة على الحائط وتحته على الارض قطع من السقف يمثل احدها هليوبوليس مدينة بعلبك كامرأة يحفها ملاكان يحملان وشاحاً فوق رأسها والآخر الزهره الهة العشق وبين ثدييها ولد ذو جناحين وهو الكوبيدون رسول الحب . وفي منتهى هذه الجهة اربعة اعمدة مائلة مقابل عمودين مضلعين من الرواق الامامي تحمل بقية سقف نقوشه محفوظة . وفيه

للشرق راس ميدوزا والافاعي مسترسلة منه . وهــذا السقف يحمل برجاً عربياً جدد بناءه السلطان قلاون سنة ٦٨١ هـ وفتح فيه مرامي للسهام

وكان امام باب الهيكل في الجهة الشرقية درج عظيم البناء ذو ثلاث مساطب يبلغ عرضه ٣٤ متراً وامتداده امام الهيكل ١٦ متراً ويصعد منه الى فسحة امام الهيكل كان يزينها صفان من الاعمدة المضلعة في كل صف منها ٦ ووراءها عمودان منفردان من كل جهة قبالة حائط الهيكل الممتد الى ٧ امتار عن محاذاة الباب . ولم يبق من كل هذه الاعمدة الا اثنان في الجهة الجنوبية



ش ٨ — باب هيكل باخوس

واما باب الهيكل فقد اجمع العالم على انه التحفة التي ابقاها الدهر من آثار الاولين والآية التي تتلو حديث الاعجاب والدهشة للمتأخرين اذ ليس مثله في ما ترك الاول للآخر بحسن البناء ولطافة النقوش وغزارة المثلات واتقان الرسوم . فعلوه ١٣ متراً وعرضه ستة امتار ونصف متر وقائمتاه احجار مغشاة بنقوش مختلفة بعرض متر وربع متر فاولها نقش « مثنى » ثم صف من اوراق النباتات المتنوعة ثم حب اللؤلؤ ثم البيض والنبال ثم ساقية رسم فيها داليتان من شجر الكرمة والواحدة منها معرشة على الاخرى وبينها الفون من آلهة البداوة والكوبيدون من آلهة الحب والحمام والحواري تحمل عناقيد العنب دلالة على الخصب . وبعد ذلك سلسلة محبوكة ثم ساقية تمثل نقشاً بديعاً يتخللها الخشخاش وسنابل القمح مما يمثل الحياة والموت .

وعتبة الباب السفلى حجر واحد وعتبته العليا ثلاثة احجار فوقها ما ذكر من النقوش التي على قائمتي الباب ثم افريز عليه رسوم في غاية اللطافة يتخللها غصن من الاوراق المعرشة بينها صور سباع وطيور ولكنها مهشمة وفوق ذلك كله طنف (قفاتحته) عليه رسوم اسنان العجوز والبيض والنبال وانواع الورد والمفتاح اليوناني ثم اوراق متنوعة . وعلى جانبي العتبة زفر بارز تحت الطنف كحرف الافرنجي S بعد بنقوشه من ادق والطف المصنوعات ولم يزل الايمن سالماً . واما وجه العتبة مما يلي الارض فقد نقش عليه في الوسط نسر عطارد حامل بمخالبه الكادوسة وهي قضيب ذو جناحين يلتف حوله حيتان وهو رمز التجارة . وعلى جانبي النسر ملاك من كل جهة حامل بينه وبين النسر غصناً من الاشجار فيه ورق وثمار . وقد تكسر منها الملاك الايسر وهذه الصورة تشير الى ما كانت عليه المدينة من سعة التجارة ووفرة الغنى . وقد كان الحجر الاوسط قد سقط بفعل الزلزلة وقوة الثقل نحو مترين فدعم ببناء تحته . وكان نصف الباب مطموراً بالانقاض والاتربة فرد رجال البعثة الالمانية الحجر الهابط حتى ساوى الحجرين اللذين في جانبيه وثبتوه معهما بالترابة النارية والكلس المائي وفتحوا الباب كله ونظفوا المكان من الاتربة المتراكمة . والى جانبي الباب الكبير بابان صغيران يصعد منهما على لولبين يؤديان الى سطح الهيكل وفوق عتبة هذين البابين نقوش دقيقة الصنع تعد من الطف الرسوم الموجودة في القلعة وبينها صورة عريشة صغيرة تتدلى الى كأس يدوس فيه حيوانان . واوراق الدالية على صغرها محكمة الرسم حتى ان الضلوع الصغيرة ظاهرة فيها . ولم نجد مثل دقة هذا النقش الا على قبر الاسكندر في متحف الاستانة (راجع الهلال ٢ من السنة الماضية)

وطول داخل هذا الهيكل من الشرق الى الغرب ٣٥ متراً وعرضه ٢٠ ونصف المتر . فثلثاه الادنيان كانا لوقوف الشعب وهما مزينان من الجانبين بسبعة اعمدة مضلعة بارزة من الجدران ذات تيجان قورنثية يعلوها افريز وطنف حسنا النقش يحيطان بداخل الهيكل وهذه الاعمدة مرتكزة على قواعد بافريزين وتحتهما ثلاث درجات باسفل الجدار تحيط بصحن الهيكل . وعلو الجدار كله ١٧ متراً

وبين كل عمودين من الاعمدة البارزة موقفا صنمين . للاسفل منهما قنطرة بديعة في رسومها وفوقها قاعدة مزخرفة تحمل الصنم في الموقف العلوي وكان الى جانبيه عمودان صغيران متصلان بالواجهة المثلثة الشكل التي كانت فوق راس الصنم العلوي على موازاة تيجان العمد وكل ما ذكر ذو هندسة رائعة وزخرف بديع

وتلك الهيكل الاقصى كان مقدساً وهو مبني على ارتفاع اربعة امتار من سائر بناء الهيكل وامامه سلم يضارع عرضه عرض الهيكل بمسطبتين والدرج مقسم بدرابزينين من الحجر الى ثلاثة اقسام . وينتهي هذان الدرابزينان في اسفل الدرج بركنين مربعين يمثلان على ظاهرهما الباخوسيات الثلاث راقصات رقص البطن القبيح والمعروف حتى يومنا هذا

وكان فوق مسطبة السلم الاولى واجهة المقدس وهي كالايقونسطاس للكنائس وفي طرفيها شبه عمود مضلع يبعد عن الحائط نحو المترين ويتصل به من كل جهة بقنطرة عليها نقوش جميلة من البلوط واوراقه . وكان يتصل بهذين العمودين موقف صنم من كل جهة وتحته افريزان غشي وجهاهما بصور راقصات باخوس وهن متفننات برقصهن الرائع ولم يبق من كل هذه الواجهة سوى العمود الايسر . وآثار القناطر في الجدران وصور الراقصات مهشمة وآثار الدرابزينين وركن واحد عليه رقص البطن . وتحت القنطرة اليسرى درج كان يصعد منه الى مائدة التقدمة في داخل المقدس . وتحت القنطرة اليمنى دهليز يهبط منه على درج الى غرفتين الواحدة بعد الاخرى ربما كانت تستخدم لاحتياجات الكهنة واصون التقادم الثمينة

وبين الافريزين اللذين ذكرناهما درج يصعد منه الى المقدس وهناك على الحائط مقابل باب الهيكل آثار مرتكز ذي اربع درجات كان عليه تمثال المعبود الاعظم . وفي المقدس بين تمثال الصنم والمدخل الاوسط آثار عمد صغيرة كان بينها حواجز تجعل وسط المقدس حرماً لغير الكهنة . وفي جدار المقدس على الجانبين ٦ مواقف للاصنام من كل جهة

والى جانبي باب الهيكل الكبير درجان لولبيان يصعد عليهما الى سطح الهيكل وقد ذكرنا ابوابهما الخارجية قبلاً . ولم يزل الدرج الشمالي عامراً اكثر من الاخر ويصعد عليه الى اعلى الهيكل من باب صغير عن يمين باب الهيكل . وعدد درجاته تسع وثمانون وهناك في اعلاه ست عشرة درجة منحوتة مع جدرانها الاربعة في حجر واحد . ومن هذين اللولبين يتطرق الى البرج العربي الذي جدد بناءه السلطان قلاوون فوق اعمدة الهيكل الخارجية . وقد كان الهيكل مسقوفاً سقفاً هرمياً باخشاب تمتد فوق الطنف من الجهتين تقابل بعضها بعضاً وقد بقيت آثار تدل على مكان وضع الاخشاب . ومن الآثار المسيحية في هذا الهيكل رسم صليب يوناني تحت قاعدة عامود مضلع في الجدار الجنوبي . ولذا يقال بانه حول في زمن ثيودوسيوس او خلفائه الى كنيسة . واما العرب فبنوا في وسطه ثلاثة اقبية لم يعلم الغرض منها . وقد هدمها الالمان ليظهروا الهيكل بمظهره القديم

٦ — قلعة العرب

كان وجود هذه الهياكل المتينة البنيان القوية الاركان اعظم سبب لاغراء العرب الفاتحين على الانتفاع بحصانتها فحوّلوها الى قلعة منيعة فبنوا بالحجر الضخم والاحكم في الوضع اسواراً تطوقها وجعلوا فيها المرامي للسهام بعضها فوق بعض وشيدوا على جوانبها الابراج والثكنات وزينوها من فوق بالشرفات وقد رفعوا الانقال ومواد البناء الى ارتفاع شاهق حتى انهم زادوا على علو الهياكل علواً آخر . واحاطوها من الخارج بالخنادق الواسعة وجعلوها من امنع القلاع حتى قيل ان من ادلة منعتها ان الصليبيين كانوا يخشون مهاجمتها . واما في داخلها فبنوا بالحجر الصغير الذي يشبه ابنيتنا الضئيلة اليوم الجوامع والبيوت والحمامات والايوانات والافران والاسربة وفرشوا في بعض ابنيتهم الفسيفساء الملونة ووضعوا فيها البرك المزخرفة واجروا اليها الماء من القناة الرومانية القديمة بقنيّ من الفخار الصلب وسكنوا القلعة الى منتصف القرن الثامن عشر المسيح الى ان قوّضتها الزلازل واصبحت انقاضها ركاماً في وسط الهياكل

ومعظم هذه التحصينات يُعزى بناؤه الى السلطان صلاح الدين الايوبي وخلفائه بدليل الكتابات الموجودة على الجدران من الملك الامجد بهرام شاه ابن اخي السلطان . ومن ذلك ما هو للسلطان قلاوون وابنه الملك الاشرف خليل والسلطان الظاهر برقوق ولم تظهر كتابات تدل على ان القلعة اقدم من هذا العهد لولا ان التاريخ ينبئنا عن حوادث حربية جرت فيها على عهد بني طغتكين وايام الاتابك عماد الدين زنكي قبل عهد السلطان صلاح الدين . فلا يبعد ان العرب الاولين قد حصنوا الهياكل ومدوا سور البلد الروماني اليها واكملوه الى الاحاطة بالبلد منها ثم زاد الايوبيون وسلاطين مصر من المماليك في تحصيناتها ونقشوا اسماءهم على جدرانها

وكان باب القلعة العربي في الزاوية القبلية الغربية (انظر ش ١) ووراءه أقبية وتعاريج تؤدي الى باب ثان ثم ثالث لتزيد العقبات في وجه العدو قبل ان يظفر بالقلعة وبعد الباب الثالث دهليز معقود وراء الهيكل الصغير يتصل بابنية السكن في البهو الكبير واكثره اليوم مردوم . وغربي هذا الممر آثار جامع مبني بالركائز المربعة وفي صحنه بركة مدورة وامامها المحراب وكان على اسم ابراهيم الخليل وقد ذكره زكريا القزويني في آثار البلاد ووراء الجامع للغرب ايضاً برج ذو ثلاث طبقات ومرام للسهام يتصل من جهة بباب القلعة ومن الجهة الاخرى بسورها ذي الطبقات الثلاث من القناطر وفيها مرام للنبال وهذا السور يحيط بالهياكل كلها على اربع جهاتها والقسم الاكبر منها مبني فوق البناء

الروماني القديم تارة على قواعد عمد هيكل جوبتير الشمسي وطوراً فوق معابد البهو الكبير والمسدس والرواق المقدم الى ان يبلغ امام الهيكل الصغير حيث تراه مبنياً على سلم الهيكل ومنتهياً ببرج كبير (انظر الخارطة ش ١ مبني على طرف سلم الهيكل وهو الآن طبقتان من البناء وقد كان ذا ثلاث . وللبرج باب من الطرز العربي المقرنص ووراءه باب صغير للطابق الاول بينهما فراغ يتصل بالطابق الثالث وقد كان لحماية الابواب برمي الحجارة والزفت الغالي كلما تقدم العدو لتحطيمها . ويهبط الى الطابق الاول بدرج ينتهي امام فسحة بنيت على جوانبها غرف وبينها قناطر وفيها كلها مرام للنبال

وبجانب الباب الكبير باب صغير وامامه درج يصعد فيه الى الطابق الثاني وفي زواياه الاربع غرف لرجال الحرب فيها مرام للسهام ماعدا واحدة منها عن يمين مدخل هذا الطابق وهي صغيرة ولها قبة جميلة ويدعوها الاهاون حبس الدم . وفي الغرفة شمالي المدخل باب درج يؤدي الى صهريج الماء . وبين الغرف قناطر ذات مرام للنبال . واما الطابق الثالث فيصعد اليه بدرج جدد بناؤه حديثاً ولم يبق من تحصيناته سوى الانقاض وكان هذا الطابق يتصل بالتحصينات المبنية فوق اعمدة الهيكل الصغير الخارجية وهذه تنتهي الى باب القلعة الذي ذكرناه قبلا

وقد احتفر العرب آباراً في داخل القلعة لأمنوا مغبة انقطاع الماء عنهم وهم في القلعة . من ذلك بئر في البهو المسدس واخرى بقرب حوض الماء الايمن في البهو الكبير واهمها البئر التي احتفروها بين جدار القبو القبلي ودكة الهيكل الصغير مما يلي الدرج ويبلغ عمقها نحو ٤٥ متراً ولعلها بئر الرحمة التي ذكرها ابن شداد والدمشقي وقال عنها ان ماءها قليل لا يستخدم الا وقت الاحتياج اليه واذا نزل عليهم عدو زاد الماء في البئر زيادة حتى يكفي من في القلعة واذا راح العدو عنهم رجع الماء الى حاله

ويرى الوف اوزبي في سبب تحدث الناس عن نضوب هذه البئر الا في ايام الحصار انها مستطرقة من قاعها الى الخنادق حول القلعة . والعادة في الحصار ان يملأ المحاصرون تلك الخنادق ماء فيتسرب بعضها الى البئر فيتوهم غير العارف ان الماء نبع في البئر بمعجزة

وشاهدنا بين انقاض الهيكل في البهو الكبير وغيره حجارة صوانية كروية الشكل قطرها يختلف من ٥٠ الى ٧٥ سنتيمتراً قيل لنا انها القنابل التي كانوا يرمونها بالمنجنيق كما تطلق القنابل اليوم بالمدافع للهدم او التخريب فمثل لنا بها

حصار العرب في تلك القلعة كما تمثل لنا حصار الروم في القسطنطينية قبل فتحها لما شاهدنا بالاستانة في العام الماضي تلك السلسلة الضخمة التي كان الروم يقطعون بها مدخل البوسفور على الفاتحين

ويحيط بالقلعة اسوار خارجية لزيادة المتانة اقتطعوا احجارها من مقالع في ذلك الجوار لايزال احدها هناك لم ينقلوه ويعرف بحجر الحبلى طوله ٢١ متراً وعرضه نحو ٥ امتار وعلوه ٤ امتار و٢٠ سانتي . وقد قطع ونحت لينقل الى مكانه حول هيكل جوبتير ولم ينقل لسبب غير معلوم وقدر احد المهندسين مساحته باربعمائة متر مكعب وزنته بالف طن ويلزم لرفعه عن الارض قدماً واحداً قوة ٢٠ الف حصان

أما كيفية نقل الحجارة الضخمة الى الهياكل ورفعها وتركيبها بهذا الاتقان فمن المسائل التي طالت ابحاث رجال الهندسة فيها ولم يتفقوا على حلها . فظن بعضهم انها ذات بآلات كانت للاقدمين ولم يصلنا خبرها . وعلل آخرون رفعها على الاسطحة المائلة من المقالع الى مكانها في البناء دحرجة على اسطوانات من الحديد يستعينون في ذلك بقضبان حديدية تزلق عليها الحجارة فوق الاسطوانات ويديرونها بالاحبال والعتلات واستدلوا على ذلك بثقوب باقية في الاحجار لوضع الاحبال . فلو صح هذا التعليل في نقل الاثقال على ارض ممهدة فكيف اوصلوها الى العلو الشاهق في رأس البناء بل كيف احكموا وضعها حتى لم يتركوا بين الاحجار مغرز ابرة وليس بينها كلس او نحوه

واكثر احجار القلعة من مقالع قريبة هناك اما الاعمدة الغرانيتية فقد جلبوها من اسوان على اطواف عائمة في النيل ثم في البحر الابيض الى طرابلس ومنها في طريق رومانية على عجلات متينة الى بعلبك

وكيل الهلال في القدس

نرجو من حضرات المشتركين في القدس الشريف ان يعتمدوا حضرة ابرهيم افندي مشبك وكيلاً للهلال فيه ويدفعوا اليه البدلات بوصولات ممضاة من مدير الهلال

يلزم ادارة الهلال

ان ادارة الهلال تحتاج الى الاعداد الآتية وهي الجزء ٢ و٦ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ و٢ و٨ و٩ من السنة ١٧ و١ و٢ و٦ من السنة ١٨ و٢ و٤ من السنة ١٣ و٨ و١٧ و١٩ و٢١ و٢٢ من السنة ٤ فمن كان عنده شيء منها لا حاجة له به فليخابرنا بشأنه

بيروت

بعد ربع قرن

بيروت مسقط رأسنا عرفنا النور من سمائها وتنفسنا أول نسمة من هوائها ودرجنا على رمالها وترابها وقضينا اوائل الحياة فيها ونحن لا نعرف من الدنيا غيرها . وكان العالم في نظرنا يحدُّه لبنان من الشرق والبحر الابيض من الغرب . حتى قضي علينا بفراقها منذ بضع وعشرين سنة ونحن في ابان الشباب فعرفنا سواها وعدنا اليها في اثناء ذلك اربع مرات آخرها في هذا الصيف وقد اشرقت فيها شمس الدستور فرأينا فيها تغييراً يستلفت النظر يجدر بنا ان نأتي على بيانه اذ لا يخلو ذلك من فائدة . ونمهد الكلام بتاريخها

تاريخها

لم يرد ذكر بيروت في التوراة كما ورد ذكر صور وصيدا غير ان ذلك لا يطعن في قدمها فانها من المدن الفينيقية القديمة ولا يزال اسمها الفينيقي (بيروت) شاهداً على ذلك ومعناه الآبار ولفظه في العبرانية او الفينيقية « بئيروت » وقد جاء هذا اللفظ في سفر يشوع وغيره اسماً لبلد قرب اورشليم . وربما سميت بيروت به لكثرة آبارها وذهب بعضهم انها سميت به نسبة الى « بيروت » احد آلهة الفينيقيين

كانت بيروت في اقدم ازمانها تابعة لجبيل واهل جبيل بنوها واقاموا فيها . حتى اذا نشأت الدولة السلوقية في القرن الرابع قبل الميلاد اخربها احد مختلسي الملك من دولتهم فظلت خربة الى العصر الروماني فاحياها الرومانيون وجعلها اوغسطس قيصر سنة ١٣ قبل الميلاد مستعمرة رومانية او مقاطعة اقطعها لفرقة من جنده . ومنحها امتيازاً على سواها من مدن فينيقية فكانت تنتخب حكامها وقضاتها كما يفعل اهل رومية انفسهم وتجري على احكام رومية ولاهلها حقوق رومانية . وهذا امتياز قلما ناله غير اهل رومية . وكانت تضرب باسمها نقوداً من نحاس وفضة تطبع عليها صورة القيصر واسمه مع القابه

واسم المدينة (بيروت) . وعني اوغسطس باصلاح مرفأها لوقاية السفن الراسية فيه . وفيها جرت محاكمة ابني هيرودس ملك اليهودية في السنة السادسة قبل الميلاد ويدل ذلك على امتيازها وعلو منزلتها في ذلك العهد

وكان في بيروت على زمن الرومانيين مدرسة كلية لتدريس الفقه وشرائع الرومان انشئت في القرن الثالث للميلاد وظلت مبعثاً للعلم والشرع نحو ثلثمائة سنة . وكانت تعد اعظم مدرسة للحقوق في مملكة الروم يقيم فيها الطلبة خمس سنين ليتموا دروسهم الفقهية ثم يتفرقون في المملكة يطلبون الرزق كما يفعل تلامذة المدارس الكلية في بيروت لهذا العهد . فكثر في المملكة الرومانية الفقهاء المتخرجون في مدرسة بيروت وغيرها ولكل منهم كتاب او غير كتاب في الشريعة فكثرت المؤلفات الشرعية وعسر حملها على طلاب الفقه . فاهتم القيصر يوستنيانوس في اوائل القرن السادس بتلخيصها وتدوينها وتبويبها ليسهل تداولها وحفظها . ففوض ذلك الى لجنة من العلماء فيهم جماعة من متخرجي مدرسة بيروت ففعلوا ذلك سنة ٥٣٣ بعد الميلاد . واصيبت بيروت بعد بضع عشرة سنة (٥٥١ ب م) بزلزال دكها وهدم ابنيتها فهجرها اكثر من بقي من اهلها وانتقلت المدرسة الى صيدا ولم تعد بيروت الى رونقها الروماني من ذلك الحين . وكانت مركزاً تجارياً وفيها جماعة من كبار تجار فينيقية فانتقلوا بعد خرابها الى صور واصبحت بيروت قرية صغيرة

فلما قام المسلمون للفتح كانت بيروت في جملة ما دخل في سلطانهم من مدن سورية وقلما جاء ذكرها في كتبهم . فلما حمل الصليبيون على الشرق دخلت بيروت في حوزتهم حيناً ثم عادت الى المسلمين وتوالى عليها من الحوادث ما توالى على سائر مدن سورية في زمن العثمانيين مما يطول شرحه لكنها لم تبلغ عمرها ما بلغت اليه اليوم من الرقي والعمران

يبدأ تاريخ رقيها الحديث سنة ١٨٦٠ على اثر فتنة لبنان وحاصبيا ودمشق اذ نزح اهل تلك البلاد الى بيروت يلتمسون الرزق او اعالة الحكومة فانشأ المرسلون الاميركانيون والانكليز واليسوعيون والعازريون وغيرهم المدارس لتعليم الفقراء واعالتهم وتوجهت انظار الافرنج اليها بالتدريج للتجارة فزهت وعمرت واتسعت . وكانت تابعة في احكامها الى ولاية عكا ثم صارت متصرفية واخيراً ولاية من الصنف الاول

والحقت بها الوية بيروت وطرابلس وعكا ونابلس واللاذقية سنة ١٣٠٤ وما زالت ترتقي حتى بلغت ما هي عليه الان . وزادت زهاء ورونقاً بعد اعلان الدستور و يقدرون سكانها الان بنحو ١٥٠٠٠٠ نفس ومساحتها نحو ٢٤ كيلومتراً مربعاً وتقسم الى ٢٥ محلة

حالتها الاجتماعية والادبية

ان العالم سائر كله في طريق العلم والتمدن سيراً متواصلا . فلا غرابة اذا رأينا بيروت قد تقدمت في الاعوام الاخيرة . لكن الغرابة في تقدمها تحت ضغط عصر الاستبداد في ظل عبد الحميد الذي اغلّ الايدي وكمّ الافواه وقيد العقول وفرّق بين العناصر والاديان وشغل الناس بالمفاسد والنمائم فاغرى الاخ على اخيه والابن على ابيه والجار على جاره وجعل الناس عيوناً وجواسيس بعضهم على بعض — ومع ذلك فان البيروتيين ساروا شوطاً حسناً في طريق المدنية فارتقت هيأتهم الاجتماعية واتسعت عمارتهم وتعددت مدارسهم وارتقت ناشئتهم ونبغ فيهم طبقة من الشبان المتعلمين اشتغلوا في التجارة ولم يكن يتعاطاها الا القليلون منهم . واشتغال المتعلمين في التجارة رقاها كثيراً . وهكذا يقال في سائر المهن

على ان حالها الاجتماعية من حيث الائتلاف بين الطوائف والعناصر فقد تقهقرت في ظل عبد الحميد الى الوراء لان سياسته اقتضت ذلك التفريق كما تقدم . ولم يغنهم العلم شيئاً بل زادت شهرة بيروت بالانقسام والتعصب بين سكانها المسلمين والمسيحيين وبعد ان كانوا يتخاصمون على كلمة تقال في الاسواق قامت الجاسوسية مقام الكلام حتى يئس الناس من الاصلاح . فما عتم ان جاء الدستور منذ عامين و بعض العام حتى انقلب ذلك الخصام الى وفاق وتحولت الجاسوسية الى مروءة واخلاص . واتحد المسلم والمسيحي اتحاداً كأنه من عمل السحر مما ادهش الناس لكنك اذا تأملته رأيت سببه طبيعياً لا غرابة فيه

السبب الاساسي في هذا الانقلاب التعليم والتربية فالبيروتيون الذين كانوا منذ بضع وعشرين سنة يتخاصمون و يتنازعون هم غيرهم اليوم . كان أكثر اولئك من اهل الدعارة والبطالة و بينهم جماعة من الافاقين الذين لا عمل لهم يشغلهم عن المشاكل

حتى كان منهم طائفة كالجند المنظم يكاد يكون لها زعماء تعرف بطائفة الزعران . كانوا يتعاونون على الخصام والسرقة والفساد لا يخافون حكومة ولا يرعون ذماماً . وكانت حكومة المدينة عرفية يتولاها حكام يعرفون بالاغوات ادركنا منهم احمد آغا وسعيد آغا يتصرفون باحكام الناس كما يتراءى لهم — فلما انتظمت الحكومة على النمط الحديث كان التباغض قد تمكن بين الطائفتين ولا سيما بين العامة وهم السواد الاعظم واصبح المسيحي منهم يشبُّ وهو يعدُّ المسلم عدوّه الطبيعي والمسلم كذلك وحيثما التقيا تخاصما اوتلاكما

ولما دخل العلم سوريا في نهضتها الاخيرة نال المسيحيون منه اكثر مما ناله المسلمون لان المدارس التي انشئت في ذلك الحين معظمها أو كلها لارساليات دينية مسيحية فلم يدخلها غير المسيحيين الا نادراً. فكان النصارى بذلك اسبق الى الارتقاء في اسباب المدنية الحديثة من المسلمين فصارت ثروة المدينة وتجارتها واموالها اكثرها في ايدي المسيحيين وصاروا بطبيعة الحال اقرب الى الاجتماع واميل الى السكون والكف عن الخصام من سواهم حرصاً على أموالهم ومتاجرهم . ثم تعلم المسلمون حتى جاروا المسيحيين في اسباب هذه المدنية وصاروا اصحاب اموال وتجارات فمالوا مثلهم الى الاجتماع والاتحاد والسلام . لكن سياسة عبد الحميد كانت تحول دون ذلك بما تبثه من روح الشقاق بتقوية طائفة على طائفة . فلما أعلن الدستور وأساسه الاتحاد بين العناصر والمذاهب كان أهل بيروت من الطائفتين بغاية الاستعداد لهُ وقد تعبوا من التباعد فاجتمعوا

تقدم المسلمين

ومما لاحظناه من امر هذا الارتقاء في بيروت بعد غيابنا الطويل ان المسلمين تقدموا ضعفي تقدم المسيحيين — لا نعني بذلك انهم سبقوهم ولكن المسيحيين كانوا السابقين فادركهم المسلمون أو كادوا لاشتغال اولئك بالمهاجرة من سوريا وقد سبق الى اعتقادهم ان عبد الحميد لا يريد ان يبقي فيها غير المسلمين

فالتجارة كانت منذ ٢٥ سنة في ايدي المسيحيين ليس بينهم من المسلمين الا خمسة في المئة أو عشرة فزادت زيادة حسنة حتى اصبحوا يزيدون في بعضها على

خمسين في المئة وفي البعض الآخر يربون على تسعين في المئة . فمنهم من تجار المانيفاتورة مثلاً نحو ٤٠ في المئة وكذلك من تجار الحرير والعقادين والاواني الصينية أما تجار مال القبان فمنهم نحو تسعين في المئة من المسلمين . وكذلك تجار الحبوب والخشب والعطارة والطحين والخضر . وفيهم من تجار القومسيون والشحن نحو ستين في المئة ولم يكن فيها منهم قبلاً الا قليلون — حتى عملاء القومسيون الذين تجلب بواسطتهم البضائع من اوربا فقد ظهر بينهم غير عميل من المسلمين . ولكن المسيحيين لا يزالون الأكثرية فيها وهم الأكثرية أيضاً في المصارف والبنوكة وتجارة البضائع الافرنجية كالحرائر والاصواف وفي الالبسة الخالصة وسائر الحرائر

واعتبر ذلك ايضاً في معدات العلم والادب فلم تكن في بيروت من الصحف منذ ٢٥ سنة الا صحيفة واحدة اسلامية وسائر الصحف في ايدي المسيحيين • فاذا نحن الآن ونصف الصحافة في أيدي المسلمين . وهكذا يقال في سائر عوامل الادب كالمطابع والمكاتب • أما المدارس فلا يزال المسيحيون أسبق فيها والفضل في ذلك للنزالة المبشرين من الاجانب

وعلى الاجمال فالمسلمون تقدموا في المدة المشار اليها أكثر من تقدم المسيحيين وزادت ثروتهم وارتقت هيئتهم الاجتماعية وصاروا من اكبر اصحاب المصالح الحقيقية في المدينة • وعرفنا طائفة من شبانهم لم نرَ في المسيحيين أوسع منهم اطلاعاً في الامور العمومية والابحاث السياسية ورأينا بينهم جماعة لا همّ لهم الا ترقية ابناء جنسهم ورفع شأنهم بتخريج شبانهم في مدارس اوربا العالية على نفقة جمعية انشئت لهذه الغاية أو بترغيبهم في الرحلة الى العالم المتمدن • وهم يبذلون المال والوقت في الجمع بينهم وبين اخوانهم المسيحيين

لا شك أن هذا التغيير لم يحدث لولا العلم وتمتاز بيروت عن سائر المدائن العثمانية بكثرة مدارسها الكبرى • ولم يفت اهلها فضل العلم في نيلهم الدستور وأدركوا انهم لا يستطيعون استبقاءه الا بالعلم فحالما أعلنت الحرية أخذوا يسعون في نشره وتفننوا في طرق التحريض عليه حتى كتبوا آيات الترغيب فيه على جدران منازلهم وحوانيتهم فلا تمرّ بشارع أو سوق أو زقاق الا قرأت على جدرانه باحرف كبيرة جميلة هذه الفقرة «تعلم

يافتى فالجهل عار » وبجانبها هذه الفقرة « الى العلم الى العلم » ونظم بعضهم الاغاني العامية بهذا المعنى حتى الاغاني التي يرتلها الاطفال وهم يلعبون . وأمثال ذلك مما يشرح الصدر . ولم يقتصروا على القول فقط لكنهم عاملون على انشاء معاهد العلم

حالتها السياسية

ومع ما تقدم من الائتلاف المتمكن بين اهل بيروت فقد رأينا فيها كما رأينا في الاستانة بالعام الماضي جماعة يشكون من الحالة الحاضرة و بعضهم يتهمون رجال الحكومة في الاستانة بالعجز عن ادارة الاحكام والبعض الاخر يتهمهم بالتعصب للاتراك على العرب . وحجتهم في ذلك ان الدستور مضت عليه سنتان ولم يتم الاصلاح بعد . وان الحقوق لاتزال عرضة للضياع والرشوة لم تنقطع والتركي يفضل على العربي في الوظائف وقس على ذلك . ولو تحريت مصادر هذه الشكايات لرأيت قائلها اما ارتجاعياً اضرَّ به الدستور فهو يتمنى زواله اومتسرعاً يتعجل استثمار الدستور قبل اوانه . ومهما يكن السبب فان صاحب هذه الشكوى لو وقف عند حد الانتقاد السلمي اي انتقاد الصديق لصديقه او الشريك لشريكه لأحسن وافاد . ولكننا رأينا بعضهم يعبر عنه بلحن الانتقاد المر والتهم الشنيعة — فهؤلاء المنتقدون او الطاعنون اذا كانوا عاقلين فهم يتعمدون اذى الدولة بالتفريق بين أهم عناصرها . واذا كانوا جهلاء فما عليهم الا ان يتبصروا بعين الاخلاص و ينظروا في ما كنا عليه وما صرنا اليه وليتقوا الله في هذه الدولة الناهضة ان الامم الغربية تشاركها في نهوضها وتشجعها وتنشطها فأحر بأبنائها ان يفعلوا ذلك

هم يستبطئون ثمار الدستور ولو باحثتهم في ما يشكون منه لم تسمع منهم الا كلاماً لا رابط له وانما تسوقهم اليه النعرة الجنسية او الدينية . يتهمون الاخرين بالتعصب وهم اشد الناس تعصباً وما عليهم اذا لم تعجبهم اعمال رجال الحكومة الحاضرة الا ان يضعوا انفسهم في مكانهم و يتمعنوا في العقبات التي تحول دون العمل في مملكة هي كبرج بابل بتعدد لغاتها وتفرق اجناسها — ان القابضين على ازمة الحكومة العثمانية اليوم يعملون ما لا يستطيعه اكبر سياسي اوربا . ضع من شئت من رجال السياسة الفرنساويين او الانكليز او غيرهم على رأس حكومة حديثة عهد بالانقلاب وقد ساد الجهل على عامتها وتمكن التعصب من قلوبهم واكثرهم لايفهمون معنى الدستور وقد تفرقت كلمتهم

بالتعصب الديني منذ اجيال وافترقت قلوبهم بافتراق السنتهم واكثر اذكيائهم وأهل العمل منهم ارتجاعيون من اهل العصر الماضي شبوا على المخادعة والدسائس وقد اضر الدستور بهم فهم يتحينون الفرص لعرقلة مساعي الحكومة — ضع من شئت من رجال السياسة الافرنج في مثل هذا المنصب لتدبير هذه الحكومة واكثر الذين بين يديه من رجال العمل لوظائف الحكومة من الارتجاعيين ولا سبيل الى ابدالهم بسواهم اذ ليس عندنا من الناشئة الحرة من يقوم مقامهم . ضع الافرنجي على رأس هذه الحكومة وانظر هل يستطيع عملاً ؟ لا نظنه يستطيع شيئاً كثيراً وهو انما افلح في بلده لان اهله تجمعهم جامعة اللغة والدين والمصلحة ولا فضل له بالنظر الى رجال سياستنا

من اكبر الوسائل التي يتخذها رجال الاغراض لانتقاد رجال الدستور وتقبيح اعمالهم اتهامهم بالتعصب للاتراك على العرب في تقليد الوظائف ومصدر هذه التهم على الغالب من رجال خلت ايديهم من الوظائف لسبب من الاسباب • وقد غلب عليهم الغرور حتى زعموا انهم لا يعجزهم القيام بارقى المناصب • ولكن المناصب ليست هي الغاية من الدستور وانما الغاية تنظيم الحكومة ونشر العدل واسناد الاعمال الى الاكفاء • واعترافنا بفضل الاتراك علينا في المناصب السياسية او الادارية لا يحط من اقدارنا لان التركي لا عمل له غير التوظف في الحكومة وقد توارثها بتوالي الاجيال حتى صار الحكم ملكة فيه فهو الان أقدر من العربي فيها وسيأتي يوم يساويه في ذلك العربي وغيره فينال كل حقه

ان وظائف الحكومة صناعة أتقنها الاتراك اكثر من سواهم فليتولوها اليوم والدولة في حاجة الى المدربين ولا وقت عندنا للتمرين . ويكفي العناصر الاخرى الان ان تستقيم الحكومة ويخيم الامن وينالوا حقوقهم ويؤمنوا على أرواحهم وأموالهم وتجاراتهم وصناعاتهم فيكتسبوا بذلك اضعاف ما يطمعون به من وظائف الحكومة ويندر في الاتراك التاجر والصراف والصانع ونحوهم • وقد يعترض بان الحال اذا جرى على هذا المنوال يبقى للتركي الاسبقية في الحكومة — ومع انكارنا ذلك لا نرى غرابة فيه وهذه الممالك المؤلفة من عناصر مختلفة يغلب في حكومتها العنصر المؤسس لها فالدولة الالمانية لا يزال حتى الان أكثر مناصب الحكومة في أيدي البروسيانيين

لانهم أصل الدولة

قد اطلنا الوقوف عند هذه النقطة لانها عظيمة الاهمية في نظر محبي الدولة العثمانية الذين يريدون بقاءها . ولا بد من ملافاة سوء التفاهم بين الترك والعرب بان يترك الاتراك يشتغلون ومن كان له ملاحظة أو نصيحة فليمدهم بها باخلاص وصدق نية

وليحذر البيروتيون وسائر العثمانيين من أناس يخدعونهم بالغيرة الجنسية ويضربون لهم على وتر النعرة العربيةفهم يفعلون ذلك لا غيرة على الجنس ولا حباً بالاصلاح وانما يرمون الى الانتقام من قوم اغلوا ايديهم عن الاذى . لا نقول ان كل من ينتقد رجال الحالة الحاضرة يرمي الى هذا الغرض فان بين هوءلاء طائفة مخلصة تقول ماتسمعه بلا تدبر أو روية • وطائفة أخرى اغضت عن العقبات الحائلة دون ما تطلبه وتعجلت استثمار الدستور . فهي تريد ان تصير المملكة العثمانية المائتة التي قضت قرنين في حال الاحتضار حتى اصبح كل شيء فيها فاسداً من نظاماتها الى أحكامها وقوانينها وقد نضبت ماليتها واجدبت ارضها واظلمت مدنها وتخربت طرقها وشوارعها وفسد كل شيء فيها حتى اخلاق أهلها واختل نظام اجتماعها وفرق التعصب بين طوائفها ومذاهبها — تريد هذه الفئة من المتقدين ان تصير هذه المملكة في سنتين مثل ارقى ممالك اوربا وهذا مستحيل فان هذه لم تبلغ ما بلغت اليه الا بعشرات من السنين وليس فيها شيء من عقبات هذه الدولة . وقد رأينا من خطاب صديقنا البستاني نائب بيروت ان ما تم على يد هذه الحكومة الدستورية في هذه المدة القصيرة كثير جداً لا تقوى عليه دولة أخرى في مثل هذه الاحوال

فنتقدم الى اخواننا العثمانيين العرب أن لا يؤخذوا بظواهر الاقوال ولا يخدعهم الضرب على النعرة الجنسية العربية بل ينظروا بعين الانصاف والاخلاص وليحسنوا الظن برجال الحكومة وليصبروا حتى ترسخ الدولة في الحكم الدستوري ثم ينال كل واحد حقه — ان الله مع الصابرين

الصحافة العربية والدستور

والصحافة العربية وخصوصاً صحافة بيروت ومصر مطالبة باصلاح ذلك وهي وحدها القادرة عليه . ان العنصر العربي الذي نعده بالملايين وهو صاحب الاكثرية

في المملكة العثمانية منتشر في جزيرة العرب والعراق والشام وغيرها ولا صوت له بدون الصحافة العربيـــة • فهي التي تنادي باسم العرب وتستنبط الوسائل للدفاع عن حقوق العرب . فاذا علمت هذه الصحف ان هـــذه المطاليات تشوش على الحكومة اعمالها فتعيق استثمار الدستور وتزيد التباعد بين أهم عناصر الدولة العثمانيـة وجب عليها ان تحول عنايتها الى اصلاح ذات البين وان تجعل ما تنفقه من الوقت او يضيعه بعضها من القوة في النقد الجارح منصرفاً الى النصح الصحيح وبيان صدق نية رجال الحكومة في خدمة الدستور • وان تستنهض همة العرب وتستحث اغنياءهم على انشاء المدارس لترقية الشعب العربي وتهذيبه • فاذا ارتقى وتعلم وهو الاكثرية عرف كيف يختار نوابه فتكون لهم الاكثرية في مجلس المبعوثان فتصير الحكومة في ايديهم والا فان الصياح والانتقاد على هذه الصورة لا فائدة منه

الشجاعة الادبية

ومما لاحظناه في اثناء هذا الصيف ان البيروتيين مع ما بلغوا اليه من الرقي ورغم ما تمكن في نفوسهم من حب الحرية لا يزال في بعضهم بقية من طبائع العصر الماضي عصر المجاملة او المواربة يوم كان الانسان مضطراً ان يكتم ما في نفسه خوفاً من دسيسة او مكيدة فيجيب مخاطبه بما يلائم المقام او يسايره ويوافقه على رأيه ولو كان مناقضاً لاعتقاده • ولا ذنب لهم في ذلك لانه تأصل في نفوسهم بتوالي الاعوام حتى اصبح استئصاله شاقاً لكنه يخالف مقتضيات الحرية ولا يخفى ما يترتب عليه من الضرر في عصر الدستور واساسه الحرية الشخصية والصراحة في القول • فنحن في افتقار الى الشجاعة الادبية لنقول ما نعتقده فاذا كان قولنا خطأ ظهر خطأه بالبحث واذا كان صواباً استفاد الناس منه • وقد سمعنا من بعضهم كلاماً في مجلس قال عكسه في مجلس آخر وحجته انه فعل ذلك مراعاة لبعض الحاضرين من ذوي الوجاهة وقد فاته ان تلك المراعاة اضرت ذلك الوجيه لانه كان على خطأ ولو سمع الاعتراض على اقواله لعدلها او اصلحها

على اننا رأينا بين الناشئة البيروتية من لا يقلون حرية وصراحة وسمواً في اخلاقهم وادابهم عن ارقى المتمدنين في ارقى الامم • فعسى ان تعم تلك الحرية والصراحة فتشمل سائر الطبقات وخصوصاً الكتاب والخطباء فيذهب سوء التفاهم وتستقيم أمور الدولة لان بيروت أهم مراكز العنصر العربي للاسباب التي قدمناها

فرعون وقومه

لاسماعيل باشا صبري

« لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني … اذا ونى يوم تحصيل العلى واني
ولستُ — ان لم تؤيدني فراعنة … منكم — بفرعون عالي العرش والشان
ولست جار ذا الوادي اذا سلمت … جباله تلك من غارات اعواني
لا تقربوا النيل ان لم تعملوا عملاً … فماؤه العذبُ لم يخلق لكسلان
ردوا المجرة كدًّا دون مورده … او فاطلبوا غيره ريًّا لظمآن
وابنوا كما بنت الاجيال قبلكمو … لا تتركوا بعدكم فخراً لانسان
أمرتكم فأطيعوا أمرَ ربكمو … لا يثنِ مستمعاً عن طاعة ثان
فالملك أمر وطاعات تسابقه … جنباً لجنب الى غايات احسان
لاتتركوا مستحيلاً في استحالته … حتى يميط لكم عن وجه امكان »

***

مقالة قد هوت من عرش قائلها … على مناكب ابطال وشجعان
مادت لها الارض من ذعر ودان لها … ما في المقطم من صخر وصوان
لو غير فرعون القاها على ملاً … في غير مصر لعدت حلم يقظان
لكن فرعون ان نادى بها جبلا … لبت حجارته في قبضة الباني
وآزرته جماهير تسير بها … بطاح وادٍ بماضي القوم ملآن
يبنون ما تقف الاجيال حائرة … امامه بين اعجاب واذعان
من كل ما لم يلد فكر ولا فتحت … على نظائره في الكون عينان
ويشبهون اذا طاروا الى عمل … جنًّا تطير بامر من سليمان
برًّا بذي الامر لا خوفاً ولا طمعاً … لكنهم خلقوا طلاب اتقان

***

اهرامهم تلك — حي الفن متخذاً … من الصخور بروجاً فوق كيوان
قد مرّ دهر عليها وهي ساخرة … بما يضعضع من صرح وايوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى … ما يأخذ النمل من أركان ثهلان

كأنها — والعوادي في جوانبها صرعى — بناء شياطين لشيطان
جاءت اليها وفود الارض قاطبة تسعى اشتياقاً الى ما خلد الفاني
فصغرت كل موجود ضخامتها وغض بنيانها من كل بنيان
وعاد منكر فضل القوم معترفاً يثني على القوم في سر واعلان
تلك الهيا كل في الامصار شاهدة بأنهم اهل سبق اهل إمعان
وان فرعون في حول ومقدرة وقوم فرعون في الاقدام كفئان
اذا أقام عليهم شاهداً حجر في هيكل قامت الاخرى ببرهان
كأنما هي — والاقوام خاشعة امامها — صحف من علم ثاني
تستقبل العينَ في أثنائها صورٌ فصيحة الرمز دارت حول جدران
لو انها أعطيت صوتاً لـكان له صدى يروع صمَّ الانس والجان

***

أين الألى سجلوا في الصخر سيرتهم وصغروا كل ذي ملك وسلطان
بادوا وبادت على آثارهم دول وأدرجوا طي اخبار واكفان
وخلفوا بعدهم حرباً مخلدة في الكون ما بين أحجار وأزمان
وزحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني
ويل له هتك الاستار مقتحماً جلالَ اكرم آثار واعيان
للجهلُ أرجح منه في جهالته اذا هما وزنا يوماً بميزان

(الزهور)

تاريخ مصر الحديث

الطبعة الثانية

ظهر كتابنا تاريخ مصر الحديث منذ نيف وعشرين سنة وقد نفدت نسخه وأخذنا في تنقيحه واعادة طبعه وسنزينه برسوم كثيرة فضلاً عن الرسوم التي كانت في الطبعة الأولى وسيصدر في بضعة اشهر ونعلن عنه عند الفراغ من طبعه فمن كانت له ملاحظة على الطبعة الاولى فلينبهنا اليها وله الفضل

مجاري الطبيعة

كالقضاء المبرم

لا يستطيع الانسان دفعها ولكنه يحتال في تجنبها أو الانتفاع بها

نريد بمجاري الطبيعة ما يجري في عالم الجماد من الحوادث الطبيعية على اختلاف وجهاتها ومراميها من حركات الافلاك الى الظواهر الجوية والجيولوجية . وما يلحق ذلك من اعمال الحياة في عالمي النبات والحيوان وفيها الانسان . وما يترتب عليها من النظامات والاحكام الاجتماعية او الادبية او غيرها . فهذه الحوادث الطبيعية جارية منذ الازل على نظام متسلسل الاسباب كل حلقة منه مرتبطة بالتي قبلها فهي مترابطة متداخلة لا يتيسر للانسان تغيير وجهتها او التأثير على مجراها في شيء

فكما ان الانسان لا يطمع في ان يحول مسير الشمس او يوقفه ولا ان يمنع المطر من النزول ولا العواصف من الهبوب ولا يخطر له ان يمنع ريح السموم اذا هبت او الزلازل اذا حدثت . فلا ينبغي له ان يتوهم نفسه قادراً على تغيير مجاري اعمال الاجتماع ونظاماته لانها تابعة لتلك او هي ثمرة من ثمارها . ولايضاح ذلك نقسم الحوادث الطبيعية الى (١) حركات الاجرام (٢) الظواهر الجوية (٣) الحوادث الجيولوجية (٤) الظواهر الحيوية (٥) الظواهر العقلية اوالادبية . ونبحث في كل منها على حدة :

١ حركات الافلاك او الاجرام — للاجرام احكام في حركاتها وسكناتها يحدث عنها الخسوف والكسوف والعبور والاقتران وهي قديمة ثابتة بحيث يسهل التنبوء عن حدوثها قبل مئات من السنين وهذا مايعبرون عنه بالارصاد او الازياج . فهذه طبعاً لا يد للانسان في تغيير شيء من احكامها ولا ان يقف في طريقها او يحولها عن مجراها

٢ الظواهر الجوية — ويراد بها ما ينتاب ارضنا هذه من الطوارئ الطبيعية على سطحها من مطر او سيل او عاصفة او حر او برد او رعد او برق واهمها الفصول الاربعة التي تتوالى عليها كل سنة ويترتب عليها اختلاف حال سطح الارض حراً او برداً وخصباً او جدباً . والسبب الرئيسي لهذه التغيرات حركة الارض اليومية فضلاً عن حركتها السنوية وتفاوت تأثير اشعة الشمس على سطحها . فتوالي الفصول ثابت

بثبوت تلك الحركة ولا حيلة للانسان في تبديل شيء منها بل هو يقف بازاء هذه الحوادث وقفة المحاذر او المفترص اذا نزل المطر استخدم ماءه لري الارض ونماء الزرع واختزن منه شيئاً لحين الحاجة واذا كان المطر سيولاً حتى يخشى منه الغرق صرفه وتجنب اذاه واذا اشرقت الشمس حارة في الصيف اتقى حرها بالمساكن والمظلات واذا حجبها الغيم واشتد البرد استدفأ بالنار . وقس على ذلك سائر مجاري الطبيعة في الظواهر الجوية فان الانسان لا يستطيع ان يرد سيلاً ولا ان يوقف مطراً ولا ان يسكت رعداً او يرد عاصفة وانما هو يحتال في تجنب اذاها او الانتفاع بها

كل ما تقدم من الحوادث لا يخالفنا القارئ في عجز الانسان عن دفعها بل هو يعد ذكرها من قبيل تحصيل الحاصل . وهكذا يكون حكمه اذا ذكرنا الحوادث الجيولوجية وبينا عجز الانسان عن ايقاف الزلازل اذا مادت بها الارض ومنع البراكين عن قذف ما في جوفها من الحمم اومنع سطح الارض من الهبوط او النتوء بفعل حرارة باطنها

هذه الحوادث كلها ثابتة لا خلاف في ان الانسان اعجز من ان يمد لها يداً وهي سائرة على نواميس ثابتة متسلسلة الاسباب والنتائج بحيث يمكن التنبوء عليها قبل حدوثها ولا سيما نظام الافلاك . اما الظواهر الجوية والجيولوجية فلا يزال اكثر اسبابها المتسلسلة مجهولاً ولكننا بالقياس على تلك نحكم بان لها نواميس ثابتة متسلسلة الاسباب لو كشفت لنا لهان علينا التنبوء عن الامطار والانواء والزلازل قبل حدوثها كما نتنبأ عن الخسوف والكسوف

الظواهر الحيوية : ونعني بها ما يطرأ على عالمي الحياة (النبات والحيوان) من الطوارئ الطبيعية كالخصب والجدب والصحة والمرض والحياة والموت . فهذه الطوارئ وامثالها انما هي من نتائج الظواهر الجوية فالخصب والجدب من ثمار تأثير الشمس على الارض فهي التي تبخر مياه البحار وتصعد بخارها الى الجو ثم يتساقط مطراً . فاذا قصرت في ذلك لسبب من الاسباب حصل الجدب واذا اعتدلت كان الخصب . فضلاً عما يطرأ على الزرع من الامراض الوافدة كدودة القطن ونحوها . ولانتشار هذه الامراض اسباب ترجع الى الظواهر الجوية كالرياح والعواصف والحر والبرد ولها اسباب متسلسلة لا بد من وقوعها . واعتبر ما يترتب على الخصب او الجدب من تبدل احوال الناس من الراحة والتعب والشدة والرخاء

فالنيل اذا شح ماؤه في بعض السنين ترتب عليه قلة المحصول فتروج المضاربات ويربح بعض الناس ويخسر البعض الآخر فيترتب على ذلك كثير من الحوادث الخصوصية

في العائلات والمنتديات من خصام او وفاق من مرض او صحة وزواج او طلاق وغير ذلك مما قد يصدر عن تناقل الثروة وفوضى التجارة . كل ذلك راجع الى ظاهرة من الظواهر الجوية البسيطة وهي ان المطر عند مصادر النيل كان قليلاً في ذلك العام . وقس على ذلك سائر الظواهر الجوية التي تبدو لاول وهلة كأنها مستقلة عن الحوادث الطبيعية العامة وانما هي من نتائجها فهي اذاً ثابتة لا بدَّ من ان تأخذ مجراها اراد الانسان ام لم يرد وانما هو يحتال في مداراتها وتجنبها وقلما يكون له تأثير في ذلك

فالمرض الذي ينتاب الانسان يظهر لاول وهلة انه عارض وفي الامكان تجنبه قبل حدوثه ولكنك عند التأمل في الاسباب التي بعثت عليه او جرت اليه تجدها مترابطة باسباب ومقدمات متسلسلة لابد من افضائها الى هذه النتيجة . ولعلك لو استطعت الاطلاع على حلقات هذه الاسباب كلها لرأيتها تتصل بظاهرة من الظواهر الطبيعية التي لا يمكن منعها . فالجرثومة المرضية التي لقحت المريض واحدثت فيه المرض انتقلت اليه اما بالهواء وهبوبه يرجع سببه الى وقوع اشعة الشمس على الارض وهو من الحوادث الفلكية التي لا يمكن دفعها واما ان تكون قد انتقلت بيد او اداة او وسيلة اخرى لو تتبعناها لرأيناها ترجع الى الحوادث الطبيعية الثابتة

أعمال الانسان

بقي علينا النظر في الافعال التي تصدر عن الانسان باختياره وهي التي يعبرون عنها باعمال الارادة وعليها مدار النواميس الادبية ونظام الهيئة الاجتماعية وروابط الناس بعضهم ببعض كالفضائل والرذائل والعلم والجهل والاقدام والخمول وكل ما يصدر عن العقل او الخلق او العادة او التربيـة — فهذه تظهر في بادئ الرأي ناتجة عن ارادة الانسان ولكننا لو تتبعنا علة ما نراه في الناس من الفضائل اوالرذائل وما نرى من تفاوتهم في العقول والقرائح لهان علينا الرجوع بتلك الاعمال الى اسباب قديمة . وبيان ذلك ان الانسان صنيعة ثلاثة عوامل رئيسية الوراثة والاقليم والتربية

الوراثة — ليس الانسان مختاراً فيما يرثه من والديه من القوة والضعف من الميل الى الخير او الى الشر من الاقدام او الخمول . فاعماله من هذا القبيل مقدرة بالنظر الى حال والديه . فهو منذ ولادته قدّر له ان يكون كما تقتضيه الخصال التي ورثها من والديه . فلو ورث منهما الذكاء والنشاط والاقدام وعلو الهمة وصدق المعاملة لقدر له ان يكون رجلاً عظيماً — وان ظهر له ذلك مظهر الاختيار ففاخر اقرانه بجليل اعماله وهو يرى انه يفعلها بمجرد ارادته فينال العلى بسعيه واجتهاده . وما هو بالحقيقة الا آلة لما

ورثه من والديه · ولو ورث منهما الضعف والخمول والبله لعاش تعساً مهاناً ضائعاً

ومثل ذلك يقال في من ورث من والديه الطمع او الشره او الكذب مع ضعف الارادة فشب لصاً او مقامراً اوسكيراً او قاتلاً فان حالته تكون مقدرة منذ ولادته ولا ذنب له في هذه ولا فضل له في تلك

وقد يتبادر الى الذهن ان الذنب او الفضل لوالديه لانهما اورثاه تلك الخصال ولكن لا ذنب لهما ولا فضل . لانهما اما ورثا ذلك كله من والديهما او ورثا البعض واكتسبا البعض الآخر من الاقليم او التربية . وهكذا لو تدرجنا في البحث عن التوارث الى الجد الاول فاننا نرى بعض تلك الخصال موروثاً والبعض الآخر مكتسباً من طوارىء الاقليم او التربية · فالوراثة خلقية وما ينجم عنها ضروري لا سبيل الى دفعه

الاقليم · وللاقليم تاثير كبير في اخلاق الانسان واعماله وهو يشمل كل مايحيط به من البيئة كالحر والبرد والخصب والجدب ونوع المعيشة او ما يطرأ عليه من العوارض المؤثرة على بدنه او عقله مما يغير خلقه او يضعف بعض اجزاء دماغه او يقويها فتظهر نتائج ذلك في اعماله

والانسان منذ تصوره في الرحم عرضة للتاثيرات الخارجية . فيولد وللاقليم آثار في جسمه وعقله ويشب فتظهر تلك الآثار في افعاله حتى لقد تغير احكام الوراثة . اذ كثيراً ما يكون الوالدان من اهل الفضل والنبل فيولد لهما ولد شرير اكتسب ميله الى الشر من تغيير اصاب مجموعه العصبي وهو جنين او طفل · واعمال الانسان مرجعها الى الدماغ فتكون كما يكون هو . . والاقليم مجموع ظواهر طبيعية اسبابها متسلسلة الى الازل فما ينتج عنها يعد ازلياً اي انه مقدر حدوثه منذ الازل

نزلت صاعقة في قرية فاجفل منها اهل القرية وارتعبت النساء وبينهن حامل عصبية المزاج فتأثرت تأثراً القاها مغشياً عليها واختبطت احشاؤها فأثر ذلك في دماغ الجنين ففسد فيه مركز الارادة فولد الطفل ضعيف الارادة ونشأ عرضة للشرور والمفاسد . فكل ما يفعله راجع الى سببين احدهما الضعف من والديه وهو وراثي وقد تقدم الكلام على قدمه · والثاني طارىء من ظواهر الاقليم وهو قديم ايضاً باعتبار ان الصاعقة نتيجة تفاعل طبيعي متسلسل الاسباب الى الازل كسائر الظواهر الجوية وكثيراً ما تأول تلك الصدمة الى تنويع دقائق الدماغ تنويعاً يحدث في العقل ميلاً الى بعض الفضائل كالعلم او الدين او عمل الخير او نحو ذلك

التربية · وللتربية تأثير في اخلاق الناس وعقولهم وهي تمتاز عن العاملين

السابقين بأنها ليست عاملاً خارجياً كالاقليم والوراثة بل هي من اعمال العقل وتكاد تكون اختيارية ومعنى ذلك ان الذين يربون اولادهم لتقويم عوجهم او ينشئون المدارس لتثقيف الشبان وتعليمهم او يسنون الشرائع لتهذيب الامم وردع الناس عن الشرور انما يغيرون شؤون المجاري الطبيعية فينوعون بعض ما كان من آثار الوراثة او الاقليم . فالتربية تظهر بهذا الاعتبار انها ليست من العوامل الازلية التي يصح ان يقال عن نتائجها ازلية بل هي مقاومة لتلك العوامل

ونريد بالتربية كل الوسائل المؤدية الى اصلاح شؤون الحياة الاجتماعية وتنظيمها وتخفيف متاعب الانسان . اهمها التعليم بانواعه كالتعليم الطبيعي والديني والادبي والسياسي والقضائي ويدخل في ذلك وضع الشرائع والقوانين والبحث في المرض والعلاج والاكتشاف والاختراع والتدريب على الصنائع والفنون والزراعة والتجارة وغيرها

ولو اعدت النظر في اهم وسائل التربية وهي العلم والدين والقضاء لرايت الغرض الاساسي منها تهذيب النفس وردع المرء عن الاستسلام الى الشهوات . والشهوات اصل الشرور ومصدر الضرر العام . فان كلاً منا يشعر عند التأمل انه مؤلف من عنصرين متضادين احدهما حب الذات وهو ميل الانسان الى اكتساب كل شيء لنفسه وهو نوعان الشهوات البدنية كالطعام والشراب وغيرها والشهوات النفسية كالطمع والحرص وحب الفخر وغير ذلك . والعنصر الثاني العقل وهو القاضي العدل والفيلسوف الحكيم ينظر الى الشهوات من عرشه السامي ويهزأ بضعف الجبلة البشرية ويسعى في اصلاح ما افسدته فيضع الشرائع والاحكام قيوداً تكبح جماحها ويشير بالتعليم والتهذيب تخفيفاً لويلاتها ويرشدها الى الدين فيمزجه بالوعيد ارهاباً وتهديداً

فالعقل هو المصلح الكبير وطريق الاصلاح التربية باعم معانيها . فهل اعمال العقل تابعة لمجاري الطبيعة ايضاً ؟ وكيف تكون كذلك وغرضها بالاكثر مقاومة الحوادث الطبيعية ؟ وهنا يقف الفكر حائراً والذهن مرتبكاً . وسبب الارتباك قصورنا عن ادراك ماهية العقل . على اننا لا نعدم باباً نرى فيه حلاً لهذه المعضلة . وذلك اننا اذا كنا لا نعرف ماهية العقل فاننا نعرف تأثير الطوارىء الطبيعية عليه كتأثيرها على سائر القوى وان لم يقع ذلك التأثير عليه رأساً فهو واقع على آلته « الدماغ » فيتغير بما يؤثر عليه من ماجريات الطبيعة

وجملة القول ان الحوادث الطبيعية على اختلاف نتائجها ومراميها كالقضاء المبرم لاسبيل الى دفعه او تبديله كحركات عالم الجماد وهي تشمل الحوادث الفلكية والجيولوجية

والظواهر الجوية لا خلاف في انها مترابطة الاسباب تجري على نواميس ثابتة لا مزد لها وظواهر عالم الحياة وما يدخل فيها من الطوارىء على الاحياء وما يترتب على ذلك من المرض والصحة والخصب والجدب قد رأينا انها ملحقة بتلك الحوادث . واما ظواهر اعمال الانسان فانها داخلة تحت هذا الحكم مبنية على تفاعل الاقاليم والوراثة وكلها ترجع الى الظواهر او النواميس الجوية - فما يحدث منها لابد من حدوثه وما شأن من يحاول دفعه الا شأن من يحاول ان يرد سيلاً جارفاً او يوقف مطراً متساقطاً

واعتبر ذلك في المسائل الكلية والجزئية على السواء . فانظام الاجتماعي كما وصل الينا بما فيه من الرئاسات الدينية والسياسية وما يتخلله من قواعد الزواج والتوارث وغيرها انما هو ظاهرة من ظواهر الحياة الانسانية ولكنها نتيجة مجاري الطبيعة العامة واساسها تفاوت الناس في القوى البدنية والعقلية منذ الولادة باختلاف تأثير الاقاليم وغيره على امهاتهم مع انفطار الانسان على حب الذات وطلب الرئاسة والتغلب على سواه . وقد انتقد دعاة الاشتراكية هذا النظام وحاولوا ابداله غير مرة من عهد افلاطون والمدينة التي اشار بانشائها على النظام الجديد الى السير توماس مور المتوفى سنة ١٤٧٨ صاحب جزيرة اوتوبيا التي جعل نظامها مثالاً لما يجب ان يكون نظام الاجتماع على زعمه - الى جون نويس صاحب مدينة الاونيدة بجوار نيويورك سنة ١٨٤٤ الى غيرهم ممن لم يعجبهم نظام الاجتماع فاشاروا بابداله ولم يفلحوا ولن يفلحوا لان اراءهم تخالف مجاري الطبيعة ولو جاروا الطبيعة مع بعض التنقيح او التدبير لافلحوا

واعتبر ذلك ايضاً في الحوادث الجزئية فان المرض اذا اصاب الانسان لا بد ان يسير سيره الطبيعي وليس في طاقة الطبيب ان يوقفه او يحوله عن مجراه وما العلاج الذي يصفه الا حيلة يتعلل بها ريثما ياخذ المرض مجراه الطبيعي وينتهي اما بالشفاء او بالموت

السعي والتوفيق

ويستنتج مما تقدم الجواب على سؤال كثيراً ما يطرح على بساط البحث وهو «هل يتوقف نجاح الانسان على سعيه اكثر مما على الاحوال او ما يعبرون عنه بالتوفيق؟»

وقد رأيت مما تقدم ان الاحوال هي الاصل اعني مجاري الطبيعة فسعي الانسان للرزق مثلاً يقتضي اولاً وجود الاسباب المساعدة على العمل . فاذا كان مزارعاً فلا ينفع سعيه الا ان يكن هناك حقل يزرعه والتاجر لا فائدة من سعيه ان لم يجد سلعاً ينقلها ويبيعها والصانع لا تنفع صناعته ان لم يجد المواد التي يصطنع منها السلع

ونحوها . فهذه كلها من نتائج الحوادث الطبيعية ولا دخل لارادة الانسان او سعيه فيها وهي قواعد ارتزاقه . فضلاً عما قد يعترض سعيه في اثناء عمله من الطوارىء الطبيعية من جدب او خصب او مرض او صحة او حرب او نوء او عاصفة تقف في سبيل سعيه او تمهد له اسباب النجاح فهذه لا دخل له في وجودها وانما هو يحتال في تدبرها بحيث ينتفع بها او يجتنب اذاها . وهنا يتفاوت الناس في اقتدارهم على تدبر تلك الاحوال ومقدار ما يستخرجون من نفعها حسب تفاوتهم في مساعيهم ومواهبهم — حتى هذا فانه من جملة الحوادث الطبيعية لانه ناتج عن مزاج طالب الرزق ودرجة قواه العاقلة وهما من ثمار الاقليم والوراثة والتربية كما تقدم فلا حيلة له فيها

ومع ذلك فالانسان يشعر بانه حرُّ الارادة وانه مسئول عما يعمل وعلى هذا الشعور وهذه المسئولية يتوقف نظام الهيأة الاجتماعية وشرائع الامم وبدونهما يكون الوجود بجملته عبثاً . فلا بد ان يكون للعقل نوعٌ من الاستقلال في اعماله مع تأثره بالعوامل الخارجية . على ان ما يتأثر بتلك العوامل آلته وليس هو . فما يظهر من الخلل في اعماله لم يتطرق الى جوهره . ويؤيد ذلك ان الانسان لو تتبع تاريخ احكام عقله على شهواته منذ حداثته الى كهولته لرأى العقل والشهوات في حرب دائمة وان العقل يقوى على الشهوات بتوالي السنين حتى اذا ادرك الشيخوخة تمت له السيادة فيصبح بعيداً عن الخطأ قليل السقوط لأن العناصر المقاومة لاغراضه ضعفت او انحلت . ولا يعترض على ذلك بما يصيب العقل من الخرف في الشيخوخة فان الضعف حينئذ في الدماغ وليس في العقل نفسه . ونرى من ثبات العقل في احكامه على اختلاف اطوار الحياة انه شيء غير المادة وان له نوعاً من الاستقلال يجعله مسئولاً عن اعماله . لان حكمه على الشهوات منذ الشبوبية الى الشيخوخة واحدٌ . واذا غلبت هي عليه في الشبوبية فلأنها حينئذ اقوى منه وقد يطاوعها هو او يساعدها لكنه يفعل ذلك وهو يعتقد انه يفعل خطأ

مشاهير الشرق — الطبعة الثانية

اخذنا في اعادة طبع كتابنا « مشاهير الشرق » في القرن التاسع عشر وسنضيف اليه تراجم بعض المشاهير الذين فاتنا ذكرهم في الطبعة الاولى

حاربوا الفقر بالتعليم

رقوا العامة الجهلاء فيكثر عدد الخاصة العقلاء

يشتغل رجال الاقدام والسعي بمصر الآن في طلب الاستقلال او الدستور او نحوهما من ضروب الحرية السياسية وهي مطالب حسنة تتوق اليها النفوس الابية . لكننا في حاجة الى امور كثيرة ايسر منالاً واقرب الى الغرض المطلوب نعني ترقية العامة واعالة الفقراء والاخذ بايديهم لاخراجهم من الفاقة وارشادهم الى سبيل الحرية ولا يكون ذلك الا بالعلم والتربية

ان العامة هم جمهور الامة واكثرهم فقراء قد خيم عليهم الجهل والامة الرشيدة التي تطلب الاستقلال يجب عليها اولاً ترقية نفوس عامتها بالتعليم . ولا تبرهن على استعدادها للاستقلال الا اذا اظهرت استقلالها في تربية ناشئتها — ان في مصر كثيراً من معاهد التعليم المجاني تفتح ابوابها للفقراء وبعضها تساعدهم بالاطعمة لكنها قائمة بمساعي الحكومة واكثرها تابع للاوقاف . وهي مفيدة جداً لكنها اصبحت مأوى بالاكثر للكسالى الذين يستثقلون العمل . وليس المطلوب ان تقبل الفقير اذا جاء يطلب العلم فنعلمه انما المطلوب ان نفتش عن الفقراء ونحرضهم على تلقي العلم فنزورهم في بيوتهم ونرشدهم الى اسباب النظافة ونستحثهم على الفضائل الاساسية كالصدق والاجتهاد والاعتماد على النفس ونحوها

ان هذه المساعي لا ينبغي ان نتكل فيها على الحكومة بل يجب ان نعتمد فيها على انفسنا — ان في انحاء القطر المصري نهضة حسنة للتعليم بانشاء الكتاتيب لكنها قاصرة على قبول الفقراء اذا طلبوا العلم وهم قليلون بالنظر الى جمهور الامة . وهؤلاء انما يحتاجون الى من يجبرهم على طلب العلم او يستحثهم عليه ولا يقوم بذلك الا جمعية تتشكل من الادباء ومحبي الخير لهذه الغاية فيكون غرضها جمع المال لنشر العلم بين العامة بالاجبار او الترغيب بانشاء المدارس والاندية وتشكيل الجمعيات الادبية وجمع الشبان وتعويدهم على العمل واعالة الفقراء منهم اذا كانوا لا يستطيعون عملاً فلا يجعلوا المدارس المجانية ملجأ لاهل البطالة والكسل بل يعلمونهم كيف يرتزقون . وبهذه الواسطة ترتقي الامة وينبغ من بين ابناء الفقراء اهل الارياف رجال يخدمون بلادهم او يخدمون انفسهم

جيش الخلاص

هكذا فعلت الامم المتمدنة فانشأت الجمعيات باسم الدين او باسم الادب وجعلت همها ترقية العامة بالتعليم والخطب والارشاد والتربية فخدمت بلادها خدمة حسنة . نذكر مثالاً من ذلك جمعية انكليزية انشأها رجل من اهل البر والاحسان سنة ١٨٦٥ أسمه وليم بوث سماها « جيش الخلاص » وهم يسمون انفسهم « المرسلين المسيحيين » لان غرضهم الاساسي نشر الدين المسيحي بين العامة وترقية شؤونهم واعمالهم وتهذيبهم . فجعلته الجمعية جنرالاً اشارة الى ان تلك الجمعية جيش لمحاربة الجهل والفقر وجعلوا للاعضاء رتباً مثل الضباط في الجيش



الجنرال بوث رئيس جيش الخلاص

وانقطع الجنرال بوث لهذه الجمعية وتولى رئاستها من اول تأسيسها ولا يزال هو رئيسها الى الآن وقد مضى على انشائها ٤٥ سنة تقدمت في اثنائها تقدماً عجيباً وتعددت فروعها في اكثر انحاء العالم ولها كثير من الاندية والمدارس والجرائد . اما اغراضها فهي :

١ اعالة الفقراء الذين لا يستطيعون الشغل
٢ تدبير الشغل لطلابه بالسعي لهم في خدمة او صناعة
٣ مساعدة طلاب المهاجرة الى كندا او غيرها للاشتغال في الارض
٤ انشاء ملاجيء للمتشردين

٥ انشاء بيوت صناعية لتشغيل النساء او الاولاد الذين لا عمل لهم

٦ تدبير ممرضات من اعضاء الجمعية لخدمة المرضى الفقراء

٧ تعليم الفقراء وتثقيفهم بالوعظ والارشاد

٨ زيارة المسجونين وتعزيتهم والتفتيش عن الساقطين في هوة الرذيلة وارشادهم

وغير ذلك مما ينهض العامة من حضيض الجهل والفقر . ويشترك في هذه الاعمال الرجال والنساء على السواء وكلهم من اعضاء الجمعية ويعدُّ اعضاؤها بعشرات الالوف وهم منتشرون في انحاء انكلترا وغيرها يطعمون الجياع ويكسون العراة ويخدمون المرضى ويشغلون من لاشغل له ويعزون المسجونين ويعظونهم ويرشدون الضالين الى التقوى. ولهم مئات من الاندية والمدارس والمستشفيات والملاجئ وغيرها. والمساعدات تتوالى عليهم من الاغنياء وغيرهم . وجاء في خلاصة اعمالهم للعام الماضي ان معدل ما يعملونه في الاسبوع الواحد هو انهم :

يعقدون	٤٦٠٠٠	اجتماع داخل المنازل
يحضرها	١٤٠٠٠٠٠	سامع
ويعقدون	٣٠٠٠٠٠	اجتماع في الحدائق والشوارع ونحوها
فيحضرها	٢٠٠٠٠٠٠	نفس
يعلمون	٣٠٠٠٠	طالب في مدارس الاحد
يزورون	١٥٠٠٠	بيت من البيوت العمومية
»	١٠٠٠٠٠٠	منزل لتعزية اهله وارشادهم
يشفون	١٠٠٠	نفس من المرض بالمستشفيات
يعلمون	١١٢٣٠٠	تلميذ في مدارسهم التعليمية
يأوون	١٩١٠٠٠	نفس من المتشردين
يطعمون	٢٦٤٠٠٠	جائع
يشغلون	٦٠٠٠	عامل لا شغل له
يزورن	١٥٥٠	سجيناً في سجونهم
ينشرون	١٠٠٠٠٠٠	نسخة من الجرائد والمجلات

واعتبر ان هذا هو عمل الجمعية في الاسبوع الواحد فكم يكون عملها في السنة وكم هو مقدار تأثيرها في ترقية العامة وتخفيف ويلاتهم وكم هو فضل الجنرال بوث مؤسس هذا المشروع ولايزال يخدمه الى الآن وله وحده الحق ان يسمي من يخلفه . فما احرانا ان نقتدي به وبامثاله من خدمة الانسانية ولا ينقصنا لهذا العمل غير الهمة والاقدام

قانون حق التاليف

في المملكة العثمانية

نقلا عن جريدة الحضارة

م ١ — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى « حق التأليف »

م ٢ — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطاط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطة) الموسيقية

م ٣ — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الاثار والاخبار بها وترجمتها للسان آخر او افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواعظ والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية أو الفكاهة . أما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها

م ٤ — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقتة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل « حقها محفوظ » « نشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها » فحقها محفوظ . ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين ماخذها

م ٥ — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل أحد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية

م ٦ — ان حق التأليف عائد للمؤلف في حياته اما بعد وفاته فهو عائد اولاً لأولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانياً لآبائه وامهاته . ثالثاً لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات أو ترجمتها للسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها أو ورثته

م ٧ — ان حق التاليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في الترانيم والتواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة)

م ٨ — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

م ٩ — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر تبتدىء اعتباراً من تاريخ نشرها .

م ١٠ — لا يجوز تمثيل رواية منثورة أو منظومة أو تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

م ١١ — ان تمثيل الروايات المنثورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات الخصوصية لا تقصد الانتفاع غير تابعة لحق التأليف

م ١٢ — يجوز اخذ بعض القطع من اي أثر كان لضرورة او لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصوصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف.

م ١٣ — لا تنشر المكاتيب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً أو من عائلته اذا كان متوفى .

م ١٤ — يمكن ترجمة أثر من الآثار من قبل واحد أو اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .

م ١٥ — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

م ١٦ — اذا ألف او ترجم أثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقاولة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادته من الأقسام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التحرير واذا كان يوجد مقاولة مخصوصة بين الشركاء فيجري حكم المقاولة تماماً واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

م ١٧ — اذا لم يبق لأثر صاحب ما كأن توفي مؤلفه بلا وارث او انقطعت الوراثة او حدثت اسباب اخرى فكل انسان له الحق بطبع ذلك الأثر وترجمته .

م ١٨ — يمكن لكل احد ان يطبع الآثار المطبوعة قبلاً والتي لا صاحب لها وفقاً للمادة السابقة واما الذين يودون طبع أثر لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات الى خمس عشرة سنة

وحينئذ لايجوز لغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الاثر في ظرف هذه المدة واما اذا لم يباشر طبع الاثر في مدة سنة او عطل سنة بعد مباشرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن

م ١٩ — اذا نفدت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعتبرة التي يرجى منها فائدة للعموم ولم يتيسر طبعه لسبب من الاسباب كفقر ورثة المؤلف او اهمالهم او عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل اسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة

م ٢٠ — على مؤلفي الآثار ان يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من آثارهم لنظارة المعارف في الآستانة ولمديرية المعارف في الخارج ويقيدوه ويسجلوه ليحفظوا بذلك حق تاليفهم اما الآثار التي ليس لها الا صورة واحدة كالالواح والتماثيل والتعاليق (المداليات) فهي مستثناة من هذه المعاملة

م ٢١ — يقيد في الدفتر المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم الاثر وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع له رقم بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الاثر او وكيله الرسمي

م ٢٢ — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف ربع ليرة عثمانية فقط خرجاً للقيد والتسجيل ويعطى بمقابله من قبل نظارة المعارف او مديرياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للتصرف يكون معمولاً به الى ان يثبت عكسه بالمحاكمة

م ٢٣ — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقتة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها

م ٢٤ — لا تسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة الى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الآثار التي قيدت وسجلت في ظرف السنة واسماء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد

م ٢٥ — لصاحب الاثر او المترجم او صاحب الامتياز او ورثتهم ان يبيعوا أو يتركوا في ظرف المدة النظامية حق التاليف او الامتياز تماماً أو موقتاً او بتعين عدد النسخ لآخر بموجب مقاولة بمقابل بدل او بلا بدل ويكون المشتري او الآخذ حينئذ قائماً مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل كمال المدة تعد ورثته متصرفة في المدة الباقية

م ٢٦ — يجب تسجيل مقاولة البيع او الترك في نظارة المعارف في الاستانة وفي مديرياتها في الخارج ويؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيدية ولدى ابراز المقاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف الخرج المذكور جزاء ويرسل

الى صندوق المعارف

م ٢٧ — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بأنهم حق تأليفهم اذا لم يوجد مقاولة خصوصية

م ٢٨ — ليس للطابع ان يحدث تغييراً ما في الاثر بدون اذن المحرر واذا جرى ذلك منع نشر الاثر بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر

م ٢٩ — ان طبع كتاب وتمثيله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليداً وكذلك تمثيل رواية منثورة اومنظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية او استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالفوطوغراف او بوسائط اخرى واعمال قوالب الآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هوبحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقاً للمادة ٣٢

م ٣٠ — ان نسبة الآثار في التآليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم وأخر عبارات كتاب او اناشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم المنتحل

م ٣١ ـ التنقيدات والشروح والحواشي لا تعد انتحالاً وكذلك اذا نقل المؤلف بعض جمل وفقرات من اثر آخر لاثره ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلاً

م ٣٢ ـ من طبع الآثار التي لها حق التأليف بدون رخصة من اصحابها او توسط بطبعها او مثل رواية منثورة او منظومة يغرم بخمس وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقدياً ويحبس من اسبوع الى شهرين وتضبط منه الاثار التي طبعها وتعطى الى اصحابها وكذلك من طبع مثل هذه الاثار في الخارج ومن ادخلها الى الممالك العثمانية يغرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية الى مئة ليرة جزاء نقديا والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها او يعرضونها للبيع يغرمون بخمس ليرات عثمانية الى خمس وعشرين ليرة جزاء نقدياً

م ٣٣ ـ اذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الاثر المتضرر يعطى بحقها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى

م ٣٤ ـ يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقاولة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خالفوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الاثر

م ٣٥ – تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين بحق المنتحلين ايضاً

م ٣٦ – لاصحاب الأثر المشترك ان يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطلبوا الضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير

م ٣٧ – لا يجوز للدائنين حجز آثار المؤلف التي لم تطبع واذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيراً بعرضها للبيع ووقاية اصحابها من الغدر

م ٣٨ – النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ٢٨٨ منسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذيلة عليه

م ٣٩ – ان الذين طبعوا اثراً قبل نشر هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه او ورثته عليهم مراجعة صاحبه او ورثته واستحصال رضائهم واذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى اصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون

م ٤٠ – ان تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية

م ٤١ – ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه

م ٤٢ – ناظر المعارف والعدلية مأموران باجراء هذا القانون

في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ – ٦ مارس سنة ١٩١٠

رباعيات الخيام

حضرة صاحب الهلال

قرأت في صفحة ٥٥٣ من هلال السنة الثامنة عشرة ما كتبته اليكم عن رباعيات الخيام فرأيت قد وقع فيه التغيير حتى افاد بخلاف المقصود والعبارة المغيرة « ولم يعهد هذه التسمية الا في الفارسية » واصل العبارة « ولم يعهد هذه التسمية لا في الفارسية ولا في العربية » ونعني ما ذكرتم من تسمية الرباعي بالقصيدة . فان كان ما اقول باطلا فبينوا والا فاذكروا اصل العبارة والسلام عليكم

(طوس) محمد تقي ملك الشعراء

وبلغاريا معاً — فجرس التلفون لا يبطل صوته في نيو يورك وهو اقل عملاً في الساعة ٣ ـ ٤ بعد النصف الليل مما في سائر ساعات اليوم وعند ذلك يبلغ عدد الطلبات عشرة كل دقيقة اي ٦٠٠ في الساعة و يبلغ عدد الطلبات في الساعة ٥ ــ ٦ نحو ٢٠٠٠ و بعد نصف ساعة يتضاعف العدد ولا يزال يتزايد الى قبيل الظهر فيكون على معظمه من الساعة ١١ الى الظهر وعدد الطلبات في تلك الساعة ١٨٨٠٠٠ طلب

﴿ اول منطاد للمسافرين ﴾ قلنا غير مرة ان من الامور المنتظر حدوثها في القريب العاجل انتقال المسافرين في المناطيد « البالونات » التي تدار كما ينتقلون في البواخر من بلد الى بلد او من قارة الى قارة وقد تم ذلك اليوم فسافر اول منطاد يحمل ١٣ مسافراً اقلع من فريدر يكشافن على بحيرة كونستانس فقطع في اربع ساعات مسافة لا يقطعها الاكسبرس الا في ست ساعات واقترح بعضهم تاليف شركة تنشئ المناطيد لقطع الاتلانتيكي فانها اسرع من البواخر كثيراً



تاريخ التمدن الاسلامي

ترجمته الى اللغة التركية

اوعز احمد جودت بك صاحب جريدة اقدام الى صديقنا زكي بك مغامز الكاتب العربي التركي المشهور ان يترجم كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية لينشر تباعاً في ذيل تلك الجريدة ثم يطبع في كتاب على حدة . وقد فعل واخذوا في نشر الترجمة منذ ثلاثة اشهر وهم الان في نحو نصف الكتاب • فنشكر لرصيفنا جودت بك حسن ظنه في كتابنا ونثني على همة صديقنا المترجم — ولا بد لنا من تعريفهما الى حضرات القراء

فجودت بك صاحب اقدام تركي الاصل ولد في الاستانة وتلقى العلم في مدرسة الشفقة وفي مدرسة الحقوق ثم انخرط في سلك ارباب الاقلام حتى انشأ جريدة اقدام الشهيرة منذ ست عشرة سنة وهي لا تزال تصدر الى الان . واشتهر جودت بك بسمو اخلاقه وثباته فضلا عن قدرته على الكتابة في التركية فان اكثر المقالات

التي تنشر في رأس الجريدة من نفثات يراعه . وله فضل كبير في توسيع النهضة العلمية التركية بطبع المؤلفات النافعة حتى في عصر الاستبداد فانه طبع كثيراً منها

اما زكي بك مغامز فاكثر قراء العربية يعرفونه بما ينشر من مقالاته في الجرائد العربية الكبرى في مصر وغيرها . ونزيدهم تعريفاً انه عربي الاصل من حلب وقد تخرج في مدارس الحكومة فاتقن اللسانين العربي والتركي اتقاناً يندر اجتماعه في شخص واحد . وقد زاول مهنة التحرير في الجرائد منذ ثماني عشرة سنة فلم تبق جريدة من الجرائد التركية الكبرى الا كان من رؤساء تحريرها فضلاً عن كتاباته في جرائد مصر في عصر الاستبداد وبعده ولا يزال الى الآن نادر المثال في اقتداره على الانشاء البليغ في اللسانين العربي والتركي وله منزلة سامية عند ادباء الاتراك لصحة اسلوبه في لسانهم

فترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية تحت الطبع الآن في مطبعة اقدام ومتى تم طبعها ذكرناها . والتركية هي اللغة الخامسة التي نقل اليها هذا الكتاب وطبع فيها — فقد نقله الى اللغة الهندستانية « الاوردية » الشيخ غلام محمد منشئ جريدة وكيل في امرتسار الهند • ونقله الى اللغة الانكليزية الاستاذ مرجليوت المستشرق الانكليزي الشهير . وهو يترجم الآن الى اللغة الفرنساوية بقلم الافوكاتو الاصولي اسحق افندي قطان من ادباء تونس . وقد اخذ في نقله الى الفارسية السيد فضل الله ابن داود في بدائع نكار بخراسان • وهذه ترجمة التركية لمغامز بك

وكان لهذه الترجمة وقع حسن عند قراء اللغة التركية فقرظها غير واحد من ادبائهم نخص منهم بالذكر سامح بك الشاعر التركي الكبير كان رئيس تحرير « صباح » وهو الآن متصرف يافا . فقد نشر في اقدام مقالة ضافية في هذا الكتاب وترجمته الى التركية ذكر انه كان قد شرع هو بترجمته مع صديقه مغامز بك يوم كانا يحرران في صباح ثم حالت الوظيفة دون مواصلة العمل . وانه سرَّ بهذه الترجمة لثقته بصديقه المترجم . واطال في وصف الكتاب ورب ما ذكرنا شيئاً من اقواله في فرصة اخرى اعترافاً بفضله

ترجمة رواية الحجاج بن يوسف الى التركية

وقد استأذن حضرة يونس نادي بك احد كبار ادباء الاتراك ومن المتضلعين في اللغة العربية في نقل روايتنا « الحجاج بن يوسف » الى اللغة التركية وسيسميها « حجاج ظالم » ومتى صدرت هذه الترجمة نذكرها في الهلال

الانقلاب العثماني

رواية هذه السنة

اجابة لطلب الكثيرين من القراء وانجازاً لوعدنا في الهلال الماضي قد جعلنا موضوع رواية هذه السنة «الانقلاب العثماني» وقد باشرنا نشرها من هذا الهلال وهي تبحث في الاسباب الحقيقية التي ساعدت على هذا الانقلاب العجيب مع تمثيل اخلاق عبد الحميد واطواره وما بلغت اليه حال الدولة في اواخر ايامه وخصوصاً داخل يلدز واحوال الحاشية وسائر اهل البلاط

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات

﴿ الاحوال ﴾ مجلة روائية ادبية تاريخية علمية تصدر بالاسكندرية مرتين في الشهر لمؤسسيها حسن افندي فهمي ومحمود افندي طاهر بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و ١٥ فرنكاً بالخارج

﴿ تنوير الافكار ﴾ مجلة دينية ادبية سياسية تصدر في بغداد مرة بالشهر لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ويديرها نعمان افندي الاعظمي بدل اشتراكها في الخارج عشرة فرنكات

﴿ الحقائق ﴾ مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية تصدر في دمشق مرة بالشهر لصاحبها السيد عبد القادر الاسكندراني بدل اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربع وفي الخارج سبعة فرنكات

﴿ النديم ﴾ مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لمنشئها شاكر افندي عون بدل اشتراكها مجيديان في البلاد العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج

﴿ عالم اسلام ﴾ مجلة اسلامية تصدر باللغة التركية لعبد الرشيد افندي ابراهيم في الاستانة بادارة صراط مستقيم

﴿ النصر ﴾ جريدة سياسية ادبية تصدر في تونس مرة في الاسبوع لصاحبها محسن افندي زكريا بدل اشتراكها عشرة فرنكات بالخارج

﴿ الوجدان ﴾ جريدة اجتماعية وطنية انتقادية تصدر في طرابلس الشام مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها محمد سامي افندي صادق اشتراكها مجيدي بطرابلس و٣٠ غرشاً بالخارج

﴿ الرصافة ﴾ جريدة سياسية ادبية فنية تصدر في بغداد مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي صادق الاعرجي بدل اشتراكها ٢٥ غرشا بالمملكة العثمانية و٤٠ في الخارج

﴿ المنتخب ﴾ صحيفة علم وادب وسياسة وفكاهة تصدر في اللاذقية لمنشئها ومديرها ادوار افندي مرقس بدل اشتراكها مجيديان في اللاذقية وعشرة فرنكات في الخارج

﴿ الجالية ﴾ جريدة نصف اسبوعية تصدر في بونس ايرس في ارجنتين لمديرها ورئيس تحريرها جورج افندي مسرة بدل اشتراكها ١٠ ريالات في ارجنتين و٢٥ فرنكاً بالخارج

﴿ صائب ﴾ جريدة عربية تركية ادبية سياسية تصدر في بغداد لصاحبها « م . مهجت » بدل اشتراكها في الممالك العثمانية ٢٥ غرشاً وفي الخارج ثمانية فرنكات

كتب مختلفة

﴿ دروس التاريخ الاسلامي ﴾ هو كتاب مدرسي لمؤلفه الشيخ محيي الدين افندي الخياط احد ارباب الاقلام المعروفين في بيروت وضعه في اجزاء على اسلوب جديد يسهل فهم تاريخ الاسلام . الجزء الاول يشتمل على تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية والثاني على مجمل تاريخ دولتي الخلفاء الراشدين والامويين . والثالث على مجمل الدولة العباسية والرابع على مجمل سائر الدول الاسلامية والخامس على مجمل تاريخ الدولة العثمانية . وقد قسم كل جزء الى فصول وتمارين وصدر منه الى الآن جزآن وهما يباعان في المكتبة الاهلية في بيروت وثمن الجزء غرش وربع

﴿ الرشيد والبرامكة ﴾ هي رواية تمثيلية يدل اسمها على موضوعها تأليف الاب انطون رباط اليسوعي

﴿ كتاب سمير الليالي ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمحمد امين صوفي السكري مع اضافات على الطبعة الاولى و يطلب من الشيخ عبد الله افندي الرفاعي الكتبي في طرابلس الشام

﴿ كتاب الهيئة والاسلام ﴾ هو كتاب في علم الفلك الحديث مع تطبيقه على القرآن والحديث لحضرة السيد هبة الدين الشهرستاني . وهو اول من تصدى لهذا العلم على هذا الشكل . والكتاب كبير الحجم تزيد صفحاته على ٣٢٠ صفحة مصدرة برسم الافلاك وصورة المؤلف ويطلب من حضرته او من مطبعة الآداب في بغداد

﴿ الرسائل العصرية ﴾ هو مجموع مكاتيب في جميع المواضيع المألوفة في فن التراسل تأليف الخوري بطرس البستاني ويطلب من المكتبة العمومية في بيروت ومكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة عشرة غروش صاغ والبوسطه غرشان

﴿ ديوان حسان بن ثابت ﴾ اهدتنا لجنة تذكار جيب الشهيرة في نشر الآداب الشرقية آخر كتاب صدر من مطبوعاتها نعني ديوان حسان بن ثابت شاعر النبي . وقد وقف على طبعه الدكتور هرتويغ هرشفلد وعول في ضبطه على النسخ الخطية الموجودة منه في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبرج . بعد الاطلاع على طبعات تونس وبمباي والقاهرة وقد صدرت بمقدمة وشروح وتعاليق جديرة بالاهتمام وهو يطلب من مكتبة لوزاك في لندن

﴿ نصائح الامهات ﴾ هو كتاب صحي جزيل الفائدة نقله الى العربية الدكتور فريد افندي عبد الله خطيب العيون في مستشفى روسيا بمصر يجدر بكل والدة ان تقتنيه ويليق بمدارس البنات ان تعلمه في صفوفها العالية لانه من جملة واجبات المرأة ويطلب من الدكتور فريد افندي بالفجالة ومن ادارة المحيط بمصر وثمن النسخة ٦ غروش

﴿ نهضة الاسلام او الثورة الفرنساوية ﴾ هي رواية تاريخية غرامية تبحث في الثورة الفرنساوية واسبابها تأليف اسكندر دماس الكبير وقد نقلها الى العربية فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة واعيد طبعها في مطبعة المعارف وتطلب منها وصدر الجزءان الاول والثاني وثمن كل جزء خمسة غروش غير اجرة البريد

﴿ تاريخ الادب او حياة اللغة العربية ﴾ هو مجموع المحاضرات التي القاها في الجامعة المصرية حضرة حفني بك ناصف استاذ الادب بالجامعة المذكورة ووكيل محكمة طنطا . وقد صدر منها الجزء الثاني وهو يبحث في الخط وما يتعلق به ويطلب من ادارة الجامعة المصرية بالقاهرة وثمن الكتاب في اربعة اجزاء ٢٥ غرشاً

﴿ ديوان الخطيب ﴾ هو مجموع اشعار من نظم فؤاد افندي حسن الخطيب وقد صدر الجزء الاول منه ويطلب من ادارة المنار وثمن النسخة خمسة غروش



الجزء الثاني من السنة التاسعة عشرة

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١٠ و٢٩ شوال سنة ١٣٢٨

البورتغال

تاريخها وآدابها وانقلاب حكومتها

كانت حكومة البورتغال ملكية دستورية فهاج الشعب في الشهر الماضي وخلع نير الملكية وجعل الحكومة جمهورية . فرأينا ان نأتي بهذه المناسبة على تاريخ البورتغال وآدابها وتاريخ الجمهوريات ونسبتها الى سائر ضروب الحكومة

تاريخ البورتغال

اذا نظرت الى مملكة البورتغال في الخارطة رأيتها قسماً من اسبانيا ليس بينهما حدود طبيعية وانما دعاها الى الاستقلال نبوغ بعض المشاهير من رجال العمل فيها وفيهم الادباء والشعراء والمكتشفون فعظمت نفوس اهلها واجتمعت كلمتهم واكبروا الرضوخ لسواهم فاستقلوا . وساعدهم على ذلك استقلال لغتهم عن شقيقتها الاسبانية بالتركيب والتعبير

وللتاريخ البورتغال اربعة ادوار : الدور الاول من اول عهدها الى سنة ١٠٩٧ م والثاني من هذا التاريخ الى سنة ١٦٤٠ والثالث من ذلك الحين الى الامس . والرابع يبدأ بنيلها الجمهورية في اوائل الشهر الماضي

الدور الاول — من اول عهدها الى سنة ١٠٩٧ م

كانت البورتغال في دورها الاول جزءا من اسبانيا (اوايبريا) تشاطر سائر تلك الجزيرة ما ينتابها من مطامع الفاتحين او ارتياد السائحين. فقد استعمرها الفنيقيون وفتحها القرطاجيون. ثم فتحها الرومان وسموها لوسيتانيا وتوالى عليها بعدهم الفندال والقوط فالعرب. وظلت في حوزة العرب قرنين زهت في اثنائهما بالثروة وظلت لشبونة وغيرها من مدنها الكبرى على صبغتها الرومانية فاتسعت تجارتها وظهر فيها الرخاء

فلما اخذت دولة العرب تضعف بالاندلس في أواخر القرن العاشر للميلاد تجرأ ملوك النصارى حولها على مناهضتها. وفي آخر القرن العاشر للميلاد (سنة ٩٩٧) تمكن مرمود الثاني ملك جليقية من استرجاع القسم الاول من مملكة البورتغال الحالية. وفي اوائل القرن الحادي عشر تشعبت دولة العرب في الاندلس الى مقاطعات تولاها امراء العرب والبربر فزادت جرأة النصارى على مناوأتهم. وفي سنة ١٠٥٥ فتح فرديناند الكبير البيرة ثم لاماغو وكومبرا وخلفه ابنه غرسيا سنة ١٠٦٥ ثم اخوه الاخر الفونس الرابع وجاء المرابطون لنصرة ملوك الاندلس فقهروا النصارى في معركة الزلاقة المشهورة على يد يوسف بن تاشفين

فهاج غضب الفونس الرابع المذكور واستنصر النصارى فنصره اثنان من الامراء احدهما الكونت ريمون والثاني هنري بورغنديا وفازوا فاسترجعوا ما ذهب من البورتغال وغيرها. ثم اضطر الفونس ان يلتفت الى مركز حكومته فاقطع نصيره هنري بورغنديا بلاد البورتغال وازوجه ابنته تيريزا وجعل ذلك الاقطاع دوتة لها. فالكونت هنري بورغنديا اول من تولى البورتغال من الامراء ولاية مستقلة سنة ١٠٩٧ وهي اول الدور الثاني

الدور الثاني من سنة ١٠٩٧ — ١٦٤٠

هو اجمل ادوار هذه الدولة وازهاها يبدأ بهنري المشار اليه اذ صارت البورتغال فيه مقاطعة مستقلة وتوالى عليها بعده بضعة عشر كونتاً اولهم ابنه الفونس حكم مع والدته تيريزا.. ثم استقل بالحكم وحارب العرب فظفر بهم فسمي ملكا ولقب الفونس الاول سنة ١١٣٩ وخلفه ابنه سانخو الاول ثم الفونس الثاني الملقب بالسمين ثم سانخو الثاني ويلقب بالكلان وخلع فخلفه الفونس الثالث. وهكذا حتى توالى على تلك

المقاطعة من بيت بورغنديا عشرة ملوك آخرهم فرديناند الاول وفي ايامه تولى البورتغال اسرة أخرى تعرف ببيت اويس اول ملوكها او حكامها جون الاول تولاها سنة ١٣٨٥ وتوالى الحكم في ثمانية من اعقابه الى سنة ١٥٨٠

اكتشافات البرتغاليين

وفي ايام هذه الاسرة بلغت البورتغال قمة مجدها فنبغ فيها رجال الهمة والنشاط والاكتشاف وجابوا الاقطار . وزعيم هذه النهضة عندهم هنري بن الملك جون (يوحنا) الاول المتقدم ذكره فانه كان حازماً نشيطاً محباً للعلوم وله رغبة شديدة في الاكتشافات البحرية . وموقع البورتغال الطبيعي يساعد على الملاحة فانشأ هنري مرصداً في راس القديس فنسان بالزاوية الجنوبية الغربية من البورتغال وجمع حوله اهم علماء الفلك واشهر قهارمة الملاحة من سائر اقطار العالم . وكان يجالسهم ويبحث معهم في طريق يؤدي الى الهند بحراً حول افريقيا . لان الافرنج كانوا يسمعون بغنى الهند ومحصولاتها ومعادنها ولم يكن لهم سبيل اليها غير الاسفار البرية وهي شاقة فكانوا يعدون اكتشاف الطريق اليها بحراً من اوسع ابواب الثروة . وفي زمن هذا الامير الهمام اتصل البورتغاليون باسفارهم البحرية على شواطئ افريقيا الغربية الى الراس الاخضر واكتشفوا الجزائر الخضراء وجزائر مدايرة واوزة وغيرها

وما زال البورتغاليون بعد البرنس هنري المذكور يسعون في اكتشاف طريق الهند حتى توصلوا على عهد الملك حنا الكامل (١٤٨١ — ١٤٩٥) الى اجتياز خط الاستواء وهم اول من اجتازه من الافرنج واكتشفوا سواحل غينيا واحتلوها . وفي سنة ١٤٧٦ واصل برثولومي دياز مسيره جنوباً في البحر الاتلانتيكي يلتمس الطريق المؤدي الى الهند من هناك . فوصل بعد مشقات واخطار الى طرف افريقيا الجنوبي وسماه « رأس الرجا الصالح » اشارة الى احياء الرجاء في الوصول الى طريق الهند

وشاع خبر هذا الاكتشاف فبلغ آذان خريستوفوس كولومبوس المكتشف الشهير . وكان من علماء الملاحة يعلم ان الارض كروية الشكل . فلاح له ان الطريق الى الهند من جهة الغرب اقرب واسهل . وبناء على هذا المبدأ ركب البحر سنة ١٤٩٣ وسار مغرباً حتى اكتشف اميركا كما هو مشهور . وبعد ذلك بخمس سنوات انتدب ملك البورتغال

الرحالة فاسكو دي غاما لاتمام اكتشاف برثولومي في الوصول الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح



فاسكو دي غاما

نبغ فاسكودي غاما في زمن الملك منويل في اواخر القرن الخامس عشر وكانت اميركا قد اكتشفت ولم يرَ فيها طريق الى الهند قريبة كما توهم كولمبوس قبل اكتشافها فعمد منويل الى التماس الهندبطريق راس الرجاء الصالح « الكاب » فاعدعمارة صغيرة مؤلفة من اربع سفن عهد بقيادتها الى فاسكو دي غاما . فخرجت من نهر التاج الى البحر الاتلانتيكي في يونيو سنة ١٤٩٧ وابحرت جنوباً

ولم يكونوا يعرفون طبائع الانواء ولا جغراوية البحار فقاسوا في طريقهم مشقات جسيمة كادت تفضي بهم الى اليأس لو لم يكن غاما صبوراً حازماً . فلما انتهوا الى راس الرجاء الصالح داروا حوله نحو الشرق والشمال حتى اتوا سواحل افريقيا الشرقية فسيروا بمحاذاتها وهم يمرون بالمدن على تلك السواحل يبتاعون ما يحتاجون اليه من المؤونة وغيرها . حتى اذا وصلوا موزمبيق لقيهم فيها قوم من المسلمين كادوا يقبضون عليهم ويغتنمون مراكبهم لو لم ينجوا منهم بالصدفة . وساروا حتى نزلوا مدينة مليندا شمالي زنجبار فلقوا فيها امة متمدنة لها تجارة واسعة تتصل بالهند وغيرها . فاحتال غاما في

الاستعانة بهم للوصول الى غرضه فاستأجر نوتيا منهم ماهراً في الملاحة عالماً بطريق البحار قاد سفنهم شرقاً شمالياً في الاوقيانوس الهندي . وبعد عشرة اشهر ونصف من خروجهم من لشبونة وصلوا الى ماليبار في الهند والقوا عصا التسيار في [كاليكوت]

وكاليكوت هذه [او كليكود] فرضة على سواحل الهند الغربية جنوباً هي الان من املاك انكلترا في ماليبار . ولكنها قديمة وقد تكاثر اهلها وعمرت بعد الاسلام بمن نزح اليها من المسلمين من جزيرة العرب للاشتغال بالتجارة .

ووصل غاما الى تلك الفرضة في مايو عام ١٤٩٨ وكانت زاهية زاهرة وفي جملة ابنيتها العظيمة هيكل وثني لعبادة بوهما يضاهي اكبر معابد المسيحيين في اوربا . وكان ملك كاليكوت رجلاً من اهلها اسمه زامورين [اوتامورين] فلما رأى اولئك الغرباء نزلوا بلاده هاب بياضهم والوان ملابسهم وانواع اسلحتهم فاكرم وفادتهم وانزلهم على الرحب والسعة . فشق ذلك على جالية العرب هناك وعلموا ان اقامة اولئك الافرنج في تلك البلاد يضر بمصالحهم ولم يفتهم الغرض من امثال تلك الرحلات فوشوا الى زامورين وخوفوه منهم فهم بأذيتهم حتى كاد يفتك بهم لولا بسالة غاما وحسن سياسته

وعاد فاسكودي غاما الى البورتغال سنة ١٤٩٩ فاحسن الملك وفادته ورقاه الى مصاف الاشراف وسماه امير بحر الهند وطاب لملك البورتغال الاكتشاف فارسل عمارة بقيادة امير اسمه الفارس كبرال فابحر جنوباً كما فعل غاما . لكنه انحرف في خطته نحو الغرب فاكتشف بلاد البرازيل . ثم واصل سيره حتى اتى كاليكوت وانشأ فيها معملا ترك فيه رجالاً من اتباعه وعاد

فعاد تجار المسلمين الى الايقاع باولئك البورتغاليين فحرضوا زامورين ورجاله على الايقاع بهم فانقضوا عليهم ذات يوم وقتلوهم شر قتلة وعددهم خمسون رجلا

فارسل الملك عمارة أخرى بقيادة غاما سنة ١٥٠٢ فابحر حتى اتى الهند وحالما وصل المدينة أطلق قنابله عليها وهدمها تهديماً . ثم طاف رجاله في اسواقها وارتكبوا ضروب المنكرات قتلاً ونهباً . قال المؤرخ « لا يشبه عمل غاما هذا الا اعمال مجلس التفتيش في اوربا » وكانت فعلة هذا الرحالة في كاليكوت داعياً الى تلطيخ اسمه بالعار الشنيع .

و بعد ان اذل المدينة سار منها الى كوتشين في الجنوب فانفذ زامورين عمارة

لحاربته هالك خطمها ولم يدع ضرباً من ضروب الاهانة والاذية لم يلحقه باهالي تلك البلاد . و بعد ان اذل زامورين ورجاله عقد معهم معاهدة تجارية وعاد الى لشبونة في سبتمبر سنة ١٥٠٣ ومعه الاحمال الثقيلة من الغنائم بانواعها فلاقاه الملك بالترحاب الفائق وخلع عليه الخلع الثمينة

وقد خدم غاما العالم خدمة جزيلة فضلاً عن دولته لانه وطأ لهم طريق الهند . ومما زاد شهرته ان شاعر البورتغال لويس دي كاموان نظم في اكتشافاته اناشيد ذاع امرها بين الخاص والعام فشاع معها اسم فاسكودي غاما فكان لهذا الشاعر يد في اذاعة فضل هذا الرحالة كفضل المتنبي في اذاعة ذكر سيف الدولة

آداب اللغة البورتغالية

وفي هذا العصر زهت اداب اللغة البورتغالية ونبغ الكتاب والشعراء والمؤرخون فضلا عن اهل الرحلة . وزها الشعر على الخصوص بسبب تنبه نفوس البورتغاليين على اثر الحروب التي انتشبت بينهم وبين المسلمين — والحروب تيقظ العقول وتشحذ القرائح . ففي القرن الثاني عشر الى الرابع عشر كانت لغة البورتغاليين تجاهد في طلب التغلب على اللغة الرومانية التي كانت لغة العلم والشعر في كل اوربا . وفي القرنين التاليين نبغ الشعراء والكتاب واشهر شعرائهم كاموان المتقدم ذكره وله طريقة تبعته فيها طائفة من معاصريه وغيرهم . ومن اقدم آداب لغتهم القصص الروائية شعراً ونثراً وفيها كثير من الروح العربي اقتبسوه من جيرانهم العرب في الاندلس ولا غرابة في ذلك فان الآداب الشعرية في ذلك العصر حتى في اسبانيا وفرنسا لا تخلو من الصبغة العربية

وعصر اللغة البورتغالية الذهبي زها في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد اذ رسخت اللغة البورتغالية وصارت لغة الادب والعلم فنظمت فيها القصائد والفت القصص والروايات والتواريخ وهو عصر النهضة الادبيـة في سائر اوربا على اثر الاكتشافات والاسفار واحتكاك الافكار

وانقضت اسرة افيس المتقدم بدخول البورتغال تحت سلطة الاسبان سنة ١٥٨٠ وظلت في حوزتهم ستين سنة ثم تولاها آل براغنزا سنة ١٦٤٠ واولهم جون الرابع بانقلاب سياسي لم يسفك فيه دم كثير

الدور الثالث من سنة ١٦٤٠ــ ١٩١٠

وكيفيةهذا الانقلاب السياسي ان البورتغاليين كانواقد تعلموا ونبغ منهم المكتشفون والشعراء والكتاب فعظمت نفوسهم وشق عليهم الرضوخ لدولة قاهرة فاخذوا يتحفزون للوثوب فظهرت الثورة اولاً في لشبونة العاصمة سنة ١٦٣٤ وفي ايفورا سنة ١٦٣٧ فاستولت العامة على المدينة وتولوا حكومتها برهة قصيرة • وكانت اسبانيا في شاغل داخلي بحرب اهلية مع الكتاليين فضلاً عن حربها مع فرنسا. فرأى ورتغاليون الفرصة سانحة لهم وانما كان يعوزهم زعيم يقودهم . وكان دوق براغنزا ومن سلالة الاشراف حاكماً في براغنزا وكان سهل الاخلاق محبًا اللهو مولعاً بالموسيقى والصيد قانعاً بقصره في فيلا فيسوزا . لكن امرأته كانت شديدة التحمس الشعب فحرضته على العمل لانقاذ بلاده ففعل وجمع كلمة الاشراف وقد علموا ان اسبانيا لا تقوى على دفع طلبهم لاشتغالها بثورة الكتاليين في داخلها وحرب الفرنساويين في خارجها . فخابروا فرنسا بهذا الشأن فسرَّت لذلك واحبت استقلال البورتغال لتكون حربة طعانة في جنب اسبانيا. فارسلت اسطولاً لمساعدتها فدخل نهر التاج وساعدهم الهولنديون ايضاً وانتهى الامر بالاستقلال ولم يسفك من الدماء ما يستحق الذكر وعقدت المعاهدة في لشبونة سنة ١٦٦٥

وتولى عرش البورتغال بعد ان استقر لها الملك سنة ١٦٥٦ الفونس السادس ابن ثيودوسيوس امير البرازيل تحت وصاية امه وخلفه يدرو الثاني فجون الخامس ثم يوسف مانويل ابنه وغيرهم وفي سنة ١٨١٦ افضى الملك الى جون السادس وفي ايامه نال البورتغاليون الدستور وكان ملوكهم قبله مطلقين مثل معظم ملوك اوربا في ذلك العهد . ففي ايام جون هذا وضع مشروع الدستور سنة ١٨٢٠ ثم تحوَّر سنة ١٨٢٣

وتوفي جون السادس سنة ١٨٢٦ فخلفه يدرو الرابع فجارى الشعب على ما يطلبونه من هذا القبيل واصدر القانون الاساسي بالدستور — وهي الخطوة الاولى التي خطاه البورتغاليون نحو الحرية. وظل الحكم في هذه الاسرة الى سنة ١٨٥٣ فانتقل الى اسرة براغنزا كوبورج ومنها الملك الذي خلع بالامس وهو آخر ملوكها اذ ثبتت الجمهورية

اول هذه الاسرة الملك يدرو الخامس وخلفه اخوه لويس الاول سنة ١٨٦١ ثم خلفه الملك كارلوس الاول سنة ١٨٨٩ • وكان البورتغاليون في اثناء القرن الماضي

يشكون من الحكم الملكي ولو كان مقيداً ويطلبون التخلص منه والجنوح الى الجمهورية. وانما جنحوا الى ذلك لان ملوكهم لم يجعلوا الامة تشعر انها هي الحاكمة. فظل الخلاف قائماً بينها وبين الحكومة والحكومة طبعاً من حزب الملك حتى آل الامر اخيراً الى قتل ذلك الملك جهاراً في رابعة النهار في فبراير سنة ١٩٠٨ وهو في مركبته ومعه الملكة وولداه ولي العهد والبرنس مانويل في لشبونة فلما اقتربوا من الترسانة اطلق عليهم بعض البورتغاليين بنادقهم فقتلوا الملك وولي العهد واقتصت الحكومة من الجانين. وسبب هذه الجريمة ان في البورتغال حزبين سياسيين يتداولان السيادة المحافظون والاحرار مثل حزبي الامة الانكليزية لكنهما اقل عملا واضعف رأيا. فالف السنيور فرنكو احد كبار الساسة البورتغاليين سنة ١٩٠١ حزباً آخر من نوابغ الحزبين استعان بهم على اصلاح الامة والحكومة وقوي حزبه حتى انتخبوه وزيراً في اواسط سنة ١٩٠٦ ثم وقع بينه وبين النواب اختلاف فزعم انهم يعرقلون مساعيه في الاصلاح وابى تجديد انتخابهم سنة ١٩٠٧ حسب العادة ثم حل المجلس البلدي في لشبونه واراد ان تجرى اعمال الحكومة واجراءات الدولة باوامر عالية يصدرها الملك ووافقه الملك على ذلك. وحدثت فتنة اهلية اخمدها الجند فملأت الشعب غل وحقد وتواطأ جماعة منهم على قتل الملك لانه اطاع وزيره في الاستئثار بالنفوذ واغتنموا خروجه في مركبة مكشوفة في ذلك اليوم وقتلوه مع ولي عهده

وكان كارلوس المذكور جميل الخلقة قوي العضل ماهراً في استعمال البندقية ليس في البورتغال كلها من يحسن اطلاق الرصاص مثله . وكان مولعاً بركوب الخيل ولعب الكرة « تنس » وهو مصور ماهر ونقاش دقيق وموسيقي من الطبقة الاولى وله مقدرة عجيبة على درس اللغات . فقد اتقن سبع لغات يتكلم خمساً منها كما يتكلم لسانه. وله ولع بمطالعة اشعار شكسبير وقد نقل بعضها الى اللغة البورتغالية

فلما مات الملك وولي عهده انتقل حق الملوك الى مانويل اخي ولي العهد فنودي به ملكاً وسنه ١٩ سنة فلم ير البورتغاليون فيه ما يحول دون مطامعهم في الجمهورية وجرت حوادث بعثت على التعجيل في خلعه والمناداة بالحكم الجمهوري وكانت الامة في استعداد فهبت كلها ورجح الجمهوريون على حزب الملكية فاضطر الملك الى الفرار



كارلوس الاول ملك البورتغال السابق

وتم الانقلاب من الحكم الملكي المقيد الى الحكم الجمهوري في اوائل اكتوبر الماضي

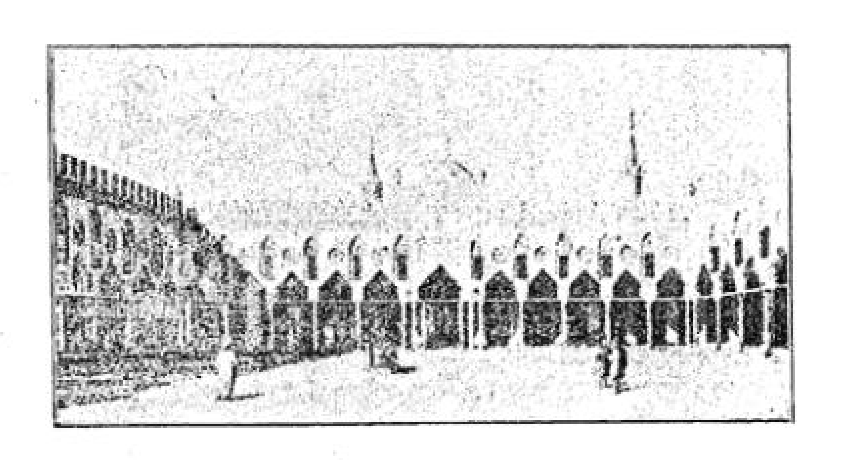
عادات البورتغاليين واخلاقهم

البورتغاليون يشبهون الاسبان في اكثر اخلاقهم وعاداتهم لانهم امة واحدة فهم يشاركون الاسبان في انهم سمر الالوان وسود الشعور والعيون ونساءهم جميلات رخيمات الاصوات و يغلب في رجالهم الغطرسة والكبرياء وقد يصعب تمييز أوصاف الامة لتباين الاجناس التي تتألف منها ولكن يقال بالاجمال ان الخرافات ضاربة اطنابها فيها ومن غريب شؤونهم ان اسلافهم اشتهروا بالقوة الجسدية لكنك لا تكاد تجد لهذه اثراً في نسلهم ولا تجد تعليلاً وافياً لهذا الانحطاط الا ان يكون انغماسهم فيما مضى في الملذات واسترسالهم الى القصف

وهم معتدلون في تعاطي المسكرات على كثرة الخمور في بلادهم وجودتها وكذلك

المآكل فلا يهتمون باتقانها يكثر في كلامهم الصخب وهم في الغالب مهولون فيما يقولون أصحاب ثارات قليلو الشفقة وأحكامهم قد نخرها سوس الرشوة والتلاعب لكنهم قادرون على اخفاء عواطفهم تحت أثواب المجاملة والملاطفة والانين . وصفاتهم مزيج من الشجاعة والقسوة واللطف وحب الانتقام وطول الاناة والرقة وهم محبون لبلادهم ويقال بالاجمال انهم كرام يحتاجون الى التعليم والتهذيب لتقويم اودهم واعوجاجهم وتقوية ملكة الفضائل فيهم لانتهاضهم من فتورهم العقلي والادبي

ويختلفون عن الاسبان بانهم اعلى همة واقدام على المشقة والاسفار ويغلب فيهم سرعة الكلام ويفوقهم الاسبان جمالاً واعتدال قدّ على ان نساءهم جميلات العيون طويلات الشعور ومع ان السمرة لونهم فلا يندر فيهم بياض البشرة وشقرة الشعر وشفاههم ثخينة وهم اميل الى الرأفة من جيرانهم حتى لقد تشتد بهم الحنانية الى انجاد الاسرى والمسجونين بالزاد والاطعمة الفاخرة يدلونها اليهم في سلال او يقذفونها من نوافذ السجون



داخل الجامع الازهر

نقلاً عن الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث (تحت الطبع)

الجمهورية

وسائر ضروب الحكومة وايها افضل

١ — الانسان لا يستغني عن وازع

خلق الانسان يحب نفسه و يحب كل طيب لها فتنازع الناس على الطيبات . وتفاوتوا في قواهم ومواهبهم فتغلب القوي على الضعيف وانقسم المجتمع الانساني الى طبقات فيها السيد والخادم والحر والرق . ورغب الانسان في السيادة اولاً لانها تساعده على نيل الطيبات ثم صار يطلبها ليسود بها على اقرانه او يمتاز عنهم بالمنزلة وصارت السيادة من جملة مطالب النفوس الكبيرة . ومن هذا القبيل طلب الشهرة اوحسن الاحدوثة فانها شكل من اشكال ذلك الامتياز

فالتنازع على الطيبات اوجب الخصام وتفاوت الناس في مواهبهم اوجب الغلبة والسيادة . على ان السيادة اوالرئاسة قديمة في تاريخ الانسان تبتدىء منذ تكونت العائلة لانها لا تستغني عن كبير يتولى رعايتها او حمايتها وهو رئيسها — نعني الاب فالعائلة أمة صغيرة عليها رئيس او سيد او حاكم يدافع عنها و يدير شؤونها وهي بمقابل ذلك تحترمه وتطيعه طاعة عمياء وتحسن الظن في مقاصده وهو يبذل نفسه في مصلحتها لانه يعتبرها ملكاً له . وكان في اول ادوار عمرانه يحسب امرأته واولاده في جملة املاكه كالماشية ونحوها

فلما نمت العائلات وتألفت القبائل والعشائر اتسعت سيادة رئيسها وقام التنازع بين الرؤساء . وكانوا يتخاصمون اولاً على ما تحتاج اليه القبيلة من الطعام والمأوى ثم اختصموا على السيادة فمن غلب واذعن له اعداؤه عدَّهم في جملة اهله واتباعه وعاملهم معاملة الاب لاولاده يردع قويهم عن ضعيفهم و يفصل الخصومة فيما بينهم وهم يرتاحون الى أوامره ونواهيه لانها عائدة الى خيرهم ثم جعل يستعبد اسراه و يبيعهم بيع المتاع

فاصبحت سيادة الفرد على الجماعة طبيعية لا يرى الناس فيها بأسا بل هم لا يرون لهم عنها غنىً ولم يختلفوا في الحاجة اليها وان اختلفوا في خطتها او اسلوبها على ان

بعض اصحاب الفلسفة النظرية يتوقعون وصول الانسان الى زمن تبطل فيه الحكومات لاستغناء الناس عن وازع او شارع بما يبلغون اليه من الرقي الادبي والعقلي بحيث يعرف كل منهم حدَّه فيقف عنده ويعترف للاخرين بمالهم عليه فيؤديه من تلقاء نفسه . وهي امنية جميلة لكنها في نظرنا من قبيل تمني المستحيل لان المعروف من نواميس الطبيعة وسنن العمران الى الآن يخالف ذلك

هذا ناموس النشوء والارتقاء الذي عليه المعول اليوم في تعليل الحوادث فانه قائم باختلاف التأثيرات الواقعة على الاحياء باختلاف الاقاليم وباختلاف المؤثرات وهو يقضي بالتفاوت والتخالف بين الاحياء . فلا تجد في الطبيعة شخصين او شجرتين او زهرتين متشابهتين . بل انت لا تجد في الشجرة الواحدة ورقتين متشابهتين تمام المشابهة في كل شيء . فاحر ان يصح ذلك في الناس وهم يولدون وكل منهم يختلف في قواه العقلية والبدنية عن سواه فينشأ ابناء الجيل الواحد متفاوتين قوة وضعفاً فيختلفون عقلاً ورأياً ويزيدهم الاقاليم تباعداً واحتياجاتهم تزداد يوميًّا — فكيف يبطل التنازع من بينهم ؟

فالنظام الاجتماعي الذي نحن فيه الآن هو النتيجة الضرورية لمجاري الطبيعة حسب نواميسها المعروفة وليس في وسع الانسان ان يغير منها شيئاً وانما هو يلطفها أو يعدلها بما يلائم المصلحة العامة . والناس مختلفون حتى في طرق ذلك التعديل ومنها اختلافهم في تعديل ضروب الحكومة حتى تكون اقرب الى خير البشر — فخضوع الناس الى حاكم يدفع عنهم ويحكم بينهم نتيجة طبيعية لا مندوحة لهم عنها لكنهم قيدوا ذلك الحاكم بشروط اختلفوا فيها واليك اشهرها :

٢ — اشكال الحكومة

اقدم اشكال الحكومة سلطة الآباء نعني سلطة الاب على عائلته كما تقدم . فلما تكونت الامم أو الشعوب أو القبائل تحولت الى الملكية والحاكم فيها ملك أو امير مطلق التصرف في رعاياه بلا شريعة تقيده ولا رادع يردعه كأنه أبٌ لتلك الامة . وهو اذا كان عادلاً عاقلاً لا بأس به لانه يسهر على رعاياه مثل سهر الوالد على اولاده . ولكن تفاوت الناس في قواهم وعقولهم قضى بنبوغ ملوك ظالمين انما يحكمون ليستبدوا

ويتمتعوا بالحياة الدنيا . فنهضت عليهم الامة وقيدت سلطتهم بالقوانين . وهي تختلف قوة وسعة باختلاف الامم والعصور . احدثتها عهداً ما القوانين الدستورية التي تخول الامة السيطرة على اعمال الحكومة بواسطة نواب ينوبون عنهم وهم الخاصة . فالدول الدستورية انما ترجع الحكومة فيها الى الخاصة

(سيادة الخاصة) وسيادة الخاصة ليست من مخترعات التمدن الحديث كما قد يتبادر الى الذهن . بل هي قديمة جداً وان اختلفت اليوم عما كانت عليه في التمدن القديم من حيث قيودها وشروطها . أما في ما خلا ذلك فان الامم القديمة تولى حكومتها الخاصة على اشكال مختلفة اشهرها :

١ الارستوقراطية : وهي التي يتولى شؤون الدولة فيها الاشراف — وهم خاصة المملكة

٢ الثيوقراطية : التي تتقيد حكومتها بالكنيسة أو ما يقوم مقامها فيكون الملك مقيداً بقوانينها أو شرائعها

٣ الهيرارشية : وهي سيادة الكهنة

وهذه الاشكال من الحكومة اما ان يحكمها الخاصة رأساً ولا يكون عليهم ملك كما كان شأن اليونان القدماء أو ان يشتركوا مع الملك ويقيدوا ارادته كما في الحكومة الثيوقراطية وكما هو شأن الحكومة الدستورية اليوم

(الديمقرطية) وهناك شكل من الحكومة يكون النفوذ فيه لجمهور الامة نعني الحكومة الديموقراطية أو الجمهورية وهي انواع كثيرة منها :

١ الجمهورية الارستوقراطية وهي التي تكون السيادة فيها للخاصة من الاشراف اما بالانتخاب من الامة أو ان يعمل الاشراف جميعاً معاً — ولا يصح ذلك الا في الدول الصغيرة أو في المدن فقط

٢ الجمهورية الديموقراطية التي يتولى حكومتها جمهور الامة بنواب ينوبون عنهم فيشكلون الوزارات وينتخبون حاكماً يترأس الحكومة يقوم مقام الملك كما في الحكومات الملكية ويعرف هذا الحاكم برئيس الجمهورية . وعلى هذا النمط اكثر الجمهوريات الحديثة في اوربا واميركا

وفي العالم اليوم ما كثر انواع الحكومة المتقدم ذكرها من الملكية المطلقة فالمقيدة فالجمهورية على اختلاف درجاتها . واكثرها عدداً الحكومات الجمهورية ومعظمها في اميركا . أما في اوربا فاكثر الحكومات دستورية . واكثر الحكومات المطلقة في اسيا

فالممالك الخاضعة للملوك المستبدين هي : في اسيا الصين وافغانستان . وفي اوربا روسيا الا اذا اعتبرنا دستورها ثابتاً (الدوما) . وفي افريقيا الحبشة ومراكش . وليس في اميركا حكومة ملكية على الاطلاق

والممالك الخاضعة للحكومات الملكية المقيدة أو الحكومات الدستورية منها في اوربا : انكلترا والنمسا والبلجيك والمانيا والدنمارك واسوج ونروج وايطاليا واسبانيا واليونان والجبل الاسود وهولندا ورومانيا والسرب

وفي اسيا : الدولة العثمانية (وان كانت قصبتها في اوربا فانها دولة شرقية) واليابان والفرس وسيام . وليس في افريقيا ولا اميركا دولة دستورية مستقلة

أما الدول الجمهورية فاكثرها في اميركا وعددها هناك ٢٢ دولة اعظمها الولايات المتحدة والبرازيل والمكسيك ثم ارجنتين وكولومبيا وفنزويلا وشيلي . والباقي اكثرها لا يزيد عدد سكانها على مليون نفس أو مليونين وبعضها أقل من مليون

أما في اوربا فالدول الجمهورية الآن فرنسا وسويسرا والبورتغال

وجملة القول ان الدول الملكية المطلقة اقل من سائر انواع الحكومات عدداً معظمها في اسيا ونظراً لوجود الصين وروسيا بينها فهي اكثر سائر الحكومات سكاناً. والدول الملكية الدستورية اكثرها في اوربا وهي اكثر عدداً من المطلقة واقل من الجمهوريات واكثرها سكاناً الولايات المتحدة الاميركية . واذا نظرت في انواع الحكومات من حيث الاقطار رأيت الحكم المطلق على معظم قوته في اسيا ثم يتحول الى دستوري كلما اتجه نحو الغرب حتى اذا توسط اوربا صار معظمه ملكياً دستورياً فاذا توغل في الغرب حتى قطع البحر الاتلانتيكي ونزل قارة اميركا صار جمهورياً

٣ — تاريخ الحكومة الجمهورية

قد تبين مما تقدم ان الحكومة الملكية المطلقة هي اقدم اشكال الحكومة لانها تشبه سيادة الآباء في العائلة تليها الحكومة الدستورية او الملكية المقيدة ثم الجمهورية .

على ان الحكومة الجمهورية ليست من نتاج التمدن الحديث بل هي قديمة جداً واليونان اسبق الامم اليها واسبقهم اهل أثينا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وبهم اقتدت سائر الامم . واشهر الجمهوريات في التمدن القديم أثينا وسبارطة ورومية وقرطاجة .

على ان جمهوريات أثينا واخواتها كانت تختلف كثيراً عن جمهوريات هذه الايام ولم يقدم عليها اليونان الا بحكم الضرورة — فالأثينيون اضطروا الى اتخاذ الجمهورية عرضاً . وذلك أن الدوريين شهروا عليهم حرباً سنة ١٠٦٨ قبل الميلاد وملك الأثينيين يومئذ قدروس . فاستخار الدوريون المهم الاعظم في حرب الأثينيين على جاري العادة عند الامم الوثنية قديماً — كما كان العرب يستخيرون هبل فكان الجواب انهم يغلبون الأثينيين اذا لم يقتلوا ملكهم قدروس . فبلغ هذا الخبر الى هذا الملك الجليل وكان شديد الغيرة على أثينا يتفانى في سبيل صيانتها واعتقد صدق ما قيل للك الدوريين وعلم ان الشرط في سقوط أثينا ان يبقى ملكها حياً ففضل ان يقتل هو وتبقى أثينا . فتنكر بلباس بعض الفلاحين وذهب الى معسكر الدوريين وتحرش باحدهم حتى خاصمه وما زال عليه حتى قتله . ثم علم القوم انهم قتلوا قدروس فلم يبق لهم مطمع بأثينا فرجعوا على اعقابهم

اما الأثينيون فلما بلغهم ما فعله ملكهم اعظموا غيرته وقرروا انه ليس على وجه الارض من يستحق ان يخلفه ملكاً عليهم فالغوا منصب الملك وولوا حكومتهم جماعة يختارونهم من الخاصة يسمون احدهم «ارخون» وكانوا في اول الامر ينتخبون الارخون من عائلة الملك ليتولى الحكومة طول الحياة ثم صاروا ينتخبونه لعشر سنوات . وفي سنة ١٤ قبل الميلاد جعلوا انتخاب الاراخين جائزاً من الاشراف . فكان الارخون بمنزلة الملك عندهم ثم حوروا قانون الانتخاب سنة ٦٨٣ ق م فصاروا ينتخبون بدل الارخون تسعة اراخين يتجدد انتخابهم كل سنة يقتسمون ادارة الحكومة بينهم

وما زال حق الانتخاب محصوراً في الاشراف الى سنة ٥١٤ ق م فجعله كليستنس احد ساستهم شاملاً سائر طبقات الامة الا العبيد . فاصبحت الامة برمتها غنيها وفقيرها تشعر بالاستقلال الحقيقي ويشعر كل واحد منها انه صاحب صوت في الحكومة وقس على ذلك جمهورية سبارطة وكانت معاصرة لأثينا وقد تنازعتا السيادة في الارخبيل اليوناني

تليها جمهوريتان أخريان تنازعتا السيادة على اوربا وافريقيا نعني رومية وقرطاجة . وكانت الدولة الرومانية لما تأسست سنة ٧١٥ ق م ملكية ثم صارت جمهورية سنة ٥٠٨ ق م وما زالت جمهورية ٤٨٠ سنة . وقد نشأت الجمهورية الرومانية على غير ما نشأت عليه جمهورية أثينا . فان الرومانيين ملوا ظلم الملوك فثاروا وخلعوا ملكهم وانتخبوا

مكانه رجلين سموهما قنصلين يتوليان ادارة الحكومة مدة معينة ثم ينتخبون سواهم

ومرت الجمهورية الرومانية على اربعة ادوار قضت الدور الاول منها في التنازع بين الاحزاب والطبقات ثم جعلوا يعدلون في قوانينها وشروطها مما يطول شرحه حتى انقلبت وصارت ملكية او امبراطورية . وعاصرتها جمهورية قرطاجة في شمالي افريقيا وقام النزاع بين الدولتين في حروب طويلة ذهب القرطاجيون فيها ضحية الدفاع عن حريتهم ووطنهم كما هو مشهور. وهذا التفاني في الدفاع عن الوطن مع اليأس من النجاح لا يكون في الحكومات الملكية المطلقة ولا المقيدة لان الشعب لا يشعر انه صاحب الدولة كما كان يشعر القرطاجيون . ولما غلبوا على امرهم وطلب اليهم التسليم ابوا الذل وفضلوا الموت عليه كما ترى في هذا الشكل



القرطاجيون يستهلكون في الدفاع عن وطنهم

ظهر المسيح وليس في الارض حكومة جمهورية اذ ذهب استقلال اليونان وانقرضت جمهورية قرطاجة وتحولت الدولة الرومانية الى امبراطورية . وكانت اوربا في غياهب الهمجية واميركا في عالم الغيب . ولما اخذت أوربا في اليقظة تشكلت في بعض مقاطعاتها حكومات كالجمهورية منها حكومة البندقية وجنوى في الاجيال الوسطى . ثم امحت الجمهوريات من العالم حتى اعادتها اميركا بعد استقلالها سنة ١٧٧٦ ثم فرنسا . واقتدت بالولايات المتحدة سائر أمم أميركا . واما في أوربا فحاولت اسبانيا سنة ١٨٧٣ قلب الحكومة الى جمهورية فاخفقت . ونهضت جارتها البورتغال بالامس فقلبت الحكومة كما علمت

٤ — هل الجمهورية افضل من الحكومة الدستورية

لا يخفى ان نظام جمهوريات هذا العصر يختلف عن نظام جمهوريات التمدن القديم فالجمهوريات الآن كالحكومات الملكية الدستورية من حيث تعويلها على مجالس النواب ومجالس الاعيان في مراقبة اعمال الحكومة . وانما تختلف عن الدول الملكية بان يكون رئيس الحكومة في الجمهورية رجلاً تنتخبه الامة ليتولى رئاسة الحكومة مدة معينة ثم تنتخب سواه بعد انقضاء تلك المدة . وتتفاوت سيادة الرئيس سعة في الجمهوريات كما تتفاوت سيادة الملك في الحكومات الدستورية ولكن كليهما مقيد بمجلس النواب — فايهما افضل لمصلحة الدولة ؟

كلاهما حسن لتقيدهما بالدستور لكننا نفضل الحكم الملكي

اولاً : لانه اقرب الى ما تتطلبه الطبيعة من السيادة الفردية كالاب للعائلة

ثانياً : لان الملوك اكثر حرصاً على عروشهم التي ورثوها وتفاخروا بها من رؤساء الجمهوريات الذين لا يهمهم من الامر الا ان يقضوا مدتهم بالتي هي احسن . واما الملك فيهمه توسيع نطاق دولته ورفع شأن حكومته لان كل ما يصدر انما يكون مصدراً باسمه وهو صاحبه وسيورثه لاعقابه . واذا اقتضت الاحوال مخابرة بعض الدول لحل مشكلة سياسية سلمياً كان الملك اقدر عليها لهيبته ومراعاة جانبه

ثالثاً : لان في انتخاب الرئيس للحكومة الجمهورية مشقة عظمى تقتضي نفقات طائلة تتخللها الدسائس والرشى للمنافسة بين الاحزاب في تنصيب الرئيس الذي يظنونه يوافقهم على هواهم . وقد يكون هواهم غير ملائم لمصلحة الامة . فالاموال التي تنفق في هذا السبيل والعناء الذي تكابده الامة في اثناء ذلك لا حاجة اليه في الحكومة الملكية . فاذا مات ملك كان خليفته مهيأ ليقوم مقامه بعد ان قضى ولاية العهد وهو يدرس الاحوال

ويتمرس بالسياسة فيتولى العرش بسكون وسلام

على ان الراغبين في الجمهورية انما يلتمسون ان يكون لكل فرد من افراد الامة يد في وضع القوانين وانتخاب الرئيس وهذا وهمٌ باطل لان السلطة في كل حال انما تكون للخاصة من رجال السياسة او الاشراف او اصحاب الاموال . فهؤلاء كما كانوا في زمن الاثينيين كذلك الآن هم اصحاب السيادة والنفوذ يديرون حركة الانتخابات في العامة بنفوذهم على يد الصحافة والخطابة . . فيتوهم العامة المساكين انهم يفعلون ما يريدون . والحقيقة انهم يفعلون ما يريده خاصتهم فينتخبون الذي يريده أولئك الخاصة ان كان رئيساً او نائباً او غيره . والخاصة احزاب لكل منها غرض ينتهي اليه او الى عصابته وليس الى الامة

قد تفضل الجمهورية اذا كانت الامة قليلة العدد او محصورة في مدينة واحدة كما كان اهل اثينا او سبارطة او رومية . اما الممالك الواسعة فالجمهورية تشوشها . يدلك على ذلك ان الجمهورية لم يطل بقاؤها الا في الامم الصغيرة فاذا كبرت الامة انحلت او عادت الى الملكية . وزد على ذلك ان تخوف الامم من الحكم الملكي اصله الفرار من استبداد الظالمين يوم كان الملوك اصحاب السيادة اما بحقهم الشرعي او بنفوذهم الشخصي على الشعب لجهله . اما اذا كانت الامة رشيدة ومجلس نوابها عاقلاً فلا شك انها تفضل الحكم الملكي المقيد على الجمهورية . وقد يعترض انه كثيراً ما يتفق ان يكون ولي العهد المعدُّ للعرش ضعيفاً او شريراً فتكون الامة مضطرة لتتويجه وتحمل خطر اعماله . ولو كانت حكومتها جمهورية لاختارت رجلاً تجد فيه اللياقة . وهو اعتراض وجيه ولكن الدستور يضمن غل يدي ذلك الملك عن اتيان الأذى واذا تعمده فالامة بريئة منه ولا يشق عليها ابداله

على اننا نرى رأياً وسطاً في مثل هذه الحال ذكرناه عند كلامنا عن توارث الملك في الدولة العثمانية في السنة ١٧ من الهلال . قلنا فيه ان افضل الوسائل لتجنب الوقوع في ما نخشاه من هذا القبيل ان يكون عرش السلطنة ارثاً ثابتاً لاحد ابناء الملوك — اي ان حق الملك لا يخرج من سلالة الملك او اسرته بشرط ان يكون لمجلس الامة حق اختيار من يرى فيه الكفاءة من اعضاء تلك الاسرة للقيام بمهام الدولة . وهو رأي وسط يجمع بين الملكية والجمهورية فاذا شاع كان فيه فصل الخطاب . والخلاصة ان الحكومة الملكية المقيدة بالشورى هي حتى الآن افضل سائر انواع الحكومة

القطن

تاريخ زراعته في القطر المصري في هذا العصر

السيد بك عزمي صاحب كتاب الكنوز الذهبية

لا يعلم بدء الدور الثاني للقطن في مصر بالتحقيق وكل ما علم انه كان يوجد فيها في سنة ١٦٣١ ميلادية ويقول « اولفز » ان تجار الفرنسيس في مصر كانوا يصدرون منها الى سنة ١٨٠٤ للميلاد مقادير كبيرة من المنسوجات القطنية الى ثغر مرسيليا

وقال آخر : انه في القرن السادس عشر للميلاد كان الفدان الواحد من القطن في مصر يلزمه من التقاوي ثمانية قراريط (ثلثي اردب) وان البذور كانت تغمر بالماء يومين كاملين . وان الزرع كان يسقى ثلاث مرات اثنتين بواسطة السواقي وواحدة من ماء النيل ايام الفيضان . واما الجني فيتم في شهر سبتمبر وشجرة القطن التي كانت تعامل معاملة المحصولات السنوية كان يزرع الكثير منها في مراكز دمنهور وسمنود والمحلة الكبرى . وكان المحصول يرسل منها الى الاسكندرية ودمياط ومنوف لغزله ونسجه . وكتب كلوت بك ضمن معلوماته الى سنة ١٨٤٠ : ان القطن بمصر لغاية سنة ١٨٢١ كان نوعا رديئاً

واتفق المؤرخون كافة على ان اول دور للقطن في مصر يحسب دوراً حقيقياً لانتشار زراعته يبتدىء باتفاق جوميل السويسري العالم الزراعي مع المرحوم محمد علي باشا رأس العائلة الخديوية وذلك انه في سنة ١٨١٩ أو ١٨٢٠ شاهد جوميل شجرة قطن جيدة في حديقة « محو بك » احد وجهاء المصريين ببولاق يقال انه اجتلبها من بلاد السودان المصري او كما قيل من بلاد الهند . وكان يوجد مثلها كثير في جملة حدائق لاهالي بولاق . فعرض جوزات القطن منها على محمد علي باشا واقترح عليه ان يأمر بتجربة زراعة القطن الشجري لمقابلته بالقطن الحشيشي العادي الذي كان يزرعه الفلاحون يومئذ ببلاد مصر . وامر محمد علي بتنفيذ اقتراح جوميل فنجحت

التجربة وكان اول زرعه في ٢٠٠٠ فدان بمديرية القليوبية والشرقية والدقهلية . وجرب في اراضي الوجه القبلي فلم يفلح بها وظل معروفاً بقطن جوميل

وكتب مانجين : انه لغاية سنة ١٨٢٣ ميلادية كان في مصر نوعان من القطن يزرع احدهما بالمنصورة والشرقيـة . ويمكث سنتين ويعطي كل فدان ٤ قناطير وكان يزرع في اواخر مارس في حفر عمق الواحدة منها قيراطان . او يبذر خلف المحراث كزراعة الذرة ويروى كل ١٠ او ١٥ يوماً . وثانيهما كانت تؤخذ بذوره من قطن الجنائن من اشجار كانت تزرع للتظليل : وزرع محمد علي باشا نحو ٢٠٠٠ فدان من النوع الاخير في قليوب فانتج محصولاً بعد ستة اشهر . وشعرته طويلة بيضاء لامعة . وكان يصدر محصولات هذه الافدنة لمرسيليا . واجس هذا النوع ما كان يزرع بالشرقية والمنصورة . حيث انتج قطنـاً جيداً لكن غير نظيف لعدم الاعتناء بالجني : اه

وخلاصة ما مر انه كان الى زمن محمد علي باشا يوجد بمصر صنفان من القطن — ولكن محصولها كان قليلاً كما ذكر كلوت بك وما نجين لقلة العناية بالزرع . وكان القطن الشجري في مصر الى زمن استيلاء محمد علي باشا موجوداً وانما على قلة ويوجد في الحدائق لمجرد الزينة لا للاتجار : والشجري هذا كثر استعماله منذ حسنه جوميل الى محمد علي وامر هذا بزرعه . زرع في الاول كما تقدم منه ٢٠٠٠ فدان بثلاث جهات في القطر بحيث كان يزرع في الفدان الواحد ١٠٠٠ شجرة ومع انه كان كما اسلفنا طويل التيلة ناعمها والشجرة منه تعيش الى ٥٠ سنة وانه يمكن اعادة زرعه من جديد . ومثل هذا من المزايا التي تستلزم البقاء لهذا الصنف والتغلب على سواه ولـكن كان له سيئة زهدت فيه الزراع ورغبتهم في اهماله وتركه : وهي انه كان يزرع من هذا الصنف في الفدان الواحد ١٠٠٠ شجرة والشجرة الواحدة تثمر في السنة الاولى رطلاً وربع رطل قطناً وتزيد في الثانية والثالثة الى رطلين . وعليه فيكون محصل ما يعطي الفدان منه في السنة الاولى ثلاثة قناطير ونصف وربع قنطار قطن . وفي السنة الثانية والثالثة ستة قناطير على فرض آخر تقدير له في المحصول . ثم تنحط درجة المحصول بعد السنة الثالثة ومايليها حتى يصبح محصوله بلا ربح بالمرة .

على ان محصول أقل فدان من القطن الحشيشي اكثر ربحاً من هذا . وهو الذي جعل محمد علي باشا يهتم كثيراً باستجلاب بذور القطن الجيدة فبعث جوميل ثانية فاستحضر له من بذور القطن الحشيشي كميات وافرة من بلاد الهند الشرقية وجورجيا وفلوريدا وجزائر البحر و بلاد اخرى . وتجربة هذه البذور انتجت محاصيل عظيمة . واستمرت التجارب فيها تتوالى باهتمام فائق مدة من الزمن

ولاسباب محلية اهمها اشتغال الحكومة المصرية بالحروب اختلطت بذور الاقطان بعضها ببعض . ثم زرعت وتوالت المزروعات من البذور المختلفة الاصل والشكل سنين عديدة فاكتسبت بواسطة التلقيح صفات خاصة لا يصح ان تنسب الى البذور المجتلبة لمصر بحيث امتازت بالجودة عن غيرها

ثم استمرت هذه الزراعة وزاد انتشارها واصبحت البذرة المصرية لها صفات خاصة بها بصرف النظر عن تسميتها اخيراً الى اشموني وعفيفي وعباسي ونوباري الى اخ . فان هذه اسماء متعددة لمسمى واحد في الاصل . وغاية ما يقال في تسميتها بالاسماء الحديثة انه اعتناء خاص بانتقاء جانب من البذور وزرعها بزرعة خاصة بضع سنوات حتى تكوّن من محصولها جملة من البذور اطلق عليها صاحبها والمعتني بها اسمه او اسم من احب

او كان ذلك من طريق الصدفة كما حصل في ايجاد القطن « الميت عفيفي » وذلك انه يوجد جزيرة في بلدة تسمى « ميت عفيف » على فرع دمياط كانت تزرع قطناً من نوع « الاشموني » ونظراً لزيادة فيضان النيل جملة سنوات متعاقبة كانت تغمر ارض الجزيرة بالمياه قبل ان يتمكن زراع القطن من جني جميع محصوله لانهم لم يكونوا يجنون الا لوزات القطن التي فتحت باكراً ثم انهم كانوا يزرعون تقاوي هذه اللوزات في السنة التالية وهكذا . فتكوّن على توالي السنين نوع البذر الجيد الذي يفتح محصوله قبل سواه و يكون ذا صفات خاصة واطلق عليه اسم البلدة (ميت عفيف) وبالجملة فان تنوع الاسماء لم يكن عن جنس خاص اجنبي عن مصر واحضر لها من الخارج

ومن يومئذ بقيت زراعة القطن في التقدم والنماء وانتقلت في مديريات الوجه البحري حتى عمت الاقاليم الصالحة ارضه للزراعة . ثم انتقلت هذه الزراعة

بعد ذلك تدريجاً للوجه القبلي حتى اصبحت اليوم تزرع بجميع المديريات المتوفرة بها مياه الري الصيفي . وصفوة القول أن القطن اصبح الآن سيد المزروعات المصرية على الاطلاق

احلام بحمدون (١)

لِمَ ياليل قد عجلتَ بدارا ... فبنات الاحلام ماتت صغارا
ويك يا ليل ربّ حلم قصير ... كنت اعطي لطوله الاعمارا
من حياة الجنان متع روحي ... لحظة قد توازن الادهارا
لحظة تخلق الصبا وتعيد الـ ... ـعيش غضًّا وتصقل الافكارا
هي بين الفناء والخلد معنى ... ولذا كانت الرؤى اسرارا
كم فتى عمره الهموم جميعاً ... ومتى نام يعطى عمراً معارا
وتغطى حياته بستار ... ويغطي ستارها الاقدارا
لستَ يا نوم غير تعزية المو ... ت لمن اضنت الحياة نهارا

***

ويك يا ليل هل تعيد خيالاً ... جاء في غفلة الحياة وزارا
ومشى في الجفون مشياً وئيداً ... وانتحى للفؤاد ثم توارى
طيف تلك التي ترى كل مقدا ... رٍ ولا تجعل الرضا مقدارا
تشهد الحب والغرام عياناً ... وترى العطف والرضا أخبارا
وتباهي ولا تباهي دلالاً ... وتبالي ولا تبالي نفارا
رب ان الجمال اضعف خلق ... فماذا جعلته جبارا
من شعاع العيون صغت قيودا ... وطرحت النفوس فيها اسارى

---

(١) بحمدون قرية من قرى لبنان ترتفع ١٢٠٠ متر عن سطح البحر وهي نادرة الجبل في جفاف الهواء — امها الشاعر في صيف هذه السنة وجد آثارها في نفسه كثيرا . فنظم تلك الآثار في هذه الابيات

وغدا الابتسام للقلب سجناً لا يطيق السجين منه فرارا
وخلقت الهوى ظنونا وشكاً لتظل العقول فيه حيارى
رب لولا طغيان ذي العقل بالعقل لما أثر الهوى آثارا
ياملوك النفوس عودوا اناساً لا تطيق المحبة استكبارا
قد شمختم الى السماء اختيالاً فاعدت لذلكم « اقارا »
آفة الحر ان يصير محباً ولذا الحب يتبع الاحرارا

٭٭٭

طلع الفجر في ربوع (بحمدون) بزيح الدجى ليدني النهارا
سحر يسحر العقول ويصبي وبرد المنى اخف وقارا
تتراءى النجوم فيه لعيني ساهيات كأنهن سكارى
يتهافتن كلما اضطرب النور كما تسقط الغصون الثمارا
وكأني أرى ملائكة الليل بها في سمائها تتجارى
وكأن السما مناصة در سلبوها صغاره والكبارا
فبدت ذلة السكينة فيها بمعان تكلم الابصارا
سحر فيه رقة وابتسام بثه حور السما للعذارى
كل حسناء حيثما تنفض النوم تراه بثغرها أنوارا
ونسمته لأبدع منه في صفات المليحة الأشعارا

٭٭٭

موجة النور من أعارك لوناً تتبدى الألوان فيه كثارا
ههنا صفرة الغرام وهنا من حياء الهوى رأيت احمرارا
لو تظن الرياض ظنتك سحباً اوشكت تمطر الورى ازهارا
وبأعلى الجبال منك رشاش يتراءى الضياء فيه شرارا
قمم الارض مظهر الخلد فيها بل قبور بها الزمان يوارى
ليس تلك الصخور فيهن صرعى غير عظم الدهور فت مرارا
واذا سرت فوقها خلت اني قامت الارض بي تريد مطارا

خشيتها السما فأطلعت الانـ جم تبدي لبثها اظفارا
كل طود منهن اثبته الله لامـاك ارضنا مسمارا
يمسك الارض ان تميل بقوم في ثراها تمايلوا استكبارا
رب لو تنفض الجبال عليهم كنسوها وراجعوا الانكارا

***

موجة الصبح جاش بحرك وثـا بًا على شاطىء السما زخـارا
وكأن السحاب وهو ركام ربد الموج اذ غدا موّارا
لجج في الشروق مثل البراكين اذا هدّها اللهيب انفجارا
تترامى على السماء اطّراداً فتخال السماء تضرم نارا
لحظةً ثم شقها زورق الشمـ س يقلُّ الحياة والاقدارا
يتهادى فيستثير اضطراباً كل عقل ويستكين اضطرارا
زورق النار في يد الله يجري كيف لا يملأ النفوس اعتبارا

***

يا (بحمدون) كم شهدنا جمالاً مورقى (المنظر الجميل) استنارا (١)
منظر فتنة المصور والشا عر كل يثور فيه مثارا
ينطق الروح بالحنين اليه مثلما تنطق اليدُ الاوتارا

مصطفى صادق الرافعي

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية — ٢ و٣ و٥ و ٦ من السنة ١٨ و١ و٢ و٣ و٧ و٩ من السنة ١٧ و ٦ و٨ و ٩ من السنة ١٦ و٥ و ٧ من السنة ١٥ و٣ من السنة ١٤ و ٥ من السنة ١٣ و١ و٣ و١٣ و١٤ من السنة ١٢ و١ و٢ و٥ و٦ و٩ من السنة ١١ و١ و٢ من السنة ١٠

---

(١) «المنظر الجميل» نزل في اعلى ربوة من بحمدون يديره سعيد افندي مجاعص وهو بعنايته كانه غرف لمن منازل السماكنين فيه

المرء باخلاقه

لا بذكائه

قد يرى القارئ غرابة بعنوان هذه المقالة لان الانسان انما يمتاز عن الحيوان بالذكاء وهو الذي ينهض به من مهاوي الفاقة . وبه تمت الاكتشافات والاختراعات ولولا الذكاء لظل الناس في ظلمات الهمجية فكيف يكون ثانوياً ويكون للاخلاق المقام الاول ؟

ذلك كله حقيق لا جدال فيه . وانما اردنا تفضيل الاخلاق بالنظر الى علائق الناس بعضهم ببعض . والانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالاجتماع والاتحاد والتآلف والتكاتف . فالاجتماع من اهم شروط الانسانية وهو يتوقف على الاخلاق اكثر مما على الذكاء . ونعني بالاخلاق الصدق والامانة والاخلاص والحنو والشفقة والالفة وسعة الصدر ونحوها من الفضائل . والكذب والغدر والدناءة والحماقة ونحوها من الرذائل

فالفضائل اذا اجتمعت في الانسان ولو كان قليل الذكاء فانها تنهض به وتأخذ بيده . وتكون من الجهة الاخرى وسيلة للارتباط باصدقائه وابناء وطنه فيعامله الناس وهم مطمئنون واثقون فتروج بضاعته لا تضره قلة ذكائه او هي لا تضر عملاءه او رفاقه او مواطنيه تبعاً لما يكون من مركزه او عمله

اما الرذائل اذا غلبت على الرجل ولو كان ذكياً او كان له علم الاولين والآخرين فان علمه قلما يفيده او يفيد سواه بل هو يستعين بذكائه وعلمه على الاذى . ولو كان جاهلاً خاملاً لكان خيراً للناس لانه يكون اقل اذية واخف شراً

ماذا يستفيد الناس من غني جمع المال بذكائه واقدامه ان لم يكن صادقاً محباً لاهله مخلصاً في معاملاته محسناً الى المعوزين . الم يكن خيراً لهم لو كان هذا الرجل من الفقراء وكان ماله او علمه لرجل ذي اخلاق سامية يفيد ويستفيد

ومن الاخلاق ما يؤثر في مصلحة الفرد ومنها ما يؤثر في مصلحة الجمهور ومنها ما يشترك فيهما جميعاً. فالاخلاق التي تؤثر في مصلحة الفرد اي انها تنفعه او تضره فاولها وسيدها « الصدق » فالرجل الصادق اذا تعاطى عملا وان كان علمه قليلا فانه ينجح

ومهما كثر علمه واختباره في صناعته او مهنته او تجارته وكان كاذباً فبشره بالخيبة ولو بعد حين . وقس على ذلك سائر الاخلاق اللازمة للنجاح كالثبات والمواظبة ولين الجانب ودماثة الخلق وغيرها

اما الاخلاق اللازمة للامة اوللجماعة لحفظ جامعتها او نجاح اعمالها فاهمها الاخلاص وصدق الطويةوالصراحة في القول والعمل . وضدها النفاق والغدر والرياء والتملق ونحوها. فالرجل العمومي — نعني من يكون عمله في سبيل المصلحة العامة . واهم خدمة المصلحة العامة بعد رجال السياسة والدين ارباب الاقلام وخصوصاً رجال الصحافة والخطباء — فهؤلاء مهما بلغ من علمهم وسعة معارفهم وبلاغتهم وفصاحتهم اذا لم يكونوا ذوي اخلاق عالية عنوانها صدق اللهجة والاخلاص والصراحة فان ذكاءهم يكون وسيلة للخراب • لانهم يقودون الامة الى مهاوي الضلال او هم يشوشون عليها مجاري آمالها لما ينشرونه من الاراء الكاذبة تبعاً لما تقتضيه مطامعهم • وفيهم من يبيع قلمه — وكانه باع وطنه — لمأرب في نفسه اوجر المغنم مالي اوجاهي والى ذلك اشار الشاعر بقوله :

وانما الامة الاخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فهؤلاء يزداد ضررهم بازدياد ذكائهم لان ذلك الذكاء آلة يستخدمونها لما تطلبه اخلاقهم الساقطة

اما اذا كان خدمة الامة او كتابها جميلي الاخلاق من حيث الاخلاص وصدق النية فانهم يخدمونها بصدقهم خدماً جزيلة ولا يضرهم ان لا يكونوا من نوابغ الاذكياء فضاحل العلماء على ان نفعهم يتضاعف اذا تضاعف علمهم طبعاً • اما اذا كان لابد من نقص في احدى الموهبتين « الاخلاق الحسنة او الذكاء » فالافضل في نظرنا ان يكون ذلك النقص في الذكاء فيكون ضرره اخف

وقد اتينا على هذه المقدمة لنعرب عما يخامر اعتقادنا من نفع الاخلاق الفاضلة وما نحن في حاجة اليه منها — نحن في حاجة الى صدق النية في خدمة المصلحة العامة • الى الصراحة في القول . نحن في حاجة الى ذلك اكثر من حاجتنا الى الدستور او الاستقلال او الى انشاء المصارف المالية او المعامل الصناعية • نحتاج الى الصراحة على الخصوص في صحفنا بمصر والشام وفي سائر الاقطار فان بينها صحفاً تقول ما تريده

لا ما تعتقده . ان اختلاف الآراء في الصحف طبيعي ومفيد بشرط ان يكون اساسه صدق اللهجة اي ان يقول الكاتب ما يعتقده لا ما ينبوقه اليه الغرض . لذلك رأينا بعض اولئك الكتاب يدورون مع الاحوال ويتقلبون مع الاهواء . فاذا كثر امثالهم بين قادة الامة وزعماء الآراء فربما قادوها الى البوار والعياذ بالله

الاقباط

في الدول الاسلامية

كثر تحدث الناس والجرائد في الاقباط والمسلمين وما كان من علائقهما السياسية والاجتماعية منذ الفتح الاسلامي . واختلفت الاقوال في ذلك فرأينا ان نأتي على تاريخ تلك العلائق بما يقتضيه المقام من الايجاز

اختلفت علائق الاقباط بالمسلمين في الدول الاسلامية باختلاف الدول والاعصر وتوالت عليهم فيها احوال قوة وضعف وتقدم وتأخر ترجع الى خمسة ادوار : اولها من الفتح الاسلامي الى آخر زمن الراشدين من سنة ١٨ — ٤١ هـ وهو عصر تخلصهم من اضطهاد الروم . والثاني في الدولة الاموية والعباسية الى دخول مصر في حوزة بني طولون (من سنة ٤١ — ٢٥٧هـ) وهو اشق ادوارهم . والثالث حالهم في الدولة الطولونية والفاطمية فالايوبية وهو عصرهم الذهبي (من سنة ٢٥٧ — ٦٤٨ هـ) . والرابع في زمن سلاطين المماليك والدولة العثمانية الى ولاية محمد علي (من سنة ٦٤٨ — ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) والخامس في زمن العائلة المحمدية العلوية

١ — الاقباط في زمن الخلفاء الراشدين من سنة ١٨ — ٤١ هـ

يبدأ هذا الدور بدخول مصر في حوزة المسلمين على يد عمرو بن العاص سنة ١٨ للهجرة وكانت قبل ذلك تحت سيطرة الروم . والاقباط هم سكان مصر الاصليون فتح الروم بلادهم قبيل الميلاد وقد ساموهم اضطهاداً وعذاباً . فلما جاء العرب استقبلهم القبط احسن استقبال وكانوا عوناً لهم على الروم . فعرف العرب لهم ذلك فعاملهم عمرو ابن العاص بالرفق والعدل واطلق لهم الحرية في معاملاتهم وطقوسهم واحكامهم على ما

تقتضيه سياسة الخلفاء الراشدين وهي التي سهلت عليهم فتح العالم المتمدن في بضع عشرة سنة . اذ كان الفتح في ايامهم كالاحتلال العسكري انما يهم العرب منه الاستيلاء على الجزية والخراج ولا يعارضون الرعايا في حكوماتهم الداخلية

واول حسنة اكتسب بها عمرو بن العاص قلوب الاقباط انه كان لهم بطريرك اسمه بنيامين كان هرقل ملك الروم قد اضطهده ففر واختفى فامنه عمرو واستدعاه اليه واظهر له الولاء ففرح الاقباط به لانه كان على رأيهم وغرضهم . واستدناه عمرو حتى كثيراً ما كان يستشيره في ما يتعلق بالبلاد

ثم اخذ عمرو في تنظيم الاحوال فاستعان بعقلاء القبط في تنظيم حكومة عادلة فقسم البلاد الى كور (مديريات) وجعل على كل كورة حاكماً قبطياً له اختصاصات وحدود معينة ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم . ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من اعضاء ذوي نزاهة واستقامة وعين نواباً مخصوصين من القبط ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصة بالاقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والاهلية . فكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني . وهي مزية كانوا قد جردوا منها في ايام الدولة الرومانية . وضرب الخراج على البلاد بطريقة عادلة وولى عليه متولياً من ذويه يقبضه على اقساط في آجال معينة حتى لا يتضايق اهل البلاد . ورتب الدواوين وولى الاقباط الحسابات وسائر الاعمال الكتابية وكانت كلها تجري باللغة القبطية

فاصبح القبطي يعد العربي صديقه ومنقذه . فلما عاد الروم يريدون استرجاع الاسكندرية كان القبط عوناً للعرب عليهم خوفاً من ان تعود مصر اليهم فيذيقونهم من العذاب فقضى الاقباط زمن الراشدين في رغد وراحة وحرية

٢ — الاقباط في الدولتين الاموية والعباسية من سنة ٤١ — ٢٥٧ هـ

ان انتقال الخلافة الى بني امية قلب الدولة الاسلامية وغير كثيراً من احوالها واحكامها لما اقتضته رغبة الامويين في الاستئثار بالسيادة من حشد الاموال لارضاء الاحزاب . فاطلقوا ايدي عمالهم في الامصار بجباية الجزية والخراج فزادوا مقاديرهما . وكان معاوية مؤسس الدولة الاموية يطلب زيادة الخراج في مصر وعمرو بن العاص لايزال حياً فكتب معاوية الى وردان مولى عمرو بن العاص ان « زد على كل امرىء من القبط قيراطاً » فاجابه « كيف ازيد عليهم وفي عهدهم ان لا ازيد عليهم » وكان معاوية قد ولى عمرو بن العاص مصر على ان يكون مفوضاً فيها . فلما مات عمرو لم يبق من يعترض الامويين بما تتطلبه سياستهم من زيادة الخراج فزادوا فيه ما شاؤا

باشر بنفسه عبد العزيز بن مروان اخو الخليفة عبد الملك لما تولى مصر فزاد الخراج على المصريين كافة وفرض الجزية على الكهنة وكانوا قبله معفيين . واشهر من فعل ذلك بعده عبيد الله بن الحبحاب متولي الخراج من قبل هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٥ — ١٢٥ هـ) فانه زاد على القبط قيراطاً في كل دينار فلم يصبر القبط على ذلك . وكانوا لا يزالون هم السواد الاعظم من السكان فثاروا فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم جماً كبيراً . وحدث نحو ذلك على يد اسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج فانه اوقع في النصارى واخذ اموالهم . وكثر الالتجاء الى الرهبنة في ايامه فاراد ان يمنع ذلك لانه يغير في الخراج والجزية فأحصى الديور والرهبان كافة ووسم ايدي الرهبان بحلقة من حديد فيها اسم الراهب واسم الدير وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع يده . والزم كل نصراني بمنشور يحمله يدلُّ على انه ادى ما عليه . وكتب الى العمال بان من وجد من النصارى وليس معه منشور ان يؤخذ منه عشرة دنانير . ثم كبس الديارات وقبض على عدة من الرهبان بغير وسم فضرب اعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب

على ان ذلك لم يكن يرضي الخليفة فلما بلغ هشام بن عبد الملك ذلك كتب الى عامله بمصر ان يجري النصارى على عاداتهم وما في ايديهم من العهود . فلم يطل العمل بهذا الامر فعاد العمال الى ظلمهم وفي جملتهم حنظلة بن صفوان فانه زاد في الخراج واحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصراني وسماً صورة اسد فمن وجده بغير وسم قطع يده . فتعب الاقباط من ثقل الضرائب وخصوصاً الجزية فضلاً عن شدة العمال وسوء معاملتهم في تحصيلها لانهم كانوا يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة

وكان المسلمون لا يدفعون جزية ولا خراجاً فلم يجد الاقباط وسيلة للنجاة من ذلك الا بالدخول في الاسلام . فجعلوا يدخلون فيه افواجاً فقلت الجباية ولحظ العمال ان اكثر الداخلين في الاسلام انما دخلوا فيه فراراً من الجزية فجعل بعضهم يقتضيها منهم ولو اسلموا . واغتنم الاقباط خلافة عمر بن عبد العزيز الاموي سنة ٩٩ هـ — وكان عادلاً يتحدى عمر بن الخطاب . فاشتكوا اليه عاملهم فاخبره العامل ان القوم تسارعوا الى الاسلام فراراً من الجزية حتى قلت الجباية بذلك فكتب اليه عمر « اما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف ضعفك وقد امرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً . فضع الجزية عمن اسلم قبح الله رأيك فان الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً — ولعمري لعمر اشقى من ان يدخل الناس كلهم

الاسلام على يده ، ولكن عمر هذا لم تطل خلافته فمات سنة ١٠١ هـ وعادت الاحوال الى ما كانت عليه

وفي زمن الامويين هدّ الركن الاول من بناء الامة القبطية بجعل لغة الدواوين اللغة العربية . واول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ — ٨٦ هـ) وكانت لغتها من قبل القبطية وكل عمالها من القبط . فابدلوا رئيس الكتاب القبطي برجل عربي من اهل حمص واعلنوا الناس ان المخابرات الرسمية لا تقبل من الآن فصاعداً الا بالعربية . فاضطر الاقباط الى تعلم هذه اللغة فاتقنوها وادخلوا فيها مصطلحاتهم الحسابية والكتابية ليتمكنوا من خدمة الدولة واخذت لغتهم بالضعف من ذلك الحين . وبضعفها ضعفت جنسيتهم فصاروا بتوالي الازمان يعدُّون من العرب ولم يبق من لغتهم الا ما يستخدمونه في طقوسهم الكنائسية

ولم ينقض زمن بني أمية (سنة ١٣٢ هـ) حتى تضعضعت احوال القبط وقل عددهم لكثرة من دخل منهم في الاسلام فضلاً عن توالي القحط والوباء (الطاعون) مراراً وغير ما فقدوه من الامتيازات التي كانت لهم على زمن ابن العاص

ولما انتقلت الخلافة الاسلامية الى بني العباس ارتفع الضغط عن اهل الذمة والموالي وتحسنت احوال الرعايا على الاجمال ولكن الاقباط قلما تحسنت حالهم لبعدهم عن كرسي الخلافة (بغداد) ولمطامع الولاة واغراضهم . فاذا كان الامير عاقلا عادلا خفف عنهم وسهل عليهم وان كان جائراً جار عليهم . وكثيراً ما كانوا يثورون ويخلعون الطاعة واشهر ثوراتهم في زمن الليث بن الفضل امير مصر سنة ١٨٦ هـ ولم تهدأ الاحوال حتى اتى المأمون الخليفة العباسي الى مصر وسكن الخواطر وطمأن الاهلين واجرى العدل . وان اختلف الرواة في حقيقة ما اتاه ولكنه فتح للاقباط باب الشكوى اليه او الى من يخلفه عند الحاجة

ثم تولى خراج مصر رجل اسمه ابن المدبر لم يكن من التدبير على شيء فعاد الى اقبح مما فعله الامويون فزاد الضرائب واحصى الرهبان والقسس ووضع عليهم الجزية والزم البطريرك بدفع الجزية عنهم على ان يحصلها هو منهم . فضاق الاقباط ذرعاً فأوفدوا اثنين من خاصتهم الى بغداد يرفعون ظلامتهم الى الخليفة المعتز بن المتوكل (سنة ٢٥٢ — ٢٥٥ هـ) فانصفها وارفقهما بالاوامر اللازمة لرفع المظالم فاضطر ابن المدبر الى العمل بها . لكن المعتز خلع بعد قليل وتضعضعت احوال الخلافة في بغداد فعادت الامور الى مجاريها

٣ – الاقباط في الدول الطولونية والفاطمية والايوبية من سنة ٢٥٧ – ٦٤٨هـ

ثم افضت مصر الى احمد بن طولون سنة ٢٥٧ هـ فانتعش المصريون لانه اغل يد ابن المدبر وانصف الاقباط وخفف عنهم الضرائب وسامحهم بالبقايا . لكن ضرهم الانقسام بين رؤسائهم الدينيين اذ كثيراً ما كان ذلك الانقسام سبيلاً الى ظلم الحكام . وسببه ان اولئك الرؤساء كانوا يتخاصمون على المناصب الدينية فمن اخفق في نيلها لجأ الى الدسائس فيشي الى الحاكم ان البطريرك الفلاني او الاسقف الفلاني عمل العمل الفلاني المغاير لمصلحة الدولة او عنده مال مخزون لاحاجة له به . او انه يواطئ اعداء المسلمين عليهم او غير ذلك . فيعمد الحاكم الى التحقيق او الامضاء وفي كليهما اضطهاد وتعذيب على ان راحة الاقباط كانت تتوقف غالباً على علاقة البطريرك او الاسقف بالامير فاذا حسنت العلائق بينهما ارتاحوا ونالوا ما يريدونه كما اتفق لهم في ايام خمارويه بن احمد بن طولون فان اسقف طنحا الاب باخوم كان رجلاً عاقلاً مدبراً اكتسب ثقة خمارويه فاصبح لا يرفض له طلباً فتمتع القبط في ايامه بالراحة والسكينة

ولابن طولون ذكر خاص في تاريخ القبط لانه احدث تغييراً مهماً في احوالهم . فهو اول من عهد اليهم بتحصيل الضرائب وكانت قبله يتولاها صاحب الخراج ويولي في تحصيلها رجالاً من خاصته المسلمين . فلما اقتضت مصلحة ابن طولون اخراج ابن المدبر من مصر لم يول الخراج رجلاً سواه من المسلمين بل عين عمالاً من اهل البلاد الاقباط تحت ادارته ليتولوا جبايته – وهذه خطوة جديدة ادخلت الاقباط في الاعمال الادارية بعد ان حرموا منها . وكان لهؤلاء العمال ملاحظة الجسور والقناطر ونحو ذلك ثم وبعد موت خمارويه اضطربت الدولة الطولونية ولم يستقر حال مصر الا بعد دخولها في سلطة الدولة الفاطمية سنة ٣٦٢ هـ

﴿ الدولة الفاطمية ﴾ وبلغ الاقباط في الدولة الفاطمية اجل عصورهم بعد الاسلام لانهم نالوا فيه حريتهم وحقوقهم واطمأنت خواطرهم فتفرغوا للعمل ونبغ منهم الكتاب ورجال السياسة واهل الوجاهة . وكانوا قد تناقصوا كثيراً لفرط ما قاسوه من الجور والقحط والوباء في العصر السابق . ومع ذلك فيقدر عددهم في اول الدولة الفاطمية بنحو خمسة ملايين نفس . وهم يومئذ اهل البلاد وذووها المسلطون فيها وفي ايديهم مقاليد الامور واعمال الدواوين والتجارة والزراعة والصناعة على اختلاف ضروبها

افضت مصر الى الدولة الفاطمية وهم شيعة واقتضت سياستهم فتح ابواب المناقشة

واطلاق حرية البحث فاطلقوا للاقباط حريتهم في دينهم وطقوسهم وولوهم الدواوين فنبغ منهم جماعة اشتهروا بالسياسة والادارة والنفوذ . منهم قزمان بن مينا وعيسى ابن بسطوروس وغيرهما

فلما عظمت منزلة الاقباط عند الخلفاء وتولوا الاعمال الهامة اغتاظ الذين كانوا يرجون ان يتولوها فاخذوا يشون بهم . ومن جملة الواشين يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي كان يهودياً واسلم فوشى بالبطريرك نفسه فاستحضره الخليفة ليناقش الوزير ففاز البطريرك فلم يزدد الفاطميون بالاقباط الا ثقة

وممن اشتهر من رجال السياسة الاقباط في هذه الدولة فهد بن ابراهيم كان في زمن الحاكم بامر الله وقد رقاه حتى سماه الرئيس ابا العلاء وارتقى الى رتبة الوزارة ولعله اول وزير قبطي في الدولة الاسلامية . على ان الخليفة الحاكم ما لبث ان اصيب بالخلل في عقله فاصبح لاقياس لاعماله . وقاسى القبط وسائر النصارى وغيرهم في ايامه عذاباً شديداً يضيق المقام عن ذكره . حتى قتل فهد بن ابراهيم وعيسى بن بسطوروس وغيرهما وهدم الكنائس وامر بالقتل والفتك والنفي من النصارى واليهود . وتولى بعده الخليفة الظاهر سنة ٤١١ هـ فاعاد السكينة الى البلاد فاقر الاقباط في وظائفهم واعاد اليهم حرية الدين والاحتفال باعيادهم ومواسمهم الملية والدينية وكان قد منعهم منها الحاكم قبله

وتوالت على مصر في زمن الخليفة المستنصر الفاطمي محن كثيرة لاختصام فرق الجند وغيرها فاصاب الاقباط منها ما اصاب سواهم . فلما هدأت الاحوال على يدي بدر الجمالي واستقرت الحكومة عهد بدر المذكور الى الاقباط اعادة تنظيم الدواوين وتشكيلها وان يضبطوا الحسابات ويحصلوا الاموال فنمت الايرادات حتى تضاعفت الجباية واصبح الاقباط من ذلك الحين منفردين تقريباً بالاعمال الحسابية وكانوا قد تمكنوا من اللغة العربية والفوا فيها الكتب ونقلوا اليها بعض المؤلفات القبطية واليونانية في مواضيع مختلفة . واحرزوا ثقة الخلفاء الفاطميين حتى لقبوهم بالقاب الوزراء كالشيخ والرئيس والامجد والاسعد ونجيب الدولة وتاج الدولة وفخر الدولة

وصارت اليهم ايضاً اكثر الصنائع واهمها فكان منهم الصياغ والجوهريون والصباغون والبناؤن والمهندسون والنقاشون وصانعو الورق والزجاج . ولا تزال آثار قرائحهم موجودة في كنائسهم القديمة الى الآن . ولا سيما في كنائس باب زويلة وحارة الروم ومصر القديمة وغيرها

وقضى الاقباط بقية العصر الفاطمي الى سنة ٥٦٧ هـ في سكون وراحة لولا الحروب الصليبية وقدوم الافرنج بخيلهم ورجلهم لمحاربة المسلمين وفتح بيت المقدس . فوجد اهل الفتنة بابًا لتوجيه التهمة على الاقباط بانهم والأوا الصليبيين على المسلمين . فنالهم بسبب تلك الوشايات اضطهاد وضيق . أما في ما خلا ذلك فان الاقباط احرزوا في زمن هذه الدولة ما لم يحرزوه في سواها فنبغ منهم طائفة اشتهروا بالسياسة او الادارة او العلم او الدين وقد تقدم ذكر بعضهم . ومن رجال السياسة والثروة في ذلك العصر المعلم سرور الجلال كان من اهل الثروة والوجاهة والتدبير . والشيخ السعيد ابو الفخر المعروف بابن صاعد كان كاتب الرواتب في خلافة الحافظ وترقى الى رئاسة المجلس . والشيخ الوجيه ابو الحسن الابح كاتب سر الخليفة الحافظ . والاسعد ابو الخير جرجه ابن ابي وهب الشهير بابن الميقات كان من اهل الثروة والوجاهة . وابو اليمن يوسف بن مكراوه الشهير بامين الامناء كان امينًا على خزائن الخليفة . وابو سعيد بن ابي اليمن المذكور . والشيخ صفي الدولة بن ابي ياسر بن علون الكاتب . والشيخ ابو الفضل المعروف بابن الاسقف . والمعلم زوين . وابو الطيب كاتب سر ناصر الدولة زعيم الاتراك في ايام المستنصر . والشيخ الاحزم . وابو البركات ابن ابي الليث رئيس الديوان . وابو المليح الشهير بماني اشتهر بالغنى وعمل الخير وغيرهم

✻ الدولة الايوبية ✻ ولما انقضت الدولة الفاطمية وصارت الامور الى الايوبيين سنة ٥٦٧ — ٦٤٨ هـ لم يتغير حال القبط في ايامهم ولا اصابهم ضرر الا ان يكون من الصليبيين او بسببهم . واما على الاجمال فقد تقدم الاقباط في الدولة الايوبية واثروا ونبغ منهم العلماء والكتاب فضلا عن رجال السياسة اشهرهم : الشيخ الرئيس صفي الدولة ابن ابي المعالي المعروف بابن شرافي كاتب سر السلطان صلاح الدين . والشيخ ابو الفتوح ابن الميقات الملقب بنشو الخليفة كان رئيس ديوان الملك العادل . والاسعد بن صدقة كاتب دار التفاح . والشيخ ابو سعيد بن اندونة . والشيخ الثقة جبريل . والشيخ شرف الرئاسة بن هبلان كاتب الجيش . والشيخ السديد ابو الفضائل المعروف بابن ستمائة . والشيخ امين الملك بن المهذب كان كاتبًا دقيقًا وشاعرًا مجيدًا . والشيخ المكين ابو البركات المعروف بابن كتامة . وامين الدولة ابن المصوف وغيرهم كثيرون

ومن أشهر نوابغ علماء القبط في ذلك العصر اولاد العسال اشتهروا بالعلم والمعرفة منهم الامجد بن العسال كان كاتبًا بديوان الانشاء . والشيخ الصفي بن العسال . والشيخ ابو شكر وغيرهم . ولهم عدة مؤلفات تدل على معرفتهم اللغة اليونانية فضلاً عن العربية والقبطية و بعضها مطبوع

ومنهم جرجس بن العميد ويعرف بابن المكين كاتب الجيش وكان عالماً بالتاريخ والجغرافية والفلك والمنطق ويحسن اللغات العربية والقبطية واليونانية . وله كتاب في تاريخ الاسلام مختصر لطيف طبع في اوربا سنة ١٦٢٥ مع ترجمة لاتينية . ومنهم بطرس ابو شاكر بن الراهب صاحب كتاب الشفاء وغيرهم من الادباء . ناهيك برجال الاكليروس وهم كثيرون

٤ — الاقباط في دولة المماليك والدولة العثمانية من سنة ٦٤٨ — ١٢٢٠ هـ

لما ذهبت دولة الايوبيين وصار الامر الى مماليكهم الشراكسة ثم البحرية اخذ نجم الاقباط في الافول وصارت تتتابع المصائب تباعاً لان حالهم كانت تتوقف على احوال حكامهم فاذا كانوا عقلاء عادلين انصفوهم واذا ساءت الحكومة كما كان في زمن السلاطين المماليك اساءتهم . وكانت فاتحة شقائهم على يد واحد منهم اسلم وسمي شرف الدين هبة الله بن صاعد وارتقى الى الوزارة في دولة المماليك فاخذ يضطهد الاقباط ويسومهم العذاب . ثم رزئوا برجل آخر مثل ذلك اسمه الاسعد شرف الدين اسلم وصار وزيراً

وبالجملة فان الاقباط قاسوا في ايام المماليك ضيقاً شديداً لما وقع من سوء التفاهم بينهم وبين المسلمين مواطنيهم فكانوا كثيراً ما يقعون تحت غضب السلاطين فيأمرون باحراق منازلهم وهدم كنائسهم ونهب بيوتهم . وكثيراً ما كانوا يكرهونهم على الاسلام لاعتقادهم انهم عيون عليهم لاعدائهم فيقتسونهم من كل وجه . وترى في خطط المقريزي تفصيلات جمة من هذا القبيل يضيق المقام عن ذكرها . ومن جملتها منعهم ممارسة بعض الطقوس الدينية كالاحتفال بعيد الشهيد ونحوه . وزاد المصائب ثقلاً ما كان من اضطراب حكومة المماليك وانقسامهم فيما بينهم كما هو مشهور

ومن اشهر فظائع ذلك العصر حادثة احراق الكنائس والجوامع والمدينة معاً . وقعت في زمن الملك الناصر بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤١ هـ وسببها ان هذا السلطان عزم على بناء ميدان في بقعة فيها كنيسة فلم يسمح الاقباط بهدمها فعظم ذلك عليه وعلى اعوانه فاتفق جماعة منهم مع بعض الامراء على هدم كنائس النصارى واخذ انقاضها للعمارات التي كان السلطان آخذاً بها . ففي احد ايام الجمعة نودي في الجوامع بعد الصلاة بهدم الكنائس وكان يوماً مشهوداً . فلم يجد الاقباط سبيلاً للانتقام خيراً من ان يحرقوا المدينة كلها فسعى بعضهم في ذلك وكانت الخسائر عظيمة . وتمكن التباغض بين الاقباط والمسلمين الى درجة عظيمة والحكومة تحرض المسلمين عليهم حتى امر السلطان المشار اليه من غيظه ان من يجد نصرانياً ويقتله فله ماله — كل ذلك من سوء الاحكام والحق فيها على الحكام مع رغبة اعوانهم في النهب

وفي سنة ٩٢٣هـ جاء السلطان سليم العثماني ففتح مصر وجعل حكومتها الى بقايا المماليك ويعرفوا بالامراء المماليك ولم تكن احوال الاقباط في ايامهم خيراً من ايام سلاطينهم حتى اضطر الاقباط الى الاحتماء بعرب الهوارة وهم قبائل اغتنموا فساد الاحكام في ذلك العصر واستولوا على الوجه القبلي فادخلوا القبط في ذمتهم وحمام . فصار القبطي يخاطب العربي المنتمي اليه « بدوي » والعربي يسمي القبطي الذي تحت حمايته « نصراني » فكانت عيشتهم في هذه المدة راضية نوعاً لولا الرزايا التي كانت تطرأ احياناً بسبب اختلال الاحوال فتعم النصارى والمسلمين على السواء .

فتقهقرت مصر في ايام تلك الدولة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً فانحط عدد سكانها الى مليونين ونصف ليس بينهم من الاقباط الا ستة الف . ولم يبق من الارض المزروعة الا مليون ونصف مليون من الفدادين . وما زال ذلك شأنهم الى ظهور العائلة المحمدية العلوية الحاضرة

على ان الاقباط لم يحرموا من النفوذ او الظهور في زمن الامراء المماليك بسبب تقدم بعض رجالهم عند اولئك الامراء اصحاب السيادة . واشهر المتنفذين منهم في تلك الدولة المعلم رزق كان كاتباً لعلي بك الكبير في اواسط القرن الثامن عشر للميلاد . والمعلم ابرهيم الجوهري والمعلم جرجس الجوهري اخوه والمعلم غالي وهذا ادرك ايام محمد علي

٥ — الاقباط في الدولة المحمدية العلوية من ١٢٢٠هـ او ١٨٠٥م ولا تزال

لم يتربع محمد علي في دست الحكومة المصرية الا بعد ان عرف سبب اختلالها وفساد حكومتها فوضع نصب عينيه ان يتلافى الخطأ الذي وقع فيه اسلافه فكان من اهم مقاصده التوفيق بين العناصر . ثم هو لما اراد اصلاح الحكومة لم يجد غير الاقباط قادرين على الحسابات ونحوها فولاهم ضبط الايرادات والنفقات وخص المسلمين بالمجالس والاعمال الادارية والتحريرية واليهود المصريين بالوظائف المالية في القاهرة وغيرها . اما اليهود فلم يطل مقامهم في مناصبهم الجديدة لانهم لم يرضوا الاشتغال يوم السبت

ولما بدأت النهضة العلمية في هذه الديار وانشئت المدارس للتعليم اصبح التقدم منوطاً بالعلم فانشأت الحكومة المدارس الاميرية للمصريين على الاجمال . واتت الارساليات الدينية المسيحية في اواسط القرن الماضي وانشأت المدارس لبث مبادئها وتعاليمها كما حدث في سوريا . فكان الاقباط اقدم على هذه المدارس من المسلمين لانها مسيحية فتقدموا وخصوصاً بعد الاحتلال الانكليزي وفتحوا مدارس للبنات وألفوا الجمعيات لنشر العلم والتربية فاصبح عدد المتعلمين من الاقباط اكثر منهم عند المسلمين بالنظر الى تعداد كل منهما

وما صارت الوظائف بعد الاحتلال تعطى للمتعلمين كثر اصحاب الوظائف من الاقباط حتى اقتضت سياسة العميد الماضي ان يحمل لتقدم الاقباط حداً يقفون عنده فمنع ترقيهم في المناصب الادارية

وكانت هذه السياسة من اسباب التفريق بينهم و بين المسلمين حتى كاد يستفحل الخلاف بينهما في العامين الاخيرين لو لم يتداركه العقلاء من الطائفتين . على ان ذلك لم يمنع اسناد الوزارة الى واحد منهم نعني المرحوم بطرس باشا غالي وهو اول وزير قبطي بعد عصرهم الذهبي في الدور الثالث المتقدم ذكره . فضلاً عن تقدمهم في سائر وسائل المدنية وهم يحرزون ثروة طائلة تقدر باربعة اضعاف ثروة المسلمين بالنظر الى تعداد الطائفتين كما يتبين من الاحصاء الاتي

ثروة الاقباط في القطر المصري

وقفنا على احصاء نشرته جريدة البروغريه عن حالة القطر المصري بالنظر الى الثروة والتعليم بالمقابلة بين المسلمين والاقباط فادهشنا ما رأيناه فيه من الفرق العظيم بين هاتين الامتين في الثروة فرأينا ان ننقله كما جاء هناك ولا يخلو نشره من فائدة

بلغ عدد سكان القطر المصري في الاحصاء الاخير ٣٥٩ ٢٨٧ ١١ نفساً منهم ٤٤٥ ٢٦٩ ١٠ نفساً من المسلمين و٣٢٢ ٧٠٦ من الاقباط والباقون من الاجانب فتكون نسبة الاقباط الى المسلمين كنسبة ٧ الى مئة

و بلغت ثروة القطر المصري الثابتة أي اثمان اطيانه وابنيته نحو ٣٣٣٩٠٠٠٠٠ جنيه وهو تقدير مبني على ما تقبضه الحكومة من الضرائب على الاطيان والابنية . ومجموع هذه الضرائب الآن ٥٥٦٥٩٠٠ جنيه وهي تؤخذ بنسبة جزء من ستين من ثمن الارض او البناء . فبضرب مجموع الضرائب السنوية في ٦٠ يكون الحاصل ٣٣٣٩٠٠٠٠٠ جنيه وهي ثروة القطر المصري

و بمراجعة سجلات ما تقبضه الحكومة من الضرائب بالنظر الى الاجناس أو المذاهب ظهر انها تقبضها على هذه النسبة :

جنيه مصري		جنيه مصري	
٢٠٧٩٨٠ ٤	ما يدفعه المسلمون	٥٥٦٥٠٠	ما يدفعه الاجانب
٨٠١٥٢٠	« الاقباط	٥٥٦٥٩٠٠	الجملة

فاذا ضربنا كلاً منها في ٦٠ كانت حصة كل فئة من تلك الثروة كما يأتي :

جنيه مصري	
٢٥٢٤٢٨٤٠٠	حصة المسلمين
٤٨٠٨١٦٠٠	« الاقباط
٣٣٣٩٠٠٠٠	« الاجانب
٣٣٣٩٠٠٠٠٠	جملة الثروة

فاذا قسمنا هذه الثروة الى اجزاء في المئة كانت حصة المسلمين منها ٧٤ والاقباط ١٦ والاجانب ١٠ فتكون ثروة الاقباط بالنظر الى مجموع الثروة ١٦ في المئة مع ان عددهم ٧ في المئة فقط . واذا قسمنا ثروة كل فئة على عدد افرادها لحق كل فرد من المسلمين نحو ٢٤ جنيها وكل قبطي نحو ٦٧ جنيهاً

هذا بالنظر الى الثروة الثابتة من الاطيان والابنية فاذا اضفنا اليها مايلحق كل فئة من الاموال غير الثابتة والرهنيات بلغت ثروة الاقباط نحو ربع ثروة الامة فاذا فرقت ثروة القطر على الافراد كان حظ كل مسلم نحو ٤٠ جنيهاً وكل قبطي ١٨٠ جنيهاً

﴿ التعليم ﴾ وتكلم البروغريه عن التعليم فقال ان عدد التلامذة في المدارس بالنسبة الى عدد السكان بمصر هكذا :

	المسلمون	الاقباط	الاجانب
عدد السكان	١٠٢٦٩٤٤٥	٧٠٦٣٢٢	٣١١٥٩٢
التلامذة	٥٤١٧٦	٢٨٩٦١	٣٠٢٨٣

فيظهر من هذا الجدول ان التلامذة الاقباط ٢٥ في المئة من التلامذة على الاجمال مع ان عددهم بالنظر الى السكان ٧ في المئة فقط . لكن صاحب هذا الاحصاء لم يدخل تلامذة الكتاتيب في احصائه ولو فعل ذلك لزاد عدد التلامذة المسلمين كثيراً

نقول ولكن بالاسف ان الامة المصرية لا تزال الى الآن في اخريات الامم المرتقية من حيث التعليم اذ لا يزال عدد القارئين فيها لا يزيد على سبعة في المئة من مجموع الامة وعدد التلامذة جميعاً لا يزيدون بالنسبة الى عدد السكان على واحد في المئة الا قليلاً . فعسى ان تنصرف الاذهان وتتوجه الافكار الى نشر العلم

المرأة

بين التبذل والحجاب

اختلفت الاراء وتضاربت الاقوال في المرأة بالنظر الى معاملتها . من القائل بحجبها في ظلمات البيوت لا تخرج منها الا الى القبر . الى القائل باطلاق سراحها لتتعاطى اعمال الرجال وتسابقهم في الادارة والسياسة والحرب . واختلفوا ايضاً في عنصرها هل هو طيب او فاسد فقالت طائفة انها اصل المفاسد وقال اخرون انها نعمة من الخالق للبشر . وتوسط آخرون في احكامهم عليها فقالوا قول الشاعر :

فهي شيطان اذا افسدتها وأذا اصلحتها فهي ملك

وهو الاقرب الى الصواب . على انهم لا يزالون مختلفين في حجابها ولهم فيه اقوال ومناقشات اكثرها مبني على اعتقادات راسخة في الذهن او على قياسات مبهمة . فالقائلون بالحجاب يحتجون على طالبي رفعه بالاضرار التي تنجم عن تهتك النساء السافرات في بعض المدن الاوربية . والقائلون برفعه يستدلون على صدق دعواهم بما يؤول اليه الانزواء في المنازل من ضعف المرأة عقلاً وبدناً . وبما فيه من الاجحاف بحقوقها وهي نصف المجتمع الانساني . وفي كل حال فان لكل من الحالتين حسنات وسيئات والحقيقة بينهما

ان حجب المرأة في منزلها يحول دون تعليمها ويقف في سبيل ترقية بدنها وعقلها ويجعلها قليلة النفع مع انها ام العائلة وعليها المعول في رفع شأن الامة . فهي المربية لاولادنا رجال المستقبل فاذا ارتقت نفسها رقت نفوس ابنائها وهم صغار وعلمتهم معنى الحرية والحقوق والواجبات والاعتماد على النفس . فيشبون على حب الوطن والاستهلاك في مصلحته ويهون عليهم الاجتماع والتكاتف وان لم يكونوا متعلمين في المدارس العالية

وهذا هو السبب في استقلال بعض الامم ونيلها الدستور ومعدل القراء فيها قليل لا يزيد على عشرة في المئة . فقد ناب عن تأثير العلم في ترقية نفوس ابنائها ارتقاء الامهات فبثثن تلك الروح فيهم من الصغر — فالحجاب من هذه الحيثية ضار

على ان مبالغة بعض الامم المتمدنة في اطلاق حرية المرأة حتى تنسى واجبات الامومة ويذهب عنها ما خلقت له من تربية البنين والعناية بشأن المنزل وتتعرف

الى طلب حقوق الرجال في السياسة والادارة كالتصويت في انتخاب النواب او انتخابهن لينبن عن الامة وخروجهن متبذلات كالرجال يعاشرنهم في الاسواق ويخترن ازواجاً منهم ويطلقنهم متى شئن ونحو ذلك — ان تطرف المراة في هذه السبل كثير الضرر على اهلها وامتها . ولعل اكثر نساء العالم تطرفاً في هذا الشان بنات الولايات المتحدة وقد عرضن انفسهن لانتقاد المتمدنين . وآخر من انتقد ذلك فيهن سيدة من اشراف اليابانيين تعرف بالبارونة متسو زوجها من اصحاب الملايين يلقبه بعضهم بروكفلر اليابان

اتت البارونة المشار اليها نيويورك في هذا العام فتسابق كتاب الصحف الى محادثتها واستطلاع ارائها في ما أثر على ذهنها من احوال تلك المدينة الكبيرة . فسمعوا منها انتقاداً لم يكونوا يتوقعونه لكنهم تناقلوا اراءها في جرائدهم وقلما استطاعوا التعليق عليها او نفيها . لانها اصابت كبد الحقيقة اذ انتقدت تطرف المراة الاميركية في حريتها ولا سيما مسألة التصويت فان الاميركيات جعلن انفسهن قدوة سائر نساء العالم فاقتدين بهن . وعلا الصياح في ممالك اوربا بهذا السبب الا اليابانيات فانهن لم يلتفتن اليه — وهذا من جملة الادلة على ارتقاء هذا الشعب العجيب

وقد بينت البارونة المذكورة ان النساء القائمات بهذه المطالب اذا قدر لهن النجاح عاد ذلك بالضرر على الهيأة الاجتماعية لانهن سينصرفن به عن واجباتهن الطبيعية في تربية الاطفال وتدبير المنزل فتختل العائلة وهي قوام الامة . وتكلمت عن طرق الزواج في اميركا فقالت انها لا تستحسن حرية الفتاة الاميركية في اختيار من تريده زوجاً لها . وقد وجهت البارونة انتقادها الى هذه النقطة لان العادة في اليابان ان الام هي التي تختار زوجاً لابنتها كما كانت العادة جارية في بلادنا الى عهد غير بعيد . وهي ترى ان كثرة الطلاق عند الاميركان ناجمة عن تلك العادة في الزواج . وانتقدت عليهم اختلاط الشبان والشابات في المجتمعات العمومية اكثر مما ينبغي

وما انتقدته هذه البارونة ينتقده كل عاقل ولا سيما اهل الشرق لانهم اقرب الى الحشمة والغيرة . فانتقاد هذا التبذل في حرية المراة لا يمنع انتقاد المبالغة في الحجاب للاسباب التي قدمناها

وقد اعجبنا في هذا الموضوع قصيدة قالتها «باحثة في البادية» تخاطب بها الرجال على أثر جدال دار في الصحف المصرية عن حجاب المراة المسلمة وحريتها وهي :

أعملتُ اقلامي وحيناً منطقي … في النصح والمأمول لم يتحقق
وحسبت صدقي في النصيحة عائداً … برداً عليَّ اذا بصدقي محرقي

وظننت اخلاصي يفيد وهمتي ... تفضي بمن اشتق طمن الى الرقي
اكبرت نفسي ان يقال تملقت ... لا كان عيش يرتجى بتملق
واذا تملق بالخديعة كاتب ... يبغي بها العلياء لم اتملق
تخذوا مناطيد الدهان ذرائعاً ... للمجد لكني بمجدي ارتقي
سيان بعد رضا ضميري من غدا ... لي مادحاً او قادحاً لم افرق
ان الحقيقة كيف يخفى ضوءها ... مدح المحب وترهات المحنق
والرأي يجلوه التباين مثلما ... يجلو المحك العسجد الحر النقي
ايردني عما رأيت معاند ... ومقال حاسدة وكذب ملفق ؟
لعدمت آدابي وحسن تجلدي ... ان صدني قول البغيض الاحمق
أيسوءكم ان تسمعوا لبناتكم ... صوتاً يهز صداه عنق المشرق؟
أيسوءكم منا قيام نذيرة ... تحمي حماكم من بلاء محدق ؟
ايسركم ان تستمر بناتكم ... رهن الاسار ورهن جهل مطبق ؟
هل تطلبون من الفتاة سفورها؟ ... حسن .. ولكن اين بينكم التقي
تخشى الفتاة حبائلاً منصوبة ... غشيتموها في الكلام برونق
لاتتقي الفتيات كشف وجوهها ... لكن فساد الطبع منكم تتقي
لاتنفروا بل اصلحوا فتيانكم ... وبناتكم وتانقوا للاليق
ارضيتم عن كل شيء عندنا ... وخشيتم امر القناع اذا نقي ؟
هل قمتم بفروض نسوتكم وهل ... هذبتم من طبعهن الاخرق ؟
ابقيتموها للفضيلة والتقى ... وخشيتم الملكات ان لم تلحق ؟
تتقلون لمنتدى من قهوة ... ونساؤكم في الف باب مغلق
ان الزواج على خطورة شأنه ... آلت روابطه لشر ممزق
اليوم عرس باهظ نفقاته ... وغداً تقام قضية لمطلق
وتعاقدون على الحياة شريكة ... غيباً . ايعقل عاقل من يتقي ؟
من سار اعزل للقتال فانه ... لا يشتكي طعن العدو الازرق
من يطلب العلياء دون تدبر ... لا تعجبن لسعيه ان يخفق
هلا صرفتم بعض وقتكم على ... رأب الصدوع ورأب ما لم يرتق؟
لا تدخلون الدور الا برهة ... تردونها لضرورة كالفندق
لاتصدروا الآراء ينقض بعضها ... بعضاً فتمسي في مجال ضيق

يا ليت شعري والمآرب امرها متعاكس من اي ورد نستقي
فدعوا النساء وشأنهن فانما يدري الخلاص من الشقاوة من شقي
وامامكم غير النقاب مآزق اولى بها التفكير من ذا المأزق
ليس السفور مع العفاف بضائر وبدونه فرط التحجب لايقي

باب السؤال والاقتراح

روايات تاريخ الاسلام

﴿ القاهرة ﴾ الشيخ محمد حسن القزويني بقلم تحرير العلم

قلتم في هلال اكتوبر الماضي ما معناه «ونحن نتقدم الى القراء ان يتفحونا بما يعنّ لهم من الملاحظات» وبناء على هذه القاعدة التي جريتم عليها وهي دعوة القراء الى انتقاد ما يرونه او ابداء الملاحظات ليسهل عليكم تداركها اتقدم بالاسئلة الآتية فان شئتم الاجابة عليها تفضلوا ولكم الشكر

لم افهم الغرض من وضع الروايات التاريخية بهذه الطريقة من اول نشأة الهلال وقد قرأت فيه انكم عزمتم على وضع رواية في «الانقلاب العثماني» وهذه الطريقة ربما اثرت في اذهان القراء فتحملهم يوماً ما على نكران الحقائق التاريخية الثابتة ولان الكلام في مضامين التاريخ بالطريقة الروائية ربما كان سبباً في عدم الثقة بمصادره في المستقبل وهل هذه الطريقة اوربية وما هو السبب في تخيرها

(الهلال) نشكركم على الملاحظة التي تفضلتم بها اجابة لاقتراحنا ويا حبذا لو اقتدى بكم سائر القراء فان الانتقاد مفيد في كل حال . وجواباً على سؤالكم نقول : ان الافرنج سبقونا الى وضع الروايات التاريخية واشهرهم اسكندر دوماس فانه ادخل حوادث التاريخ في كثير من رواياته ليلبسها شكل الحقيقة لكنه لم يكن يهمه المحافظة على الحقائق التاريخية لان غرضه تأليف الروايات لا تأليف التاريخ . واما نحن فقد

جعلنا حوادث الرواية وسيلة لالباس التاريخ لباس الطلاوة والفكاهة . وجعلنا هذه الروايات في شكل سلسلة نشرح فيها تاريخ الاسلام بالتدريج ولا نعرف كاتباً من كتبة العالم اقدم على وضع تاريخ امة او دولة في سلسلة على هذا الشكل قبلنا

ولم نقصد بذلك ان تقوم الرواية مقام التاريخ وانما اردنا تشويق القراء الى مطالعة التاريخ الاسلامي وهو تاريخ الشرق والعرب بل هو تاريخ العالم في القرون الوسطى . والناس قلما يميلون الى مطالعة التاريخ مجرداً عن الفكاهة . فلو الفنا تاريخاً لدول الاسلام لما رجونا ان ينتفع به الا القليلون لان العامة مع رغبتهم الشديدة في مطالعة التاريخ والقصص قلَّ من يصبر منهم على قراءة تاريخ ضخم من اوله الى آخره ولا يملّ . اما اذا سبكنا ذلك التاريخ في قالب الرواية فانه يقرأه بشوق ولذة فلا يلبث وهو يظن نفسه يطالع قصة فكاهية ان يتناول شيئاً من حوادث الاسلام يزيده رغبة في مطالعة تاريخهم . فنحن بهذا الاعتبار نهيء اذهان الناس لمطالعة التاريخ . ولا نزيدكم علماً ان جمهور العامة حتى المسلمين منهم لا يعرفون شيئاً عن تاريخ الاسلام فاذا طالعوا شذرات منه في سياق الرواية نشأ فيهم الميل الى مطالعته في تاريخ مجرد عن الفكاهة .
ولا نظن احداً ينكر علينا ذلك وشاهدنا ما نراه من اقبال الناس على مطالعة ما ننشره من هذا القبيل في الهلال . ولا ريب عندنا ان جمهوراً كبيراً منهم لم يكونوا يهتمون للتاريخ قبل مطالعتهم رواياتنا فاصبحوا بعدها مائلين اليه راغبين في تفهمه

فالروايات التاريخية تهيء القراء لمطالعة التواريخ وان يكن في تأليف الرواية من المشقة اضعاف ما في تأليف التاريخ مع ظهور فضل مؤلف التاريخ اكثر من ظهور فضل مؤلف الرواية . ولكن غرضنا الفائدة العامة واقرب الطرق اليها من حيث التاريخ الطريقة القصصية التي نحن سائرون فيها

وزد على ذلك ان لهذه الطريقة في نشر التاريخ مزية لا تتأتى لنا في التواريخ المحضة نعني بها تمثيل الوقائع التاريخية تمثيلاً يشخص تلك الوقائع تشخيصاً يقرب من الحقيقة تتأثر منه النفس فيبقى اثره في الذهن فضلاً عما يتخلل ذلك من بسط عادات الناس واخلاقهم وآدابهم مما لا يتأتى بغير اسلوب الرواية الا تكلفاً

على اننا لا ننكر انه قد يلتبس على القارىء التمييز بين الحقيقة والمجاز في ما يقرأه في الرواية وخصوصاً اذا لم يكن ملماً بمبادىء التاريخ فتتشابه بعض الحوادث عليه .
[...]ن على ذلك اننا لا نريد بالرواية التاريخية ان تكون حجة ثقة يرجع اليها في [...]ث اوتمحيص الحقائق ولكننا نريد انها تمثل التاريخ تمثيلاً اجمالياً بما يتخلله

من احوال الهيأة الاجتماعية على اسلوب لا يستطيعه التاريخ المجرد اذا صبر الناس على مطالعته . وهب مع ذلك انهم صبروا حتى اتوا على آخره بلا ملل ولا تعب فهل يبقى في اذهانهم منه اكثر مما يبقى بعد مطالعته في رواية ؟

وقد تحققنا فائدة هذه الطريقة بازدياد عدد القراء وزيادة الرغبة في مطالعة هذا التاريخ . فلما آنسنا منهم تلك الرغبة الفنا تاريخ التمدن الاسلامي ثم تاريخ العرب قبل الاسلام وغيرهما

ثقيل الروح وخفيفها

(الاسكندرية) اسعد افندي سليم

اذا لاقيت انساناً وحادثته تشعر اما انك استلطفته او استثقلته . وتعبر عن ذلك التأثير بان هذا الرجل ثقيل الروح او خفيفها . وقد تشعر بذلك من اول نظرة تلقيها عليه او اول كلمة تسمعها منه . فما هو سبب هذا الشعور

﴿ الهلال ﴾ اذا امعنت النظر في ما يعرض لك من امثال هذه الحوادث تجد السبب في ثقل الروح ضعف حاسة الشعور العام في الثقلاء او ادعاؤهم ما ليس فيهم او دخولهم في ما لا يعنيهم . ومعنى ذلك ان في الانسان حاسة يعبرون عنها بالشعور المشترك او العام يشترك بها الانسان مع جليسه او محادثه بما يجول في خاطره من الاعتبارات او الملاحظات فيدرك موقع كلامه عنده فيتجنب الخوض في ما يسوءه اولا يلذ له . ولا يأتي عملاً لا موضع له في اعتبار ذلك الجليس . فاذا زارك ثقيل الروح وكنت مشغولاً لا يشعر انك تحب انصرافه واذا خاطبك بحديث لا يلذ لك لا يشعر بتململك من ذلك الحديث لان حاسة الشعور المشترك ضعيفة فيه . اما خفيف الروح فاذا زارك شعر من حركاتك او نظراتك اذا كنت مسروراً من تلك الزيارة حقيقة اوانك تقبلها رغم ارادتك فلا يطيلها . واذا حادثك لايختار من المواضيع الا ما يهمك ويراقب ما يكون من تأثير كلامه على اعصابك ويجري بحديثه على ما يلذ لك فيختصر عند الحاجة الى الاختصار ويطيل اذا آنس في الاطالة راحة لك . ولا ذنب للثقيل لضعف تلك الحاسة فيه ولو اراد تكلفها وقع في ما هو شر من ذلك لان تكلف اللطف لا يخلو من الثقل

مطبوعات جديدة

نظام القضاء والادارة : هو مجموعة تشتمل على النظامات القضائية والادارية والمالية والسياسية في القطر المصري تأليف عزتلو احمد قمحة بك وكيل مدرسة الحقوق الخديوية في ٣٥٠ صفحة كبيرة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً واجرة البريد غرشان

الريحانيات : صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مجموع مقالات وخطب وشعر منثور لامين افندي ريحاني ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

الصحايف السود : هي مجموع مقالات سياسية واجتماعية لولي الدين بك يكن الكاتب الشاعر المعروف ضمنها انتقاد بعض ما يقع في معترك هذه الحياة . وصدَّر بعضها بمقاطيع من نظمه وهي تطلب من مكتبتي الهلال والتأليف وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد نصف غرش

The Persian revolution : هو كتاب بالانكليزية في الانقلاب الفارسي لمؤلفه المستشرق الدكتور ادوارد براون استاذ الفارسية في جامعة كمبريدج . وهو اوثق الثقات في احوال فارس . وله اهتمام خاص بالامة الفارسية واحوالها وآدابها حتى الف كتاباً ضخماً في تاريخها الادبي او تاريخ آدابها وعلومها صدر منه مجلدان كبيران . وبين ايدينا الآن كتابٌ واف في تاريخ انقلابها الاخير من سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٩ يدخل في ٥٠٠ صفحة كبيرة جاء فيه على تفاصيل عظيمة الاهمية تهمُّ القراء على العموم والفرس على الخصوص وزينه بالرسوم المتقنة

خطوط عربية في متحف ريلاندس : في منشستر متحف على اسم صاحبه ريلاندس فيه قطع بابيروس عليها كتابة عربية من القرن الثاني للهجرة فما بعده قد عهد الى الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير في حل رموزها وهي متهرئة ناقصة . فقرأ عدداً منها وبعث الينا بشيء مما قرأه فادهشنا اقتداره على حل تلك الرموز . واقدمها كتاب من موسى بن ابي عطاء صاحب بيت مال مصر سنة ١٢٥ هـ والكتاب مؤرخ سنة ١٢٧ هـ

التوضيح والبيان عن شعر النابغة : هو شرح وايضاح لاشعار نابغة ذبيان او هو شرح ديوان النابغة لاحد افاضل العصر لم يذكر اسمه . وقد طبع بنفقة مكتبة الرشاد بمصر ويطلب منها

خديجة ام المؤمنين : هو كتاب تاريخي اجتماعي يتضمن سيرة خديجة زوج النبي صاحب الشريعة الاسلامية تأليف السيد عبد الحميد افندي الزهراوي نائب حماه في مجلس المبعوثان ويطلب من ادارة المنار بمصر وثمن النسخة اربعة غروش والبريد غرش

النسائيات : هي مجموع مقالات نشرت في الجريدة في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة في البادية » وهو توقيع مستعار صاحبته السيدة ملكة ابنة حفني بك ناصف وهي من نوابغ النساء في الكتابة والانشاء . والكتاب يطلب من ادارة الجريدة

دروس التاريخ الاسلامي : صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه الشيخ محي الدين افندي الخياط في بيروت ويشتمل على مجمل تاريخ دولة الخلفاء الراشدين . وهو كتاب مدرسي جزيل الفائدة ولذلك فقد تقرر نقله الى اللغة التركية ليدرس في المدارس العثمانية ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت وثمن الجزء غرش وربع

نهضة الاسد او الثورة الفرنساوية : صدر الجزآن الثالث والرابع من الطبعة الثانية لهذا الكتاب على نفقة مطبعة المعارف وهو يطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش والبريد غرش

البرهان الصريح في بشاير النبي والمسيح : هو بحث ديني تاريخي لغوي لحضرة احمد افندي الترجمان وقد تولى تحريره وترجمة آياته من الاصل العبراني محمد افندي حبيب بمساعدة عالمين اسرائيليين ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرش ونصف

الزهري : كتاب طبي صحي يبحث في امراض الشبان السرية واسبابها ونتائجها واعراضها وعلاجها وطرق الوقاية منها . وفيه ملحق جمع كثيراً من التذاكر الطبية . والكتاب مترجم عن الفرنساوية ولكن المترجم لم يذكر اسمه ولا اسم المؤلف وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية غروش

Areas planted in cotton : هو احصاء رسمي من قسم المساحة التابع لنظارة المالية المصرية يشتمل على احصاآت عن البقاع المزروعة قطناً في القطر المصري لسنة ١٩٠٩ باللغة الانكليزية ويطلب من قسم المساحة وثمنه ١٥ غرشاً والبريد غرشان

ديوان الياس صالح اللاذقي : كتاب حوى اشعار المرحوم الياس صالح اللاذقي المتوفي سنة ١٨٨٥ وما قيل فيه من الرثاء والتأبين وهو غير المأسوف عليه الياس صالح البيروتي الذي نعيناه في السنة الثالثة من الهلال . واللاذقي المذكور مآثر شعرية حسنة منها نظم المزامير وهذا الديوان وهو يطلب من يوسف افندي صالح باللاذقية

قايمة مكتبة الهلال : صدرت قايمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١١ وترسل مجاناً لمن يطلبها

المورد الصافي : صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب ويشتمل على مختارات من الخطب والمقالات والاشعار والافكار في التربية العصرية والتهذيب . لمؤلفه جرجس افندي الخوري المقدسي وثمن الجزء فرنك ونصف والبريد ربع فرنك . ويطلب من المؤلف في المدرسة الكلية ببيروت

الاهالي : جريدة سياسية يومية تصدر في الاسكندرية لمدير سياستها عبد القادر افندي حمزه ومدير ادارتها سني افندي القاني وتنشرها شركة الطبع والنشر الاهلية . بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً بالقطر المصري و١٨٠ في الخارج

صحيفة دار العلوم : هي مجموعة دورية تنشر خطب نادي دار العلوم ومحاضراته وما تقرر الجمعية العلمية نشره وهي الان في سنتها الثانية

لمحة تاريخية في استقلال لبنان : هو بحث تاريخي في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني الى الان لمؤلفه الشيخ فيلبب قعدان الخازن وقد بناه على الكتب الرسمية وعلى ثقات المؤرخين

الدرة اليتيمة : هي رسالة في الادب والاخلاق لامام المنشئين عبد الله بن المقفع وقد صدرت طبعتها الخامسة في مطبعة الرغائب بمصر وتطلب منها

كتاب الامم : وهو كتاب القسم في ما بين الامم وبهامشه مسائل لاجل المناظرة في المدارس للقس ولبركرنس الاميركاني ونقلها الى العربية القس بشاره البارودي وتطلب من مطبعة الاميركان في بيروت

الكنايس الشرقية في فلسطين : هو كتاب تاريخي تأليف الفونس دالونصو صدر الجزء الاول منه ويطلب من المؤلف في القدس وثمنه ٤ غروش غير البريد

الكواكب : هي مجموعة روايات وادبيات وفكاهات بقلم علي افندي عنايت اعلن انه سينشرها اجزاء متتابعة وقد صدر الجزء الاول منها وثمن النسخة ثلاثة غروش

السر الثمين او الرجل الغريب : هي رواية ادبية تاريخية لعلي افندي عنايت ايضاً وقد عربها عن الانكليزية وتطلب من حضرته

نفحات الوردتين : مجموع الفصول والمقالات والحكم للكاتبتين المرحومتين انيسة وعفيفة الشرتوني كريمتي الشيخ سعيد الشرتوني طبعت بنفقة الخواجه مخائيل الشرتوني

مفاسد شهادة الزور : هي رسالة في تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور تأليف احمد افندي عمر المحمصاني طبعت بنفقة الحاج مصطفى الغندور في بيروت وتطلب منه

آثار مصرية : هي رسالة بالفرنساوية لمحمد افندي شعبان وصف بها تمثالاً

مصرياً عثر عليه في تل النبله وقرا ما عليه من الكتابة الهيروغليفية

مكتبة الجامعة المصرية : جاءنا الجزآن الثالث والرابع للسنة الاولى من مكتبة الجامعة المصرية وفيه اسماء الكتب الافرنجية التي وردت اليها في مارس وابريل وعدد الكتب التي حواها هذان الجزآن ٣٥٠ كتاباً

خريطتان : اهدانا حضرة عبده افندي عيد ناظر مدرسة الاتحاد الوطني ببولاق خريطتين مدرسيتين احداهما خريطة حوض النيل وبلاد العرب والاخرى خريطة القطر المصري رسم وهبه افندي عبد الله مدرس الرسم والجغرافية بالمدرسة المذكورة

تاريخ آداب اللغة العربية

ملحق السنة الماضية من الهلال

قلنا في الهلال الاخير من السنة الماضية ان ملحقها هو كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » واعتذرنا عن صدوره في آخر تلك السنة مع الهلال العاشر — على جاري العادة في صدور الملاحق — باضطرارنا الى مراجعة بعض المكاتب في سوريا وغيرها . ووعدنا باصداره في هذا الخريف . فلما صدر الهلال الاول من هذه السنة بدون ملحق انهالت علينا كتب المشتركين يطالبوننا به . فنخبر حضراتهم ان الملحق المشار اليه لا يتم طبعه ونشره قبل اوائل الربيع القادم لاسباب اقتضاها استيفاء الموضوع والتدقيق فيه لان تاريخ آداب اللغة العربية من اصعب المواضيع واوسعها

وقد تبين لنا بعد الاشتغال في كتابته انه يستغرق ثلاثة مجلدات بحجم تاريخ العرب قبل الاسلام يصدر الجزء الأول منه في اوائل الربيع القادم وهو ملحق السنة الماضية (١٨) ويصدر الجزء الثاني مع العدد الاخير من هذه السنة (١٩) وهو ملحقها . ويبقى الجزء الثالث ملحقاً للسنة القادمة (٢٠) ان شاء الله

ونتقدم الى حضرات المشتركين ان يعذرونا على هذا التأخير وهي اول مرة اخلفنا وعدنا معهم . ولم نفعل ذلك الا رغبة في التدقيق والضبط لنوفي الموضوع حقه والله ولي التوفيق

الهلال

الجزء الثالث من السنة التاسعة عشرة

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١٠ و٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٨



اشهر الحوادث واعظم الرجال

حيدر علي خان

بطل الهند في القرن الثامن عشر

ولد سنة ١٧٢٠ وتوفي سنة ١٧٨٢

نرى كتب المؤرخين الغربيين مملوءة بسير رجالهم الذين اشتهروا بالسياسة أو الادارة أو القيادة ينشرونها بين ايدي الامة لاستحثاث ابنائها على الاقتداء باسلافهم كل على مقتضى مواهبه وامياله . فيطلع الشرقي على سير اولئك الرجال ويأسف لخلو كتبنا من سير رجال الشرق مع كثرتهم . وفي تاريخ العرب وخصوصاً في صدر الاسلام مئات من الرجال العظام في السياسة والحرب فضلاً عن العلم والادب والشعر . ولكننا لم نوفهم حقهم من الدرس بالمقابلة مع مشاهير الغرب . ولو فعلنا لتبين لنا ان الشرقي كان لا يزال الى اليوم في استعداد لمجاراة ارقى الامم واسبقها في المدنية

على اننا لم نأل جهداً بنشر تراجم مشاهير المشارقة في الهلال . وقد جمعنا تراجم اهل القرن التاسع عشر في مجلدين كبيرين . وهناك رجال تقدموا ذلك القرن ترجمنا منهم

نادر شاه القائد الفارسي الفاتح المعروف بنابوليون الشرق . واكبر خان مؤسس دولة المغول في الهند وغيرهما . ونحن مترجمون هنا حيدر علي خان بطل الهند في القرن الثامن عشر وغالب جند الانكليز فيها ، ارتقى بمواهبه الحربية والسياسية حتى صار قائداً واسس دولة في مملكة ميسور

ميسور

ميسور مملكة من ممالك الهند المستقلة في جنوبي بلاد الهند تحيط بها املاك انكلترا من كل ناحية مساحتها ٢٧٧٢٣ ميلا مربعاً اكثرها سهول خصبة وفيها جبال يبلغ ارتفاع بعضها الى ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وهي تقسم من حيث طبيعتها من هذا القبيل الى قسمين احدهما جبليٌ في الغرب ويسمى الملناد . والثاني منبسط في الشرق ويقال له الميدان وهو الاكبر . وفيها من المحصولات النباتية الرز والبن والقطن والكوكو والحنطة وقصب السكر والتبغ والفلفل والصندل وقد ادخلوا اليها زراعة السنكونا وغيرها . وفيها من المعامل الكبرى معامل لصهر الحديد واستخراج الذهب والصياغة وحياكة السجاد ونسج القطن والحرير . مقدار دخلها السنوي نحو ١٧٠٠٠٠٠ روبية وعدد سكانها حسب احصاء عام ١٨٩١ نحو ٤٩٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من الهنود البراهمة وفيهم المسلمون والنصارى

اكبر مدن مملكة ميسور مدينة بنكالور وهي عاصمتها اليوم وسكانها نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس . ثم مدينة ميسور وسكانها ٣٠٠٠٠ — وكانت مدينة ميسور عاصمة المملكة الى سنة ١٨٣١ فانتقلت الى بنكالور تليهما شيموغا وكولار وغيرهما . وفي هذه المملكة نحو الف مدرسة للحكومة وضعف هذا العدد من المدارس للاهالي والحكومة تساعدها وعدد التلامذة نحو ٥٠٠٠٠ تلميذ . وفيها عشرون مستشفى .

وتاريخ ميسور قديم والقسم الشمالي منها اقدم تاريخاً من الجنوبي فقد تولت حكومته عائلة كدمبا وكانت عاصمتها بناواسي على ما ذكره بطليموس . وتوالى ملوك هذه العائلة على ميسور نحو اربعة عشر قرناً ثم انحلت دولتهم الى مقاطعات امتلكها قوم يعرفون بالشلوقية . واما القسم الجنوبي من ميسور فحكمته عائلة الشيراس وكانت معاصرة للكدمبا حتى عاهم الحلاس في القرن الثامن للميلاد . ثم صارت الى مقاطعات . وفي القرن الثاني عشر تغلب على ميسور جماعة البلالاس وهم شعب شديد الوطأ في الحروب حكموها قرناً وبعض القرن . وفي سنة ١٣١٠م تغلب عليهم الالا احد قواد علاء الدين . وبعد بضعة عشر عاماً افتتح هذه البلاد محمد طغلاق ملك دهلي وتوالت عليها الحروب والفتن وحكمها



مهراجا كريشنا راجا امير ميسور الحالي

عدة ملوك من البراهمة الى اواسط القرن السادس عشر اذ تحالفت الممالك الاسلامية في الهند وتغلبت على آخر الملوك الهنود «راجارام» في واقعة كليكوت وكان ذلك آخر العهد بتلك العائلة وافضى الامر الى استقلال بعض المقاطعات تحت سلطة امراء يسمونهم بلغة الهند «واديار» اي سيد اعظمهم واديار ميسور استولى على قلعة سرنكاباتام سنة ١٦١٠ ومنه العائلة الحاكمة الآن واميرها الحالي اسمه مهراجا كريشنا راجا هذا رسمه

وفي اثناء سيادة اسرة واديار على ميسور ظهر حيدر علي خان الذي نحن في صدده فغلب عليها واسس دولة كانت اكبر مقاوم لسلطة الانكليز في الهند كلها لم يطل عمرها فانقضت بانقضاء حياة تيبو بن حيدر علي المذكور وعادت الى امراء واديار

حيدر علي خان

اصل اسرته من بنجاب في اعالي الهند فنزل بعض اجداده الى كلبرغا في الجنوب وكان من زهاد المسلمين المعروفين في الهند بالفقراء . فاقام جدهُ هناك واعقب اولاداً واحفاداً منهم والد صاحب الترجمة وكان قائداً على الف فارس في جند المغول اصحاب الدولة على الهند في ذلك العهد وتزوج امرأة عربية فولدت له حيدر علي سنة ١٧٢٠ في حصن كان يقيم فيه اسمه ديوانلي بين كولار واوسكوتا من اعمال ميسور . فزاده الدم العربي حماسة وانفة وشب على ظهور الخيل فكان يقضي اكثر ايامه راكباً في طلب الصيد والقنص لايهمه من مطالب الحياة غير التمتع بملذاتها . ولما بلغ العشرين من عمره ولاه ابوه قيادة فرقة من فرسانه فاشتهر بين اقرانه بالفروسية والشجاعة . واتفق ان صاحب ميسور كان في حرب مع المهراتة اعداء الحكومة . فكان حيدر علي عوناً كبيراً لهُ فهزم المهراتة ونجى صاحب ميسور من الموت والعار فقربه اليه وجعله قائد جنده سنة ١٧٤٩

ولا ينجو الفائز من حاسد فشق فوز حيدر علي وزير امير ميسور وهو من البراهمة

واسمه كانبرو كان الامير يحبه ويحترمه ولكن الحسد غلب على عقل الوزير واضاع رشده، ولم يبق له هم غير خفض حيدر عن المنزلة التي بلغ اليها فواطأ اعداء ميسور عليها ووعدهم ان يساعدهم على تسليم المملكة اليهم نكاية في حيدر . واوشك ذلك الخائن ان يفلح لو لم يطلع حيدر على الدسيسة ثم تلافى في انقاذ الامير نفسه من ايدي الاعداء بعد ان كادوا يقتلونه واسرع الى عاصمة ميسور فقبض على الوزير وحبسه في قفص من حديد وسمى نفسه وزير المملكة او الوصي عليها لان الامير كان قاصراً

فلما صارت اليه الوزارة وتنبهت مواهبه السياسية فاخذ يشتغل باصلاح تلك المملكة وبدأ بالمالية ثم عكف على اصلاح ذات البين مع الامراء المجاورين وجعلهم يعيدون الى ميسور البقاع التي كانوا قد اختلسوها بغير الحق على عهد الوزير السابق . وكان في جملة اعداء مملكة ميسور قبائل البطانية وهم قوم اشداء كانت الامة تخافهم فحاربهم حيدر وغلبهم على ما في ايديهم فازداد شهرة فخالفه بزالترنغ ملك ادونيا على مقاومة المهراتة فذاع صيته واصبح اسمه فزاعة لاعدائه فقضى في تلك القيادة والحروب المتوالية بضع عشرة سنة وهو يزداد نفوذاً وسطوة حتى صار النفوذ اليه ولم يبق للمهراجا (الامير) غير الاسم . واما الفعل في الحكومة والقيادة فله

وفي سنة ١٧٦٣ جرد لمحاربة والدة كنارا وهي اميرة هندية على مملكة بجوار ميسور وكانت قد طمعت في ابنها وابقت وصايتها عليه بعد ان بلغ رشده والجند يساعدها عليه . فزحف حيدر لنصرته واعاد اليه السلطة ثم علم ان هذا الامير يسعى في دسيسة ضده او لعله انتحل ذلك السبب ليسوغ لنفسه سلب مملكته فحبسه ووضع يده على مملكته واستولى على الذخائر والاموال في بدنور وعزم على ان يجعل هذه المدينة اجل عواصم الهند باسمه . وكان اسمه حيدر نايق فسمى نفسه حيدر علي خان بهادر وفي سنة ١٧٦٥ حارب المهراتة ايضاً وبدد شمل جند المالباريين وفتح كاليكوت (غير كلكتة) واحرق ملكها في بيته وكان اسمه زامورين

وكانت الهند يومئذ قد دخلت في سيطرة انكلترا وأذعنت لها اكثر ممالكها لكنها لم تتوثق من مركزها بعد . فلما بلغها ما اتاه حيدر علي خان من الفتوح وما ناله من الشهرة الواسعة خافت ان يقوى عليها فخابرت سنة ١٧٦٦ حكومة النظام صاحب مدراس ان يحافظ على البلاد الشمالية التي تعرف بسركار وتعهدت له بتقديم الجند للاستعانة على كبح ذلك العدو الذي يهددهما . فلم يكن ذلك ليخيف حيدر علي خان فانه بدد شمل الجيشين فعاد الانكليز على اعقابهم بقيادة الكولونل سميث سنة ١٧٦٧

فعادت انكلترا التأهب لمحاربته ومعها صاحب مدراس . واغتنم المهراتة تلك الفرصة ونهضوا عليه مع الناهضين وزاد الطين بلة ان اخاه نظام علي - وكان من جملة قواده - خانه وواطأ الاعداء عليه فوقع حيدر علي في حيرة لايدري ايبقى في عاصمته خوفاً من خيانة اخيه اذا برحها ام يخرج الى صاحب مدراس او الى قبائل المهراتة او الى الانكليز . وفي هذه الاحوال الحرجة ظهرت مواهب ذلك القائد العظيم فعمد الى مهادنة المهراتة فهادنوه وانصرف الى مقاومة الانكليز لان صاحب مدراس كان لا يزال بعيداً . فثبت حيدر في وجه الانكليز ثبات الجبال وهم جند منظم مدرب وعندهم احدث طرز من الاسلحة . وحيدر عدته بسالته وثقة رجاله فيه . وطالت الحرب بينه وبينهم سنتين (من سنة ١٧٦٧ — ١٧٦٩) وانتهت نهاية لم يوفق اليها قائد هندي ولا سبق لها مثيل منذ نزل الاوربيون بلاد الهند . فانها اول حرب جرت بين الانكليز والهنود اضطر الانكليز فيها الى المصالحة فعقدوا معاهدة في ٤ ابريل سنة ١٧٦٩ لم ير الانكليز بدًّا من القبول بما عرضه حيدر . وكان في جملة الشروط تبادل المساعدة بينهما في الدفاع

فعظم شأن حيدر علي خان بذلك الفوز . لكنه اضطر سنة ١٧٧٠ الى محاربة المهراتة وكانوا قد اجتمعوا عليه بقوة تخاربهم واحس بثقل وطأتهم حتى انهزم منهم . فخابر انكلترا سنة ١٧٧٢ وطلب نصرتها حسب نص المعاهدة بينهما فابت مساعدته فشق عليه نكثها العهود . وكأنها لما عاهدته ارادت ان تستفيد من نصرته عند الحاجة لا ان تنصره فغضب غضباً لامزيد عليه وامتلأت نفسه كرهاً وظمىء للانتقام . فتوالت الايام ودارت الدائرة فانقلبت الآية سنة ١٧٧٨ اذ شهر الانكليز حرباً على الفرنساويين لاخراجهم من الهند فآن له الانتقام ولكنه لبث يترقب حجة ينهض بها على الانكليز . فلما استولوا على « ماهي » في سواحل مالبار سنة ١٧٧٩ وضموا اليها ارضاً لبعض ولاته حمل على الانكليز بجنده من فرسانه الاشداء وكان قد استرجع كل البلاد التي اخذها منه المهراتة وقد اتسعت مملكته حتى اتصلت بكستنا . فاستنجد الفرنساويين على الانكليز او انجدهم عليهم . ومازال زاحفاً برجاله وهو يكتسح مافي طريقه فيحرق القرى ويهدم المنازل ويسبي النساء والاولاد حتى بلغ كونجفرام وهي على ٤٥ ميلاً فقط من مدراس ولم يلق معارضاً

فخاف الانكليز سطوة ذلك الهندي فجمعوا قواتهم من سائر انحاء الهند واستقدموا دوارعهم في البحر . وقد ظفر حيدر في غير موقعة ومعه ابنه تيبو صاحب . واخترق سنة ١٧٨١ بلاد طنجاور وتقدم نحو تريتشنالي على مقربة من الانكليز وهم تحت قيادة الجنرال كوت . فغلب حيدر علي قرب بورتونوفو . وكان ذلك اليوم من الايام الممتازة

في التاريخ مثل يوم بواتيه بين شارل مارتل وعبد الرحمن الغافقي ويوم واترلو بين ولنتون ونابليون لان عليه توقف مستقبل الامم الاوربية في الهند . ولو كان الفوز لحيدرعلي في تلك الواقعة كما كان لشارل مارتل قرب بواتيه لكانت الضربة القاضية على الاوربيين في الهند . ولكن الانكليز غلبوه في بورتونوفو وفي معركة اخرى قرب فيلور وابنهُ يناضل عنهُ في اماكن اخرى . وانجده الفرنساويون بفرقة من جندهم فسار بها الى الشواطئ الحمراء قرب بونديشري

وجرت الحرب سجالاً بضعة اشهر لم يتقرر الفوز لاحد من الجانبين . ولبث الانكليز ينتظرون الفصل المناسب للحرب . وهم في ذلك جاءهم النبأ بموت عدوهم القاهر في ٩ نوفبر سنة ١٧٨٢ في معسكره قرب شيتور ونقل سرًّا الى كولار ودفن فيها وبموته قطعت جهيزة قول كل خطيب ورسخت قدم الانكليز في الهند من ذلك الحين



موكب المهراجا كريشنا جارا أمير ميسور

⁂ صفاته ⁂ لم يكن حيدر جميل الخلقة كما ترى من صورته في صدر هذا الهلال فقد كان عريض الوجه افطس الانف كبير الحاجبين ولكنه كان كبير النفس كبير المطامع ويشكو الانكليز من قساوته في معاملة اسراه او اعدائه . ويقال انه كان قوي العارضة حاضر البديهة حتى ذكروا انه كان يسمع تلاوة كتاب وارد عليه ويملي على كاتبه جواب كتاب آخر في وقت واحد وهو مع ذلك يشتغل بحل مسائل اخرى هامة

حوران

جغرافيتها وتاريخها وآثارها وعادات اهلها واخلاقهم

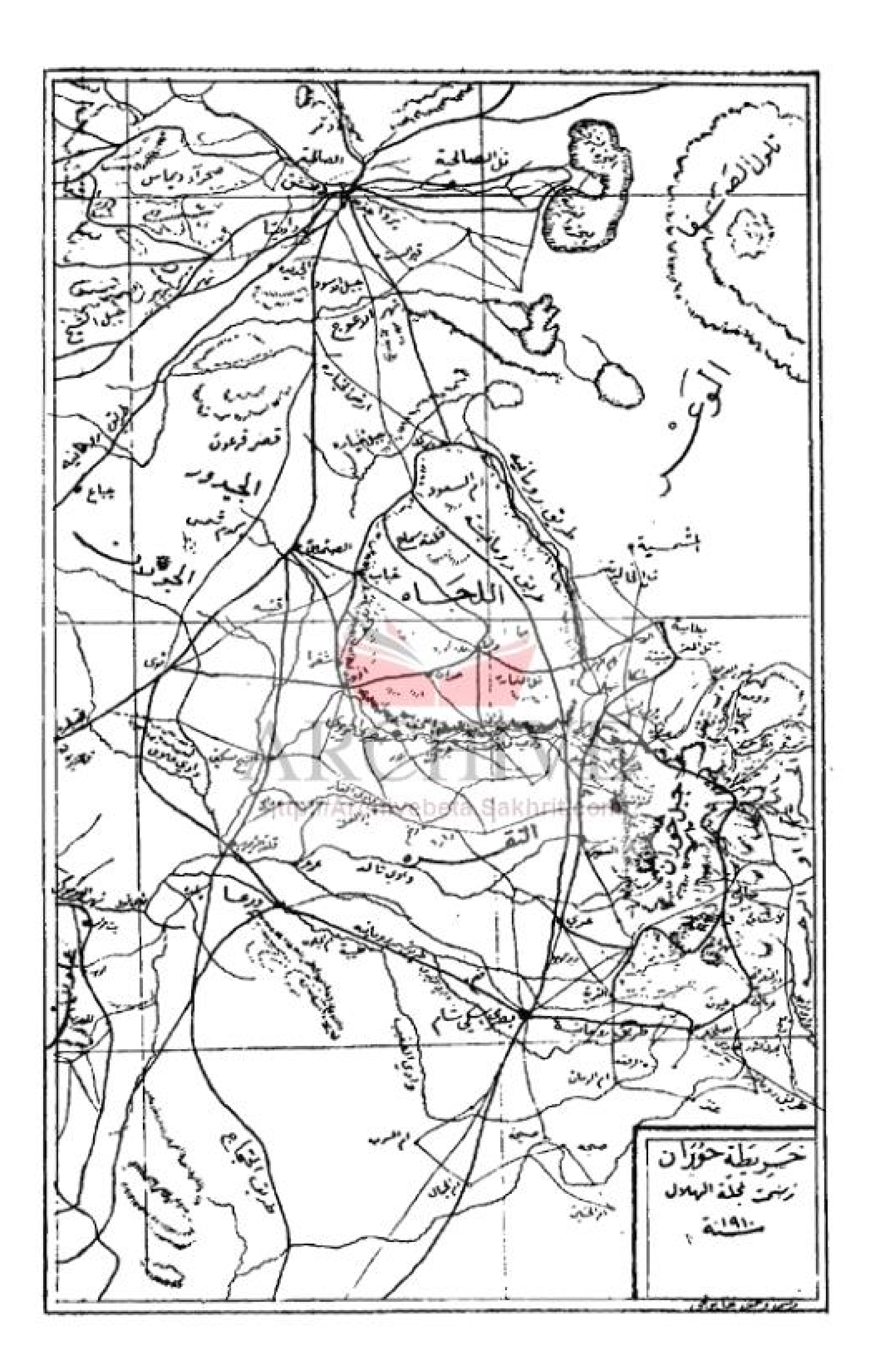
شغلت الصحف العربية أعمدتها في أثناء الصيف الماضي بحوادث جبل حوران ودروزه وتجريد الدولة لاخضاعهم وباتت الانظار متجهة الى ما عساه ان يكون من عواقب تلك الحملة . فلم ينقض نوفمبر الماضي حتى اخلد القوم الى السكينة وعادوا الى كنف الدولة وانتظموا في جندها . فرأينا ان نأتي على وصف حوران وجبلها وتاريخها وآثارها وطبائع اهلها وعاداتهم على عادتنا في مثل هذه الحال

جغرافيتها

أقسامها الطبيعية

حوران لواء من الولاية سوريا واقع في جنوبي دمشق يحده من الشمال وادي العجم على عشرين ميلاً من دمشق ومن الغرب سكة حديد الحجاز ومن الشرق الجنوبي بادية الشام كانت قصبته قرية الشيخ مسكين في نحو اواسطه يقيم فيها متصرفه . وكانت القصبة قبلاً قرية الشيخ سعد وستصير بعد هذه الحملة بلدة درعا لان الحملة نزلت فيها

وتقسم حوران من حيث مواقعها الطبيعية الى ثلاثة اقسام . اللجاه والنقرة وجبل الدروز . وتتميز هذه الاقسام بعضها عن بعض بأشكالها الطبيعية : فاللجاه واقع في الشمال وهو سهل مرتفع ارضه صخرية بركانية تسميه التوراة « ارغوب » ويدعوه اليونان « تراخونيتس » مساحته ٣٥ ميلاً مربعاً يرتفع عن البقاع المحيطة به نحو سبعة امتار أطرافه وعرة وغير منتظمة يصعب دخولها على الراكب والماشي لخشونة الارض كانهم بذروا فيها حسك الحديد وانما يتنقلون من القرى بعضها الى بعض في طرق منحوتة في الصخر . منظره هائل لا مثيل له بوعورته وسواده وبما فيه من آثار البراكين في اثناء تكونه فان الحمم البركانية تجمدت في بعض انحائه على غير نظام فتكون منها حفر خشنة وتلال شائكة بينها كهوف وشقوق يأوي اليها الاشقياء واللصوص . ومع ذلك فان اللجاه كان في


خريطة حوران
رسمت لمجلة الهلال
سنة ١٩١٠
اللجاه
الجيدور
قصر فرعون
الصالحية
تل الصالحية
درعا

التاريخ القديم آهلاً بالمدن والقرى مما لاتزال آثاره باقية الى اليوم

النقرة : هي حوران الاصلية ويؤيد ذلك ان اسمها عند اليونان « أورانيتس » وهي أغنى بلاد حوران على الاطلاق لانها سهل واسع خصب التربة فيه تنبت الحنطة الحورانية المشهورة التي تصدر من حوران الى كل الجهات وكان الصادر منها يحمل على الجمال الى عكا وحيفا فيصل اليهما بضعة آلاف جمل محملة حنطة في كل اسبوع في اثناء الموسم . وصارت تنقل الآن بالخط الحديدي . وكانت النقرة عامرة آهلة وترى آثار العمارة فيها حيثما توجهت من بقايا البيوت او المعابد ونحوها واكثر اهلها الآن مسلمون

جبل الدروز : وهو جبل معظم سكانه او كلهم من الدروز ومعهم بعض البدو يقيمون في الاحراج يرعون ماشية الدروز والجبل واقع في شرقي حوران ويسمى في التوراة جبل باشان واليونان كانوا يسمونه باتانيا . تربته خصبة وان كانت كثيرة الصخور وفي بعض اطرافه مناظر طبيعية جميلة وسنعود الى الكلام فيه

الحراء : ووراء جبل الدروز شرقاً صحراء مملوءة بالخرائب من آثار القلاع والمدافن تسمى الحراء كانت مضارب آل غسان قبل الاسلام ولاتزال آثارهم باقية هناك

اقسامها الادارية

وتقسم حوران بحسب نظامها الاداري الى خمسة اقضية تحتها قرى ونواح ومزارع وهذه اسماء الاقضية وما تحتها حسب الاحصاء الرسمي سنة ١٣١٣ هـ

اسم القضاء	قصبته	عدد قراه	عدد نواحيه	عدد مزارعه
مركز الولاية	الشيخ مسكين	٥٢	٣	٠٠
القنيطرة	القنيطرة	٤١	١	٥١
بصرى الحريري	بصرى الحريري	٣٦	٠٠	٠٠
درعا	درعا	٣١	١	٠٠
جبل الدروز	السويده	٥٨	٦	٠٠
عجلون	عجلون	١٢٠	١	٠٠
الجملة		٣٣٨	١٢	٥١

والنواحي التابعة لمركز الولاية غباغب وجاسم والشيخ مسكين . وفي القنيطرة ناحية مجدل شمس . وفي قضاء درعا ناحية بصرى اسكي شام . وفي جبل الدروز ست نواح وهي عاهرة وصلخد وعرمان ومجدل واسليم والنويده وقد حصل بعض التغيير في تقسيم حوران بعد ما تقدم

سكان هذا اللواء اخلاط من المسلمين السنيين والمسيحيين (روم وكاثوليك وبرونستانت) وبدو ودروز وعددهم جميعاً نحو مئة الف نفس وهو تقدير اجمالي لا يمكن تحقيقه وفي حوران محاصيل كثيرة اهمها الحبوب بانواعها والكرم والتين في جبل الدروز والحطب في عجلون لانها كثيرة الغابات والمظنون ان في عجلون منجماً من الفحم الحجري وفي المزيريب منجماً من البترول

تاريخها

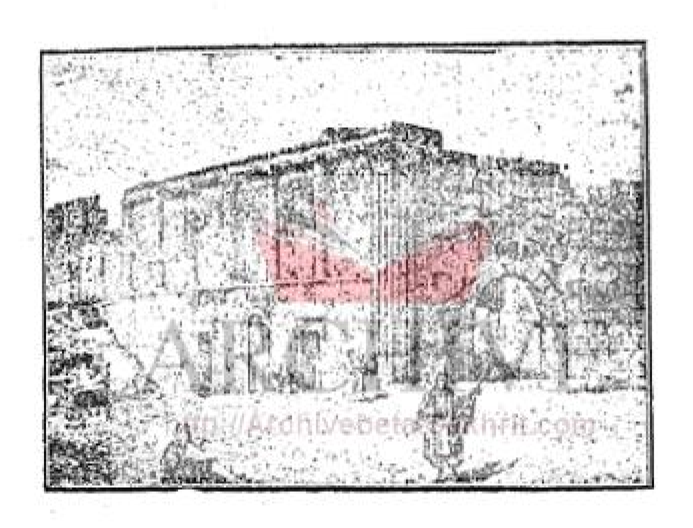
في عهد الروم

حوران من البلاد التي عمرت قديماً فقد جاء ذكرها في التوراة وكانت من اعمال فلسطين . ذكرها حزقيال النبي وهو يصف تخوم ارض الميعاد من الشمال ثم دخلت في حوزة اليونان واصابها من تقلبات السياسة ما اصاب سائر سوريا على عهـد السلوقيين والرومان ودخلت حيناً من الزمن في سيطرة الانباط اصحاب بطرا . ولكل من هذه الدول اثار منقوشة على أطلالها . وكان اليونان يسمون كل قسم من اقسامها الطبيعية باسم خاص . فكانوا يسمون النقرة اورانيتس واللجاه تراخونيتس وجبل الدروز باتانيا كما تقدم والجولان جولانيتس . وقد ذكرها مؤرخوهم وكتابهم وكانت قصبتها عندهم مدينة بصرى التي تعرف الان باسكي شام وظلت عاصمتها في ايام الانباط والغساسنة

بصرى

هي غير بصرى الحريري واقعة على مسافة ٩٠ كيلومتراً من دمشق جنوباً شرقيـاً و ١٣٠ كيلومتراً من بيت المقدس شمالاً شرقيًا وقد عاصرت دول اليهود واليونان والروم وهي مربعة الشكل تقريباً مالئـة بقعة كبيرة من الارض المنبسطة حولها سور يزيد محيطه على اربعة اميال تحدق به البساتين والاشجار واحواض يجمع فيها الماء في الشتاء

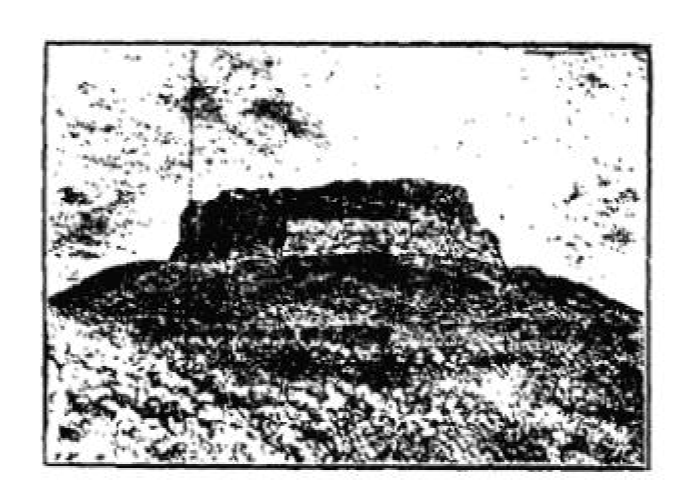
اكثر ابنيتها من الحجارة الحورانية السوداء وكانت آهلة بالتجار والصناع من امم مختلفة . وبالقرب منها كان دير بحيراء الراهب الذي كان القرشيون ينزلون عنده في اسفارهم التجارية بين مكة ودمشق . وكان هناك صومعة لذلك الراهب ذكروا انها كانت مؤلفة من خمسة احجار اربعة للجدران وواحد للسقف والباب احد هذه الجدران يفتح ويغلق بسهولة مثل سائر ابنية حوران — فان اجنحة ابواب الابنية ونوافذها وعتباتها كلها من الحجر الصلد لقلة الخشب عندهم



قصر في بصرى

ولا تزال آثار بصرى باقية هناك الى هذه الغاية وقد تعهدها غير واحد من رجال الرحلة الافرنج ووصفوها مطولاً وترى في هذا الشكل صورة قصر من قصورها

وصلخد من اهم قرى جبل حوران وهي مشهورة على الخصوص بقلعتها المشيدة على قمة جبل مخروطي الشكل تشرف على اهم بلاد حوران وهي حصن منيع جداً . وفي هذه القلعة اكتشف بعض السياح اكتشافاً انار طريق الباحثين في مسألة كانت لا تزال غامضة نعني نقل الاثقال الكبيرة في زمن القدماء في بعلبك ومصر وغيرها — فوجدوا في تلك القلعة آلة من الحديد قد أكلها الصدأ ولكنهم استدلوا من شكلها انها لنقل الاحجار الضخمة وهي من نوع المخل او العتلة مركبة على اسلوب يساعد على رفع تلك الاثقال لا محل لوصفها هنا



قلعة صلخد

وفي صلخد وجدوا صنم اللات الذي كان يعبده العرب في هيكل لا يزال بابه واقفاً وعليه نقوش

حوران في عهد العرب

اول من استولى على حوران من الدول العربية الانباط اصحاب بطرا قبل تاريخ الميلاد . كان مقرّ هذه الدولة في الجنوب الشرقي من فلسطين ثم قويت شوكة الانباط وامتد سلطانهم واتسعت مملكتهم حتى شملت معظم شمالي جزيرة العرب ويدخل فيها مواب والبلقاء وحوران وشبه جزيرة سيناوارض مديان وأعالي الحجاز . واشهر المدن التي دخلت في حوزتهم بطرا وبصرى واذرع وعمان وجرش والكرك والشوبك وايلة والحجر (مدائن صالح) تشهد بذلك النقوش الكتابية التي عثروا عليها بلسانهم على انقاض تلك المدن ولا سيما في بطرا والحجر والعلاء وحبران وصلخد ومادبا وامتان والوادي المكتَّب في سينا

ثم دالت دولة الانباط وظهر التنوخيون من قضاعة كانت لهم دول في مشارف الشام والعراق وجاوًا الشام عند انحلال دولة الانباط فلعلهم ملكوا حوران في جملة ما ملكوه . على ان مدة حكمهم لم تطل فخلفهم فرع من قضاعة ايضا يعرف ببني سليح جاوًا مع التنوخيين . ثم كانت الدولة في بطن من بطونهم يقال لهم الضجاعمة ملكوا

مشارف الشام وحوران في جملتها . وقد ضاعت اخبارهم وآثارهم ولم يطل مقامهم حتى جاءهم الغساسنة وغلبوهم على امرهم واقاموا مقامهم كما هو مشهور . وقد فصلنا اخبارهم في كتابنا تاريخ العرب قبل الاسلام . وانما نقتصر هنا على ذكر ما خلفه الغساسنة من الآثار في حوران وما يليها

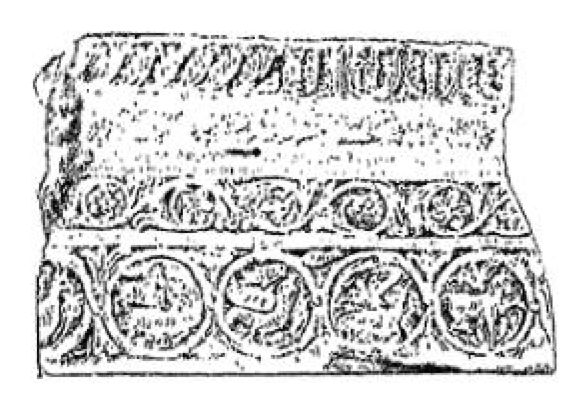


لما نزل آل غسان الشام خيموا في باديتها من جهة حوران ثم سكنوا البلقاء واذرح واتسعت مملكتهم باتساع سلطانهم فبلغت معظم اتساعها في ايام الحارث بن جبلة واولاده واصبحت كلمة الغسانيين نافذة في حوران وسائر مشارف الشام وفي تدمر وعلى سائر عرب سوريا وفلسطين ولبنان البدو الحضر . وشاد الغسانيون كثيراً من القصور والاديار وانشأوا المدن والقرى وبنوا القناطر واصلحوا الصهاريج . ومما ينسبون بناءه اليهم من المواضع او البلاد « قسطل » بالبلقاء، وفيها يقول كثير:

سقى الله حياً بالموقر دارهم   الى قسطل البلقاء ذات المحارب

ومنها اذرح من اعمال الشراة والجرباء بجانبها ويقال ان في اذرح كان امر

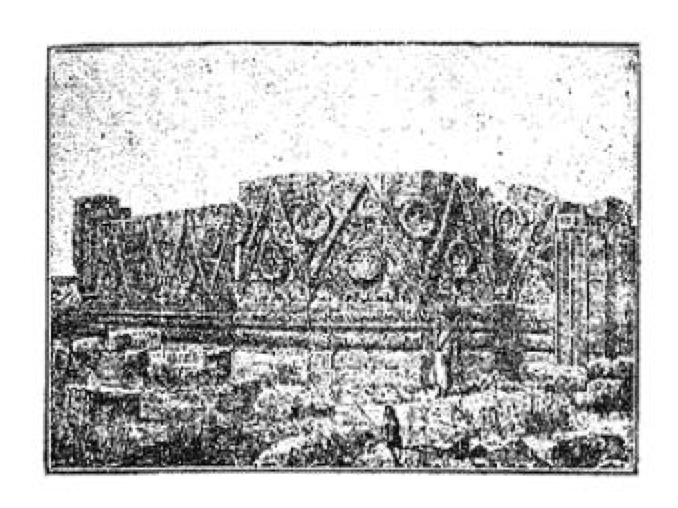
التحكيم بين ابي موسى الاشعري وعمرو بن العاص وشادوا نجران ومعان



من بقايا القصر الابيض

ومما ينسبونه اليهم من القصور صرح الغدير والقصر الابيض والقلعة الزرقاء وقصر المشتى وقصر الفضا وقصر منار وقصر السويداء وقصر بركة وقصر ابين وغيرها ومن الاديار دير حالي ودير الكهف ودير هنا ودير النبوة. ومن الابنية الاخرى القناطر وجسر عاملة واصلاح صهاريج الرصافة رصافة الشام . وذكر لهم العرب ابنية اخرى يصعب معرفة اما كنها لقلة العناية في التنقيب عن آثار هذه الدولة

واخر من عني بالتنقيب عن تلك الآثار الاستاذ دوسو الفرنساوي ارتاد جبال حوران ووعورها في اللجاه والحراء والرحبة وجبل الصفا واطلع على كثير من الآثار والانقاض فاستدل من ذلك على خط دفاع كان في اطراف حوران يفصل بينها وبين البادية . وهذا الخط كان مؤلفاً في الاصل من عدة حصون في جملتها القصر الابيض والنمارة ودير الكهف والقلعة الزرقاء وقد شاهد انقاضها فرأى القصر الابيض مبنياً في منبسط من الارض مربع الشكل حوله سور فيه برج عال . ووصف قصور النمارة ودير الكهف وغيرها كما شاهدها وليست كلها من بناء الغسانيين وان كنا لانعرف بانيها . وعلى كل حال فالقصر الابيض يمتاز عنها بنقوش جميلة فيها صور طيور وخيول وفهود واسود وبقر وافيال حتى السمك . وفيه شيء من الطرز الفارسي الساساني والمظنون ان الغسانيين بنوه في ظل الروم ليقيموا فيه على حدود البادية لدفع العرب المهاجمين .



بقايا قصر المشتى

أما بعد الاسلام فقد انتاب حوران ما انتاب غيرها من اعمال الشام وقد ذكرها وذكر بلادها ياقوت وابو الفداء وغيرهما ونبغ فيها طائفة من الادباء والفقهاء فالعمران كان متواصلاً في حوران وجبلها من ايام اليونان فالعرب قبل الاسلام ثم في ايام الاسلام

نزول الدروز حوران

أما الدروز فلم ينزلوا حوران الا منذ قرنين وبعض القرن جاؤها من لبنان على اثر استفحال امر التنوخيين الذين بطشوا بامراء لبنان . وأول من نزح منهم على مايقال بنو الحمدان فطاب لهم المقام هناك واعتصموا بالجبل ثم اصبح كل من غلب على أمره في لبنان او ضاق رزقه او طاردته الحكومة لجأ الى ذلك الجبل وخصوصاً في اثناء الحروب التي عرفت بالحروب القيسية واليمنية ثم نزح اليهم ايضاً من سائر طوائف الدروز في غير لبنان من وادي التيم وصفد وجوار دمشق وممن لجأ اليها موقتاً الامير بشير الشهابي والشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢١ فراراً من عبد الله باشا والي عكا

ولم يمض على نزول الدروز في ذلك الجبل زمن حتى تمكنوا فيه وغلبوا اهله عليه وتملكوه لانهم اقوى عنصراً من سكانه . وظهرت منهم بيوت وعصابات اشهرهم بنو الاطرش وبنو الحلبي و بنو عامر وناصر وعزام وغيرهم

فلما جاء ابراهيم باشا المصري الى سوريا سنة ١٨٣٢ اراد ان يملكهم في اللجاه فلم يطق جنده الوقوف امامهم فتقهقروا وقد قتل كثيرون من القواد فيهم محمد باشا

الفريق وحاول ابراهيم مرة اخرى ان يخضع أولئك الدروز فلقي منهم أشد مما لاقى قبلاً . فتركهم وشأنهم فاستفحل امرهم من ذلك الحين

ولما وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ المشومة هاجر الى حوران كثيرون من دروز لبنان فازدادوا عزًّا بهم ورأوا فساد الحكومة العثمانية فتمادوا في مطامعهم بل ربما كانت تلك الحكومة من جملة اسباب فسادهم فلم يبق لهم عمل غير السطو والغزو والحكومة تظهر انها تريد تأديبهم فتعود عنهم بالرشى فتزيدهم تمادياً حتى اصبحوا لا يبالون بالحكومة ولا قوتها فاذا جاءهم المأمورون وارادوا بهم شرًّا قتلوهم

فلما حصل الانقلاب العثماني لم يدركوا التغيير الذي جرى في الدولة فظلوا على غيهم فكان آخر ما ارتكبوه انهم غزوا جيراناً لهم من المسلمين والمسيحيين في قريتي معربة غصم فقتلوا نحو ستين قتيلاً فيهم اربع نساء بينهن والدة شيخ معربة وزوجته واخته ونهبوا القسم الاعظم من تلك القرى فلم تر الحكومة الدستورية بدًّا من وضع حد لهذه التعديات فانفذت حملة بقيادة سامي باشا الفاروقي في اوائل الصيف الماضي فما لبث ان ابان للقوم حزم الحكومة الدستورية وقوة عزمها حتى اذعن الدروز وعادوا الى كنف الدولة واخذ في تجنيدهم فصاروا عوناً لها كما صار الالبانيون قبلهم وهذا من جملة ثمار الاخلاص في خدمة مصلحة الدولة

وقد آن لنا ان نصف حال جبل الدروز على الخصوص

جبل حوران

كما هو الآن

وهو جبل الدروز وقد تقدم ذكره بين اقضية حوران ولكننا افردنا للكلام فيه باباً خاصاً لانه المراد الاصلي من هذه المقالة والوقائع الحربية جرت فيه او حواليه . يحده من الشمال اللجاه و بعض الوعر ومن الشرق الحراء او الرحبة ومن الغرب النقرة وبعض اللجاه ومن الجنوب البادية . وهو مستطيل الشكل فيه كثير من السهول الخصبة وبعضها اخصب من البقاع او الغوطة عاصمته السويده كما تقدم . وقد وقفنا على وصف هذا الجبل في مقالة ضافية لنعمان افندي قساطلي المورخ الدمشقي المعروف فاقتطفنا منها ما يأتي قال :

سكان جبل حوران

ان سكان الجبل يؤلفون من دروز ونصارى روم وكاثوليك وعرب . فالدروز في نفس الجبل ٣٧ الف نسمة واذا ضم اليهم من يسكنون اجرافه الغربية في بلاد حورانية وعددهم اربعة الاف نسمة صاروا ٤١ الفاً . والمسيحيون روم ارثوذكس وكاثوليك فالروم يسكنون جنوبي الجبل بين آل الاطرش وعددهم نحو الفي نسمة والكاثوليك يسكنون شمالي الجبل بين العوامرة ويبلغ عددهم ١٨٠٠ نسمة فيكون عدد الطائفتين ٣٨٠٠ واذا ضم اليهم نحو مائتي مسيحي غرباء اصحاب تجارة وصناع متوطنين بالجبل بلغ عدد النصارى ٤٠٠٠ نسمة . والعرب يزيد عددهم وينقص لانهم يرحلون بمواشيهم وهم يسكنون بين جميع القرى ومعدل من يسكن الجبل منهم ٣٥٠٠ نسمة فعلى هذا التعديل يكون عدد سكان هذا الجبل من النفوس كما يأتي :

٤١٠٠٠	دروز
٤٠٠٠	نصارى روم وكاثوليك
٣٥٠٠	عربان
٣٠٠	مسلمين اصحاب مصالح وتجارة
٤٨٨٠٠	

وقد كان عدد سكانه في سنة ١٨٨٠ بحسب ادق تعديل ٢٧٤٥٠ فزاد في ثلاثين سنة زيادة عظيمة وذلك ناشيء عن حسن مناخه وكثرة من هاجر اليه من دروز الجهات الاخرى

ومعظم طول الجبل من الشمال الى الجنوب مسيرة يومين عبارة عن ستين ميلاً وعرضه من الشرق الى الغرب مسيرة يوم عبارة عن ثلاثين ميلاً فتكون مساحته ١٨٠٠ ميل مربع تقريباً ومعدل سكان كل ميل من اهله ٢٧ نسمة

تربته

اراضي هذا الجبل بركانية وحجارته سوداء وكذا تربته الاَّ قليلاً وتتخلل رباه سهول كثيرة الخصب جيدة جداً ومسالكه ليست مستوعرة كما يظن وفي اماكن كثيرة منه اثار طريق قديمة كانت تسير عليها العربات في الازمنة السالفة بنفقات قليلة

يمكن ان تصلح فتعود صالحة لسلوك العربات كما كانت في زمن الرومانيين والغسانيين وليس به من الحصون والمعاقل الطبيعية الا ما ندر جداً على ان تلك الحصون لا تقي من التجأ اليها من فعل الاسلحة الحديثة

اقسامه

ليس لهذا الجبل اقسام طبيعية الا ان اهله قسموه بحسب جهاته ويسمون كل قسم مفرقاً وكل مفرق يسكنه جماعة منهم تحت سيطرة عائلات لها نفوذ عليهم وينتمي السكان اليها . ولذلك يمكن القول ان اقسام الجبل هي عبارة عن دوائر نفوذ السلطات السائدة . فالقسم الشمالي يسمونه المفرق الشمالي وهو ما يلي الاتجاه لجهة الجنوب والنفوذ به للعوامرة . والمفرق الشرقي يختص بالطرشان من ولد نجم ابراهيم الاطرش . والقسم الجنوبي يسمونه المفرق الجنوبي والنفوذ للطرشان اولاد اسماعيل والمفرق الغربي اشهر عائلات سكانه الهندية ورئيسهم هزيعة هنيدي المشهور وقريته المجدل . وفي قلب هذه المفارق يسكن ايضاً كثير من العائلات المهمة ذات النفوذ والسطوة كالحاذية والحلبية والعسافيين والقلاعنة والقرازمة والهجرية وغيرهم . والحكومة بعد ان فازت بسكانه سنة ١٣١٥ قسمته الى اقضية وهي قضاء السويده وقضاء صلخد وقضاء عاهرة وانشات به بعض المعاقل للجند

ابنيته وقراه

ابنيته من حجارة سوداء واغلب قراه مبنية على اكام فوق انقاض خرائب قديمة ذات آثار مهمة وعجيبة في كثير من المحال وقراه كثيرة بين كبيرة وصغيرة ومزرعة . وام قراه السويده وهي كبيرة كثيرة الاثار وعدد سكانها يزيد على الالفي نسمة وهي قائمة على اثار السويده القديمة التي استعرمها بعض ملوك الغساسنة واخصهم المنذر بن النعمان ومن يأتي قصر السويده الذي لم يزل جانب كبير منه عامراً الى الان يشهد بعظمته واقتدار من بناه . وهذا القصر شيد قبل الهجرة بزمن طويل . وهذه القرية خاضعة للطرشان اولاد ابراهيم بن اسماعيل . وصلخد تليها بعدد السكان وبها قلعة عظيمة من اعمال الاولين (تقدم ذكرها) وهي تخص اولاد محمد بن اسماعيل الاطرش . وعري ثالثها وكانت تخص شبلي الاطرش واما الان فهي لاخيه يحيى

الاطرش . وهذه القرى فيها مسيحيون ارثوذكس الا ان عري معظم سكانها منهم

ومن الشرق عرمان وملح وهما تخصان اولاد نجم ابراهيم الاطرش وعدد سكان كل منهما نحو ٦٠٠ نفس وهذا القسم يحسب من اخصب اراضي الجبل ويأتي باجود حنطة . وفي الشمال بعض القرى الكبيرة اخصها قرية شهباء وهي ذات اثار كثيرة سكانها نحو ٧٠٠ نسمة والهيت وسكانها نحو ذلك وهذا القسم كله تابع لنفوذ بيت عامر وهم اكثر سكانه . وفي الوسط قرى كثيرة الا انها حقيرة سكانها من ١٠٠ الى ١٥٠ نسمة وعلى الخط الشرقي مما يلي البرية عدة قرى اكثرها صغيرة

مياه الجبل

ان مياه الجبل بالنسبة لمياه حوران تحسب غزيرة ويخرج منه جداول من الشمال والجنوب واخصها من الجنوب لجهة عري ومخرجه على بعد ساعة ونيف منها وينحدر ما يبقى منه الى اراضي حوران السهلية وكان من ذي قبل لاحقاً لعري بل يجري ماؤه باقنية تحت الارض الى بصرى حوران وغيرها من القرى المجاورة لها . وهذه الاقنية ما زالت اثارها ظاهرة للان الا ان مشايخ عري اغتصبوها واتخذوها لانفسهم . وقد ظهر بعد البحث ان هذا النبع هو ماء غسان الذي نزل عليه الغسانيون يوم اتوا الشام بعد سيل العرم وطردوا عرب الضجاعمة ونزلوا مكانهم على ما جاء بتاريخ الغسانيين

وفي اكثر القرى ينابيع ذات ماء صاف عذب جداً وفي بعضها يزرعون بقولاً و بالاجمال ان مياه الجبل كافية له فان قلت في محل زادت في اخر . ويرى بعضهم انه كان بالجبل ماء اكثر من مائه الان ولكن تلك المياه غارت بطرح الزئبق بها منذ غزا البلاد تيمور المغولي اما نحن فلا نرى ذلك قريباً من الصحة والراجح ان المياه التي نرى آثارها في بعض المحال امتنعت عن الخروج لتراكم الانقاض فوقها الذي سببه الخراب فلو نبشت لخرجت وانتفع بها الناس

هواء الجبل

هواء هذا الجبل بارد الا انه مع ذلك لايضر بالصحة بل يزيد الاجسام نشاطاً وقوة . فلذلك ترى جميع سكانه اشداء اصحاء الاجسام وفي الشتاء يغطي الثلج قمم الجبل وقد يبقى عليها في بعض السنين مدة اشهر الشتاء الثلثة فيكون منظره من السهول المجاورة في غاية الجمال . اما الامراض فقلما تكثر فيه . وقيل ان الهواء الاصفر لايدخله

ابداً . الصحة العمومية به حسنة دائماً ويقولون بان كثيرين من سكانه لم يصابوا بمرض قط فلو كان الاعتناء بالنظافة اكثر من ذلك لكانت الامراض اقل مما هي الآن . واما الحر فلا يرتفع به ايام اشتداده الى اكثر من ٨٥ الى ٨٧ درجة بميزان فرنهيت (٢٩ و٣٠ سنتغراد) وهذا دون حر دمشق عند اشتداده بعشر درجات

محاصيله

ان محاصيل هذا الجبل الحنطة والشعير والذرة البيضاء والحمص والعدس والجلبان والكرسنة وما شا كل ذلك . على ان حنطته منها جيدة جداً في الشمال والشرق ومع ان اراضي هذا الجبل خصبة ومحاصيله غزيرة فهي تعادل بالنسبة نصف محاصيل حوران . أما حمصه فهو أحسن حمص يخرج في سوريا وأحسن حمصه حمص قناوات ومعدل محصول فدان الزراعة بالجبل (الفدان بحوران لاقياس له وباعتبارهم الفدان هو مايحرثه فدان البقر في اليوم) في السنة المعتدلة بالاراضي الجيدة هو ست غرائر حنطة اوربع شعير واربع قطاني وكانت الارض المزروعة في الجبل سنة ١٨٨٠ ستة آلاف وخمسمائة فدان واما الآن فقد صار ١٤٠٠٠ فدان بحسب ادق تقدير . ومتوسط محصولاتها من الحنطة هو ٥٦ الف غراره ومن الشعير ٤٢ الف غرارة ومن القطاني ٤٢ الف غراره

واذا خصم من اصل اثمان هذه المحاصيل قيمة البذار والنفقات الضرورية بالمائة عشرة وقسم الباقي على عدد السكان كان ايراد الشخص الواحد ٢٦٠٥ غروش ولا يخفى بان هذا دخل حسن ويضاف اليه دخل آخر من المواشي والطيور والخضار والكرم فيبلغ دخل الفرد نيف وثلاثة الاف غرش . وهذا يدلُّ على غنى الجبل الطبيعي وغزارة ثروته واذا اخلد اهله الى السكينة وتفرغوا لاشغالهم زادت ايراداتهم وتضاعفت ثروتهم

اشجاره البرية كثيرة وفيه غابات من شجر السنديان الا انها ليست غضة كما في غير الجبل واشجاره المثمرة قليلة جداً . وما يوجد منها هو المشمش والرمان والتفاح والتين وقليل من اصناف أخرى . وكل ذلك غرس من نحو سنة ١٨٨٥ م وغرس فيه الكرم والتين في نحو ذلك الوقت في السويده وعري وقناوات وسليم وسهوة بلاطة وبعده كثرت زراعتهما وامتدت . ومن العجيب ان اهله لا يزرعون فيه اشجاراً غير

هذه مع ان اراضيه مناسبة لها كالزيتون وتوت الحرير وما اشبه . وفي كل محل منه آثار تدل على انه كان كثير الاشجار في الايام السالفة

(حيواناته) برية واليفة . فالبرية هي الضبع والغزال وابن آوى والارنب ولم اعلم به غير ذلك . واليفة هي الغنم والمعز و يوجدان بكثرة والخيل و بينها كثير عربية جيدة الاصول . والجمال والحمير والبقر وكله الا قليلاً من جنس العكش . و بما ان مراعيه كثيرة ومياهه وافية وهواءه جيد يوافق الطروش كان اللبن والسمن به كثيرين جيدين مدار المعيشة عليهما

سكانه وملابسهم وعاداتهم

سكانه من بلاد مختلفة فالدروز جميعاً نزلوا فيهِ ورحلوا اليه في اوقات مختلفة واول من جاءه منهم جماعة قليلة من بيت الحمدان وبيت نخر اتوه رعاة اغنام لاهله وتبعهم جماعة غيرهم من بلاد صفد اتوه متعيشين يوم طردهم زيدان جد ظاهر العمر وذلك من نحو اكثر من مايه وخمسين سنة ولما عرف الدروز خصبه وطيب مناخه اخذوا يفدون اليه متعيشين من بلاد حاصبيا وراشيا واقليم البلان ولبنان وحلب وكان الاهالي يكرمون وفادتهم ويشغلونهم ولما تكاثروا انضموا وتآزروا واستعمروا بعض الخراب فنجحوا وتوجه بعضهم وتقووا بمن كان يردهم من اخوانهم المهاجرين فسادوا وشاخوا وصار بيدهم الحل والعقد واذلوا السكان الاصليين فهجر المسلمون وطنهم وسكنوا النقرة والنصارى بقي بعضهم ونزح بعضهم . فالنصارى اذن هم الوطنيون الاصليون في الجبل توطنوه منذ اجيال لا تعلم بدايتها وهم من جنس الحوارنة لم يزالوا محافظين على عاداتهم الحورانية من جهة الملابس والتصرف . واما البدو فكثير والفرق وقد سكنوا الجبل منذ ادهار بعيدة

اما عاداتهم في الزواج فمختلفة . فالدروز عند ما يريد احدهم الزواج تنتخب العروس كبارنساء العائلة والمهر من مايه غرش الى خمسة الاف غرش والاخير نادر . وعلى الرجل ان يجهز عروسه والجهاز عندهم عبارة عن ملابس وقطع حلى بمناسبة اقتدار العريس المالي وهي غالباً قرص طربوش فضة وما يسمونه شكه وزنار واساور في الايدي واقراط للاذان . ومنذ سنين قليلة اخذوا يتوسعون بالنفقة ولكنها لم تزل معتدلة . وعند

اتمام الجهاز يعقد للرجل على خطيته بحسب نظام دينهم ويقوم العريس بدعوة الاصدقاء وبعض المجاورين ولذلك ترتيب طويل نتركه للاختصار . اما النصارى فيختارون العروس على يد العريس ثم يتساومون على مهرها وهو من اربعة الاف فما فوق . وبعد الاتفاق يعين وقت اداء القيمة وبعد الدفع يأتي العريس بتجهيز خطيبته وعليه ان يدفع لشيخ القرية (والمشايخ كلهم دروز) الف غرش ليتم له الزواج . والمهر يأخذه اهل الفتاة بحسب عادات الحوارنة . والعرس ونظامه كعرس الدروز في اكثر احواله اما عوائد العربان فقريبة من ذلك

ومن صفات سكان الجبل عموماً الكرم فهم يقرئون الضيف ويكرمونه . وطعامهم بالنظر لطعام الحوارنة جيد جداً ولهم عادات في ضيافتهم وولائمهم واكرام ضيوفهم يطول شرحها

التجارة

تجارة الجبل بالصادرات والواردات محصورة مع اهالي دمشق الشام فيصدرون الى الشام الحبوب بانواعها والصوف والسمن والجلود ويستوردون منها الاقمشة القطنية وقليلاً من الصوفية والعبي واقمشة حريرية والمصاغ والكاز وكل ما يلزم من العطارة والحلويات وكثيراً من الفواكه والخضار والسكر والزيت والحلاوة وادوات الخيل ولوازم الزراعة والجبال الخ . ويقوم بهذه التجارة غالباً باعة لهم دكاكين في الجبل والبعض يحضره الاهالي لانفسهم من الشام وعندما يحتاج بعضهم الى نقود يتناولونها بالربا اما من عملائهم في الشام او في حوران وهم يستدينون البضائع من العملاء ويفون الثمن ايام البيادر وقلما يدفعون نقوداً . ومن عاداتهم ان الغرش الذي دخل ليدهم لا يخرج منها وهذه العادة فاشية بقية بلاد حوران ايضاً

اما موقع الجبل التجاري فحسن جداً لانه واقع على حدود برية شاسعة متسعة يسكنها عشرات الوف من البدو ومتى انتشر الامن والراحة والمدنية بين سكانه وعلم كل حقوقه كان الجبل مركزاً لتجارة واسعة رابحة مع تلك القبائل الكثيرة وانتشرت منه مبادئ التمدن الى تلك الفيافي والمفاوز واكتسب الجميع ثروة عظيمة تزداد بعمران البلاد وسعادتها . فيكون الجبل حينئذ كالعروس الجميلة تتجلى بجلال بين تلك السهول الواسعة

الاطراف الكثيرة الخيرات . واذا تتبع الباحث احوال الجبل واسباب تأخره يتصل لنتيجة هي استبداد المشايخ وظلمهم وتأصل ذلك فيهم حتى صار خلفاً لهم لا يرون الابتعاد عنه صواباً وان خالفوه كانهم يسيئون لانفسهم ولغيرهم هذا اولاً . وثانياً فقدان النظام لفقد قوة الحكومة ونفوذها من الجبل

فشيخه يظلمون جماعتهم كما يظلمون غيرهم واكثر الظلم من المشايخ الكبار فالشيخ اذا سخط على فلاح طرده من ارضه وبيته وزراعته واستباح ماله وما يملك فيصير المسكين هو وعيله طريداً مهاناً ليتما يجد شيخاً آخر يدخل في حماه فينزله بقريته (وهذه العادة كانت جارية بحوران ايضاً) ويسخر المشايخ الفلاحين بما يشاؤن ولا يبالون ولا سيما اذا كانوا مسيحيين

وبما ان الاراضي كثيرة وواسعة وهي تحت تصرف المشايخ والفلاح كما ذكرنا لا حق له بتملك شيء منها فلا سبيل الى التقدم وحمل الفلاح على العمران ومعاطاة السكان الاعمال الصناعية والتجارية . فما زال هذا المسكين يعلم ان اشغاله تحت امر الشيخ المطلق وانه اسير تلك الارادة الظالمة التي لا تعرف العدل وما من قوة حاكمة يرجع اليها عند ظلمه لتنصفه فلا سبيل الى ظهور شيء مما يرجوه العالم المتمدن لهذا الجبل الكثير الخيرات

واستبداد المشايخ بالفلاحين جعل الفلاحين طوع امرهم واوجد بالمشايخ ميلا للفتك بغير اهالي بلادهم فصلوا بقوة الفلاحين المساكين الداخلين في حمايتهم والسياسة الماضية خدمت المشايخ فزادوا عتواً فآل ذلك الى خراب البلاد وسفك الدماء وفقدان الامن ام

وكيل الهلال باميركا

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك

نرجو من حضرات المشتركين في الولايات المتحدة الاميركية وكوبا وكندا والمكسيك اعتماد توفيق افندي حبيب بنيويورك وكيلاً للهلال هناك وان يؤدوا اليه بدلات الاشتراك بوصولات ممضاة من مدير الهلال وهذا عنوانه

Mr. T. Habib 10—12 Emmett St.
Brooklyn, New York, U. S. A.

التاريخ الاسلامي

بالنظر الى سائر التواريخ(١)

التاريخ العام

التاريخ العام عبارة عن الحوادث التي رافقت الانسان من اول وجوده الى الآن . أو هو ذكر ما أناب الامم من التقدم او التأخر والصعود او الهبوط في السياسة او الاجتماع . اوهو بيان تدرج البشر في المدنية . ولذلك فهو قاصر على الامم التي كان لها شأن في ترقية الهيأة الاجتماعية . وقد عبر بعضهم عن التاريخ بقوله انه الفلسفة مشروحة بالامثال حتى تكون حوادث المتقدمين عبرة للمتأخرين

والتاريخ العام يقتضي معرفة اخبار الناس من اول عهد الانسان الى الآن . وهذا غير ميسور لان ما وصل الينا من حوادث البشر انما هو جزء صغير جداً من تاريخهم والانسان لم يدون تاريخه الا بعد ان وفق لاختراع الكتابة وهو لم يوفق اليها الا بعد التدرج في الرقي ادهاراً ظهرت في اثنائها دول وامم انتشبت بينها الحروب وعقدت المعاهدات وذهب العقلاء في اثنائها مذاهب في الفلسفة . فهذه كلها ذهبت اخبارها ولم يصلنا منها شيء حتى اسماء تلك الامم فانها ضاعت وانما استدللنا على وجودها من ثمار اعمالها او بما خلفته من الادوات اوالاحافير اوالخرائب

وعلماء التاريخ لايعدون تلك المعرفة تاريخاً ولذلك سموا المدة التي قضاها الانسان قبل تدوين اخباره « الزمن قبل التاريخ » وهي اطول كثيراً من زمن التاريخ تقدم فيها الانسان شوطاً بعيداً في سلم المدنية والارتقاء العقلي . وفيها تألفت الهيأة الاجتماعية ووضعت سنن الزواج والارث وانتظمت العائلة وفيها تشكلت الحكومات ونشأت الاديان وفيها حدثت اهم الاختراعات والاكتشافات التي بني عليها البشر رقيهم في زمن التاريخ لان في تلك الفترة المظلمة اخترعت الكتابة واستنبط الطبخ والعجن والخبز والغزل والنسج والخياطة والبناء واكتشفت النار والملح وهما من اهم الاكتشافات

(١) خلاصة المحاضرة الاولى التي كنا اعددناها للجامعة المصرية

من لنا بمن يخبرنا عن مخترع الكتابة الصورية لنشيد له تذكاراً او مخترع الابرة لننصب له تمثالاً بل لو عرفنا مكتشف النار — اي اول من ولد النار بالفرك — لحق له علينا الاكرام الجزيل . ان ذلك وامثاله من اعمال الانسان قبل زمن التاريخ لا يدخل في علم التاريخ ولا سبيل الى معرفته الا بالتخمين

اما زمن التاريخ فهو الذي عرفنا اممه وقبائله ودوله وبعض حوادثه اما من الكتب التي وصلت الينا او من النقوش التي قرأناها على الآثار او من احوال اخرى . وهو لا يتجاوز في مدته ستة آلاف سنة نصفها الاول ناقص واكثره مبني على الحدس والتخمين والنصف الآخر محشو في اوائله بالمبالغات او الخرافات ولكن اكثره ثابت لرجوعه الى النصوص التاريخية بعد شيوع الكتابة

ما هو معنى لفظ التاريخ

وقبل التقدم الى ذكر اقسام التاريخ نتكلم عن اصل هذا اللفظ في العربية . وقد اختلفت الاقوال فيه فذهب جماعة الى انه فارسي وقال آخرون انه يوناني وتكلفوا في تخريجه تكلفاً نحن في غنى عنه لان اللفظ عربي . وفي القاموس « ارخ الكتاب يأرخه ارخاً وقّته » اي عرف وقته . ثم تفرع المعنى فصاروا يدلون بها على علم التاريخ اي ذكر الوقائع والحوادث . ولعل سبب الشك في كون هذا اللفظ عربياً ان العرب اخذوا التاريخ عن الفرس وقيل لهم ان اسمه عند الفرس « ماه روز » فعربوها « مؤرخ » ثم اشتقوا منها مصدراً « تاريخ » وهو تكلف لا حاجة بنا اليه . فدفعاً لكل شك في كون هذا اللفظ عربياً نأتي باشباهه من اخوات اللغة العربية

فهو في العبرانية ... (يرح) معناها القمر ومثلها (يرحا) في السريانية لنفس هذا المعنى ونحو ذلك في الكلدانية والاشورية . وهي ايضاً تدلُّ عندهم على الشهر لان حسابهم كان قمرياً . وكذلك الشهر والقمر في العربية بمعنى واحد . ولا عبرة في ابدال الخاء حاء بين العربية واخواتها فانه عاديٌّ فيها . ومن بقايا دلالة « يرح » (اوارخ) على القمر في العربية قول العرب « راح » اي ذهب او جاء في العشي اي في نور القمر والمعنى راجع الى العشي بدون تقييد بالذهاب او المجيء مثل قولهم اصبح وامسى ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ثم صارت تدل على مطلق الذهاب . وقد يكون اللفظ الواحد معناه القمر في احدى هذه اللغات والشهر في اللغة الاخرى فان (سهرا) في السريانية معناها القمر في العربية وهو « الشهر » بابدال السين شيناً وقد بقي من معناها الاصلي في العربية « الساهور » وهو القمر او غلافه . والخلاصة ان لفظ التاريخ عربي الاصل والاشتقاق

اقسام التاريخ العام

اختلف المؤرخون في تقسيم زمن التاريخ وتبويبه والاكثر يرون قسمته الى ثلاثة اقسام الاول التاريخ القديم يبدأ باقدم الازمان وينتهي عند سقوط رومية سنة ٤٧٦ م والقسم الثاني القرون الوسطى او المظلمة وهي تمتد من هذا التاريخ الى اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ م . والثالث التاريخ الحديث من اكتشاف اميركا ولا يزال

ذلك هو تقسيم التاريخ العام عند كتاب الافرنج وهو في اعتبارنا تقسيم ناقص لانه مبني على الاحوال التي توالت على اوربا واميركا ولايدخل فيها من تاريخ الشرق الا الدول القديمة في مصر وبابل وفينيقية وغيرها من اهل التمدن القديم . ولم يراعوا فيه الانقلابات السياسية العظيمة التي توالت على الشرق بعد ذهاب تلك الدول وكان لها تأثير كبير في تاريخ العمران في سائر انحاء العالم المتمدن

اما اقسام التاريخ العام بالنظر الى الشرق وامه ودوله فانه في نظرنا يقسم الى قسمين كبيرين . اولهما شطران شرقي وغربي نعبر عنهما بتاريخ الشرق وتاريخ الغرب . ونقصد بالشرق اسيا على الاجمال ومعها وادي النيل وما يليه من البلاد التي تمدنت قديماً في افريقيا . ونعني بالغرب اوربا واميركا وما يلحقهما

ولكل من هذين الشطرين ثلاثة اطوار او اعصر تتشابه في التقسيم ولكنها تختلف في الزمن . لكل منهما عصر قديم وعصر متوسط وعصر حديث لكن الشرق متقدم فيها على الغرب وسابق له في عوامل المدنية

فتاريخ الشرق القديم يمتد من اقدم الازمنة الى فتح الاسكندر المكدوني بلاد فارس سنة ٣٣١ قبل الميلاد

وتاريخه الاوسط او قرونه الوسطى او المظلمة تمتد من فتح الاسكندر الى ظهور الاسلام سنة ٦٢٢ للميلاد او السنة الاولى للهجرة

وتاريخه الحديث يبدأ بظهور الاسلام ولايزال . ثم ان تاريخ الاسلام ينقسم الى عصور سيأتي بيانها

اما تاريخ الغرب القديم فيبدأ من أول تمدنه نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد في بلاد اليونان وقد اقتبس اصول تمدنه من امم الشرق القديمة في مصر وفينيقية وبابل وغيرها وينتهي بسقوط رومية سنة ٤٧٦ م وسبب انقضائه هجوم البربر بدو شمالي اوربا (قبائل الجرمان) على المملكة الرومانية . وفي اثنائه دخل الشرق في اجياله الوسطى بسقوط دولة الفرس كما تقدم

وتاريخ الغرب الاوسط وهو عصر الظلمة او القرون الوسطى في اوربا يبدأ بسقوط رومية وتسلط البربر الى بزوع نور التمدن الحديث بعد اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ وقد أغفل فيه الغربيون علوم اسلافهم اليونان ونهض الشرق في اثنائه من عصوره المظلمة بظهور الاسلام وقيام دولة العرب فأخذوا تلك علوم وترجوها

وتاريخ الغرب الحديث يبدأ باكتشاف اميركا وفي اثنائه ظهرت الاكتشافات والاختراعات ونشأت العلوم الحديثة وقد استعان الغربيون في انشاء تمدنهم ببقايا التمدن الاسلامي وهو من ثمار تاريخ الشرق الحديث فترجموا كتب العلم والفلسفة واكتسبوا الصنائع والفنون منهم

فتاريخ الاسلام هو تاريخ الشرق الحديث وبه نهض الشرق من غفلته واستعاد رونقه ومجده وامتد سلطان المسلمين على اضعاف ممالك اسلافهم الشرقيين . فخفقت اعلامهم على ممالك الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والفرس والارمن والهند والترك والمغول والمغاربة وسائر بلاد المشرق وقسم من اوربا في اسبانيا وفرانسا وايطاليا مما لم يسبق له مثيل

اقسام تاريخ الاسلام

ويقسم تاريخ الاسلام الى خمسة اعصر :

(١) عصر التكون والنمو : من ظهور الاسلام الى آخر الدولة الاموية بالشام وهو عصر الفتوح في الدولتين او العصر العربي

(٢) عصر البلوغ : من اول الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى تغلب الجند التركي سنة ٢٣٢هـ وهو يشتمل على إبان الدولة العباسية وفيه نشأ الادب ونقلت علوم القدماء الى العربية وهو عصر الاسلام الذهبي ويعرف بالعصر الفارسي لان الدولة فيه كانت بايدي الوزراء الفرس

(٣) عصر التفرع والتشعب : من تسلط الاتراك الى سقوط بغداد وفيه تفرعت هذه الدولة الى دول من امم مختلفة في انحاء مختلفة ونشأت دول جديدة كدولة الفاطميين بمصر والامويين بالاندلس والسلاجقة في الشام وغيرها ونشأت سائر دول الاتراك والاكراد والفرس وغيرهم

(٤) القرون الاسلامية الوسطى : من سقوط بغداد الى اوائل القرن التاسع عشر

(٥) النهضة الاخيرة : من اوائل القرن الماضي ولا تزال وهي مقتبسة من تمدن الغرب الحديث

ويقسم التاريخ على الاجمال ايضاً الى عام وخاص والعام يتضمن تاريخ البشر عموماً

والخاص يشمل التاريخ الخاص المتعلق بموضوع واحد كتاريخ امة او مملكة او ولاية او مدينة او دولة او عائلة او شخص . والمتعلق بشخص واحد يسمى ترجمة او سيرة او حادثة مأثورة كتاريخ الاصلاح ومذبحة المماليك وحادثة عرابي وظهور المتمهدي ونحو ذلك ويسمى التاريخ الخصوصي باسماء تختلف باختلاف موضوعه كتاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي والشرعي والقضائي والتجاري والادبي والعلمي وغير ذلك

مزايا تاريخ الاسلام

على سائر التواريخ

فتاريخ الاسلام من التواريخ الخاصة المتعلقة بالامم او الدول لان المراد بها ذكر حوادث الامة الاسلامية اوالدولة الاسلامية ويقابله تاريخ الرومان اواليونان او الفرس ونحوهم لكنه يمتاز عنها بامور جديرة بالاعتبار اهمها :

١ : ان تاريخ الاسلام حلقة موصلة بين الشرق والغرب لانه بامتداد اصحابه الى اقصى الشرق والى اقصى الغرب تمكن من الوصل بينهما . وهو ايضاً حلقة موصلة بين التمدن الغربي القديم والتمدن الغربي الحديث لانه حفظ ما توالى على عوامل التمدن الغربي القديم من التغيير او التحوير في العلوم والفلسفة والطب مما اشتغل به المسلمون في اثناء تمدنهم ولا سبيل الى معرفة ذلك الا بتاريخ الاسلام

٢ : يمتاز تاريخ الاسلام على سائر تواريخ الامم والدول بما يدخل تحته من تواريخ العناصر المختلفة التي ايقظها الاسلام في اواسط اسيا وغيرها وكانت في حال البداوة او الهمجية فساقها الى المدنية والعلم حتى نبغ منها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة والادارة واشهرهم الاتراك والمغول والبربر والزنوج — وهنا نقطة يحسن بنا الوقوف عندها لحظة لنذكر شيئاً عن كل من تلك الامم :

الاتراك

كان الاتراك قبل الاسلام اهل بادية يقيمون في اواسط اسيا بين الهند والصين وسيبيريا ولم يعرفوا عن اهل الغرب من اليونان او الرومان الا قليلاً وكان الفرس يقتنونهم للرق او الخدمة ويتهادونهم كما يتهادون المتاع . فلما جاء العرب وفتحوا بلادهم وجندوهم نهضوا في جملة الناهضين وتولوا الامارات ثم انشأوا الدول العظمى في فارس والعراق والشام ومصر واسيا الصغرى والقسطنطينية وافغانستان وتركستان . واشهرها الدولة الطولونية والايليكية والاخشيدية والغزنوية والسلجوقية بفروعها ودول الاتابكة

التي تخلفت عنها . ويزيد عدد الدول التركية الاسلامية على ثلاثين دولة . واتسع سلطانهم حتى وطئت خيولهم اواسط اوربا ونبغ منهم القواد والساسة والفقهاء والكتاب وشادوا القصور والمساجد والمعاهد وانشأوا المارستان والمدارس والتكيات واكثر ما بقي من آثار الاسلام في مصر والشام والعراق من بنائهم — فهؤلاء لا سبيل الى معرفة احوالهم الا بتاريخ الاسلام

المغول

والمغول طوائف رحل كانوا يقيمون حوالي بحيرة بيقال في جنوبي سيبيريا ولم يظهروا للعالم الا بعد الاسلام وكانوا قبل ذلك قبائل يعيشون بالغزو والنهب والصيد والقنص . فلما احتكوا بالمسلمين في تركستان وراوا دولهم وجيوشهم عملوا على الاقتداء بهم حتى عمدوا الى فتح مملكتهم ففتحوها ببداوتهم وخشونتهم وامعنوا فيها قتلاً ونهباً وحرقاً على يد جنكيز خان . لكنهم مالبثوا أن تحضروا لمعاشرتهم المسلمين في فارس والعراق وانشأوا دولاً عظمى حكمت الشرق خمسة قرون ونصف قرن اشهرها اربع دول كبرى هي دول اقطاي وطلوي وجوجي وجغطاي . وتفرعت منها دول اخرى امتدت سطوتها وخفقت اعلامها على زنقاريا وبلاد المغول والقبجاق وتركستان وفتحوا المملكة الاسلامية وامعنوا في بلاد فارس والعراق والشام ونبغ منهم الساسة والقواد . وبعد ان كانوا اهل اوثان اسلموا وشادوا المساجد والمدارس والمراصد وعمروا المدن في اقصى الشرق واقاموا فيها الابنية الباذخة والقصور الشامخة وغرسوا الحدائق والبساتين — وهذه الدول لا سبيل الى معرفة اخبارها الا بتاريخ الاسلام

البربر

ويراد بهم بدو افريقيا الشمالية وهم قبائل رحل كانوا قبل الاسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم . وكانوا اصحاب اوثان يعتصمون بالجبال ويتقاضون الى الكهان يكرهون المدنية واهلها . وقد قاسى اليونان والرومان من غزوهم ونهبهم عذاباً شديداً ولم يكن لهم شغل غير ذلك . ولاقى العرب ايام الفتح مشقة كبرى في اخضاعهم . فلما خضعوا واسلموا تجندوا للخلفاء والامراء وافتتحوا البلاد ولا سيما في الغرب فاكتسحوا الاندلس بقيادة طارق بن زياد وكانوا عوناً كبيراً في قيام دولة الادارسة والدولة الفاطمية وانشأوا دولة الملثمين والمرابطين والموحدين والمصامدة وآل زيري وغيرهم مما لا يحصى وقد جندوا الجنود وبنوا المعاقل واخذوا باسباب المدنية — ولا وسيلة لمعرفة اخبارهم الا بتاريخ الاسلام

الزنوج

كان الزنوج ولا يزال السواد الاعظم منهم حتى الآن من احط الامم منزلة وافسدهم اخلاقاً واصبرهم على الذل والمسكنة يحملون الى الآفاق كما تحمل الاغنام يباعون بيع السلع لا يرون في ذلك اجحافاً لانهم في الواقع أدنى رتبة في البشرية من الامم المتمدنة. فكانوا يرضخون تحت نير المتمدنين راضين قانعين وكانوا يعبدون الحجارة او الشجر وبعضهم لا يفهم معنى الدين او العبادة. وكان المعروف من مواطنهم عند ظهور الاسلام شمالي افريقيا وبعض غربيها وشرقيها فلما انساح العرب في الارض للفتح او المهاجرة ذهبت قبائل منهم الى اواسط افريقيا فضلاً عن شواطئها فاكتسب الزنوج منهم اخلاق الامم المتمدنة واسلموا ثم انتظموا في الجندية وتألفت منهم فرق حاربت تحت رايات الخلفاء والسلاطين بالعراق ومصر والشام واتخذ الخلفاء فرقاً منهم خدماً لمنازلهم وارتقى بعضهم في بلاط الخلفاء حتى صاروا من اهل الحل والعقد وتولى بعضهم الحكومة ثم تجندوا لانفسهم ونهضوا كما تنهض الامم الراقية فالفوا جيشاً حاربوا به الدولة العباسية عدة سنين حتى اقلقوا راحتها وفتحوا المدن وكادوا يؤسسون دولة اسلامية كبرى. على انهم انشأوا دولاً صغرى في اواسط افريقيا وغربيها. ونبغ منهم الحكام والقواد واشهرهم كافور الاخشيدي صاحب مصر. وظهر غير واحد من الشعراء ونظموا القصائد الحسنة ونبغ منهم جماعة من القراء والفقهاء وتدخل اخبارهم في تاريخ الاسلام

وقس على ذلك اخبار امم الشمال كالكرج والارمن والاكراد والخزر والصقالبة وغيرهم ناهيك بالعرب انفسهم وتاريخهم قبل الاسلام وبعده لولا الاسلام لذهبت اخبارهم واخبار الامم الاسلامية الاخرى. وا كثر ما يعرفه المتمدنون في هذه الامم اخذوه عن تاريخ الاسلام

٣ : ارخ المسلمون فترة من الدهر لم يعرف تاريخها لولاهم لان حوادث ظهور الاسلام وما تلاه من اخبار الفتوح وما عقب ذلك من انشاء التمدن ونشر لواء العلم ونقل الفلسفة وغيرها من علوم القدماء وما اقتضاه ذلك من التغيير والتبديل قلما يعرف عنه الافرنج شيئاً لولا تاريخ الاسلام

٤ : ان مدة هذا التاريخ اطول من مدد سائر التواريخ لان الاسلام يشمل دولاً شتى اسلامية اذا انقضت دولة قامت اخرى. ونحن الآن في القرن الرابع عشر من تاريخ الهجرة وقد توالى في الاسلام مئات من الدول من امم مختلفة في اسيا وافريقيا واوربا. ولا يزال كثير من هذه الدول حتى الآن في هذه القارات. منها الدول الكبرى

كالدولة العثمانية والفارسية والدول الصغرى في الهند وجزيرة العرب وافريقيا . ولا نعرف امة طال سلطانها في الارض مثل هذه المدة ولايزال عمر الاسلام طويلاً بل هو في نهضة اصلاحيــة تساعده على طول بقائه . فهو املك يحتوي على تاريخ اطول من سائر التواريخ

٥ : يمتاز تاريخ الاسلام عن سواه انه يشتمل على تاريخ السياسة والدين والعلم والشريعة . وهذا قلما يجتمع في التواريخ الاخرى . وتاريخ الفقه الاسلامي لا يدانيه تاريخ فقه لامة من امم الارض بما يدخل فيــه من اعمال الفكر واستنباط العقل . وقس عليه تاريخ العلم لان المسلمين اتوا في نهضتهم العلمية بالعصر العباسي بما لم يأته غيرهم في نهضة فقد اشتغلوا بعلوم اليونان والفرس والهنود والسريان وغيرهم ونقلوها الى لسانهم وذكروا اخبارها واحوالها فضلاً عما في اختلاف اجناس المورخين من جوامع الفوائد فان بينهم العربي والفارسي والتركي والرومي والمصري والسرياني والهندي وغيرهم ولكل امة مزية فاجتمعت هذه المزايا في تاريخ الاسلام

٦ : يشتمل تاريخ الاسلام على عبر تاريخية لا يتيسر اجتماع مثلها في تاريخ امة اخرى لكثرة العناصر والاجناس الداخلة في الاسلام ولكل منها عادات واخلاق . وكان في كتب المسلمين ميل الى ذكر الحوادث والاشارة الى العبرة والموعظة فيها

على اننا لا ننكر ما في تواريخ الامم الاخرى من المزايا التي قد تمتاز بها على تاريخ الاسلام

يلزم لادارة الهلال

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية — ٢و٣و٥ و٦من السنة ١٨ و١ و٢ و٣ و٧ و٩من السنة ١٧ و٦ و٨ و٩ من السنة ١٦ و٥ و٧ من السنة ١٥ و٣ من السنة ١٤ و٥ من السنة ١٣ و١و٣ و١٣و١٤من السنة ١٢ و١و٢و٥و٦و٩ من السنة ١١ و١و٢ من السنة ١٠ و ١ من السنة ٢ و ١٢ من السنة ٥ و ٤ من السنة ٦ و ٧ من السنة ٧ و١٦و١٩و٢٠ من السنة ٨

الالقاب الرسمية

تاريخها ومعانيها

١ — التسمية

الالقاب — ونريد بها نعوتاً تلحق بالاسماء للتعظيم — قديمة جداً ترجع الى اوائل العمران بل هي وجدت مع التسمية . لان اول من سمى ابنه فقد لقبه بلقب توسم فيه ما يشبهه من حيوان أو غيره مما يقع في النفس موقع الاعتبار في الكائنات على اختلاف طبقاتها . فيختار من اسمائها ما يلائم عاداته او معتقداته . فاذا تدينت الامة سمت مولودها بالنسبة الى معبودها . وقد يكون ذلك المعبود نجماً او حيواناً او الهاً او صنماً . وقد تسميه بلقب صناعة او مهنة او منصب . ويختلف الجنوح الى احد هذه الوجوه باختلاف طبائع الامم فاهل البادية الخشنة يغلب ان يسموا اولادهم باسماء الحيوانات على ما يتوسمونه في المولود من القوة او الشجاعة او الدهاء او الدعة او الخوف . فيختارون له اسم حيوان فيه مثل هذه الطباع فيسمون الرجل الشجاع بالاسد والسريع الوثوب بالنمر ويسمون الفتاة اللطيفة بالغزال او الحمامة

وعلى ذلك جرى اليهود في بعض مسمياتهم فمنها راحيل «نعجة» وكالب «كلب» ودبورا «نحلة» . وكذلك اليونان والرومان فمن اسمائهم ليونيداس ومعناها الاسد او كالاسد وفيليب محب الخيل ودركاس غزال ورودلف الذئب المشهور ونابوليون اسد الغاب . وعند الفرس شيركوه اسد الجبل وبابر الاسد واردشير الاسد الغضوب وسيمورغ السمك الفضي

وممن توخوا في التسمية النسبة الى بعض الالهة الاشوريون والبابليون فقد كانوا يسمون ملوكهم بالاضافة الى بعض الهتهم وخصوصاً «بل» او بعل و«نبو» فيقولون «نبونصر» اي نبو ينصر و«عبد نبو» اي عبد الاله نبو و«بل ابني» اي بل صنعني . وكذلك فعل اليونان فقالوا «ثيودوسيوس» اي عطية الله و«ثيودورس» اي عبد الله . ومنهم من يسمون ابناءهم باسماء بعض الكائنات كالكواكب والاشجار والازهار او ببعض الصفات كالحزن والشجاعة والسخاء والعظمة وغيرها . وذلك قديم في اسماء الملوك فالملك سرجون الاشوري سمي

بهذا الاسم منذ نحو خمسة آلاف سنة ومعناه : الملك الراسخ اوالثابت » و « بوزور اشور » معناها أشور حصن . وقس على ذلك اسماء فراعنة مصر فانها لا تخرج عما تقدم . ومن هذا القبيل الاسماء المألوفة عند العرب كقولهم محمد وحسن ومحارب وعلي وعبد الله ونحوها وقد يشتقون الاسماء من بعض الصنائع كالحارث في العربية وهو ترجمة جيورجيوس في اليونانية ومعناه المشتغل في الارض ويقابلها اليوم التجار والنحاس والحداد والخياط وهي كثيرة

٢ — القاب الملوك

فهذه الاسماء وامثالها تعدُّ من قبيل الالقاب في اصلها . فلما شاعت لم يعد الناس ينظرون الى معناها . ونظراً لميل البشر الى التعظم والتفخيم صاروا يلحقون باسمائهم القاباً أخرى يتلقبون بها وهذه التي تعرف بالالقاب . وهي قديمة ايضاً وكانت تختص اولاً بالملوك او الامراء ولعل مصر اسبق الامم الى هذا الامر . ومن اقدم الملقبين بالقاب التعظيم من الفراعنة على ما وصل الينا ملوك العائلة الثالثة اي قبل بناء الاهرام العظمى . فان الملك سنفر واحد ملوكها كان يلقب بصاحب التاجين وهما تاج العقاب وتاج الثعبان وبالمنصور والظافر . على ان للفراعنة لقباً كانوا يلقبون به ملوكهم نعني به « سارع » ومعناه ابن الشمس

وجرى على هذه الخطة في التلقيب ملوك العرب قبل الاسلام في معين قبل دولة سبا وكان ملوكها يعرفون بالقابهم فضلاً عن اسمائهم . فعندهم مثلاً خمسة ملوك كل واحد منهم اسمه « اليفع » لكن كلاً منهم يمتاز عن الآخرين بلقب : فاحدهم اسمه اليفع السعيد والآخر اليفع الشهير وآخر اليفع السامي وهكذا [١] . ومن هذا القبيل اسماء ملوك الروم والقابهم كاوغسطس ونحوه

وقس على ذلك القاب ملوك العرب بعد الاسلام من الخلفاء الراشدين فابو بكر يلقب بالصديق وعمر بالفاروق . وشاع تلقيب الخلفاء على الخصوص في الدولة العباسية فابو العباس لقب بالسفاح وخلفه بالمنصور فالمهدي فالهادي فالرشيد فالامين فالمأمون . وهذه كلها القاب غير اسمائهم . ثم صارت القابهم تضاف الى اسم الجلالة كالمعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل على الله وغيره وهم كثيرون

وقلدهم الفاطميون في الدولة العبيدية فمن خلفائهم بمصر المعز لدين الله والعزيز بالله والحاكم بامر الله وغيرهم . وجرى على نحو ذلك اكثر ملوك المسلمين في البلاد الاخرى فلوك الاكراد والايوبيون اتخذوا اسلوباً آخر في التلقيب فجعلوا القابهم

(١) راجع كتابنا تاريخ العرب قبل الاسلام صفحة ١١٢ ج ١

نعوتاً تليق بالملوك كالعادل والكامل والصالح والناصر . وخلفهم مماليكهم ونسجوا على منوالهم وتجاوزوهم فمنهم الظاهر والناصر والاشرف ونحوهم مما يطول شرحه

على ان ملوك سامان عدلوا عن هذه الالقاب واكتفوا بالكنى واشتهروا بها كأبي نصر وابي الحسن وابي صالح وابي القاسم وان كانوا يسمون بالملك والمؤيد والموفق والمنصور . واذا ماتوا سموهم بما يوافق ذلك فقالوا الحميد الشريد والسعيد والسديد

٣ — القاب الامراء والقواد

كان النبي يلقب اصحابه بالقاب تلائم ما يتوسمه فيهم كتلقيبه خالد بن الوليد بسيف الله وابا عبيدة الجراح بامين الامة وابي بكر بالصديق ونحو ذلك . وقل من تحداه من الخلفاء في تلقيب امرائهم او عمالهم . فلما استبحر عمران الدولة في زمن العباسيين لقب المأمون قائده طاهر بن الحسين بذي اليمينين لانه كان يستخدم يديه معاً ولم يجعل ذلك قاعدة ولكنهم قلدوه بتسمية ذي الرئاستين وذي الكفايتين وذي السيفين وذي القلمين

فلما استكثر العباسيون من الاتراك واشتد ساعدهم وصاروا يعولون عليهم في القيادة والسيادة صاروا يلقبونهم بالقاب يضاف اليها اسم الدولة او الامة وقلدهم بها من عاصرهم من ملوك الاسلام فلقبوا قوادهم بمثل هذه الالقاب . وهذه اسماء اشهر من لقب بالاضافة الى الدولة او الامة او الملة في العصر العباسي

القاسم بن عبيد الله	ولي الدولة
ابو محمد بن حمدان	ناصر الدولة
علي بن حمدان	سيف الدولة
علي بن بويه	عماد الدولة
احمد بن بويه	معز الدولة
الحسن بن بويه	ركن الدولة
بختيار بن ابي الحسن	عز الدولة
ابو اسحق ابن الحسين	عمدة الدولة
ابو حرب ابن ابي الحسين	سند الدولة
بيستون بن وشمجير	ظهير الدولة
بويه بن الحسن	مؤيد الدولة

المرزبان بن بختيار	اعزاز الدولة
كابوس بن بختيار	شمس المعالي
حارث بن احمد	ولي لدولة
فناخسرو بن الحسن	عضد الدولة
ابن فناخسرو	فخر الدولة وفلك الامة
ابو كلنجار	صمصام الدولة وشمس الملة
ابو الفوارس بن فناخسرو	شرف الدولة وزمام الملة
رستم بن علي	مجد الملة وكهف الامة
محمود بن سبكتكين	يمين الدولة وامين الملة
فيروز بن فناخسرو	بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الامة
محمد بن ابراهيم	ناصر الدولة
طاش الحاجب	حسام الدولة
فائق الخاصة	عميد الدولة

وغيرهم كثيرون

واعتبر ذلك في ما كانت تمنحه الدولة العباسة الى عمالها ووزرائها من القاب الشرف او هي كالرتب مثل «صاحب» و«رئيس الرؤساء» و«زعيم الزعماء» للوزراء و«امير الامراء» للعمال وغيرذلك . ثم تولدت طائفة من الالقاب تضاف الى لفظ الدين كنور الدين وصلاح الدين وولي الدين وشرف الدين . او الى الملك مثل نظام الملك ومؤيد الملك او الى الجيوش كامير الجيوش وعميد الجيوش

٤ — الرتب والالقاب اليوم

كل ما تقدم من الالقاب الرسمية او نعوت الشرف قد بطل استعماله ونشأت في مكانه القاب لكل دولة تمتازعما في سواها وان كانت تتشابه في دول اوربا حتى تكاد تكون واحدة فيها جميعاً . واما في الشرق فللدولة العثمانية القاب وللفارسية اخرى . وهي على اجمالها تخلفت عن رتب رسمية او مناصب كان اصحابها ينالونها بالسيف او بالولاية او بالارث ثم صارت القاباً تمنح للتشرف بها كما سنبينه

والرتب على الاجمال اليوم اما عسكرية او ملكية غير الرتب الدينية ونحوها مما لانتعرض لها . فالرتب العسكرية الحديثة متشابهة في الشرق والغرب لان النظام العسكري متشابه فيهما تكتفي بالمقابلة بين رتب الجند العثماني ورتب الجند الانكليزي في الجدول الآتي

الضباط

الرتبة عند الانكليز	لفظها	يقابلها في العربية
Field Marshal	فيلد مارشل	سردار
General	جنرال	مشير
Lieutenant General	لفتنانت جنرال	فريق
Brigadier General	بريجدير جنرال	لوا
Colonel	كولونل	اميرالاي
Lieut. Colonel	لفتنانت كولونل	قائمقام
Major	ماجور	بيكباشي
Captain	كبتن	يوزباشي
Lieutenant	لفتنانت	ملازم
Conductor	كوندكتور	صول
	صف ضباط	
Serjeant Major	سرجنت ماجور	باشجاويش
Sergeant	سرجنت	جاويش
Corporal	كوربرل	اونباشي
Second Corporal	سكوند كوربرل	وكيل اونباشي

النفر العسكري يسمى عندهم (private)

اما الرتب الملكية فتختلف احوالها في الشرق عما في الغرب فانها عندنا عبارة عن الرتب العسكرية نفسها بدون حقوقها وامتيازاتها . فرتبة اللواء العسكرية مثلاً لها راتب معين وحقوق معينة اما الملكية فانها تقتصر على لقب الشرف . ويلحق باصحاب هذه الرتب القاب رسمية هي موضوع كلامنا كالباشا والبيك والافندي . وهناك القاب يعدها الناس علامة شرف وان لم تمنحه الحكومة كالخواجه والدكتور وعند الافرنج من الالقاب الملكية طائفة حسنة كالبرنس والكونت والسير وغيره ولكل من هذه الالقاب تاريخ يستحسن ذكره بالاختصار

٥ — الالقاب الشرقية النهائية

(١) الباشا . كلمة فارسية الاصل منحوتة على الغالب من « بادشاه » وهو لقب السلطان والكلمة مركبة من لفظين فارسيين « باد » ومعناها « ليكن » اوهي مقتطعة من « بادر » اب و « شاه » ملك . فكان المراد بها في الاصل اب السلاطين او ملك الملوك . ثم لقب بها الصدر الاعظم تكريماً ونحتت بالاستعمال . او انها مشتقة لفظاً من « باش » بالتركية اي راس . وعلى كل فانه لقب حدث في زمن الدولة

العثمانية واول من لقب به الصدر الاعظم ثم لقب به ولاة الاقاليم ثم اصبح رتبة عسكرية ثم ملكية كما رأيت

(٢) بك . وهي لفظ فارسي ايضاً ومعناه السيد وقد اطلق في الدولة العثمانية على حاكم المقاطعة او المدينة وهو تحت الباشا . وكان في مصر لقباً لمنصب المدير منذ دخول هذه الديار في حوزة الدولة العثمانية ومن ذلك البكوات المماليك فانهم كانوا في مثل ذلك اما الآن فلم يعد لهذا اللقب رتبة او منصب معين وانما يناله الجهادي اذا رقي الى رتبة قائمقام او اميرالاي والملكي اذا منح الرتبة الثانية او الثانية الممتازة

(٣) افندي . وهو لقب كثير الورود اليوم ولكنه كان في الاصل لقباً لافراد العائلة السلطانية مثل برنس عند الافرنج . اما اصل اللفظة فيوناني وهو في اليوناني الحديث Afentis وفي القديم Audentis ومعنا السيد المطلق او القائد المطلق . والظاهر ان يوناني القسطنطينية لقبوا افراد الاسرة الشاهانية الذين افتتحوا بلادهم بلقب الاسياد ثم تداول اللفظة اليونانية الاتراك انفسهم وانتشرت في ولاياتهم وصارت نعتاً للعلماء العظام وارباب القضاء فيقال قاضي افندي ومفتي افندي وباشا كل . ثم أطلقت على اي رجل من رجال العلم وهي الآن تعطى رسمياً للرتب العسكرية التي هي تحت القائمقام الى الملازم . واما غير رسمي فيلقب بها صغار مستخدمي الحكومة على الاطلاق ورجال العلم وغيرهم مما لا ضابط له

(٤) خواجه . وهي فارسية الاصل ومعناها بالفارسية معلم ولكنها تطلق عندهم على كبار التجار ومنهم اتخذها المصريون والسوريون وغيرهم لقباً للتجار فيقولون الخواجه فلان ويريدون به التاجر فلان وهي الآن تستعمل لمثل ذلك ولكنها غلب في استعمالها المسيحيين كما غلب في استعمال افندي للمسلمين . على ان لا ضابط لكل ذلك . وفي مصر « الخوجه » الاستاذ بكل معانيها ولا ريب في انها وخواجه شيء واحد

واما سائر الالقاب كالحج والشيخ والسيد والدكتور والاستاذ وغيرها فقد فسرناها في السنة الثانية من الهلال

٦ — الالقاب الافرنجية

هي كثيرة نذكر اشهرها :

(١) البرنس : واصله في اللاتينية Princeps ومعناه الاول او القائد واول من لقب به رئيس المشيخة الرومانية ثم صار لقباً لصاحب المملكة الرومانية ثم نعت به خاصة

القواد العظام وهو الآن في انكلترا خاص بولي العهد البرنس اوف ويلس واما في الممالك الاخرى فلا حدود لاستعماله

(٢) دوق او دوك : واصله في اللاتينية Dux ومعناه الزعيم او القائد وكانوا يلقبون به خاصة حكام المقاطعات العسكريين في المملكة الرومانية واول من استعمله لذلك الامبراطور قسطنطين الاعظم سنة ٣٢٥م وما زال لقباً لقواد العسكرية الى اواخر حكم الدولة الرومانية فصار لقباً لصغار الملوك بقطع النظر عن صفتهم العسكرية وتسمى مملكتهم دوقية ومنهم دوق نورمانديا وغسقونيا وبورغنديا وغيرها . ولا يزال يستعمل لمثل ذلك في جرمانيا الآن وقد يضيفون اليه في اوله لفظ (آرش) رئيس او (غران) كبير فيقولون غراندوق بادين وارشيدوق اوستريا وما شاكل . واول من استعمله لقب شرف ادوارد الثالث ملك انكلترا لقب به ابنه الامير الاسود فدعاه دوق او دوك كورنوول (سنة ١٣٣٥) ثم صار لقباً لولي عهد انكلترا ثم جعل خاصاً لافراد العائلة الملوكية الانكليزية ويشترك فيه الآن ايضاً العائلات العريقة في الشرف عند الانكليز وهم المقربون من الاسرة الملوكية . وممن لقب به من افراد العائلة الملوكية وقد انقضا اسماؤهم دوك كانوت ودوك كمبردج وغيرهما

(٣) الماركيز . لفظ سكسوني الاصل مشتق من لفظ march او mark الحدود وخصوصاً الحدود بين مقاطعات بريطانيا العظمى . ومعنى الماركيز في الاصل خفر الحدود او قائد الحدود . واول من استعمل هذا اللفظ ريكاردوس الثاني لقب به روبرت دي فير فدعاه ماركيز دوبلين سنة ١٣٨٥ م وجعل مقامه في البرلمان متوسطاً بين الدوق والارل . ثم جعل الملوك بعده يمنحونه لقب شرف . ويلقب به ايضاً ابناء الدوقات ولكن ذلك من قبيل التأدب

(٤) ارل . وهو لفظ دنماركي الاصل ومعناه الحاكم وكان يسمى به حكام المقاطعات في جهات الدنمارك وما جاورها من شمالي اوربا وكانت له حقوق وامتيازات كالتي للكومس Comes عند الرومانيين والكومس هو الكونت عند الفرنساويين ويقابله عند الانكليز الارل . وقد دخل هذا اللقب انكلترا في عهد الدولة السكسونية اي قبل الدوق والماركيز . وكان لقباً للحكام كما قدمنا ثم صار الآن لقب شرف

(٥) فيسكونت . وهو مؤلف من لفظين ونسبته الى الكونت او الارل كنسبة القنصل عندنا الى فيس قنصل وكان قبلاً لقباً لوكلاء الكونتية او الارلية واول ما استعمل هذا اللقب في انكلترا وفضل على البارونية سنة ١٤٤٠م ولكنه كان قديماً في فرنسا

(٦) البارون . آخر القاب الاشراف وهو قديم عندهم او هو اقدم القابهم المتقدم ذكرها . واما اشتقاق اللفظ فغير متفق على حقيقته لقدم عهده . لكن المحقق ان البارونية كانوا في الازمنة الاولى لدول اوربا اشبه شيء بالملتزمين او المتعهدين الذين كانوا في مصر على عهد الامراء المماليك اي انهم يلتزمون الاراضي ويتكفلون للحكومة بخراجها وهم يعملون بها ويستخدمون الفلاحين او اسافل الناس في حرثها واستغلالها . وكان البارونية في اول امرهم اعوان الملك وذوي شوراه ثم تكاثروا فقسموا الى صفوف ورتب ثم لما بطل اقطاع الاراضي بقي اللقب اثراً له وتحول المراد منه الى لقب شرف . ولما وجدت الالقاب الخمسة المتقدمة اصبح البارون تحتها كلها

(٧) بارونت . وهو بارون بزيادة التاء في آخره وهي علامة التصغير في لغاتهم فكأنهم يريدون بالبارونت باروناً صغيراً . وسبب ايجاده ان الملك جيمس الاول من ملوك انكلترا احتاج الى مال فاختلق هذه الرتبة ومنحها لنحو مائتي رجل من اغنياء بلاده وفرض على الواحد منهم مالاً يدفعه للخزينة ثم تواصل استعمال هذا اللقب فيما بعد وتنوعت أحواله . وينعت البارونت الآن بلقب « سير » وامرأته « لادي »

(٨) نايت . واصل اللفظ سكسوني Cniht ومعناه الخادم او خادم الملك ولكن معناه بالانكليزية الآن الفارس . وكان في اول استعماله عسكرياً محضاً وكانوا يحتفلون بتقليده احتفالاً دينياً . وكان جماعة النايتية على اقسام ورتب فمنهم جمعية فرسان مالطا و جمعية فرسان بيت المقدس وغيرهم . ولكل من هؤلاء الجماعات تاريخ خاص ليس هنا محل الكلام عليه . واما هذا اللقب فيمنح الآن مكافأة على خدمة في ساحة الحرب او خدمة علمية او ادبية وينعت صاحبه بلفظ « سير »

(٩) اسكواير . يرجع الى اصل معناه « حامل الترس » وكان في الاجيال المتوسطة يطلق على شبان من اهل التهذيب والادب يلازمون النايت فيحملون له الترس ويقومون بخدمته فاذا اشتد الاسكواير واظهر بسالة وكفاءة منحوه لقب نايت . اما الآن فالاسكواير اعلى رتبة من (مستر) اللقب الاعتيادي لخاصة الانكليز ويلقب به رجال العلم او كبار المحررين او ما شاكل مما لا ضابط له

اما لفظ (مستر) فهو لقب اعتيادي لخاصة الناس عندهم ومثله موسيو في الفرنساوية . والمستر مشتق او منحوت من (ماستر) Master ومعناها معلم كما هو الحال في لفظ خواجه عندنا

اما (سير) وينعت به البارونت والنايت فمعناه السيد وهي في الفارسية (سر) الرأس

ومنها سر عسكر وسردار وما شاكل . وقد ينعت بها من يحرز بعض النياشين العليا ولا بد عند تلقيب احدهم به من ذكر اسمه الخصوصي فضلاً عن اسم عائلته فلا يقال السير سكوت بل يقال السير جون سكوت . على ان (سير) تستعمل ايضاً عندهم في الخطاب على الجماهير او في المكاتبات فيبدأ بها الخطيب او الكاتب

اما « لورد » فهو لقب الاشراف ولهم في اصل هذا اللفظ ما لا يخلو ذكره من فائدة قالوا ان سراة الانكليز كانوا قديماً يخبزون خبزاً يفرقونه في المساكين كل اسبوع فكانوا يسمونهم بالسكسونية Lafords اي معطي الخبز ثم نحت اللفظان الى Lord وحفظ فيها معنى السيادة . ومعنى لورد لغوياً الآن السيد وباضافة أل التعريف اليه يدل عندهم على اسم الجلالة مثل « الرب » في العربية



تأثير الاعصاب على الصحة (١)

الاعتقاد في أن العقل يمرض ويشفي

من الناس من يتوهمون ان في اجسامهم امراضاً وان العلل ألفت حياتهم فيشكون من الم في القلب او الكبد او المعدة والواقع ان ليس فيهم الم . واوهامهم هذه تجعلهم ان يقضوا حياة التعاسة والشقاء ودابهم الحديث في ما فيهم من العلل ويتوقعون من السامعين ان يؤاسوهم

ولا مشاحة في ان جميع الامراض يمكن ان تصيب الاجسام بفعل الوهم كما يعلم من خبر « اعمال الاعصاب » ان العضو الذي تتجه اليه الافكار في عمله وخواصه يمرض من مجرد الاهتمام به . ولذلك أرى ان الافضل للانسان ان لا يعرف شيئاً عن جسمه ولا سيما اذا كانت معرفته ناقصة فان ضررها اكثر من نفعها . ولذلك كانت الكتب الطبية التي تعتمدها العائلات في الاعتناء بصحة عيالهم مضرة ايضاً لانها توهم

(١) من كتاب اسرار الجمال والصحة والسعادة للدكتور أمين كنعان

المطالع ان فيه جميع العلل والاعراض التي تصفها تلك الكتب . فييأس و يقنط و يخاف المرض وهو في تمام الصحة والعافية ولاداء فيه ولامرض الا الوهم بل بالحري مرض المستيريا الخطر

فزيادة الاهتمام بالمعدة والافتكار الدائم فيها يسببان حركة وثقلاً او عسر هضم . وكل عضو يؤثر فيه الاهتمام به والافتكار فيه ويشتد هذا التأثير في ذوي الامزجة العصبية ولا سيما في القلب او الكبد . والقلب سريع التأثر

وقد رأيت مراراً سيدات اذا مشين او ضحكن او بكين او جلسن وضعن اليد على موضع النبض ليعرفن حركة القلب لتوهمهن ان القلب ضعيف او مريض . وقد يتحول الوهم الى حقيقة لمجرد الخوف والقلق . فعلى الطبيب ان يكتم امثال هذه الامراض عن اصحابها اذ كثيراً ما يؤدي العلم بها الى الموت

وكما ان للعقل تأثيراً عظيماً في احداث الامراض كذلك له تأثير اعظم في الشفاء من امراض خطرة مخيفة وبناء على هذه الحقيقة قامت شيعة العلم المسيحي Christian science في الولايات المتحدة الاميركية وهي تعتقد قدرتها على شفاء جميع الامراض بالايمان والصلاة وقد نجحت كثيراً ولا سيما في الامراض العصبية . والواقع اننا نعرف كثيراً من الامراض الوهمية التي تشفى بالاوهام . وقد وقع كثير من الحوادث التي تؤيد هذه الحقيقة منها ان رجلاً توهم انه مصاب باعتقال في مرفقه (وهو ما تسميه العامة بالكوع وهو غيره) وانه لا يقدر ان يحرك ذراعه البتة . فتنقل من طبيب الى آخر يطلب علاجاً يشفيه . وكل من هؤلاء الاطباء كان يجيبه بالحقيقة اي ان يده سليمة لا اعتقال فيها وهو لا يصدقهم حتى اتى طبيباً عرف حقيقة حال الرجل اي انه مصاب بمرض الوهم فقال له ان يده معتقلة حقاً وان جميع الاطباء الذين رأوه اخطأوا فيما قالوه له ووصف له علاجات بسيطة تعاطاها معتقداً فائدتها فشفي في وقت قصير

ومنها — ان رجلاً أتى يوماً طبيباً يشكو له من مرض في داخله فعرف الطبيب المرض وكتب له صفة (روشاته) قائلاً خذ هذا الدواء تشف . فذهب الرجل لساعته . ثم رجع الى الطبيب بعد خمسة عشر يوماً فقال له قد شفيت تماماً وها انا ذا بتمام الصحة وقد جئت لاشكرك على الدواء الناجع الذي أعطيتني اياه فسر الطبيب لهذا الخبر كثيراً

وافتخر بحذقه ومهارته في الطب . ثم قال الرجل اين الصفة التي كتبتها لك فاجاب قد أكلتها ياسيدي اوليست هي الدواء الذي أعطيتني اياه ؟

فهذه الحوادث وامثالها توضح حقيقة الاوهام من جهة العجائب العصرية التي يزعمون انها تتم بالايمان . فان الايمان من افعل الوسائل للشفاء من امراض كثيرة . وعلى هذا جرى المثل السائر « آمن بالحجر تبرأ »

٢ — في اضرار الغم والاضطراب

من اعظم آفات الصحة الغم وشدة الاهتمام في امر الدنيا وتثقيل الانسان على نفسه بالحرص عليها والاسترسال الى الانغماس فيها وجعلها قوام الحياة والسعادة

وقد يتأمل المرء في مخاوف الحياة وويلاتها ومصائبها ونكباتها فيثقل ذلك على قلبه ويضر بصحته ضرراً بالغاً . ويتوهم ان المستقبل في عبوس يجرّ وراءه انواع الاهوال الجسام فتخور قواه ويستولى عليه مايؤثر في صحته تأثيراً عاماً قد يؤدي الى سوء العقبى . ينظر الى الجهة المظلمة من جهتي الحياة فيموت رجاؤه وتنقطع آماله وتغيب عنه افراح الحياة ومسراتها — تلك حالة تأكل من الجسم يوماً فيوماً وتضعفه فيمرض ويستحكم مرضه فيموت

فاذا كان الحال كذلك فشديداً يجب ان يكون الحذر من الاستسلام الى مفاعيل الغم والكآبة والاحزان عند نزول المصائب التي لا تخلو منها حياة . ويجب ان تقابل بعزم ثابت وصبر جميل وحلم وسعة صدر . ولا يكون ذلك بغير الاتكال المطلق على القوة المدبرة لهذا الكون غير المحدود والتسليم لاحكامها التي لايجوز الاعتراض عليها . كذلك يجب ان نترفع عن الاهتمام بصغائر الامور وجزئيات الشؤون وان نقوي الارادة فينا حتى نصير قادرين على ان نحكم طباعنا ونسود على عاداتنا وان لا نهتم بشيء قبل وقوعه فكثيراً ما نخاف شرًّا نتوقعه ثم هو لا يصيبنا فيذهب الخوف سدى . وما أحلى قول السيد في هذا المعنى « لاتهتموا بالغد لان الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وما أحسن اتباع المثل السائر « اذا لم يكن ماتريد فارد مايكون »

واسرع انواع الانفعال اضراراً واقربها خطراً الحدّة والغضب فانها كثيراً ماتنتج امراضاً في القلب او الدماغ . وما أكثر الحوادث التي أظهرت نتائج الغيظ

بأوضح الصور . فان كثيرين ماتوا فجأة بفعل غيظ شديد . وكثيرون مرضت قلوبهم أو معدهم أو أكبادهم أو فقدوا عقولهم أو صاروا بلهاً أو مجانين من هذه الانفعالات وكم من طفل ورد المنية لانه رضع من حليب أمه وهي في حال الحدّة والغيظ والاضطراب الشديد فاصابه تشنج لم يزل الا بزوال حياة ذلك الرضيع . وسببه أن الحليب يصير سماً ناقعاً في مثل تلك الحال ويقال أن ريق الفم يتحول الى سم بما تفعله التكبات الفجائية . ولا يخلو هذا القول من الصحة فان الحيوانات اذا عضت وهي هائجة صعب شفاء جرح العضة بخلاف ما لو عضت وهي ليست كذلك

فمن اهم الواجبات اذاً ان يروض المرء قوة الحكم على الطباع الجافية والاخلاق الفظة ويتدبر الامور بالتأني والصبر والحكمة . وملاقاة النوائب بالتسليم التام والاتكال وان يكون دائماً باسم الثغر ناعم البال فيرى الحياة هنيئة ويرى ايامه سعيدة ملؤها صفاء ولذة وانه في اتم الصحة

٣ ــ في اكسير الشباب

حاول القدماء كثيراً الاهتداء الى طريقة تحفظ غضاضة الصبا ونضارة الحياة ولا يزال هذا الامر سرًّا من الاسرار الطبيعية المكتومة . وقبل ان نجيء على ذكر التجارب الكثيرة التي جربوها لادراك هذه الغاية اذكر ما قاله الدكتور الروسي الشهير متشنكوف « ان عدد السنين بعد البلوغ لا يدل على درجة الانسان من العمر » يعرف عمر الشجرة من حجمها وعدد طبقاتها فهي تكون بقدر سني الحياة . ولكن لا تصدق هذه القاعدة على الانسان . فان عمر الانسان يكون بقدر تغيرات شرايينه . ويعذر من ينقص من عدد سني حياته بشرط ان يكون مظهره وقوة بنيته وصحته وعقله دالة على الصغر

ان الولد يفوق الكبير في قابلية الاكتساب والتعلم والتهذب وقوة الذاكرة والتحول من حال الى حال بحسب المحيط الذي هو فيه — فهو كالغصن الرطيب كيفما أملته مال فان قومته تقوم وان عوجته تعوّج ــ ولما كانت معاشرة الاحداث من اسر المسرات والذ الملذات كان الاجتماع معهم والاختلاط بهم من الوسائل الفعالة في حفظ نضارة الشباب وزهائه ــ ولا يتدئ الانسان بتهذيب نفسه على القواعد الحقيقية الا اذا

صار له اولاد فهم يهذبونه ويحفظون له غضاضة شبابه ـ قال الفيلسوف سبنسر « كن ولداً بقدر ما تستطيع » ومن احسن وسائل سعادة الحياة ولذتها ان يقضي المرء مع الاحداث والصغار ساعات قليلة كل يوم لان حياتهم المنبئة وبساطة قلوبهم وطهارتها وفرحهم الدائم تعدي معاشريهم . والتأثرات العصبية تقبل الانتقال بواسطة تلك القوة العصبية المسماة إيعازاً ـ فمن ذلك يتضح ان معاشرة الاحداث من ضروريات حفظ مظهر الشبية واحراز السعادة ـ فترى الوالدين في الغالب احدث سناً من العزاب وهم في نفس السن . ومن اهم اسرار حفظ الشباب ايضاً المواظبة على الاعمال النافعة في الحياة فانها تمنع الانسان من قضاء اوقاته بالكسل والخمول والبطالة . الامور التي من شأنها ان تجعل الانسان يوغل في الملاذ الجسدية والشره في المآكل . وتحول بينه وبين الافكار السقيمة السافلة . وتسد ابواب الخصام والغيظ التي من نتائجها النحول والسقم والاسراع بصاحبها الى القبر . وانصرافه الى الاعمال المفيدة اللاذة التي تبعده عن مظهر الشيخوخة وتطيل حياته . والافضل لنا ان نتعب ونحيا طويلاً من ان نكسل ونموت سريعاً . فرجل العمل والاجتهاد الذي يصير ذا سعة ويسار بمواظبة عمله يشيخ ولا يقدر ان ينقطع عن الدأب والسعي

فعلى من يسعى وراء الحياة المنبئة السعيدة ، اولاً : ان لا ينظر الى العالم نظره الى اهم ما في الحياة . ثانياً : ان لا يفكر في هموم الماضي ونكباته ولا في من فقد من الاحباب والاعزاء لئلا يصاب بما اصيبت به امرأة لوط بنظرها الى الوراء . والذي اعنيه انه يرزح تحت اثقال اليأس والقنوط وذلك اردأ من التحول الى عمود ملح . ويجدر بنا ان نفكر في الماضي لنتعلم منه ولكن لا يجوز ان نحيا للفكر فيه او ان ترافقنا همومه مدى الحياة . بل يجب ان نحيي الامل بحسن المستقبل فان ذلك ينعشنا ويصير الحياة سلسلة سعادة . ومن يعيش للماضي فهو ميت في الحال . ثالثاً : يجب ان نعمل الى الساعة الاخيرة من ساعات الحياة . فكم من الطاعنين في السن يتشاءمون بالحياة ويتذمرون من احوالهم مهما كانت ويتأففون لا راحة لهم ولا هناء . ومن هؤلاء الجدات والحموات اللواتي يملن الى الخصام والتذمر ـ كل ذلك ناتج من الانقطاع عن العمل وحب الذات وفقد الآمال وعن بعض التغيرات الفيسولوجية في الدماغ

ومن الوسائل لتأخير زمن الكهولة ولحفظ نضارة الشباب تجنب العمل فوق الطاقة والمؤثرات الشديدة المزعجة والافراط في المأكل والمشرب وقلة الرياضة — ومنها انتقاء المآكل السهلة الهضم والاكثار من الفاكهة والخضر والاسماك مع الامتناع عن المشروبات الروحية — ومنها العيشة الهادئة مع الاولاد والاحفاد ومشاركتهم في العابهم وحركاتهم الصبيانية فبذلك يطول زمن الشبيبة وتكون الحياة مملوءة من ضروب السعادة والهناء (انتهى)

اعداء الانسان

وكيف نقاتلهم

الانسان في الارض كالدخيل فيها او الغريب بين حيوانها ونباتها. كأنه حل اليها من ارض سواها لان كل شيء فيها ضده حتى الاقليم فهو لا يستطيع احتماله اما من شدة الحر او من شدة البرد ناهيك بالحيوانات المفترسة التي تهدده من كل ناحية . ولولا تعقله وقوة الاستنباط فيه لانقرض عن وجه الارض كما انقرض سواه من انواع الحيوان التي اختلف التناسب بين طبائعها وما يحيط بها من عوامل الاقليم . لكنه استنبط الوسائل للدفاع عن حياته فبنى البيوت يأوي اليها ويوصد ابوابها دون اعدائه واصطنع الاسلحة يدافع بها عن نفسه وخاط الكساء يتقي به البرد . وما برح منذ وجوده وهو يستنبط الوسائل لمحاربة تلك العوارض

وما لبث ان امن غائلتها بما وصل اليه من سعة العلم وطول الاختبار فقيد الاسود واحتبس النمور وذلل البخار وامتطى الهواء واخترق الجبال واستخدم العناصر فاذا هو بين يدي اعداء اصعب مراسا من الاسود واشد فتكاً من النمور -- نعني الامراض والاوبئة ثم علم ان تلك الامراض نتيجة لاسباب وان السبب ميكروبات لا تراها العين كما هو مشهور. فاصبح عدوه اليوم ذلك المكروب الصغير فانصرفت همة العلماء واهل البحث الى محاربته . وهم لم يعرفوا وجوده الا في اواسط القرن السابع عشر ولم يفهموا علاقته بالامراض الا في منتصف القرن التاسع عشر اذ اكتشفوا مكروب الجمرة . ثم اكتشفوا

ميكروب البرص سنة ١٨٧٩ وميكروب الحمى التيفوئيدية سنة ١٨٨٠ ومكروب التدرن سنة ١٨٨٢ وميكروبات الكوليرا والدفتيريا والتتانوس سنة ١٨٨٤ وميكروب الانفليونزا سنة ١٨٩٢ والطاعون سنة ١٨٩٤ والزنطاريا سنة ١٩٠٠ والسفلس سنة ١٩٠٥ ولكل من هذه الميكروبات شكل خاص

وقد تقرر الآن ان مقاومة الامراض الوبائية تقوم بمحاربة هذه الميكروبات ولم يكن الاطباء قبل اليوم يشفون الامراض — اي لم يكونوا يقاومون سيرها وانما هم ينتظرون نضجها وانصرافها . والهمم منصرفة اليوم الى التذرع بوسائل الدفاع لمقاتلة الميكروبات فاذا استطاعوا ذلك فقد نجونا من المرض بمنع حدوثه

والخطوة الاولى في هذا السبيل خطاها الدكتور متشنكوف الروسي فبين فعل كريات الدم على الميكروب اذا التقت به فانها تتربص كالحراس لا تلبث ان تلتقي بالميكروب حتى تقبض عليه وتهضمه وهي علة المناعة الطبيعية في الاصحاء . فاذا لم تقدر عليه نفث سمه في الدم فيفسد الانسجة ويسبب الامراض على اختلاف انواعها . ومقاومته حينئذ تكون اما بقتل تلك الاحياء المرضية نفسها او بابطال فعل سمها الذي تفرزه . ولهم في ذلك وسيلتان الاولى تخفيف السم في الدم والثانية التلقيح بسائل ميكروبي مخفف بطريق المصل

واستخدام المصل في شفاء الأمراض الميكروبية اشهر من ان يذكر . وان لم ينجحوا في كل انواعه فالذي ثبت نفعه منها مصل الدفتيريا ومصل التتانوس وهم يشتغلون في تجربة سواهما

على ان هذه الميكروبات تنتقل الى الابدان من الخارج فاخذوا يبحثون في طريقة تمنع وصولها الينا وذلك ايسر من قتلها بعد وصولها . فاكتشفوا ثلاث وسائل هامة تنتقل بها العدوى وهي اولاً : ان الناموس ينقل عدوى الملاريا . ثانياً : ذباب التسيتسي ينقل عدوى النوام (مرض النوم) . ثالثاً : الذباب الاعتيادي ينقل عدوى اكثر الامراض وقد ذكرنا ذلك في الهلال الاول من هذه السنة . واول من قال بانتقال العدوى بواسطة الهوام اللاسعة الدكتور بوبرتي سنة ١٨٠٣ ولم يلتفتوا الى قوله الا بعد اعوام عديدة اذ تحقق السير باتريك مانشن فعل الناموس في نقل المرض وهو يدرس داء

الجذام فتبين له ان الناموس يمتص الاحياء الميكروسكوبية المسببة لذلك الداء ويهضمها فيصاب بالمرض ثم يلسع الانسان فيعديه من مرضه . ويفعل نحو ذلك بنقل عدوى الملاريا . اما الذباب الاعتيادي فانه ينقل العدوى على ظاهر جسمه بما يعلق بقوائمه وخرطومه بملامسته الاجسام المرضية اوالعفنة فينقلها الى الاجسام الصحيحة فاذا وجدت استعداداً مرضياً عاشت وسببت المرض

فمقاومة الامراض متوقفة الان على منع اسباب نقل العدوى والذباب اهمها كلها لانه كثير في المنازل وغيرها

نحن والجامعة المصرية

والتاريخ الاسلامي

افاضت الجرائد في ذكر الجامعة المصرية وصاحب الهلال على اثر عدولها عن تعيينه استاذاً للتاريخ الاسلامي فيها . واختلفت الاقوال والآراء في هذا الشأن فرأينا ان نقول كلمة تقريراً للحقيقة ودفعاً للالتباس واجابة على الاسئلة التي اتتنا بهذا الشأن

لاخلاف في اننا اول من دعا الى انشاء الجامعة المصرية بمقالات نشرناها في اماكن كثيرة من الهلال منذ بضع عشرة سنة . فنحن من اكثر الناس غيرة عليها واشدهم رغبة في نجاحها . فلما انشئت فرحنا بذلك ونظرنا في امرها بعين الاهتمام ورأينا في بروغرامها نقصاً فانتقدنا خطة التدريس وقلة العلوم المقررة فيه . فاهتم مجلس ادارتها بملاحظاتنا وقرر اضافة كثير من العلوم التي ذكرنا حاجة البلاد اليها وأرسل نخبة من الشبان الاذكياء لتلقي تلك العلوم في اوربا ليعودوا ويعلموها هنا . فسرنا أن يكون ولاة أمر هذا المعهد العلمي منزهين عن كل غرض غير خدمة الامة المصرية

ونحن فى ذلك فاجأتنا الجامعة بكتاب مؤرخ فى ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ تطلب الينا فيه تدريس تاريخ الامم الاسلامية فيها هذا نصه :

من الجامعة المصرية في ١٦ يونيو سنة ١٩١٠ نمرة ٣٠٢

« حضرة المحترم جرجي افندي زيدان

« اتشرف باحاطة حضرتكم علماً ان مجلس ادارة الجامعة المصرية قرر انشاء كلية آداب تبتدئ الدراسة بها في العام القادم وان يكون من جملة العلوم التي تدرس فيها « تاريخ الامم الاسلامية وخصوصاً مصر الاسلامية » وقرر منح الاستاذ الذي يسند اليه تدريس هذا العلم راتباً قدره ٢٠٠ جنيه مصري على ان يلقي فيه اربعين درساً على الاقل في مدة السنة الدراسية التي تبتدئ في شهر نوفمبر وتنتهي في ١٥ مايو

« وحيث اننا نرى ان حضرتكم خير كفء لتدريس هذه المادة لما نعهده فيكم من سعة الاطلاع والدراية التامة نود لو كنتم تقبلون القيام بهذه المأمورية لما فيها من المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة ابناء هذا الوطن . فارجوكم افادتنا عما اذا كنتم تقبلونها بالشروط المذكورة وتفضلوا بقبول فائق احترامنا؟ رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

« ابراهيم نجيب محافظ مصر »

وصلنا هذا الكتاب ونحن غارقون في اشغالنا وهي على معظمها في ذلك الشهر (يونيو) والذي يليه لاننا نشتغل فيهما باصدار ملحق الهلال كل سنة . وكنا اكثر شغلاً في هذه السنة عما في سواها لان موضوع الملحق الذي علينا اصداره (تاريخ آداب اللغة العربية) من المواضيع التي تفتقر الى بحث وتنقيب . فلما جاءنا كتاب الجامعة وقعنا في حيرة وكان اول خاطر بدا لنا ان نعتذر بكثرة اشغالنا . لكننا اعدنا النظر في ذلك الكتاب فوجدنا الجامعة تدعونا الى « خدمة العلم ومنفعة ابناء هذا الوطن » وهو الغرض الذي وقفنا له حياتنا وقوانا . فترددنا لحظة خطر لنا في اثنائها ما قد يعتور تعييننا من القيل والقال لاختيارنا لهذا المنصب مع وجود من يقوم به من المسلمين — وان دلنا التاريخ على خلاف ذلك . فان الخلفاء في صدر الدولة العباسية لم يستنكفوا من ان يستخدموا في نقل العلم تراجمة من غير المسلمين وفيهم النصراني واليهودي والسامري والمجوسي والصابي وكذلك كان يفعل المسيحيون حتى في علوم الدين نفسه . فان ابا الفتح كمال الدين موسى ابن ابي الفضل الفقيه الشافعي احد اعلام المسلمين في القرن السادس للهجرة كان متضلعاً بالعلوم الدينية المسيحية واليهودية وكان اهل الذمة من المسيحيين واليهود يقرأون عليه التوراة والانجيل لا يرون في ذلك غرابة . وقد شرح لهما ذينك الكتابين شرحاً اعترفوا انهم لم يجدوا من اوضحهما مثله

لكننا علمنا من قرائن كثيرة ان حالنا غير حالهم . فرأينا ان نعرض هذه الملاحظة على ولاة امر الجامعة فيكون لنا بذلك عذر على الامتناع فنتفرغ لعملنا . وقد فعلنا فاجابونا انهم لايرون بأساً في ان يكون استاذ هذا التاريخ مسيحياً ولايظنون ذلك يسوء احداً لان المطلوب تعليم تاريخ « الامم الاسلامية » لا الدين الاسلامي وصاحب الهلال معروف باعتداله وانصافه ولا حاجة طبعاً الى الخوض في المسائل الدينية

فلم يعد يمكننا الامتناع ولو امتنعنا لحسب ذلك علينا ـ لاننا نزعم اننا نخدم الوطن واللغة وننتقد الجامعة ونطلب زيادة دروسها ثم يطلب منا ان نخدمها بدرس هو من خصائصنا ونأبى ؟ فقبلنا على ان نتحاشى الخوض في غير التاريخ السياسي . وكتبنا الى مجلس ادارة الجامعة مايأتي :

« من ادارة الهلال في ١٨ يونيوسنة ١٩١٠

« سيدي المفضال سعادة ابراهيم باشا نجيب رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

« تشرفت بكتاب سعادتكم المؤرخ في ١٦ يوليو الجاري الذي تخبرونني فيه ان مجلس ادارة الجامعة قد اختار هذا العاجز لتدريس تاريخ الامم الاسلامية وخصوصاً مصر الاسلامية في كلية الآداب التي انشأتموها في الجامعة المذكورة وسألتموني اذا كنت اقبل القيام بهذه المهمة على الشروط المذكورة في الكتاب المشار اليه . فاني على فضلكم لانكم ظننتم بي الكفاءة للقيام بهذا العمل الجليل . ووعيا ان القبول به يعد من قبيل المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة ابناء الوطن كما ذكرتم فاني اقبل اقتراح سعادتكم بكل سرور على الشروط المشار اليها وسابذل ما في الوسع لاحقق ظنكم فيَّ . واقبلوا فائق الاحترام ؟ جرجي زيدان »

وحالما دفعنا هذا الجواب الى الجامعة شعرنا بوطأة هـذا العمل الشاق . لكننا على عادتنا في كل عمل تأخذ به وجهنا اهتمامنا الى هذا الدرس . فأخذنا في اعـداد الخرائط اللازمة له على ان نرسمها نحن . فساعد ذلك على تأجيل صدور ملحق الهلال الى هـذا الشتاء . وهي اول مرة اخرناه فيها منذ انشأنا الهلال ولكننا اغتفرنا ذلك في سبيل مصلحة الجامعة المصرية

فأخذنا في عمل الخرائط وهي خمس كبيرة تعلق بالحائط : الاولى خريطة جزيرة العرب قبيل الاسلام . والثانية خريطة الحجاز وتهامة في اثناء الغزوات . والثالثة خريطة

العراق والاهواز وضواحي بغداد وسامرَّا فى اوائل الدولة العباسية • والرابعة خريطة المملكة الاسلامية فى القرن الثالث للهجرة والخامسة خريطة مكة المشرفة وما يحيط بها

اشتغلنا فى اعداد هذه الخرائط فى الصيف الماضي على يد مصلحة المساحة بالقاهرة ولم نفرغ منها الا فى منتصف نوفمبر • وهي الآن فى ادارة الجامعة

ولما رجعنا من لبنان فى سبتمبر الماضي جاءنا كتاب من الجامعة تطلب الينا فيه وضع بروغرام الدروس • فوضعناه مفصلاً فى عدة صفحات واخذنا فى تحضير المواد اللازمة لها • فاضطررنا الى تأجيل صدور ملحق الهلال مرة ثانية الى الربيع القادم واعلنا تأجيله فى الهلال الماضي • ولم نذكر هذا السبب هناك لاننا لم نكن قد ذكرنا خبر تعييننا في الجامعة تحاشياً من تقريظ نفسنا ولان هذا السبب لايهم القراء • وانما ذكرناه الآن لتقرير الحقيقة كما تقدم

وتناقلت الصحف العربية خبر تعييننا لهذا المنصب فاتخذه الناس دليلاً حسناً على التساهل الديني . ثم نشرت الجامعة بروغرام التدريس فى الصحف واخذنا نحن في كتابة المحاضرات • وترى خلاصة المحاضرة الاولى منشورة فى هذا الهلال

ونحن في ذلك قرأنا فى المؤيد ان مجلس ادارة الجامعة تناقش في هل يجوز ان يتولى تدريس التاريخ الاسلامي استاذ مسيحي • وان الاكثرية قررت انه لا يليق ان يتولى تدريسه الا استاذ مسلم يبدل من صاحب الهلال • فاستغربنا الخبر لانه لم يصلنا من مصدره

وفى اليوم التالي جاءنا وفدٌ من مجلس ادارة الجامعة بسط لنا الحقيقة وهي نحو ماقرأناه • وان الجامعة عمدت الى تعديل قرارها الاول مراعاة لعواطف الامة . فلم نجد في ذلك غرابة لاننا نبهنا اليه منذ خمسة اشهر • ولكننا تأسفنا لشيوع ذلك الخبر على صفحات الجرائد قبل مخابرتنا فأدى الى انتقاد افاضل يبذلون اقصى جهدهم في خدمة هذه الامة . ولوشعرنا باقل خلاف جرى في الجامعة بشان تعييننا لكفيناها مؤونة المناقشة على اهون سبيل وخففنا عنها عناء اللوم . وفي كل حال فاننا تلقينا عذرها بالقبول ووافقناها على تعيين من تشاء . ورجعنا الى عملنا وضميرنا في راحة وطمأنينة ونشعر اننا قمنا بما علينا وندعو للجامعة المصرية بالنجاح والسداد لان بنجاحها سعادة الامة المصرية وحياة اللغة العربية

هذا ويعجز القلم عن اداء واجب الشكر لزملائنا اصحاب الصحف العربية والافرنكية وغيرهم من ارباب الاقلام الذين خاضوا عباب هذه المسألة على اختلاف آرائهم واحكامهم فيها فانهم قد احسنوا الينا باحسانهم الظن فينا فوق ما نستحق جزاهم الله خيراً

باب السؤال والاقتراح

هل يتغير نظام الاجتماع

ويبطل الخصام والنزاع

﴿ بيروت . المدرسة الكلية ﴾ نجيب افندي فرح في القسم الطبي

ذكرتم في الهلال الاول من هذه السنة ان اعمال الانسان مبنية على تفاعل الاقليم والوراثة وانه لا يقدر على تغيير شؤون المجاري الطبيعية بل هو ينوع بعض آثار الوراثة والاقليم بوسائط أخصها التربية التي غايتها اصلاح شؤون الهيئة الاجتماعية وتنظيمها وتخفيف متاعب الانسان . وان دعاة الاشتراكية لن يفلحوا بتغيير نظام الاجتماع لأن آراءهم تخالف مجاري الطبيعة بناء على التفاوت في القوى البدنية والعقلية بين الناس وتخلقهم بحب الذات وحب الرئاسة والتغلب على الغير

فاريد ان أعلم اذا كان هذا التنوع في اعمال الانسان واخلاقه لا ينتهي الى كماله من حيث هيئته الاجتماعية واعني بذلك القيام بما هو واجب عليه من تلقاء نفسه

نحن نعتقد ان الانسان كان حيواناً في الاصل وانه ارتقى حتى بلغ الى احواله التي نراه عليها الآن حسب سنة النشوء بتنوع مستمر لازمه منذ الابتداء . ان حب الذات مثلاً من بقايا همجيته وكان فيه اقوى واشد بكثير فتنوع وقد ينتهي هذا التنوع الى شيء اعلى واجل . وكذلك التفاوت في القوى وحب الرئاسة والتغلب على الغير . ثم ان هيئته الاجتماعية بلا ريب تغيرت تغيراً عظيماً عما كانت قبلاً وان حقوق الفرد التي كانت مهضومة صارت الآن مؤيدة نوعاً . فابتدأ الناس يشعرون نحو بعضهم بعضاً

غير ما كانوا عليه قبلاً وذلك ايضاً نتيجة ذلك التنوع . فلماذا اذاً لا يفلح دعاة الاشتراكية ؟ ربما لا يفلحون في القرن العشرين لان آراءهم لا توافق آراءه ولكن ربما يفلحون في المستقبل . اني لا ارى بذلك مخالفة لمجاري الطبيعة

✻ الهلال ✻ ان تأثير الاقليم والتربية على الانسان ثابت لا جدال فيه . ولكن يظهر انه محدود ولا يصح ان يقاس بناموس النشوء العام الذي تفرعت به انواع الحيوان وارتقى به الانسان . فان هذا النشوء مع ثبوته لم يتوصل العلماء الى تعليله بالنواميس المعروفة في الارض منذ عدة آلاف من السنين . اذ لم يجدوا فرقاً بين بنية الانسان اليوم وبين بنيته منذ عشرين الف سنة او اكثر . فلا بد ان يكون لذلك الارتقاء في تحول الانواع بعضها الى بعض عوامل قد ذهبت منذ ازمان . والظاهر الآن ان الانواع ثابتة بدليل بقائها كذلك منذ آلاف من السنين . واما ما استطاعوا تنويعه منها بالصناعة فلا يخرج عن حد التباينات التي لا تختلف في جوهرها عن الاصل . فالكلاب قد زادت التباينات فيها على عشرات او مئات من الكلب الصغير الذي يحمل بالجيب الى عظيم الجثة كالحمار على اختلاف اشكالها . لكنها لم تفقد شيئاً من غرائز الكلاب . وقس على ذلك تباينات سائر الانواع — وناهيك بالحد الفاصل بين الانواع بالتناسل فان التزاوج بين نوعين اذا اعقب نسلاً فلا يكون ذلك النسل مولداً كما هو مشهور . فالانسان مهما يكن من ارتقائه فانه لا يخرج عن غرائزه البشرية وفيها حب الذات وطلب الرئاسة مع التفاوت في القوى العقلية والبدنية . وقد تتلطف تلك الغرائز بالتربية لكنها لا تذهب منه

وهناك باعث آخر على وقوف تأثير التربية عند حد لا يتعداه يحول دون ما نتمناه من الكمال . وذلك ان الامم اعماراً كالافراد — تنشأ الامة وتشب وتشيخ وتهرم وتموت كالانسان . فكما ان الانسان يحول قصر عمره دون نضج افكاره فالامة كذلك — يأخذ الانسان في الدرس والبحث منذ نعومة اظفاره ولا يزال يزداد علماً واختباراً حتى يصير شيخاً فيدهمه الموت ويذهب بثمار ذلك الدرس الا قليلا . وكذلك الامة فانها تنشأ في البادية وتتجه نحو الحضارة ولا تزال ترتقي وتتسع حضارتها بالعلم والفلسفة حتى يدركها الهرم وتضمحل فيأتي في مكانها امة اخرى تمشي على خطتها — ذلك كان شأن الامم في الاعصر الماضية ولا نظنه يختلف كثيراً في الاعصر المقبلة . فالموت او الانقراض يجعل تأثير التربية محدوداً

ويظهر من الآثار التي خلفتها الامم القديمة في مصر وبابل وغيرهما من بلاد الشرق

انها بلغت درجة عظيمة من التعقل والمهارة واعمال الفكر وظهر فيها الفلاسفة والحكماء فلما شاخت ذهبت ولم تخلف من آثارها الا قليلاً . وظل الشرق بعدها ادهاراً في ظلمات من الجهالة. وارتقى الغرب في اثناء ذلك فنبغ الفلاسفة والحكماء في بلاد اليونان وارتقت العقول والشعائر الى الدرجة القصوى وعرفوا حقوق الافراد بما انشأوه من الجمهوريات ونسج الرومان على منوالهم فلما دالت دولتهم عاد الغرب الى ظلمات الجهالة ونسيت تلك الحقوق . ونحن الآن في عصر من التمدن والنور لا ندري مصيره وقد يختلف عن مصير الامم السالفة بالكيفية لا بالنوع

واعتبر ذلك في نظام الاجتماع فان البشر اكثروا من التفكير فيه بالاعصر الغابرة وانتقدوه وارادوا تحويره من حيث السياسة او الاجتماع . ولا يزال كما كان منذ آلاف من السنين والامة فيه تتألف من حاكم ومحكوم وغني وفقير وقوي وضعيف وكاهن وعامي . ولا يزال نظام العائلة نحو ما كان عليه في اقدم ازمانه وقد ينحرفون عن النظام ثم يعودون اليه . كم تقلبت الحكومات بين الجمهورية والملكية وكم حوروا نظام العائلة ولم يخرجوا عن حدود الطبيعة برئاسة الاب واقتسام الثروة بالارث وان اختلفوا في تفصيل ذلك

ثم ان عواطف البشر لا تزال كما هي من اقدم ازمانهم . اقرأ الياذة هوميروس التي كتبت منذ ثلاثة آلاف سنة وسفر ايوب الذي قبل منذ اربعة آلاف سنة واعتبر ما جاء فيهما من وصف العواطف البشرية . فانك لا تراها تختلف عن عواطف اهل هذا الزمان شيئاً . ومن جملتها حب الذات والطمع وحب الاثرة ونحوها بل هي اليوم اقوى مما كانت عليه في تلك العصور . فما هو الدليل على انها ستذهب بالتربية ؟ والخلاصة اننا بما نعرفه من النواميس الطبيعية والقواعد الاجتماعية حتى الان لا نجد ما يدلنا على امكان وصول البشر الى عصر يكون الناس فيه اخوة لا يتخاصمون ولا يتنازعون ولا يحتاجون الى وازع او زاجر . والله اعلم

لفظ الشعر

﴿ الاسكندرية ﴾ حسن افندي مصطفى الشاذلي

ذكرتم في الصفحة ١٧ من كتابكم « تاريخ اللغة العربية » عن اصل لفظ « شعر » قولكم : والاظهر عندنا ان « الشعر » مشتق من اصل آخر فيه معنى الغناء او

معارضة شعرية

نظم احمد بك شوقي شاعر الامير ابياتاً عارض بها قول الشاعر :

يا ليل الصب متى غده ؟ اقيام الساعة موعده

وهي :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه مقروح الجفن مسهده
اودى حرقاً الا رمقاً يبقيه عليك وتنفذه
يستهوي الورق تأوهه ويذيب الصخر تنهده
ويناجي النجم ويتعبه ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة شجناً في الدوح تردده
كم مد لطيفك من شرك وتأدب لا يتصيده
فعساك بغمض مسعفه ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت (بيوسفه) و (السورة) انك مفرده
قد ود جمالك او قبساً حوراء الخلد وامرده
وتمنت كل مقطعة يدها لو تبعث تشهده
جحدت عيناك زكي دمي أكذلك خدك يجحده
قد عز شهودي اذ رمتا فاشرت لخدك أشهده
وهممت بجيدك اشركه فابى واستكبر اصيده
وهززت قوامك اعطفه فنبا وتمنع امليده
بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واشٍ يفسده
ما بال العاذل يفتح لي باب السلوان واوصده
ويقول تكاد تجن به فاقول واوشك اعبده
مولاي وروحي في يده قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له وحنايا الاضلع معبده
حسادي فيه اعذرهم واحق بعذري حسده
قسماً بثنايا لؤلؤها قسم الياقوت منضده
ورضاب يوعد كوثره مقتول العشق ومشهده

وبخال كاد يحج له — لو كان يقبل أسوده
وقوام يروي الغصن له — نسباً والرمح يفنده
وبخصر اوهن من جلدي — وعوادي الهجر تبدده
ماخنت هواك ولاخطرت — سلوى بالقلب تبرده

عجائب المخلوقات

هل ينطق القرد

القرد اكثر الحيوانات شبهاً بالانسان فهو يشبهه في كثير من عاداته واخلاقه ومن اوجه الشبه بينهما ان القرد يضحك ويطرب ويقلد ويتناول الشيء بيده وله اصابع مفصلة الى انامل واظافر ويقبل التلقين والتعليم ويأنس بالناس ويمشي على اربعة مشيه المعتاد وقد يمشي على رجليه كالانسان . وبالتشريح يتضح الشبه الكلي بين اعضائهما في العظام والاحشاء والاعصاب حتى الدماغ انه اشبه ادمغة الحيوانات بدماغ الانسان . لكنه يختلف عنه في بعض الطبائع وأهمها النطق فانه لا يزال الى الآن مزية الانسان على سائر انواع الحيوان ويراد بالنطق التلفظ كما يفعل الانسان لا مجرد التفاهم فان كثيراً من الحيوانات تتفاهم على اساليب مختلفة اما التفاهم بالنطق فانه خاص بالانسان

على ان الاستاذ جارنر من اساتذة جامعة بنسلفانيا باميركا يذهب الى ان القرد قابل للنطق اذا تعلمه من الصغر بتوالي الاجيال واعلن رأيه منذ سبع سنوات فهزئت الجرائد به حتى سمته الرجل القرد ولم يعيروا كلامه التفاتاً . لكنه أصرَّ على رايه واراد ان يثبته بالفعل . فعزم على السكن في الغابات التي تأوي القردة اليها ليعاشرها ويدرس اخلاقها ويحاول تعليمها النطق . وقد فعل فذهب الى اواسط افريقيا فقضى في غاباتها ست سنوات بين القرود وقد عاد بالامس الى بلده فيلادلفيا بعد ان انفق صحته وماله في سبيل خدمة العلم . وحمل معه اسطوانات فونوغرافية فيها بعض اصوات القرود

التي تتفاهم بها او تعبر بها عن حاجاتها الضرورية

وخلاصة بحثه في طبائع القردة من حيث النطق ان خاصة التفاهم قوية فيها وعندها اصوات تتفاهم بها او تعبر بها عن حاجاتها يزيد عددها على ٢٢ صوتاً (او كلمة). فالشمبانزي مثلاً اذا داهمه خطر من عدو جاءه صاح صوتاً خاصاً بذلك فتجتمع القردة من اهله للاخذ بناصره. فاذا اشتد الخطر عليه صاح صوتاً آخر. وعنده صوت آخر يعبر به عن اكتشاف فريسة وآخر عن الوقوف على ماء او الالتقاء بحبيب. للفرح او الغضب للفوز او الخوف لطلب الهجوم او اعلان الفرار وغير ذلك



القردة سوزي تتعلم القراءة

وحمل الاستاذ جارنر معه عدداً من قردة الكونغو جاء بها الى بلده ليعلمها النطق وفي جملتها قردة سماها « سوزي » ترى رسمها في الشكل بين يدي فتاة تعلمها التلفظ بأحرف الهجاء مرسومة على مكعبات من الخشب. وسوزي هذه مع صغر سنها تعبر عن حاجاتها باربعة عشر صوتاً من اصوات القرود وفيها ذكاء وتشبه طفل الانسان بكثير من احواله ولا سيما في الضحك والبكاء وسائر حركات الاطفال. ولذلك راى الاستاذ ان يعهد بتعليمها الى صغيرة مثلها. فكلف الفتاة التي تراها معها في الرسم وهي من بنات جيرانه ان تعلمها احرف الهجاء كما رايت. وقد لاحظ الاستاذ ان سوزي كانت تجهد نفسها وتعمل فكرتها لتفهم الدرس الذي يلقى عليها. لكنها كانت لا تستطيع صبراً على ذلك. ولعلها ندبت سوء حظها الذي ساقها من وطنها في غابات الكونغو الى ما بين يدي الانسان ليعلمها لسانه ويجلسها على كرسيه في حديقته وهي في غنى عن ذلك باصواتها

وغاباتها في بلادها تنتقل من غصن الى غصن تتفاهم بالصياح والقهقهة . ولكن الانسان معجب بمدنيته يظنها ارقى اسباب السعادة وهي بعيدة عنها مثل بعدها عن الفطرة الطبيعية

باب الاخبار العلمية

صناعات الملوك والاشراف

ما زال الملوك والامراء من قديم الزمان يتخذون صناعة او عملاً يلهون به في ساعات الفراغ وان كان الغالب فيهم ان يلهوا بالملذات اوالمنادمة اوالمسامرة . فلما انتشر العلم بهذا العصر واستنار الناس بالتمدن اعتبروا بما آل اليه ترف ملوك الدول الماضية فعولوا على الوسائط الصحية في حفظ ابدانهم وعقولهم . ومن اهم تلك الوسائل الرياضة البدنية او العقلية بالصناعات والمهن فاصبح ملوك اوربا واشرافها يتسابقون الى الصناعات يتعاطونها في ساعات الفراغ كل حسب ميله فيستفيدون ويفيدون بدلاً من انفاق اموالهم واوقاتهم في اهلاك ابدانهم وعقولهم ويكونون قدوة في ذلك لعامة الناس. فالدوق كارل تيودور صاحب بافاريا كان ماهراً في طب العيون . وملكة البورتغال اميليا انصرفت في ساعات الفراغ الى درس التمدن . والكونتة لويزا ابنة ليوبولد ملك البلجيك السابق اخترعت طريقة لحفظ الاطباق والمواعين على المائدة حارة واخذت الامتياز بها . وهنري امير بروسيا اخذ الامتياز بطريقة استنبطها لتنظيف الزجاج وعربات الاتوموبيل . وملك باڤاريا ذو استعداد عجيب للميكانيكيات وهو يسوق قطاره الملوكي بيده . وولي عهد المانيا تتلمذ في صناعة الحدائق الناعمة وهو من امهر اصحابها واخذ امتيازاً بطريقة في صنع عروة لتزرير الاكمام لا تحل . ودوق اولدنبرج نال امتيازاً بلولب للبواخر . والبرنس يواكيم انصرف بكليته للحدادة . والبرنس فريدريك سيجسموند من امهر النجارين واخوه صانع اقفال . وكان عبد الحميد ماهراً في النجارة وقد شاهدنا ادواتها في قصره . والامبراطور غليوم ماهر في التصوير وله مقدرة على الشعر والنثر فضلاً عن خبرته في تربية الماشية واصلاح الحدائق وله معمل فخار يتعهده بنفسه ويديره . وملكة رومانيا كاتبة مشهورة . والبرنسيس اوجيني

الاسوجية بارعة في التصوير . والارشيدوقة ماري تريز النمساوية ماهرة في الفنون الجميلة . والدوقة ارجيل نقاشة . وكان ادوارد ملك الانكليز السابق واسع المعرفة في تربية الماشية

❊ اقدم نسخ التوراة ❊ قال الاستاذ شايل العالم بالآثار في اكاديمية الآثار الكتابية القديمة . ان في المتحف البريطاني نسخة خطية سريانية من سفر اشعيا اكتشفه الاب تيسران مكتوبة سنة ٤٥٩ للميلاد وهو اقدم اثر خطي معروف حتى الآن من نسخ التوراة وعليه تاريخ كتابته

❊ غلة النحاس في العالم ❊ كانت غلة النحاس منذ عشر سنوات ٤٨٥٠٠٠ طن فصارت الآن ٨٣٩٢٦٥ طناً وذلك نحو ضعفيها . منها ٤٩٠٠٠٠ طن من الولايات المتحدة وحدها والباقي من سائر العالم

❊ حاسة الالوان في النساء ❊ من المشهور ان المراة اقوى من الرجل على تمييز الالوان والتفريق بينها ولكن بعضهم اجرى امتحاناً عن تمييز الالوان في جامعة كولورادو باميركا فوجد الرجال يفوقون النساء في تمييز الالوان الحمراء والصفراء والخضراء ويمتاز النساء في تمييز الالوان الزرقاء



مطبوعات جديدة

١ — الكتب

تاريخ الامة القبطية : هو كتاب ضخم الفته السيدة بوتشر الانكليزية وقد اتفق على نقله الى العربية وطبعه زميلنا تادرس بك شنوده صاحب جريدة مصر فصدر في اربعة مجلدات عدد صفحاتها جميعاً نحو ١٥٠٠ صفحة . وهو يشتمل على تاريخ الامة القبطة وكنيستها من اول عهد النصرانية الى الآن . ويدخل في ذلك مجيء يوليوس قيصر الى مصر وظهور المسيح وكرازة مرقس الانجيلي بمصر وما لاقاه النصارى من الاضطهاد وكيف تأيدت النصرانية بوادي النيل . وما وقع من الانشقاق والبدع من اريوس فما بعده ويتخلل ذلك تراجم من ظهر من نوابغ الاساقفة وكبار الرجال الى الفتح الاسلامي . وما توالى عليها في زمن الاسلام من الاحوال باختلاف الامراء ومطامعهم الى ان تولى ابن طولون فالاخشيد الى الفتح الفاطمي . وحال الامة القبطية في زمن الفاطميين ومن جاء بعدهم من الاكراد والاتراك الى زمن محمد علي واخيراً وصف حال الكنيسة

القبطية في القرن التاسع عشر . والكتاب يطلب من مطبعة مصر ومن مكتبة الهلال وثمنه ٤٠ قرشاً واجرة البريد خمسة غروش

الدرر : هي منتخبات المرحوم اديب اسحاق زعيم النهضة الانشائية الصحافية في القرن الماضي . وقد طبعت قبل الان لكنها لم تكن وافية لان بعض نفثات يراعه لم يكن يستطاع نشرها قبل الدستور اما هذه الطبعة فانها تحتوي على ترجمة حاله واقوال الجرائد فيه ومراثي الشعراء ومنتخبات خطبه ورسائله وقصائده ورواياته ومقالاته السياسية والادبية مما طبع من قبل ومما لم يتيسر طبعه الابعد الدستور. عني بجمعها وضبطها شقيقه عوني بك اسحاق وقد طبعت في المطبعة الادبية في بيروت طبعاً نظيفاً في ٦١٦ صفحة كبيرة . وهي تطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد ٤ غروش

الكنوز الذهبية : هو كتاب في الزراعة العملية المصرية تأليف السيد بك عزمي مفتش الدائرة السنية سابقاً وهو يشتمل على بيان مواسم الزراعة بمصر وانواع اراضيها وشروط الري وآلات الحرث وانواع الاسمدة البلدية والكيماوية باختلاف المزروعات وكلام عن المعارض والمعروضات وتفصيل عن زراعة اشهر البقول والحبوب والخضروات والاشجار وبحث في دودة القطن على الخصوص ويدخل في ٣٥٠ صفحة كبيرة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد غرشان

منتهى الافادة : هو كتاب صحي في اسرار الجمال والصحة والسعادة لمؤلفه الدكتور امين افندي كنعان ناصيف . وقد نشرنا منه مثالاً في هذا الهلال عن تأثير الاعصاب على الصحة وهو يطلب من المكتبة الادبية في بيروت وثمن النسخة عشرون غرشاً

تاريخ نابليون الاول : ظهر هذا الكتاب في نحو ٥٠٠ صفحة متوسطة الحجم واسمه يدل على موضوعه لم يذكر فيه مؤلف الكتاب ولا مترجمه ولكنه يطلب من مكتبة الآداب في بيروت ومكتبة الهلال والتأليف بمصر وثمن النسخة عشرون غرشاً واجرة البريد غرشان

الاسكا وكلونديك : وهما من بلاد الذهب في اميركا وقد الف حضرة جبران افندي عساف مرعي في وصفهما كتاباً ضخماً فصل فيه احوال تلك البلاد جغرافياً واقتصادياً ووصف اهم المدن وصف رحالة شاهد كل شيء بنفسه . وتكلم عن معادن تلك البلاد وزراعتها وسكانها وحيواناتها وعن الذهب واماكن وجوده وكيف يستخرجونه وكيف ينتفع به وغير ذلك وهو يطلب من مطبعة الحضارة بطرابلس الشام

السفر المفيد في العالم الجديد : هو دليل تجاري لابناء اللغة العربية في العالم اجمع وخصوصاً في اميركا لعام ١٩١٠ في مجلدين كبيرين بصفحات مزدوجة عددها نحو ٧٠٠ صفحة تحتوي على كل ما تشتاق النفس الى معرفتهِ من احوال اميركا التجارية وخصوصاً من حيث ما يهم ابناء العرب . وفيه خلاصات تاريخية واحصائية عن الولايات المتحدة والمكسيك والبرازيل وسائر جمهوريات اميركا . وفيها اعلانات التجار السوريين في اربعة اقطار المسكونة فضلاً عن اعلانات سواهم . فهو جزيل الفائدة في تقريب العلائق بين التجار العرب ويطلب من صاحبه الدكتور نجيب عبده وهذا عنوانه :
54 Wash. St. N. Y.

٢ — الجرائد والمجلات

سوريا الجديدة : هي جريدة اخبارية تهذيبية عمرانية تصدر في بوسطن ماس باميركا مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها الدكتور نسيم خوري بدل اشتراكها ٤ ريالات اميركية

الحارس : هي جريدة سياسية لصاحبها ومحررها امين افندي الغريب الكاتب الصحافي المعروف . تصدر في بيروت مرتين في الاسبوع بدل اشتراكها ٤ مجيديات بالممالك المحروسة وليرة انكليزية في الخارج

الدفاف : جريدة وطنية اجتماعية لسان حال المرأة المصرية . تصدر في القاهرة مرتين في الاسبوع لصاحبتها ساويان افندي احمد مهران السابعي بدل اشتراكها ٨٠ غرشاً بمصر و٢٥ فرنكاً في الخارج

جريدة العالمين : هي جريدة سياسية تصدر في منتريال كندا لم يذكر عليها اسم صاحبها ولا بدل اشتراكها

كارتوش : سلسلة روايات تصدرها مكتبة الهلال مرة في الاسبوع وموضوعها ملك اللصوص يباع العدد منها بنصف غرش غير أُجرة البريد ويطلب منها

الانيس : مجلة روائية ادبية تاريخية اخبارية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لصاحبها سليم افندي صادر ثمن كل عدد منها نصف فرنك

الحكيم : مجلة صحية طبية لصاحبها الدكتور محمد فضلي الجراح تصدر في دمنهور مرة بالشهر واشتراكها عشرون غرشاً

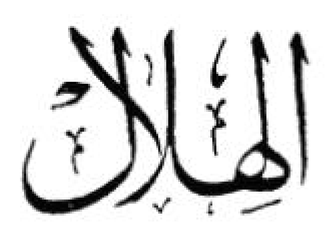
الاتفاق : جريدة اسبوعية تصدر في جزين لبنان لصاحبها سعيد افندي مبارك رزق ومديرها الدكتور حبيب ناصيف بدل اشتراكها ٣٥ غرشاً



طولستوي

الفيلسوف الروسي الشهير

آخر رسم له



الجزء الرابع من السنة التاسعة عشرة

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١١ و ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٨

طولستوي

الفيلسوف الاصلاحي الروسي الشهير

ترجمة حياته وآراؤه وتعاليمه وفلسفته

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٩١٠

ليس بين قراء الصحف في العالمين القديم والحديث من لا يعرف اسم طولستوي او لم يقرأ شيئاً عن فلسفته وآرائه . وقد اكثر الناس من ذكره على اثر وفاته بالامس بعد ان تجاوز الثمانين من عمره وقد ملأ المكاتب كتباً والمجالس بحثاً وجدلاً والعقول ايماناً وشكاً . فرأينا ان نأتي على حقيقة هذا الفيلسوف واطواره وتعاليمه وفلسفته

ترجمة حياته

١ — نشأته الاولى

اسمه الكونت ليف نيقولايفتش طولستوي . وهو من اسرة عريقة في الحسب والجاه . نبغ غير واحد من رجالها في السياسة والعلم . جدهم الاعلى الكونت بطرس طولستوي صديق بطرس الاكبر قيصر الروس المتوفى سنة ١٧٢٥ — ومن

معاصري صاحب الترجمة من اهله الكونت ديمتري طولستوي ناظر المعارف العمومية في روسيا (١٨٦٦ — ١٨٨٠) اشتهر بدفاعه عن السلطة الاستبدادية ومحاربة الحرية. والكونت الكسيس طولستوي (١٨١٧ — ١٨٧٣) من كتبة الروايات التمثيلية اشتهر برواياته المحزنة عن موت ايفان الهائل والقيصر فيودور والقيصر بوريس

اما الكونت ليف (ويكتب ايضاً ليوف او ليون) نيقولايفتش طولستوي فقد ولد في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٢٨ في قرية ياسنايا بوليانا في ولاية طولا من اعمال روسيا. ووالدته من اسرة عريقة في الحسب والشرف تعرف باسرة فولكون. وكانت تلك القرية ملكاً لها فاقامته فيها لكنها توفيت وهو طفل. فعهد بتربيته الى السيدة تاتيانا من ذوات قرابته. وانتقل به والده الى مدينة موسكو فتوفي هناك سنة ١٨٣٧ بعد ان اوصى باهله السيدة بوشكوفا فعادت به الى ياسنايا بوليانا واخذت في تعليمه. فلما بلغ الخامسة عشرة انتقلت به الى قازان فاقام في جامعتها سنتين (١٨٤٣-١٨٤٥) للتفقه في العلم. وكان في جملة دروسه هناك اللغات الشرقية ثم عاد الى ياسنايا ولم يتمكن من العلم كما ينبغي. وهو ينسب ذلك الى نفوره من فساد اخلاق التلاميذ حتى اضطر الى ترك المدرسة قبل ان يتم عامه

فلما عاد الى قريته اراد ان يعوض ذلك النقص وكان قد اخذ في مطالعة مؤلفات مشاهير الادباء من الروسيين والفرنساويين والانكليز والالمانيين فانصرف اليها. فقرأ اهم مؤلفات روسو وهوغو من الفرنساويين. وديكنس وبريسكوت وستارن من الانكليز. وبوشكين وترجنيف وليرمنتوف من الروسيين. وشيلر وغوطي من الالمانيين. واطلع على الياذة هوميروس واوذيسته وعلى فلسفة افلاطون. وكان شديد الشغف بما يطالعه من آراء اولئك الادباء والشعراء والفلاسفة لكنه كان اشدّ تعلقاً بروسو مما بسواه. فقرأ له الاعتراف (Confession) و «اميل» و «هلويز الجديدة» وقد شغف بالمؤلف حتى علق صورته تعويذة في عنقه وهو في الخامسة عشرة من عمره

واخذت الاعتبارات الفلسفية تعترض افكاره من صبوته ـ شأن الاذكياء في مقتبل اعمارهم اذا اطلقوا لتصورهم العنان. فكان همّ طولستوي في اوائل شبابه التفكير في ما هو الانسان ومن اين اتى والى اين يصير وما هي السعادة وما هي علاقة الاسباب بعضها ببعض. وخطر له مرة مصير الانسان الى الموت آجلاً او عاجلاً فرأى الحياة لا تستحق الاهتمام فعمد الى الاشتغال بالملذات حيناً وكف عن الدرس ثم عاد اليه. وكانت تتمثل له احوال الحياة ومصيرها في كل حركة يأتيها او خطوة يخطوها. وغلب على اعتقاده

مرة مذهب الوهميين القائلين « ليس في الوجود غير العقل والتصور » ثم عدل عنه الى غيره فغيره. وكان يباحث اقرانه في ذلك ويباحثونه ويقضي الساعات والايام في المناقشات والمجادلات

اتخذ طولستوي ياسنايا بوليانا وطناً له واستولى على حقه من ارث ابويه. وجعل يتردد الى موسكو وبطرسبرج من حين الى آخر يقضي فيهما اياماً. وكان له شقيق اكبر منه سناً قد انتظم في الجند الروسي ببلاد القوقاس جاء سنة ١٨٥١ وحسن له التجند ورغبه فيه فرافقه الى القوقاس فاعجب بمناظرها الطبيعية ورأى ضباط الجند في راحة ورفاه. فاطاع شقيقه وتجند في جملة الضباط وهو في الثالثة والعشرين من عمره. وكان انتقاله من بيئة الى اخرى اثار قريحته ووسع خياله. فالف وهو هناك رواية « القوزاق » وصف بها تلك الطائفة من الجند وصفاً دقيقاً. ورواية « الفتوة والشبيبة » وصف بها نفسه وعواطفه واودعها نصائح للامهات والآباء



حصون سباستبول

وانتشبت حرب القريم سنة ١٨٥٣ فانتقل طولستوي في حملة فرقته الى الطونة وانضم الى اركان حرب البرنس غورتشاكوف. ثم انتقل الى حامية سباستبول قائداً لفرقة مدفعية. وشهد معارك سنة ١٨٥٥ ورأى قنابل الجنود المتحدة تقع على ذلك الحصن ولم يكن يعبأ بالاهوال حتى القى نفسه مراراً في اشد الاخطار للدفاع عن وطنه. وقد وصف ما شاهده وكابده في رواية سماها « سباستبول في دسمبر ومايو واوغسطس » ولما انقضت الحرب وعقد الصلح استقال من تلك الخدمة وانقطع الى الاشتغال بالادب

٢ — حياته العلمية

عاد طولستوي بعد انقضاء الحرب الى قريته وقد تغير نظره في الوجود بعد أن شاهد فظاعة الحرب وعواقبها وكيف ان الحكومات تسوغها وتدعو اليها . فقام في ذهنه من ذلك الحين انتقاد نظام الحكومة ثم تدرج الى النقمة على الحكومة مطلقاً كما ستراه .
فاقام بضع سنوات يتردد بين موسكو وبطرسبورج يكتب ويباحث فألف عدة روايات وصف فيها ما خبره من قبائح الحرب اشهرها رواية « الضابطان » و « البرت وليوتسرن » و « سعادة العائلة » و « بوليكو شك » و « الحرب والسلم » ظهرت سنة ١٨٦٠ ووصف بهذه الرواية حالة الطبقة العليا من الروسيين

وساح سنة ١٨٦١ في بعض انحاء اوربا ثم عاد فاستقر في قريته ياسنايا بوليانا وقد عينته الحكومة قاضياً فيها فاخذ يدعو الناس الى السلام والفضيلة بالتعليم والقدوة . ونظراً لمنزلته من الشرف والثروة كان الناس يعجبون بتنازله ويستأنسون بدعته ولطفه واكثرهم من الفلاحين فاذا وقع بينهم خلاف تقاضوا اليه وارتضوا بحكمه وهو يرى انه ينجيهم بذلك من ظلم الحكام

وانشأ في قريته مدرسة ينفق عليها من جيبه لتعليم ابناء الفلاحين ويتولى تعليمهم بنفسه ويبث فيهم روحاً جديدة . فاشتهرت هذه المدرسة في روسيا وقصدها اهل المدائن حتى المتخرجين في كليات بطرسبورج وغيرها يلتمسون الاستفادة من آراء طولستوي وفلسفته . فزادوه رغبة في ذلك فانشأ لهم مجلة تهذيبية دعاها باسم قريته ينشر فيها مقالات تهذيبية لتقويم الاخلاق والتشجيع على الكتابة

واقترن سنة ١٨٦٢ بالسيدة صوفيا ابنة الدكتور بيرس الالماني وكان يقيم في موسكو فاضطر طولستوي بعد زواجه ان يداول السكنى بينها وبين قريته . وهو يشتغل بتأليف الروايات الاصلاحية ونشرها ومن اشهرها رواية « حنة كرانينا » ظهرت سنة ١٨٧٠ وذاع ذكر هذه الرواية ورواية « الحرب والسلام » في اوربا فجعلتا لمؤلفهما منزلة عظيمة في نظر الادباء هناك . ونقلتا الى اكثر لغات الافرنج وكان رواجها عظيماً . فازداد رغبة في نشر افكاره فألف كتباً اخرى في مواضيع تهذيبية رأى الشعب الروسي في حاجة اليها كروايات « القيامة » و « البعث » و « اين المخرج » و « الحب والزواج » وغيرها وهي منقولة الى معظم لغات اوربا وبعضها نقل الى العربية

وهو في ذلك طرأ عليه رأي اشتراكي اشتهر به وبنى عليه فلسفته سنأتي على بيانه . فاقتضى ذلك الرأي ان ينبذ طولستوي الاستئثار بالملك الشخصي فقسم املاكه

بين فلاحيه وصار يشتغل هو فيها كواحد منهم . والقول بتقسيم الارضين على هذه الصورة ليس من مبتدعاته فقد ذهب اليه جماعة من الاشتراكيين ـ لكنه يمتاز عنهم جميعاً بانه اخرج ذلك الفكر الى حين العمل فباشره بنفسه وفي ملكه . فكان لعمله هذا دويّ في العالم المتمدن . وصرح في اثناء ذلك باعتقاد له في الدين خالف به تعاليم الكنيسة والف كتباً ترمي الى هذا الغرض وغيره من اغراضه التهذيبية الفلسفية . ومن جملة تلك الكتب كتاب « ما هو ديني » نشر في نوفل رفي و « مسيحية المسيح » ترجمت الى الانكليزية سنة ١٨٨٥ واكثرها لم يؤذن بطبعه في روسيا فكان الناس يتناقلونها خطاً

فشق ذلك على رجال الكنيسة والحكومة معاً وأقشوه وانتقدوه واجتهدوا في رده فلم يفلحوا فاصدر المجمع المقدس منشوراً حرمه به من عضوية الكنيسة الارثوذكسية وقد اسند الحرم الى مقاومته تعاليم الكنيسة وانكاره نزول السيد المسيح لفداء العالم وانه حبل به بلا دنس وقام من بين الاموات . فضلاً عن تذبذبه في امر العقاب والثواب بعد الموت وسائر اسرار الكنيسة

وكان لذلك الحرم وقع شديد في بلاد الروس واعترضت امرأة طولستوي عليه برسالة كتبت بها الى رئيس المجمع المقدس وظهر من فحوى رسالتها انها على راي زوجها . فرد عليها الرئيس يبين صواب عمل المجمع

ثم كتب الكونت دفاعاً عن نفسه واجابوه ايضاً وانقسم كتاب الروس في هذا الشأن الى قسمين ودارت المناقشة فيه زمناً مما يضيق عنه هذا المقام . وكان للحرم تأثير في اذهان العامة حتى انحوا على الفيلسوف باللعنات والشتائم

اما هو فاصرّ على آرائه وتعاليمه وما زال يعلم بها على اساليب مختلفة كتابة وشفاهاً . وانقطع عن العالم واركن الى المعيشة مع الفلاحين بسذاجة وتقشف يسعى جهده في ترقية عقولهم وبث روح الاشتراكية فيهم

عيشته اليومية

كان الكونت طولستوي يعيش في قريته على ابسط حال في منزل مؤلف من طبقتين بلا شرفات ولا اروقة حوله غابة كثيفة . كان يقيم فيه مع زوجته واولاده ليس فيه من الرياش الا مقاعد من الخشب وبعض الكراسي من القش وليس على جدرانه الا بعض صور المشاهير كشكسبير وديكنس وبعض اجداده . كان يقيم هناك كسائر الفلاحين يلبس ثوباً مثل اثوابهم هو عبارة عن سراويل واسعة فوقها كساء كالقميص يمنطق حوله بسير من جلد . وقد ارسل شعره حتى جلل راسه ولا يلتفت الى اصلاحه

وكان طعامه مثل طعامهم يتناول الشاي في الصباح ويذهب الى العمل في حرث الارض وتمهيد اشجارها واعنابها وبذر الحبوب ومساعدة ضعفاء الفلاحين باعمالهم لاعتقاده ان مساعدة الفقير في عمل يعمله خير من الاحسان اليه بالمال لانه يجره الى الكسل . فاذا عاد في المساء تناول الطعام مع اهله في ابسط مايكون . وليس في ذلك المنزل من دلائل المدنية الا الكتب على رفوف من الخشب البسيط المطالعة في ساعات الفراغ

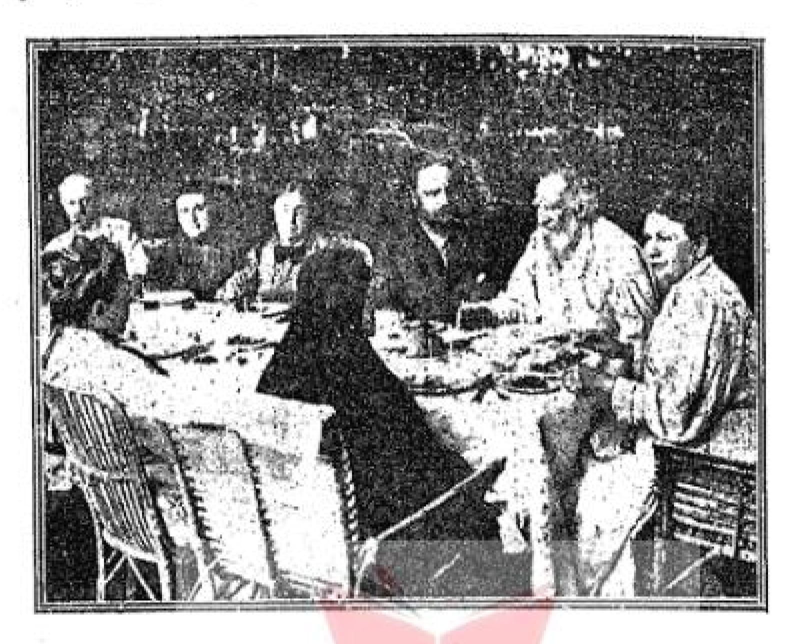
تلك كانت حاله بالصيف في ياسنايا بوليانا اما في الشتاء فكان يقيم في موسكو وينقطع عن الاعمال البدنية الشاقة ويتفرغ للاعمال العقلية فيؤلف الكتب ويراسل ويكاتب وقلما يقابل احداً من الروسيين ولكنه كان يحتفل بمن يأتي لزيارته من الاجانب . واختص نفسه بغرفة من بيته مفروشة بالاثاث البسيط فيها مكتبة ومقعد وطاولة وكراسي بخلاف سائر غرف المنزل فانها كانت مفروشة بافخر الرياش لاستقبال الذين يزورون عائلته من علية القوم لان اهله كانوا عائشين عيشة اشراف الروسيين في البذخ والتأنق . اما هو فكان منفرداً بعيشته يتوخى البساطة في كل شيء ولا يهمه وهو هناك الا الاشتغال بالتأليف كما يكون همه في ياسنايا بوليانا الحراثة وتعليم الفلاحين والناس في اطراف العالم يعجبون بما يسمعونه من اخباره واطواره

وفاته

وهم في ذلك وإذا بالناس رسالة برقية تنبئ بخروج الفيلسوف الشيخ في ١٠ نوفمبر الماضي من ياسنايا بوليانا الى حيث لايعلم احد ولم يصطحب الا حكيمه الدكتور ماكوفتسكي وتلميذاً من تلاميذه . خرج ليلاً ولم ياخذ من الدراهم الا مايكفي للسفر في اقل الدرجات واهتم اهله بالتفتيش عنه واختلفت الاقوال في غرضه او السبب الذي بعثه على تلك الرحلة . ثم بلغهم خبر وصوله الى كوسلسك بقرب دير رئيسته الكونتس ماريا نيقولايفنا شقيقة طولستوي وهي التي تظهر صورتها في الرسم بالصفحة المقابلة لابسة ثوباً اسود تجاه اخيها طولستوي

وهي احدث صورة رسمت لعائلة طولستوي في الشتاء الماضي وهم جلوس على مائدة في الخلاء بياسنايا بوليانا وقد عرفنا كلاً من الاشخاص الحضور باسمه . فاذا بدانا بالكونت طولستوي وهو ظاهر جيداً كانت امرأته الكونتس الى يساره وتشرتكوف احد اصدقائه الى يمينه . يليه المدموازيل ايفومنوفا كاتبة يد الكسندرا طولستوي اصغر بنات الكونت وهي جالسة الى يمينها . وفي اخر المائدة بعدها الدكتور ماكوفيتسكي طبيب الكونت . ونرى على الجانب الآخر من المائدة ماريا نيقولايفنا شقيقة الكونت كما

طولستوي تشرتكوف ايفومنوفا ابنته الكسندرا ماكوفتسكي



كونتس طولستوي الكونتس ماريا اخت طولستوي ابنته البرنسيس اوبولنسكي

تقدم . والى جانبها البرنس اوبولنسكي ابنته

اما طولستوي فانهم وقفوا على خبره في محطة استابوفو قرب كوسلسك وقد اصيب بحمى شديدة قضت على حياته

فلما نمي الخبر الى اهله احتفلوا بنقله الى المكان الذي اوصى ان يدفن فيه بغابة افونين قرب ياسنايا بوليانا فحملوه على الاعناق يمشي حوله اهله ومحبوه ومريدوه . حتى وصلوا الى محطة زاسيكا المؤدية الى قريته تولى حمله اربعة من اولاده هم سرجيوس وميشال واندريا والياس والناس يمشون خلفه واكثرهم من اصدقائه الفلاحين تقاطروا لحضور جنازته من جهات مختلفة بباقات الازهار ليس معهم كاهن ولا صليب حتى واروه التراب في حفرة اعدوها له بين اشجار تلك الغابة

شهرته ومؤلفاته

ان ما اصاب طولستوي من الاضطهاد والحرمان زاد في شهرته فانتشرت اراؤه في اقطار العالم المتمدن وساعد على انتشارها منزلة الرجل من العلم واعتقاد الامم الاوربية فساد حكومة القيصر واغراقها في الاستبداد . وقد نقلت كتبه الى اكثر لغات اوربا وغيرها فقرأها اهل القارات الخمس . واصبح اسم الكونت طولستوي دائراً على

السنة الخاصة والعامة في المجالس والاندية وفي المنازل . وعده العلماء من اعظم رجال التاريخ . وفاضل بعضهم بينه و بين فيكتورهوغو وفضله عليه لان طولستوي كان لايزال حيا وكتبه يقرأها مئات الالوف وقد يأتي باحسن منها . وقابل آخرون بينه و بين نابوليون الاول ولنكولن ففضلوه عليهما لتأثير كتبه في نفوس الناس . وقد اجمع الاكثرون على انه اكتب كتاب الروس بعد ترجنيف - على ان بعضهم عدَّ تعاليمه من قبيل الاوهام التي لا تأتي بفائدة

ومؤلفاته اكثرها روايات تهذيبية فلسفية اصلاحية وهي كثيرة ذكرنا معظمها في اثناء الترجمة . ولو اردنا درسها لاقتضى لوصف كل منها فصل خاص فنكتفي بفذلكة اجمالية : فالروايات التي كتبها في اوائل حياته اجاد فيها كل الاجادة بتمثيل الفضائل والرذائل على طريقة اهل الحقيقة (رياليست) فانه توخى فيها تمثيل الحقيقة في وصف الهيأة الاجتماعية في طبقات الشعب الروسي كما هي تماماً بفضائلها ورذائلها . فاذا قرأت وصفاً تمثل لك الموصوف كانك تراه او تلمسه مع الصراحة والايضاح . فلما اظهر دعوته الدينية او الفلسفية خامر اسلوبه شيء من التصورات الخيالية ثم صارت عبارته في اواخر ايامه اقرب الى الخيال الشعري منها الى الحقيقة

على ان اسلوبه سهل واضح في كل حال قلما يخطئ القارىء غرضه . حتى في ما نقل من كتبه الى اللغات الاخرى فان صورة الفكر ما زالت جلية واضحة . وله مقدرة عظيمة على تصوير افكاره وبسطها وقد اجاد على الخصوص في وصف الضعف البشري وما يقود اليه من الشقاء والرذائل في رواية حنا كرانينا ولكل كتاب او رواية مزية خاصة

على ان كتبه على الاجمال ترمي الى اربعة اغراض رئيسية - الاول : وصف احوال الطبقة العليا في روسيا وهو اول من كتب في هذا الموضوع فكشف الغطاء عما يرتكبه شبانهم الاغنياء من الموبقات والمنكرات وما بلغت اليه حال نسائهم من الانحطاط الادبي . الثاني : تمثيل ادوار الحياة وما ينتاب كل دور من اسباب السعادة والشقاء وقد شدد النكير على من يحتقر الرباط العائلي بين الزوجين مع الحث على تربية الاولاد على ايدي امهاتهم . الثالث : وصف معيشة الجندي الروسي وما يقاسيه من الشقاء في اثناء الحرب مع تمثيل الحرب واضرارها وشرورها . رابعاً : وصف حالة الفلاح الروسي وكيف ينبغي ان يكون ليتخلص من الاستعباد للاشراف والحكومة

اراؤه وتعاليمه

قد تقدم ان طولستوي من اقدر الناس على بسط افكاره وتصويرها للقارىء حتى يتفهمها جيداً. وكان ايضاً صريحاً في ارائه واقواله لا يقول غير ما يعتقده ولا يستنكف من الاعتراف بالخطأ اذا تبين له وجه الصواب . والا فانه يصرُّ على اعتقاده ولو خالفه فيه اهل الارض كما سترى مما سنأتي عليه من ارائه في الدين وغيره

قاعدة ايمانه في الدين

ان اعتقاده الديني ينحصر في الاناجيل الاربعة ولا يعتقد بكل ما جاء فيها وانما يقتصر على وجهها التعليمي . لان تعاليم الانجيل في نظره سامية وانه اذا عمل بمقتضاها ساد الوفاق وتآخى الناس . وعنده ان الانسان لا يكفيه ان يكف عن قتل اخيه الانسان بل لا يسوغ له ان يشكوه او يغضب منه او يمتهنه . فاذا وقع في شيء من ذلك رغم ارادته وجب عليه الاسراع في المصالحة قبل ان يقف للصلاة . وان الانسان اذا تزوج لا ينبغي له ان يبتعد عن امرأته بطلاق او غيره . ولا ان يقسم بانه سيفعل الشيء الفلاني وهو لا يملك شيئاً من مجاري الطبيعة . ولا يحسن به ان يقلع العين بالعين او السن بالسن بل يجب عليه ان يغضي عن السيئات وان لا يكره اعداءه بل يحبهم ويأخذ بناصرهم

اما من حيث الامور المتعلقة بالايمان فانه لا يؤمن بسر الفداء ولا الثالوث الاقدس ولا لاهوت المسيح . اما خلود النفس فاعتقاده فيه يخالف تعاليم الكنيسة . وهاك صورة ايمانه بالخلود « اعتقد بالعالم الآتي وان الحياة لا تنتهي بالموت . ولكنني لا ادري ما يكون من امر هذه الحياة بعد الموت ولا حاجة بي الى معرفة ذلك » فهو ينكر العقاب والثواب او يسكت عنهما

وقد خالف تعاليم الكنيسة في تفسير الفقرة الواردة في اول انجيل يوحنا « في البدء كانت الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » فهو يترجمها « في البدء كانت المعرفة والمعرفة صارت عوض الله ثم صارت المعرفة الله »

وقد بسط طولستوي اعتقاده في رده على المجمع المقدس لما حرمه من الكنيسة وهو « أؤمن ان الله روح ومحبة وانه فيَّ وانا فيه وان مشيئته مبينة في تعاليم المسيح الانسان ــ ولا اعتقد انه اله والصلاة له استهزاء به . وسعادة الانسان تقوم بعمل ارادة المسيح وهي ترجع الى تبادل المحبة بين الناس وبها يسود ملكوت الله على الارض فتتطهر

من الرذائل . وان الوسيلة الوحيدة لنشر هذه المحبة الصلاة الانفرادية التي علمنا اياها المسيح بتوجيه الفكر الى العزة الالهية »

اما الكنيسة فلا يعتقد انها كنيسة المسيح كما يرضاها هو بل يقول انها قد طرأ عليها الفساد وارتكب رؤساؤها ما يخالف تعاليم المسيح

رايه في المرأة

لم يكن طولستوي حسن الظن في المراة من حيث قيامها بواجباتها البيتية والمحافظة على امانتها لزوجها . بل هو يعتقد انها مثله تسعى في الوصول الى سواه فاذا استطاعت ذلك فعلت فعله . لان المحبة بين الزوجين يرى طولستوي بقاءها من رابع المستحيلات قال «قد يكون بين الزوجين حب ولكن الى اجل قصير وانما يدوم الحب بينهما في خيالات الشعراء وما ينشرونه في رواياتهم من حوادث العشق . اما في الواقع فانه لا يدوم وما من متزوج اذا مرت به فتاة جميلة الا اجتذبت قلبه وبذل وسعه في الوصول اليها »

ويرى ان المراة قد خرجت عن واجباتها الطبيعية التي خلقت لها فهي عنده لا ينبغي ان تتعاطى شيئاً غير تربية الاولاد والعناية بهم منذ الولادة بالارضاع والنظافة والوقاية وتثقيف عقولهم وتدريبهم على الفضائل حتى ينشأوا ابناء صالحين لخدمة الانسانية . ولذلك فهو لا يرى حاجة الى تعليمها غير القراءة البسيطة لتطالع كتب الدين والاداب التي تثقف النفس وتزجرها عن الاثام . ويأسف لاشتغال بعض النساء في غير الولادة والارضاع والتربية وقد شدد النكير على ما تطالبه نساء اميركا وسائر العالم المتمدن من حقوق الرجال او مجاراتهم في اعمالهم لان كلاً منهما خلق لعمل خاص به لا يمكن للاخر ان يتولاه الا ويضر بالمجتمع الانساني

وله اراء في التربية وغيرها من اسباب المدنية لامحل لها هنا . ولا نتعرض لنقد ارائه الدينية لانها خارجة عن خطة الهلال

فلسفته

ان راي طولستوي في الوجود واحوال الانسان مثل اراء الاشتراكيين المتطرفين فهو يرى نظام الاجتماع فاسداً يحتاج الى اصلاح . وان فساده ناجم عن الرئاسات الدينية والسياسية اي في الكنيسة والحكومة . لان الانسان في نظره مطبوع على الخير فتحمله

الحكومة على القتال لانها تعلن شرعية الحرب والكنيسة تجره الى الخصام مع اخوانه في الانسانية بالتعصبات الدينية . ويرى ان الدواء الوحيد لهذه العلل انما يكون بنشر العلم والتربية حتى يعرف كل واحد واجباته ويقتنع بوجوب المسالمة والاتحاد مع سائر بني نوعه . وقد وضع قاعدتين تغنيان الناس عن الحكومة والكنيسة وعن سائر الرئاسات ويكفيانه مؤونة الخصام والنزاع وهما :

(١) احبوا بعضكم بعضاً

(٢) لا تقاوموا الشر بالشر

صدق الفيلسوف ان هاتين القاعدتين اذا عمل الناس بهما اغنياهم عن الحكومة وكفياهم مؤونة الحروب . على ان القول بذلك قد سبقه اليه السيد المسيح منذ تسعة عشر قرناً وجعله امراً الهياً وقد حاول اتباعه ومريدوه العمل به وهم لا يزيدون الا بعداً عنه لان النصارى كانوا في اوائل النصرانية اقرب الى هذه القاعدة ما هم عليه الآن ويدلك ذلك على سهولة القول ومشقة العمل به . ولو كان اجتماع الناس على المحبة المتبادلة ومقاومة الشر بالخير ممكناً لظهرت ثماره بعد هذا الدهر الطويل

وقد وصف طولستوي الطريقة للتخلص من الشقاء الذي صارت اليه الهيئة الاجتماعية بسبب نظامها الحالي . فاشار اولاً بحل الحكومة والغاء نظاماتها وحقوقها وامتيازاتها . فتبطل الضرائب وتنقضي المحارم وينجو المظلوم من الظالم ويصير الناس طبقة واحدة لا تفاضل بينهم في شيء ولا ممالك فيهم ولا ملوك ولا جند هناك ولا قضاة ولا ولاة ولا ملوك ـ وهذا في رأيه سهل لا يحتاج الى اكثر من اجماع الناس كافة عليه !

فاذا حللنا الدولة والغينا الحكومة نؤلف نظاماً جديداً مبنياً على الزراعة والملاحة وبما ان الانسان ميال من طبعه الى الاجتماع نؤلف الناس جماعات او طوائف بحسب اجناسهم او لغاتهم او حال من احوالهم . ونجعلهم يتعاملون بالمحبة والمودة فيعقدون المعاهدات ويتبادلون المنافع بلا حرب ولا طمع ولا نزاع ويكون افراد كل طائفة متساوين في الحقوق والواجبات اذا تعدى احدهم على الآخر حكم عليه ليس بالقوة كما تفعل حكومات هذا الزمان بل بالرأي العام لانه انفذ من سيف الحاكم وصولجان الكاهن . ويكون الرأي العام يومئذ مبنياً على ارادة الله التي ستقوم في نفوس الناس مقام ارهاب الحكام وغيرهم . وايسر على الانسان ان يخضع لارادة الله من ان يخضع لانسان مثله وهكذا قال في علائق الجماعات او الطوائف بعضها ببعض اذا اختلفوا في شيء عمدوا الى ضمائرهم وصدق نياتهم فتحكم بينهم

كل ذلك جيل وحسن . ما اجل هذا النظام وما اسعد المستظلين به — لا حرب ولا خصام ولا حسد ولا طمع ولا قتل ولا ضرب ولا ولا .. ولكن هل يكون ذلك ؟

نسج الريح على الماء زرد يا له درعاً منيعاً لو جمد

نعم قد يكون متى صار الناس في درجة واحدة من التعقل وفي قالب واحد من الاخلاق . و ان يكونوا كلهم فلاسفة كبار العقول مثل طولستوي واشياعه . لان سعة الصدر والكف عن الشر مع القدرة عليه والاغضاء عن الاساءة لا يستطيعها الا كبير العقل واسع الصدر — ولذلك قالوا « ان اعقل الناس اعذرهم للناس » فهل يتيسر ان يصل البشر الى يوم يكونون فيه كذلك ؟ الجواب كلا

ولعله يحسب التعليم والتربية كافيين للحصول على هذه الامنية لان الانسان متى تعلم وتثقف لان خلقه وهان عليه توجيه عواطفه كما يشاء — وهو وهم . ان العلم يثقف العقل ويوسع المعرفة وقد يؤثر على الاخلاق ولكنه لا يغيرها وكثيراً ما يكون تعليم الاشرار وسيلة لزيادة شرورهم اذ يستخدمون علمهم في تنفيذ اغراضهم . والادلة على ذلك كثيرة نراها كل يوم . فالتربية لا تساوي الناس بالعقول والاخلاق فلا يمكن ان يجمعوا على اتباع هذه القاعدة . وهب انهم اقروا على وجوب اتباعها فانهم لا يصبرون على العمل بها لانها تخالف طبيعة الانسان وسائر مجاري الطبيعة ولا يقوى التعليم على الوقوف في طريقها

فالناس مختلفون في طبائعهم ومطالبهم وفيهم الطامع والقانع والحسود والغيور وغيرهم . فالتفاوت في تلك القوى يوجب الاختلاف بينهم . ويوجبه ايضاً التفاوت في الحصص التي لا يمكن التساوي بينها . ثم اذا اغضينا عن ذلك وفرضنا التساوي فيه بين الافراد و نظرنا في التسوية بين الجماعات فكيف يمكن التساوي بين البقاع التي تقيم فيها — اذ قد يلحق احدى الجماعات ارض كوادي النيل خصباً واخرى يلحقها أرض وعرة مجدبة فكيف يرتضون بتلك القسمة

وناهيك بما ينجم من التباعد بين احوال هذه الجماعات من حيث الخصب والجدب والثروة والفقر تبعاً للاقليم وسائر المؤثرات . وكيف مع هذا التفاوت يمكن التوفيق بينها وكيف لا يطمع بعضهم ببعض فتنشب الحرب وتعود الارض الى ما كانت عليه من الخصام والنزاع فتضطر الى انشاء الحكومات للارهاب واعادة النظام

ان فلسفة طولستوي نظرية وهمية يلذ سماعها ولكن يستحيل تطبيقها على الواقع « اقرأ تفرح جرب تحزن » ما من عاقل الا ويرى تبادل المحبة والاغضاء عن السيئات

خير وسيلة لسعادة البشر اذا امكن السير عليها . وما مثلنا في ذلك الا مثل ارشميدس اذ قال اعطوني محلاً طوله كذا وانا اقل الكم الارض

تلك هي القواعد الاساسية في فلسفة طولستوي وقد رايت انها لا تنطبق على الواقع اي لا يمكن العمل بها لانشاء نظام جديد بدل النظام الحالي . وان كان انتشارها والتعليم بها يهذب النفوس ويرقي الاداب ويسهل العلائق بين الناس

واذا تدبرنا سائر اقواله وارائه في الوجود والنظام نجد فيها اشياء كثيرة يلذ سماعها ونتمنى الحصول عليها ولكن اكثرها بعيد الاحتمال من حيث تغيير النظام وان كانت مفيدة من الوجهة التهذيبية . او انها ربما وافقت حالة من احوال دولة الروس يوم كتبها كانه ينتقد بها الاستبداد او الفساد في حكومة تلك الدولة

وقد تجد بين ارائه الفلسفية اموراً غريبة تخالف المألوف من قواعد الاجتماع كقوله في تعريف الحرية الحقيقية فهي عنده « ان لا يخضع الانسان لانسان آخر » وهي الفوضى التي يستحيل معها تأليف جماعة منظمة واين السعادة مع هذه الفوضى

ومن حججه التي يعول عليها في اثبات فلسفته عن تأسيس نظام الاجتماع على المحبة قوله « ان الناس اما ان يكونوا عقلاء او جهلاء فاذا كانوا جهلاء فاستخدام القوة في نيل السيادة لايجوز حصره في فئة منهم دون الفئة الاخرى . وان كانوا عقلاء لاينبغي ان يتعدى بعضهم على بعض بل يتعاملون بالمحبة » وهي سفسطة لان الفرضين مستحيلان وبينهما القول الفصل اي ان الناس بعضهم عقلاء والبعض الآخر جهلاء فالعاقل يتسلط على غير العاقل او القوي على الضعيف

وقد قال « ان التخلص من الخضوع للحكومة يكون بالخضوع لله اي العمل بوصاياه » ويقتضي ذلك طبعاً ان يتعلم الناس تلك الوصايا . فلا بد من الاذعان لمن يعلمها و تصديقه لان الانسان لايولد معلماً . ولا يرجى اتفاق المعلمين في ماهية تلك التعاليم لاختلافهم في المدارك والقوى . فنعود بذلك الى الانقسامات الدينية او السلطة الثيوقراطية

واغرب من ذلك اعتقاده في جملة تعاليمه « ان الثروة لا ينالها الا المحتالون الذين ينغمسون في المراباة ويتزلفون للكبراء بالنفاق والفساد » وقد ثبت بالقواعد الاقتصادية والادبية ان الصدق والامانة اساس كل نجاح

وهو ينكر على الناس تزاحمهم في المدن للجهاد في العمل ويشير عليهم بالسكنى في الحقول والعدول عن المعامل الى الفلاحة لان قاعدة الحياة في نظره البساطة والصدق فهو يطلب الى الناس التقاعد عن الجهاد في سبيل الحياة كانه يقاوم اهم نواميس النشوء

ونختم الكلام بغريبة اخرى من غرائبه فقد قال « ما بالنا نرى الاقوياء المجدين في العمل وهم السواد الاعظم من الناس يخضعون لضعاف الابدان من الشيوخ والعاجزين ؛ أليس ذلك لان اولئك الضعفاء قد امتلكوا الارض وخيراتها ؛ فالحق الذي يمتلك الغني ارضه به ويستحل به تعب ذلك القوي لا ينطبق على مبدا من مبادئ العدل بل هو اغتصاب تؤيده قوة الاسلحة » . وهل فات فيلسوفنا ان تلك الارضين لم تصل الى اولئك الضعفاء الا بعد ان تعب اجدادهم الاقوياء في نيلها وربما سفكوا دماءهم في سبيلها ؛ وقد افضت الى ابنائهم بالارث . فاذا كان هؤلاء غير كفء لاستبقائها ذهبت من ايديهم الى من يستحقها بحكم الطبع . الا اذا كان صاحبنا يشير الى استبداد اناس مخصوصين نالوا ثروتهم بالصدفة عن غير استحقاق فلا يعدُّ قوله قاعدة عامة . واما القاعدة فهي ان يكون حظ الانسان من دنياه على قدر مساعيه وقواه . والقوى العقلية مفضلة على القوى البدنية فقد يكون قوي البدن ضعيف العقل فيغلبه ضعيف البدن قوي العقل — ولا غرابة في ذلك

والخلاصة ان تعاليم الفيلسوف طولستوي اذا اخذت من وجهتها التهذيبية الادبية كانت من ارقى ما كتبه الكاتبون وفيها فائدة كبرى على الخصوص للروسيين لانها كتبت لهم بالاكثر . اما من الوجهة الفلسفية فانها نظرية خيالية يتعذر تطبيقها على الواقع . وخير الآراء ما استطاع الناس الانتفاع به واخراجه الى حيز العمل

رثاء طولستوي

وهذه قصيدة نظمها احمد شوقي بك شاعر الامير في رثاء هذا الفيلسوف :

(طولستوي) تجري آية العلم دمعها	عليك ويبكي بائس وفقيرُ
وشعبٌ ضعيف الركن زال نصيره	وما كل يوم للضعيف نصيرُ
ويندب فلاحون انت منارهم	وانت سراج غيَّبوه منير
يعانون في الاكواخ ظلماً وظلمة	ولا يملكون البث وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى	عليهم وتغشى دورهم وتزور
ويأسى عليك الدين اذ لك لبه	وللخادميه الناقمين قشور
أيكفر بالانجيل من تلك كتبه	اناجيل منها منذر وبشير
ويبكيك الف فوق (ليلى) ندامة	غداة مشى (بالعامري) سرير
تناول ناعيك البلاد كأنه	يراعٌ له في راحتيك صرير

وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائماً — وقيل (بدير) الراهبات اسير
وقيل قضى لم يغن عنه طبيبه — وللطب من بطش القضاء عذير
اذا انت جاورت (المعري) في الثرى — وجاور (رضوى) في التراب (ثبير)
واقبل جمع الخالدين عليكما — وغالى بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الارض عطرها شذى — جناهن مسك فوقها وعبير
بهن يباهي بطن (حواء) واحتوى — عليهن بطن الارض وهو فخور
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى — فانت عليم بالامور خبير
احطت من الموتى قديماً وحادثاً — بما لم يحصل منكر ونكير
طواك الذي يطوي السموات في غد — وينشر بعد الطي وهو قدير
تقادم عهدانا على الموت واستوى — طويل زمان في البلى وقصير
كأن لم تضق بالامس عني كنيسة — ولم يؤوني دير هناك طهور
أرى راحة بين الجنادل والحصى — وكل فراش قد اراح وثير
نظرنا بنور الموت كل حقيقة — وكنا كلانا في الحياة ضرير
اليك اعترافي لا لقس وكاهن — ونجواي بعد الله وهو غفور
فزهدك لم ينكره في الارض عارف — ولا متعال في السماء كبير
بيان يشم الوحي من نفحاته — وعلم كعلم الانبياء غزير
سلكت سبيل المترفين ولذ لي — بنون ومال والحياة غرور
اداة شتائي الدف في ظل شاهق — وعدة صيفي جنة وغدير
ومتعت بالدنيا ثمانين حجة — ونضر ايامي غنى وحبور
وذكر كضوء الشمس في كل بلدة — ولا حظ مثل الشمس حين تسير
فما راعني الا عذارى اجرنني — ورب ضعيف تحتمي فيجير
اردت جوار الله والعمر منقض — وجاورنه في العمر وهو نضير
صباً ونعيم بين اهل وموطن — ولذات دنيا كل ذاك نذور
بهن وما يدرين ما الذنب خشية — ومن عجب تخشى الخطيئة حور
اوانس في داج من الليل موحش — ولله انس في القلوب ونور
واشبه طهر في النساء بمريم — فتاة على نهج المسيح تسير

***

تسائلني هل غير الناس ما بهم — وهل حدثت غير الامور امور

وهل آثر الاحسان والرفق عالم ... دواعي الاذى والشر فيه كثير
وهل سلكوا سبل المحبة بينهم ... كما يتصافى اسرة وعشير
وهل آن من اهل الكتاب تسامح ... خليق بآداب الكتاب جدير
وهل نال الاحياء بؤساً وشقوة ... وقلّ فساد بينهم وسرور
فيا انظروا ان المالئ الارض حكمة ... أأجدى نظيم ام افاد نثير
اناس كما تدري ودنيا نخالها ... ودهر رخي تارة وعسير
واحوال خلق غابر متجدد ... تشابه فيها اول واخير
تمرّ تباعاً في الحياة كأنها ... ملاعب لا ترخى لهن ستور
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى ... وغش وافك في الحياة وزور
وقام مقام الفرد في كل امة ... على الحكم جم يستبد غفير
وحوّر قول الناس مولى وعبده ... الى قولهم مستأجر واجير
واضحى نفوذ المال لا امر في الورى ... ولا نهي الا ما يرى ويشير
تساس حكومات به وممالك ... ويذعن اقبال له وصدور
وتغمر نموه في اسلاك وحرصه ... على السلم يجري ذكرها ويدير
ومن عجب في علمه وهو وازع ... يصادف شعباً آمنا فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويؤوي جيوشاً كالحصى ويمير
وما استقل البر والبحر منهما ... تعلق اسباب السماء يطير



السلطان محمد الفاتح يقدم عصا الرعاية لسيد جناديوس بطريرك القسطنطينية على اثر فتحها سنة ١٤٥٣ ويثبته في منصبه وقد خوله حقوقاً هي اساس الامتيازات البطريركية

فضل عرب الاندلس

على اوربا

في تأسيس التمدن الحديث

تمهيد

لما ناهض بنو العباس بني امية وانتزعوا الملك من ايديهم جعلوا بغداد عاصمتهم لجمع كلمتهم في وسط جديد ينهضون به وهم في حلٍّ من التقاليد القديمة او الآثار العافية . فرقوا العلوم والمعارف حتى جارت دولة القلم دولة السيف وابتنوا الجوامع وفيها المدارس تعلم القراءة والكتابة . فلما اتسعت مداركهم تطلعوا الى ما وراء العلوم البسيطة وجعلوا بغداد مباءة للطلبة من كل ملة او جنس ونقلوا العلوم القديمة عن الكتب اليونانية وغيرها و بنوا عليها فلسفة جديدة

ورقي هارون الرشيد في اثناء ذلك عرش الخلافة قبل موت عبد الرحمن الاول ملك الاندلس بعامين . فبلغت بغداد في ايامه وايام ابنه المأمون درجة عالية من الارتقاء ادهشت العالم . حتى تبودلت الهدايا بين شارلمان والرشيد اهمها الساعة التي حيرت عقول اهل اوربا ورفعت قدر مهديها في اعينهم

فبينما كان الرشيد يمهد سبل النجاح لقومه في الشرق كان عبد الرحمن يخضع الاندلس ويجمع كلمتها تحت لوائه . وتوالى بعده ملوك عملوا مثل عمله فهيأوا الاذهان لاقتباس الآداب من الشرق والتوسع فيها والزيادة عليها . ثم اخذها الاوربيون عنهم — فالعرب ان لم يخضعوا اوربا لسيفهم فقد اخضعوها لآدابهم

واول ما تفضل به الشرق على الغرب او العرب على الافرنج اللغة العربية . فاقدم الاسبان على تعلمها واعتبروها من افصح اللغات واشرفها فتركوا لغتهم وعكفوا على درس العربية حتى نظموا الشعر فيها واقتبسوا بعض تراكيبها الى لسانهم وادخلوا بعض مفرداتها في معاجمهم . وقد جمع باسكوال مئات من الكلمات الافرنجية اثبت اصلها العربي

تا ثير الشعر العربي على آداب الافرنج

وقامت دولة الشعر في الاندلس فاكرم الخلفاء مثواه ورحبت به العامة . وبلغ عصره الذهبي يوم كانوا ينشدونه بلا تكلف يعبرون به عن تأثير مناظر اسبانيا الجديدة على قرائحهم كأنهم يرددون اصوات الطبيعة

وللشعر العربي تأثير لا ينكر على آداب اوربا . قال كوبي « ان تأثير الشعر العربي ظاهر باجلى بيان في القصص والاشعار الفرنساوية الاولية حينما كان المنشد يترنم على توقيع آلة موسيقية يحملها ويضرب عليها في الاسواق . . . » الى ان قال « ان العربية اثرت على لغات جنوبي فرنسا Provincial ثم امتدت الى ايطاليا وتأثيرها ظاهر في اشعار اريستو وتأليف بوكاشو Twice-told tales واذا علمنا ان تشوسر استعان بالفلسفة العربية في تأليفه Canturbury tales لا نشك ان تمدن العرب تجاوز جنوبي اوربا . وقال فوريال في كتابه « تاريخ الشعر البروفنسيالي » في اثناء تكلمه عن مؤلف « بوكاي» المسمى Legend of Raimond انني اشير الى هذه الرواية الجديدة برهاناً جديداً على تأثير العرب في تخيل الفرنساويين

ما اخذوه عنهم من الفلسفة والرياضيات

أخذ العرب الفلسفة في الاصل عن ارسطو واضافوا اليها وتوسعوا فيها . ولما نهبت قرطبة وتفرق اهلها اطلق سراح فلاسفتها وهم لم ينتفعوا بشيء من فلسفتهم فجنى نصارى اوربا ثمار قرائحهم

ولا مجال هنا للبحث في فلسفة العرب فنكتفي بنقل شهادة كوبي قال « عندما ينهض الاسبان من خمولهم ويتركون افتخارهم الفارغ بانسابهم ويعترفون بالحق ولا يبخسون العرب حقهم يظهرون للملأ ما للعرب من الايادي البيضاء في الاندلس »

واهم ما اقتبسه الافرنج من علوم العرب الرياضية الاعداد البسيطة المعروفة في العربية بالارقام الهندية ويسميها الافرنج الارقام العربية . اتت هذه الارقام من الهند لبغداد ايام المنصور او الرشيد فاستعملها العرب في حساباتهم واضافوا اليها الصفر شقوه من الفراغ . وانتقلت هذه الارقام الى الاندلس زمنها الى اوربا نقلها البابا سلفستر الثاني وهو يتلقى العلوم في جامعة قرطبة واسمه يومئذ « الراهب جربرت » ودخلت هذه

الاعداد المانيا في القرن الخامس عشر ولم تصل انكلترا الا بعد ذلك بزمان طويل . فللعرب فضل السبق على العالم بهذه الاعداد في الحسابات التحليلية والفلك وغير ذلك

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠
الارقام الناناغاتية	−	=	≡	[illegible]		[illegible]	[illegible]		[illegible]	
ارقام الاحافير الهندية	−	=	≡	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
الارقام الدفناجرية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥
« العربية الشرقية	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	٩	٠
« الغبارية والعربية المغربية	1	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	6	[illegible]	8	9	٥
ارقام بوتيوس	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	8	9	

ش ١ — الارقام الهندية

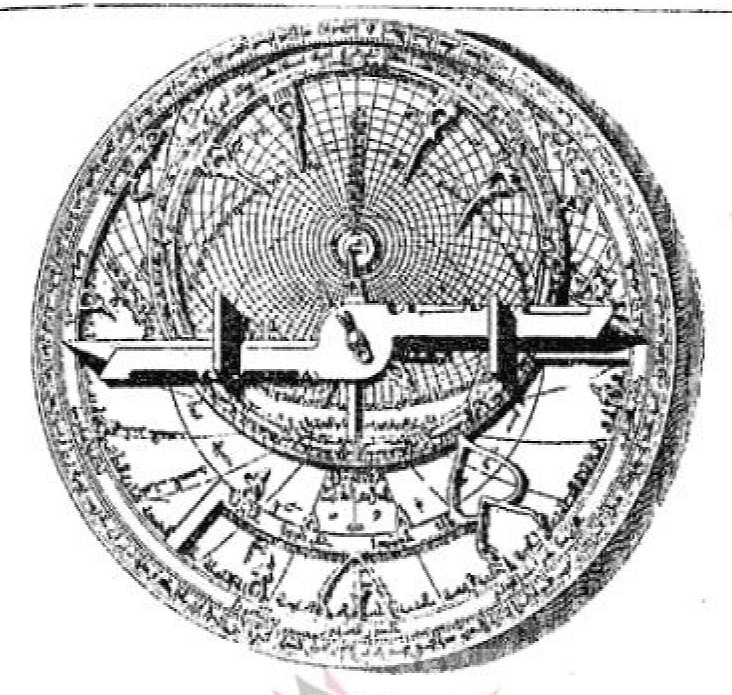
وللعرب يد في الجبر وهم اطلقوا عليه هـذا الاسم واخذه عنهم الافرنج بلفظه وقواعده . واول من استعمل الجبر في الهندسة ثابت بن قرة المتوفى سنة ٩٠٠ م وهو واضع مبادئ الهندسة التحليلية

وللعرب الفضل في نشر الهندسة باوربا اذ ترجموها عن اقليدس وكانت من المنسيات . ونحو اواخر القرن التاسع وضع البتاني « الجيب » وابو الوفا « المماس » وغير ذلك . ووضعوا الجداول الطويلة فيها

ما اخذوه عنهم من علم النجوم

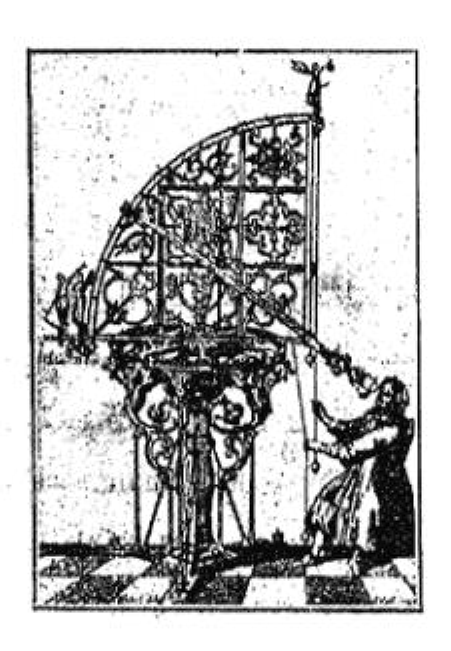
و بلغ علم الفلك في الاندلس منزلة رفيعة فانشأوا له المراصد في اشبيلية وقرطبة وقاسوا الوقت بخطران الرقاص وقدروا ابعاد الاجرام السماوية بالاسطرلاب وهو صحيفة مستديرة ذات حافة منمرة فيها صحائف اخرى ولها عقرب يتحرك على عامود في وسطها كما ترى في الشكل الثاني واصطنعوا آلات اخرى استطلعوا بها بعض احوال الدبران ورجل الغول وغيرهما . وفي النجوم المعروفة الآن اكثر من ٤٠٠ نجم اسماؤها عربية . وكثير من مصطلحات الفلك وضعت بالعربية ونقلت الى اللغات الاجنبية بلفظها كالمناخ Almanac والنظير Nadir والسمت Zenith وذات السموت Azimuth (نظر الشكل الثالث)

يقول القزويني ان العرب جزموا باستدارة الارض وعينوا قياس دائرتها وطول قطرها بواسطة خسوف القمر . وطاب الزاركال الفلكي الاسباني المشهور في القرن



ش ٢ — الاسطرلاب

الثاني عشر قاعدة لحساب تناقص انحراف الشمس من عهد بطليموس فتولى الامر الفونسو العاشر ووضع الازياج الالفونسية بمساعدة فلكيي العرب والفونسو هذا القائل « لو استشرت يوم خلق العالم لكانت الموجودات ابسط تركيباً واحسن ترتيباً »



ش ٣ — ذات السموت

وادخل العرب علم النجامة في اوربا عن طريق الاندلس فاعتقدها السواد الاعظم وبلغ العرب الاندلسيون شأواً بعيداً في الطب والجغرافيا والكيمياء وخصوصاً التعدين لكثرة المعادن في اسبانيا. فقد جاء في التوراة ان حيرام ملك صور استحضر الذهب والفضة لهيكل سليمان من ترشيش وهي في جنوبي اسبانيا. فلما احتلها العرب فتحوا المناجم واستخرجوا المعادن فعادت عليهم بالثروة

ما اقتبسوه من الصناعات

وهناك منحة عظيمة وان خبثت فقل محنة قدمها العرب لاوربا نعني « البارود » وقد اختلفت الاراء في مخترعه والارجح انه من اختراع الصينيين في القرن الثاني قبل الميلاد وانتقل من الصين الى بلاد فارس فبلاد العرب . والشائع ان العرب استعملوه سنة ٩٠٦ م وكانوا يسمونه الثلج الهندي وهم الذين نقلوه الى الاندلس ومنها اخذه الافرنج . وقد استعمله العرب في محاربة الاسبان سنة ١٢٤٩ م ثم استخدمه صاحب غرناطه في حصار باجة سنة ١٣١٢ م و١٣٢٥م . أما الافرنج فاستخدموه اولا في واقعة كراسية سنة ١٣٤٦ م

وقد ادعى حق اختراع الطباعة بالاحرف المفردة كثيرون من امم مختلفة ولا جدال في فضل ذلك المخترع على العالم لان الطباعة غيرت مجاري المدنية ولكن عدم وجود الورق ضيق حدودها . وكان الصينيون يصنعون الورق من الحرير فأخذه العرب عنهم واصطنعوه من القطن في القرن الثامن للميلاد . فلما دخلوا اسبانيا ورأوا كثرة القنب فيها اصطنعوه منه فلم يأت القرن الرابع عشر حتى انتشرت معامل الورق في اسبانيا ومنها امتدت الى اوربا ولولا وجود الورق لكان ثمار الطباعة قليله

وعرف الصينيون المغناطيس ولكنهم لم يحسنوا استعماله فاخذه العرب عنهم واستعملوا الحك في القرن الثاني عشر واخذه الافرنج عنهم

ومهر العرب في الصناعة والزرعة فادخلوا البذور والنباتات كالرز والقطن وقصب السكر الى الاندلس ودأبوا في حراثتها وزرعها خلافاً لسائر الفاتحين قبلهم . ويتعجب أهل أوربا من مقدرتهم على استغلال الارضين وتمهيد سبل التمدن وهم من بلاد كانت محرومة من اسباب المدنية والاداب المعروفة . ولم يقتبسوها من سواهم لتتابع غزواتهم واستغالهم عن الصناعة والزراعة بالحروب والغارات . وشادوا المدابغ لدباغة الجلد فكان أحسنه يصنع في قرطبة ولم يزل الجلد القرطبي (كوردفي) أحسن الجلود الى اليوم . ونقلوا صناعة السيوف الصقيلة والمجوهرات الشرقية من دمشق ولا يزال الاسبان الى الآن يصنعون سيوفاً ينقشون عليها الفاظا عربية اما لنسبتها للعرب أو كتعويذة لمضاء سيوفهم

والحرير أول من نقله من الصين قوم من الرهبان أوصلوه الى الممالك الشرقية ولم يعلم شعوب أوربا عنه شيئاً الى القرن الثاني عشر فاقتبس العرب سر صناعته وأنشأوا معامل للحرير في لميرة ولشبونه ولا يبعد أنهم أصدروه الى الخارج

واصطنع ابن فرناس الزجاج في أواخر القرن التاسع فنجح فيه نجاحاً باهراً الا انه أسقط في يده من جهة اخرى اذ حاول الطيران فاكتسى بالريش واصطنع أجنحة كاجنحة الطير — قال مكاري « ان ابن فرناس لم ينتبه الى أن الطيور تقع على أذنابها عند ماتستقر على الارض فغفل عن اصطناع الذنب فلما طار وسقط أذى صلبه !

حضارة الاندلس

في قرطبة

صرف الخليفة عبد الرحمن الناصر همه لاعلاء شأن قرطبة فنظم شوارعها ورتب شؤونها فكان سكان قرطبة يمشون في الشوارع المبلطة وسكان باريز ولندن أقرب الى الهمجية منهم الى الانسانية . وأنشأ فيها القصور الشاهقة والحدائق الغناء اشهرها القصر الزهر وقصر المؤنس وغيرهما وقصر سماه دمشق رفع سقفه على عمد من الرخام النقي ورصعه بالفسيفساء فتغنت بوصفه الشعراء وتسابقت قرائحهم الى اطرائه

أما حدائقها على ضفاف الوادي الكبير فحدث عنها ولا حرج . وكان الناس يقصدونها لتفريج الكرب وترويح النفس وجمعوا بين ضفتي النهر بجسر مؤلف من ١٧ قنطرة تدل آثارها الباقية على ما كان للعرب من طول الباع في الهندسة وتشييد الصروح والمباني . وقد ذكر بعض المؤرخين في قرطبة اكثر من ٥٠ الف قصر وما يربو على ١٠٠ الف مسكن للعامة و ٧٠٠ جامع و ٩٠٠ حمام

وكان عبد الرحمن الاول قد شرع سنة ٧٨٤ ببناء الجامع الكبير فاتم هشام ابنه بناءه وجعل من يخلفهم يزيدون فيه ويحسنونه حتى وصل الى الدرجة القصوى من الجمال وبديع الهندسة فقام سقفه على ١٢٩٣ عموداً منزلة بالذهب ورصعت ارض المحراب بالفضة والفسيفساء . وكان المنبر مؤلفاً من ٣٦٠٠٠ قطعة من العاج وفاخر الاخشاب مرصعاً بالجواهر الكريمة ومشدوداً بعضه الى بعض بمسامير من الذهب . وفي

دار الجامع اربعة أنابيب أجروا اليها الماء من الجبال . وتعهدت انارة الجامع الى ثلاثمئة رجل يشتغلون في تكرير الزيت وتطييبه لعشرة آلاف مصباح تضاء ليلا ولم يبق من ذلك الآن الا آثار نواطق صوامت يقف الزئر عليها ويسرح نظره فيها كانه في غاب من اعمدة الرخام والمرمر تتحلى الهيبة بما بقي من آثار عظمتها . وقد انتصبت حولها اشجار الليمون تناجيها بحفيف اوراقها فلا يتمالك ان يصرخ « السلام عليك يا عظمة الاندلس »

واعجب من الجامع الكبير ولكن دونه في الجمال قصور الزهراء بناها عبد الرحمن الناصر في اوائل القرن الرابع للهجرة بضواحي قرطبة لاحدى جواريه الزهراء . كانت جدران بعض تلك القصور وسقفه من الرخام والذهب وفيه ٤٠٠٠ عمود من الرخام اكثرها حمل من القسطنطينية ورومية وقرطاجة . وفي داره بركة مملوءة زئبقاً وحولها ٨ ابواب منزلة بالذهب والعاج ومرصعة بالحجارة الكريمة . فاذا طلعت الشمس عليها وتحرك الزئبق انعكست الاشعة عنها ولها لمعان كانها البرق . وقد اجمع واصفوها على تفردها بكثير من المزايا — قيل ان سفير قسطنطين امبراطور القسطنطينية لما زار الناصر في قصر الخلافة من قصور الزهراء أمر أن تزين له قاعة الاستقبال وجلس الخليفة على عرش مغشى بالذهب في وسط القاعة وولداه الى جانبيه ثم الوزراء والقواد وفرشت الارض بالسجاد الفاخر . فلما دخل السفير دهش ووقف مبهوتاً مما رآه من عظمة السلطان ورفعة الشان

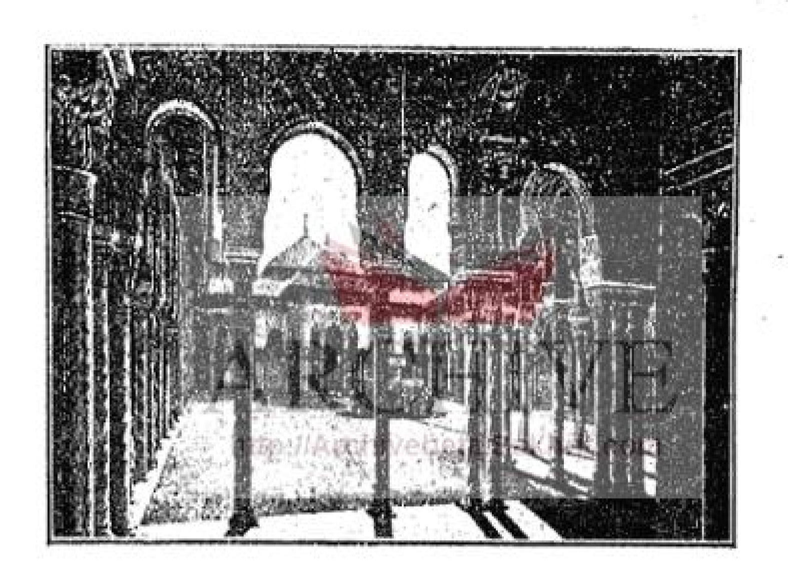
هندسة البناء عند العرب

ان الابنية عند العرب بسيطة للغاية وجمالها ببساطتها وتناسب أجزائها . فقد كانت تحتوي على ساحات داخلية فيها البرك حولها أعمدة صغيرة تيجانها مربعة منقوشة تقوم عليها قناطر بشكل نضوة الفرس والسقف قبة عالية فيها نقوش بارزة أشبه بنخاريب النحل تحيط بها النقوش على الطرز العربي وهي خطوط أو أغصان أو نباتات مشتبكة وفي اوراقها نجوم أو خطوط هندسية تحيط بآيات من القرآن فتظهر معاً بشكل يجتذب الابصار

وتقسم هندسة البناء في الاندلس الى ثلاثة أشكال أو أدوار باختلاف الزمان

الشكل الاول العربي البيزانتيني ومدته من القرن ٨ — ١١ م أيام عز بني أمية وأحسن مثال له جامع قرطبة الكبير

والشكل الثاني ظهرت فيه الهندسة العربية وقد أخذت تتجرد مما اختلطت به ايام نقلها من الشرق . ومدته من القرن ١١—١٣ وأعظم مثال له قاعة السفراء في قصر أشبيلية وهي ٣٣ قدماً مربعاً وسقفها قبة مزينة بالنقوش والايات علوها ٦٠ قدماً فوق قناطر عربية



ش ٤ — قصر الحمراء

والثالث عربي محض . وعلة هذا التغيير أن المسلمين لاول نزولهم البلاد كانوا على وفاق مع جيرانهم يتعاشرون ويتزاورون فاقتبسوا بعض عاداتهم وآدابهم . فلما قامت الخصومة بينهما في القرن الحادي عشر تباعدوا فتباعدت عاداتهم فتجردت الهندسة العربية من الزيادات التي دخلتها وأصدق مثال لهذا الطرز قصر الحمراء في غرناطة بنوه وهم يدفعون الجزية للافرنج . ولست بواصف فخامة مباني قصر الحمراء وتعدد مقصوراته وجمال نقوشه فان شهرته قد طبقت الافاق . بل أتي على ما يقراه المؤرخ فيه من المعاني : فهو يمثل الهندسة العربية بكمالها فينسي الداخل اليه أنه في غرناطة باسبانيا ويتصور نفسه في دمشق يرى ما يقرأه من وصف المنازل في الف ليلة وليلة وما فيها من

العجائب والغرائب لامة العرب مثلوا فيه قوتهم وثروتهم ومجدهم وآمالهم وجعلوه معقلا يصد عنهم هجمات العدو وقصراً اشتمل على مايروق للعين وتشتهيه النفس من نعيم ورفاه

قابل بين جامع قرطبة الكبير وبين قصر الحمراء تجد الجامع يدل على همة ونشاط وعز وقد بني لله ولجمع كلمة المسلمين . أما القصر فيدلُّ بناؤه على الانغماس في الشهوات والملذات ينذر بالخراب والانحطاط

مكتبة الحكم

ولا بد من الالماع هنا الى مكتبة الحكم والعناء الذي كابده في جمعها من أطراف المعمور . فكان يجمع اليها الكتب من بغداد والقسطنطينية ودمشق ومصر واذا أعجزه شراء كتاب بعث من ينسخه حتى اجتمع لديه على ماقيل أربعمائة الف مجلد. فاقتدى به الخاصة وتنافسوا في جمع الكتب النادرة قبل اختراع الطباعة يوم كانت أوربا تهيم في بوادي الجهل . ثم تولى المنصور فأمر باحراق المكتبة تقرباً من العامة الذين يسوؤهم انصراف الطبقة الراقية الى غير المألوف من الاعتقادات والعادات فاحرق كتب الفلسفة ولم يستبق غير كتب الشعر والتاريخ والطب والفقه وبعد قليل نهبت بقايا المكتبة وانتقلت الى أمم عرفت قيمتها واستثمرتها

الخاتمة

وبلغت الاندلس اعلى درجة من الارتقاء في ايام بني امية من القرن ٨ — ١١ وكانت اسبانيا كلها خاضعة للعرب . تلك ايام تدفقت فيها المعرفة حتى جاوزت الجبال وجازت العقبات وبلغت اوربا في زمن كان اهله يفتخرون فيه بجهلهم الكتابة والقراءة . وكان من اسباب الاهانة عندهم ان تتهم احدهم بمعرفة الكتابة لانحصار المعرفة يومئذ في سراديب الاديرة . فكان الامراء يجعلون توقيعهم علامة يصطلحون عليها لجهلهم الكتابة . حتى ان فيليب الجميل الذي قاد الجيوش وفرق الهيكليين كان توقيعه علامة بدل الاسم بينما كان الخليفة الحكم يقرأ الكتب ويعلق انتقاده على حواشيها !

ففي اجيال اوربا المظلمة قامت دولة العرب وشقت شمالي افريقيا حتى اتت الاندلس واستقرت فيها فلما فرغت من شن الغارات اخلدت الى السكينة واخذت بناصر دولة القلم ثم تهدم عرش خلافتها ولكنها عمرت عروش الاداب والمعارف وبثت في

افئدة الغربيين روح الحضارة فقد نزل فرديناندوايزابلاغرناطه في ٦ ك ٢ (يناير) سنة ١٤٩٢وفي ك ١ (دسمبر) من تلك السنة نشر خرستفوروس كولمبس العلم وعليه الحرفان الأولان من اسمي فرديناند وايزابلا . ثم سارت في اثره الابطال التي اتت اسبانيا لاسترجاعها من العرب . فكولمبس انتفع باكتشافات العرب واختراعاتهم على اختراق المحيط الاتلانتيكي واعد سفنه في مدينة بالوس وهي فرضة عربية وجمع بحريته منها وكثيرون منهم كانت تجري في عروقهم دماء العرب

فللعرب فضل في اكتشاف اميركا وفي ترويج الطباعة وغيرها من ممهدات التمدن الحديث وناهيك بما اخذ عنهم من العلم والفلسفة والادب وسائر الصناعات

مصر فؤاد خير الله

احياء الاداب العربية

بامر الحكومة المصرية

مرّ على الاداب العربية اطوار شتى وتدرجت في نموها تدرج الطفل فكانت طفلة في صدر الاسلام فصارت شابة في اوائل الدولة العباسية واينعت ثمارها في اواسط تلك الدولة . ثم تولتها الكهولة فالشيخوخة في القرون الاسلامية الوسطى وكادت تذهب بكليتها لو لم يتداركها الافرنج حرصاً على الاستفادة منها فاخذوا في جمعها ونشر المهم منها ونحن في غفلة عن ذلك بما استولى علينا من الخمول

فلما طلع فجر التمدن الحديث في الشرق اخذ اهله يتلمسون في طلب مفاخر اسلافهم ويسعون في احياء اللسان العربي وادابه لان حياتهم قائمة بحياته . وكان البادىء في ذلك محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية فقد اقتضت سياسته جمع كلمة العرب واحياء لسانهم وآدابهم فانشأ المدارس وارسل البعثات العلمية من ابناء هذا القطر الى مدارس اوربا يتلقون العلوم بلغات تلك البلاد على ان يعودوا ويعلموها في مدارس مصر بالعربية . فازدهى وادي النيل في اواسط القرن الماضي بالعلماء والاطباء والادباء وازدانت لغة العرب بالمؤلفات في العلم والطب والطبيعيات والنبات والحيوان والكيمياء بين ترجمة

وتأليف . واقتدت الشام بها واستفادت من تعبها فنشأت المدارس الكبرى في بيروت تعلم العلوم في اللغة العربية . واكثرها ظهوراً بذلك المدرسة الكلية وقد نقل اساتذتها اهم العلوم العصرية الى اللغة العربية وطبعوها ونشروها . ونبغت طائفة من المتخرجين فيها بالعلم والطب والصيدلة واخذوا يبثون تلك العلوم بين اهاليهم وذويهم باللغة العربية فزهت آدابها وظهرت فيها الكتب العلمية على اختلاف المواضيع

لم يمض على تلك النهضة في مصر بضع وعشرون سنة حتى نضجت الافكار وتدرجوا في نشر العلم من النقل عن الالسنة الافرنجية الى التأليف من عند انفسهم — وهذه اشهر مؤلفاتهم المطبوعة في اثناء تلك النهضة وبعضها مترجم اوملخص :

في الطبيعيات والكيمياء

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
الآيات البينات في علم النبات	محمود فوزي	١٨٨٨
الظواهر البديعة في علم الطبيعة	» »	١٣٠٨
منافع الحيوانات	» »	١٣٠٦
علم طبقات الارض (الجيولوجيا)	احمد ندى	١٢٨٨
بنية الكرة الارضية	» »	١٢٥٧
حسن الصناعة في علم الزراعة	» »	١٢٩١
علم النبات	» »	١٢٨٣
علم الحيوانات	» »	١٢٨٤
الكيمياء الزراعية	ابو السعود	١٢٩٠
الجواهر البديعة في علم الطبيعة	محمد كامل الكفراوي	١٣٠٥
الكيمياء العمومية ٤ اجزاء	ابراهيم لطفي	١٣٠٣
مبادىء الطبيعة	» »	١٣٠٥
علم الحيوانات اللافقرية	» »	١٣٠٣

في الطب

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
الباثولوجيا	محمد شافعي	١٢٥٩
الحصون الصحية	» »	١٣٠٥
التذكرة الطبية	ابراهيم مصطفى	١٨٨١
التشريح الخاص	محمود صدقي ومحمد امين	١٣٠٤

المادة الطبية جزآن	على رياض	١٢٩٧
جراحة الاقسام	محمد الدري	١٣٠٤
امراض النساء	احمد الرشيدي	١٢٦٠
الامراض الجلدية جزآن	« «	١٢٦٢
في علم الادوية والعلاج (٤ اجزاء)	« «	١٢٨٣
امراض الاطفال	« «	١٢٦١
قواعد التحضير	محمد الشباسي	١٢٦٤
الاقرباذين	حسن الرشيدي	١٢٦٥
الطب السياسي (الشرعي)	ابراهيم حسن	١٢٩٣
العمليات الجراحية الكبرى	محمد علي البقلي	١٢٥٩
فن الجراحة (جزآن)	« « «	١٢٨٢
اعمال الجراح (جزآن)	« « «	١٢٦٢
الامراض الجلدية	حسن محمود	١٢٩٢
السياسة الصحية	محمد صفوت	١٣٠٣
علم التشريح	حسن عبد الرحمن	١٢٨٣
فن الولادة	عيسى حمدي	١٢٩٨
الطب الباطني والعلاج	« «	١٣٠٢
صحة الحوامل والاطفال	« «	١٢٩٩
امراض الاطفال	« «	١٣٠٠
التسميم والترع	« «	١٣٠٤
مختصر فن العلاج	« «	١٣٠١
مختصر الطب الباطني (جزآن)	« «	١٢٩٨
الطب الباطني والعلاج (٤ اجزاء)	سالم سالم	١٢٩٨
المياه المعدنية	« «	١٣٠٠

توالى على مصر خمسة من امرائها والعلوم تلقن في مدارسها بالعربية وكانوا يعلمون بها الطب والبيطرة والصيدلة والطبجية والبحرية والتعدين والهندسة والزراعة والولادة والصنائع والفنون . ولكل من هذه الفروع كتب عربية في كل فرع منها . وكانت مدرسة الالسن من الجهة الاخرى تخرج التراجمة وفيهم الكفاءة لنقل الكتب

ومخابرة الدول وترجمة الاوراق الرسمية مع ضعف وسائل الاتقان في ذلك العهد . لان النهضة كانت لاتزال في اولها . فلو ظلت سائرة في تقدمها على تلك النسبة الى الآن لكانت اللغة العربية غنية بكتب العلم على اختلاف فروعه مثل لغات سائر الممالك المتمدنة في اوربا — ولكنها اصيبت ببواعث سياسية حالت دون هذه الامنية

اللغة العربية بعد الاحتلال

كانت المدارس المصرية عام الاحتلال سنة ١٨٨٢ قسمين أميرية وغير اميرية فضلاً عن الازهر . والاميرية طبقتان ابتدائية وعددها ٥٣٧٠ مدرسة تشتمل على ١٣٧ ٥٥٣ طالباً وثانوية وعددها ٢٧ مدرسة فيها ٤٦٦٤ طالباً . غير المدرسة التجهيزية ومدارس الفنون والمهن العلمية كالطب والهندسة والمساحة والعمليات والادارة والصناعة وغيرها وكانت قاعدة التعليم في هذه المدارس اللغة العربية . وكانت العلوم تعلم بكتب عربية وفي جملتها الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافية غير علوم المهن العلمية التي ذكرناها . واما اللغات الاجنبية فكان التلميذ يخير فيها بين الفرنساوية والانكليزية والالمانية فيتعلم التي يريدها . ومن اراد اتقان هذه اللغات دخل مدرسة الالسن ومن هذه المدرسة يخرج المترجمون . ناهيك بالبعثات التي كانت ترسلها الحكومة الى اوربا لاتقان بعض العلوم . وكان التعليم في المدارس الاميرية مجاناً

ثم اخذت الحكومة بعد الاحتلال في تنظيم المدارس على نسق جديد فتقلبت على احوال شتى واهم ماحدث فيها اقفال مدرسة الالسن واغفال البعثات الى اوربا وابطال التعليم المجاني وجعل قاعدة التعليم باحدى اللغتين الانكليزية او الفرنساوية . وقلت العناية باللغة العربية رويداً رويداً — فبعد ان كانت معظم ساعات التدريس عائدة الى اتقانها صارت تتحول الى اللغات الاخرى تدريجاً حتى صارت ساعات التدريس للعربية اقل من ساعات التدريس لسواها

وحدث نحو هذه الصدمة في سوريا فجعلت المدرسة الكلية قاعدة التعليم فيها اللغة الانكليزية . وقاعدة التعليم في مدرسة الآباء اليسوعيين الفرنساوية فتضعضعت الآداب العربية . ولولا رمق بقي منها في الصحافة لحسبناها ماتت

فتولانا اليأس وطفقنا نستصرخ ونستغيث ولا مجيب حتى تغيرت الوزارة المصرية سنة ١٩٠٦ ورافق تغيرها حركة وطنية فاقترحت الجمعية العمومية على الوزارة جعل قاعدة التدريس في المدارس المصرية اللغة العربية كما كانت قبل الاحتلال . فوعدها سعد باشا زغلول ناظر المعارف يومئذ ببذل الجهد في هذا السبيل . وقد بر بوعده

على قدر الامكان . لكن التعليم على الاجمال ما زال ضعيفاً كما بينا ذلك في اماكن كثيرة من الهلال

حتى اذا شكلت الوزارة الاخيرة في العام قبل الماضي توقع الناس منها اتمام هذه الامنية وقد بانت بارقة الامل في هذا السبيل بمنشور جاءنا من الوزارة بالامس تحت عنوان « احياء الآداب العربية »

احياء الاداب العربية

وهو عنوان ينشرح له صدر كل عربي لان مجاهرة الحكومة رسميا بهذا الامر لا يستخف بها — واذا ارادت الحكومة فعلت . ولا عجب فان مصر كفيلة هذه اللغة من اول نهضتها في اوائل القرن الماضي تعليماً وترجمة وتأليفاً ونشراً فاحرٍ بها ان تمد يدها الان لانقاذها من عثرتها فتعود الى الخطة التي كانت سائرة فيها قبل الاحتلال

على ان قرار الوزارة المشار اليه لا يتناول غير الاتفاق على طبع نسخ خطية من كتب سعي صديقنا احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار في نقلها بالفوتوغراف من مكاتب الاستانة واوربا على ان يشرع الان بنشر اثنين منها هما اهمها جميعاً نعني كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري وكتاب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري . وهما موسوعتان نفيستان تعب زكي بك في الحصول عليهما . وقد خصصت الحكومة المال اللازم لمباشرة الطبع والنشر على ان تواصل العمل في نشر الكتب الاخرى وهي تزيد على خمسين كتاباً في الادب والبلاغة والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات والطبيعيات والفلك والمعادن وغيرها . وكلها من الكتب النادرة وليس منها شيء في المكتبة الخديوية

ان زكي بك باستنساخه تلك الكتب قد خدم آداب اللغة خدمة جليلة جزاه الله خيراً . واهتمام الوزارة في نشرها فضل كبير يبعث على تجدد الآمال في احياء هذا اللسان لان نشر مآثر الاسلاف وعلومهم يبعث الابناء على الاقتداء بهم فضلا عما يستفيدونه من ثمار قرائحهم . ومن اهم واجبات الامم الراقية الاحتفاظ بآثار اسلافهم . ثم ان هذه الكتب جزيلة الفائدة لخاصة الادباء ورجال الاقلام — وربما كان سرورنا بها اكثر من سرور سائر القراء لعلنا نستخرج منها فوائد في التاريخ والادب لم نقف عليها في الكتب المتداولة . فكل ما تنفقه الحكومة في سبيل الحصول عليها حلال واجب واذا كانت فائدتها محصورة في طبقة الكتاب والادباء فان تلك الفائدة تتصل بالعامة بما ننشر منها في كتاباتهم او تآليفهم

على انّنا لا نعتبر مهمة الحكومة في احياء الاداب العربية تنتهي عند هذا الحد فان هذا العمل جزءٌ صغير كماليٌّ بالنظر الى المطالب الاخرى التي نحن في حاجة اليها لهذا الغرض السامي

ان احياء هذه اللغة يراد به جعلها مثل سائر اللغات الحية في العالم المتمدن يستقلُّ بها اصحابها في طلب العلم والتوسع فيه بحيث يستغنون عن لغات الامم الاخرى اذ تظهر فيها المؤلفات في العلوم النافعة والاداب العصرية على اختلاف مواضيعها . وبعبارة اخرى ان تعود اللغة الى الخطة التي كانت سائرة فيها قبل الاحتلال — وذلك يستلزم :

اولاً : ان تزاد العلوم في المدارس المصرية لتصير مثل العلوم في اترابها المدارس العليا باوربا وغيرها لان العلوم التي تعلم الان لطلاب البكلوريا المصرية قد بيّنا في مكان اخر من الهلال انها تقابل دروس المدرسة الاستعدادية في كلية بيروت

ثانياً : ان تجعل اللغة العربية قاعدة التعليم فتلقن بها العلوم كلها حتى يسهل على المتخرجين فيها التأليف في هذه اللغة لابنائها كما حصل في اوائل هذه النهضة

ثالثاً : ان تشكل الحكومة لجنة لتأليف اوتعريب الكتب التي لا غنى للناشئة عنها لان لغتنا فقيرة جدًا في اكثر المواضيع اللازمة لتثقيف العقول وترقية الاذهان — حتى التاريخ على اختلاف مواضيعه وخصوصاً التاريخ العام وتاريخ مصر . فان الحاجة ماسة الى التأليف مطولاً في كل دور من ادوار تاريخها وكل دولة من دولها . وقد كتب بعض الادباء « سهيل » في اللواء عدة مقالات عن افتقارنا الى هذا العلم وعين في العدد ٣٤٣٨ من اللواء كتاب التاريخ الذي نحن في حاجة اليه وقد اجاد واصاب . ولا فائدة من هذا ولا ذاك ان لم تبسط نظارة المعارف يدها للاخذ بناصر الادباء

ويسرنا ان نبشر محبي هذه اللغة ان صاحب السعادة حشمت باشا ناظر المعارف العمومية اخذ في تأليف لجنة لترجمة الكتب النافعة . وهي مأثرة تضاف الى فضله في نشر الكتب المتقدم ذكرها . فاذا وفق الى اتمام سعيه في هذا السبيل كانت وزارته بدء نهضة جديدة للغة العربية سيخلد التاريخ فضله فيها

ولا نرى حاجة الى تذكير سعادته بالعلوم العصرية اللازمة لاحياء اللغة العربية في المدارس متى جعلت هذه اللغة قاعدة التدريس فيها غير ما تقدم ذكره كالرياضيات والطبيعيات والكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا والاقتصاد السياسي وسائر العلوم الطبيعية والاجتماعية وغيرها مما لا بدَّ من تأليف الكتب فيه بالعربية لتعليم هذه العلوم بها . وفي مصر غير واحد لا يعجزهم القيام بهذا العمل . واذا سلمنا بعجزهم

عن التأليف فلا يسعنا انكار كثرة القادرين على الترجمة . فلنبدأ بتعريب كتب العلوم الملائمة لحاجة الشبان كما فعل محمد علي في اول نهضته فانه بدأ بالنقل عن الالسنة الاخرى كما تقدم . وكان اكثر نقلهم عن الفرنساوية واشهر النقلة في المواضيع الطبية والطبيعية حنا عنحوري ويوسف فرعون ومحمد الشباسي وابراهيم النبراوي واحمد الرشيدي واحمد فائد وعيسوي البحراوي وعلي هيبة . واكثر ما نقلوه في الطب والطبيعيات والتاريخ الطبيعي . فالعنحوري نقل عن الفرنساوية والايطالية كتباً في التشريح البشري والجراحة البشرية والطبيعيات وعلم النبات والباثولوجيا طبعت بين سنة ١٨٣٣ و ١٨٤٥ . ويوسف فرعون نقل عن الفرنساوية ثمانية كتب ورسائل في الفنون البيطرية . واحمد الرشيدي نقل علم الولادة وامراض النساء والاطفال ومداواة العينين . والشباسي ترجم التشريح الخاص والنبراوي نقل التشريح والاربطة الجراحية . واحمد فائق نقل علم الجيولوجيا . وعلي هيبة نقل كتاب الفيسيولوجيا . وغيرهم نقل الاقرباذين والزراعة وغيرها

فلما تفهموا ما حوته هذه الكتب من العلوم عمدوا الى التأليف من عند انفسهم فنبغت طبقة من المؤلفين وظهرت مؤلفات هامة في الطب وغيره من العلوم الحديثة تلقى مؤلفوها العلم في العربية ثم توسعوا بمطالعة كتب الافرنج او بالدرس في مدارس اوربا الكبرى وقد ذكرنا اشهرها في ما تقدم

فالمرجو ان تتم هذه النهضة في احياء اللغة العربية وآدابها على يد صاحب السعادة ناظر المعارف وقد آنسنا فيه الرغبة في هذا الامر مع القدرة عليه . وهو القائل في تقريره بشأن كتب زكي بك « ولقد آن للحكومة الخديوية ان تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر ابائهم ويصنعوا مثل ما صنعوا »

تاريخ مصر الحديث

الطبعة الثانية

ظهر كتابنا تاريخ مصر الحديث منذ نيف و ٢٠ سنة وقد نفدت نسخه واخذنا في تنقيحه واعادة طبعه وسنضيف اليه ماحدث بعد الطبعة الاولى الى الآن . وسنزينه برسوم كثيرة فضلاً عن الرسوم التي كانت في الطبعة الاولى وسيصدر في بضعة اشهر ونعلن عنه عند الفراغ من طبعه

فمن كانت له ملاحظة على الطبعة الاولى فلينبهنا اليها وله الفضل

باب السؤال والاقتراح

العرب والتمدن

﴿ القاهرة ﴾ صليب افندي منقريوس

دارت مناقشة بين بعض الادباء في مجلس حافل عن العرب ونسبتهم الى التمدن منذ ظهروا بالاسلام الى الا ن وهل ما ينسبونه اليهم من الفضل على التمدن الحديث حقيقى ثابت بالارقام والاسماء او هو اطراء اجمالي . واجمع الكل على استفتاء الهلال فنرجو الافادة في العدد القادم لان الحاجة داعية الى ذلك

﴿ الهلال ﴾ ترون في هذا الهلال مقالة في فضل عرب الاندلس على هذا التمدن بقلم فؤاد افندي خير الله . وقد بحثنا في العرب ونسبتهم الى التمدن في اماكن كثيرة من الهلال وغيره من مؤلفاتنا ولا بأس من الرجوع اليه ليرسخ في الاذهان . ونقسم الكلام فيه الى قسمين الاول في حال العرب لما ظهر الاسلام والثاني في حقيقة فضلهم على التمدن الحديث

١ — العرب عند ظهور الاسلام

قد يتبادر الى الاذهان ان عرب الجاهلية كانوا في طور الهمجية قياساً على ما نعلمه من احوال بعض القبائل البدوية . والواقع ان اولئك العرب مع بداوتهم وخشونتهم كانوا من الامم الراقية عقلاً وخلقاً . نستدل على ذلك مما خلفوه من آثارهم على قلتها . واهمها لغتهم واشعارهم وامثالهم واقوالهم . واللغة اصدق ناطق عن احوال الامم فان القبائل المتوحشة في اواسط افريقيا قد تشبه عرب الجاهلية بخشونتها وغاراتها ولكنها احط منهم في سلم الارتقاء بدليل ما نراه في لغاتها من قلة الالفاظ والعجز عن اداء المعاني الراقية فتجد بينها لغات خالية من الالفاظ المعنوية لتأدية المعاني المجردة . وبعضها ليس فيها الفاظ للتعبير عن الحب او العبادة او الاله او الصديق . والبعض الآخر لا يستطاع التعبير

بها عما وراء الخمسة من الاعداد . فاهل هذه اللغات لو بلغت عقولهم الى تصور تلك المعاني لوضعوا لها الفاظاً تؤديها

اين ذلك من لغة العرب بما فيها من الالفاظ والتراكيب التي تؤدي ارقى الافكار ومنها ما يؤدى به اظلال المعاني اوفروعها او جزئياتها . فتجد عندهم مثلاً لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص بها ولكل ليلة من ليالي القمر اسم . وناهيك باسماء النيران والاسلحة وغيرها . وعندهم للمعنى الواحد عدة الفاظ يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . فللشعر مثلاً اسماء عديدة حسب منبته كالفروة لشعر معظم الرأس والناصية لشعر مقدم الراس والذوابة شعر مؤخر الرأس والفرع شعر راس المراة والغديرة شعر ذوابتها والدبب شعر وجهها الى غير ذلك وهو كثير . وقس عليه اسماء المعائب فمن معائب العين الحوص والخوص والشتر والقمش والكمش والغطش والجهر ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له في ارقى لغات البشر قديماً ولا حديثاً

واعتبر ذلك في تفرع معاني الافعال كتفرع فعل النظر الى رمق ولمح وحدج وشفن وتوضح ورنا واستكف واستشف ومثلها فروع افعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه اللغة الوف من هذه الامثلة . ولا خلاف في ان ذلك من ادلة الارتقاء . ناهيك بالمترادفات في الاوصاف وهي اكثر من ان تحصى . ولعل العربية اغنى اللغات في الالفاظ المعبرة عن المعاني المجردة واعمال العواطف . ففيها لانواع الحب نحو عشرة الفاظ ومثلها للبغض والحسد والطمع وغيرها

وترى هذا الارتقاء ظاهراً في التراكيب العربية . فالاعراب بالحركات من خصائص هذه اللغة غير ما فيها من الاعجاز والايجاز في الكتابة ونحو ذلك . وكلها تشهد بارتقاء عقول الناطقين بها وسمو مداركهم — وهم عرب الجاهلية

غير ما اشتهر من اعراق العرب في التمدن من اقدم ازمنة التاريخ . والغالب انهم اول من دون الشرائع (شرائع حمورابي) واقدم من نظم الشعر (شعر ايوب) وقامت منهم دول في العراق واليمن والشام والحجاز ومرت عدة قرون وهم واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب . وقد فصلنا ذلك في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

ناهيك بما امتاز به اولئك العرب من الشاعرية وقوة البديهة فضلا عما في اشعارهم من دلائل الارتقاء . وان امة ينبغ فيها مثل امرئ القيس والنابغة وزهير وامثالهم من فحول الشعر امة تعقل وحكمة وذكاء وحنكة . يدلك على ذلك ما حوته اقوالهم

من الحكمة الرائعة مما لا يقل عن حكمة الفلاسفة الكبار في ارقى الامم . فابيات زهير ابن ابي سلمى في معلقته :

رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
رايت سفاه الشيخ لا حلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم
واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يعفها يوماً من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

لا تقل حكمة عن اقوال اكبر الفلاسفة . وانك لتجد كثيراً من امثال هذه الفلسفة في شعر الجاهلية كأن الشعر وصل اليهم ناضجاً بعد معالجته قروناً ذهبت اخبارها . والعرب اكثر امم الارض شعراً وشعراء في جاهليتهم واسلامهم . وناهيك بحكمهم في امثالهم فانها تدل على افكار ناضجة بطول الاختبار واعمال الفكرة . وقد ايد ذلك ما ظهر من اولئك العرب بعد الاسلام . فقد انشأوا الدول واوجدوا تمدناً لم يسبق له مثيل

واما من حيث الاخلاق فالعرب في جاهليتهم اشتهروا بالوفاء والبسالة والكرم والانفة واباءة الضيم والغيرة على العرض والحرص على الكرامة واشتهر بهذه المناقب منهم رجال تضرب بهم الامثال . ولم يزدهم التمدن شيئاً من المحامد بل هو ذهب بكثير من خلالهم الجميلة بعد استبحار المدنية بمخالطتهم الامم الاخرى وانغماسهم في الترف والقصف . فبعث ذلك الى خروج الدولة من ايديهم الى الاعاجم كما هو مشهور في التاريخ وقد فصلناه في تاريخ التمدن الاسلامي

٢ — فضلهم على التمدن الحديث

اما فضلهم على التمدن الحديث فليس من قبيل المبالغة والاطراء كما توهم البعض بل هو حقيقة ثابتة بالارقام والاسماء . ان الافرنج لم يبدأوا بنهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث الا بعد احتكاكهم بالمسلمين في الشرق في اثناء الحروب الصليبية وغيرها واطلاعهم على مدنيتهم العجيبة فدهشوا من آدابهم وعلومهم فافاقوا من غفلتهم واخذوا في نقل كتبهم الى السنتهم . بدأوا بذلك من القرن العاشر للميلاد واول من وصل الينا خبره من المترجمين البابا سلفستر الثاني ثم جاء بعده هرمان المقفع المتوفى سنة ١٠٥٤ ثم قسطنطين الافريقي وغيره كثيرون اشهرهم افلاطون الطيبوري واذلار الباطي ويوحنا الاشبيلي وكونديسالني وهرمان الدالي ومرقس الطليطلي والكريموني وفيلبوف

وارمنكو وسكوت وفراغوت وغيرهم . وفيهم الايطالي والاسباني والفرنساوي والانكليزي وغيرهم . وكلهم اشتغلوا في نقل علوم العرب الى اللاتينية فبلغ عدد ما نقلوه من الكتب نحو ٣٠٠ كتاب تقسم بحسب مواضيعها على هذه الصورة :

عدد الكتب المترجمة	مواضيعها
٩٠	في الفلسفة والطبيعيات
٧٠	« الرياضات والنجوم
٩٠	« الطب
٤٠	« النجامة والكيمياء

فهذه الكتب نقلها الافرنج الى اللاتينية ثم نقلوا بعضها الى السنتهم . وتبلغ الكتب المذكورة نحو ضعفي ما نقله العرب من علوم القدماء الى لسانهم . فلو نحاسب الشرق والغرب قبل نهضتنا الاخيرة لكان الغرب مديناً لنا . لان العرب لم ينقلوا من كتب القدماء اكثر من ٢٠٠ كتاب نحو ثلثيها فقط نقل من اليونانية والباقي من الفارسية والهندية والسريانية . فيكون عدد الكتب التي اخذها الشرق من الغرب نصف التي اخذها الغرب منه . لكن الغرب وفى ما عليه في نهضتنا الاخيرة بما اخذناه من اسباب التمدن الحديث . ونقلة العلم في العصر العباسي لم يزيدوا على ثلاثين مترجماً . اما نقلة الافرنج فقد أربوا على خمسين . ويقال نحو ذلك في عدد المؤلفين اليونانيين الذين نقل العرب عنهم وعدد المؤلفين العرب الذين نقل الافرنج عنهم . فالمؤلفون العرب يزيدون على بضع عشرات هذه اسماء اشهرهم :

في الفلسفة : الكندي وقسطا بن لوقا والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن باجه وابن الطفيل وماشاء الله وابن جبريل وحنين بن اسحاق والسرخسي وغيرهم

وفي الرياضات والنجوم : ثابت بن قرة واولاد موسى والخوارزمي وابن الهيثم والفرغاني والبتاني وجابر بن افلح والبتروجي وابن الصفار والقبيصي والزرقالي وغيرهم

وفي الطب : سرابيون الاكبر والاصغر وماسويه الاكبر والاصغر والرازي وابن الجزار والزهراوي وعلي بن عباس وعيسى بن علي والميموني وابن سينا وابن زهر واسحاق الاسرائيلي وابن بطلان وابن جزلة وغيرهم

والكتب العربية التي نقلوها الى اللاتينية طائفتان (١) الترجمات وهي التي نقلها العرب عن اليونان وابقوها كما هي فهذه نقلها الافرنج من العربية لكنهم نسبوها الى

مؤلفيها الاصليين فلا نتعرض لذكرها . (٢) المؤلفات التي الفها المسلمون من عند انفسهم بعد درس علوم القدماء وهي القسم الاهم

اما العلماء اليونان الذين نقل الافرنج كتبهم عن العربية فاشهرهم ارسطو وافلاطون وابقراط وجالينوس واوقليدس وارشميدس . واليك امثلة من الكتب التي ترجمها الافرنج وبجانب الكتاب اسم مؤلفه واسم مترجمه وبعضها لم يعرفوا مترجمه كما ترى :

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه	اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
السمع والبصر	الكندي	الكريموني	امراض الجلد	الرازي	مجهول
الغاية	»	»	الترياق	»	»
الاحكام	»	»	الجدري والحصبة	»	»
التوحيد	»	»	القانون	ابن سينا	الكريموني
الاسباب المختلفة	»	مجهول	قلب الانسان	»	فيلنوف
مستقبل المعرفة	»	»	الارجوزة في الطب	»	ارمنكو
خصائص العناصر	الفارابي	»	شرحها	»	»
السمع الطبيعي	»	الكريموني	الشراب	»	الباغوس
المنطق	»	»	النفس	»	الاشبيلي
مطلع العلم	»	كنديسالفي	مابعد الطبيعة	»	كونديسالفي
اقسام الفلسفة	»	»	الطبيعيات	»	»
العلوم	»	الكريموني	السماء والعالم	»	»
العقل والمعقول	»	مجهول	مختصر الحيوان	»	سكوت
الكيمياء	»	»	التعريفات	»	مجهول
الحاوي	الرازي	فراغوت	الكيمياء	»	»
المنصوري	»	الكريموني	الحجر الفلسفي	»	»
الضوء	»	»	الحدود	»	»
الاقسام	»	»	المنطق	»	»
المداخل في الطب	»	»	الفلسفة الاولى	»	»
الاغذية	»	الكريموني	الكليات	ابن رشد	ارمنكو
علل المفاصل	»	مجهول	شرح ارجوزة ابن سينا	»	»

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
الادوية المفردة	ابن سينا	مابن
الترياق	»	مجهول
السموم	»	»
شرح السماء والعالم	»	سكوت
» النفس	»	»
القوى الطبيعية	»	»
الرجم	»	»
الماجسطي	ثابت بن قرة	»
الاوزان	»	»
تركيب الدوائر	»	»
التصور	»	الاشبيلي
السيارات	»	مجهول
الثوابت	»	»
التقارب والتباعد	»	»
الدائرة المثمنة	»	»
التناسب	»	»
احكام النجوم	ما شاء الله	الاشبيلي
احكام القرانات والمهازجات	ما شاء الله	»
الاسطرلاب	»	مجهول
الدائرة	»	الكريموني
البول	اسحق الاسرائيلي	قسطنطين
الحميات	»	»
العناصر	»	الكريموني
الاغذية	»	»
الحدود	»	»
الجراحة	الزهراوي	»

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
الرق	الزهراوي	سمعان الجنوي
النظر والعمل	»	مجهول
التصريف	»	»
الملكي	علي بن عباس	قسطنطين
تقويم الابدان	ابن جزلة	فراغوت
» الصحة	ابن بطلان	»
تذكرة الكحالين	عيسى بن علي	مجهول
التيسير	ابن زهر	بتافينوس
البسائط	سرابيون	سمعان الجنوي
صناعة جالينوس	ابن رضوان	الكريموني
الكتب الاربعة	»	بامر الفونس
الطبيعة وماوراءها	الغزالي	كونديسالفي
الزيج	الخوارزمي	ادلار الباطي
المدخل	»	»
الجبر	»	الكريموني
الهندسة	اولاد شاكر	»
ينبوع الحياة	ابن جبريل	كونديسالفي
حركات النجوم	البتاني	الطيبوري
مئة مسألة	»	مجهول
الزيج	»	اوبرت الرتيني
القانون	»	بامر الفونس
الجبر	ابو كامل خجا	الكريموني
الاسطرلاب	ابن الصفار	مجهول
المثلثات الكروية	جابر بن افلح	»
النصرانية والاسلام	البتروجي	سكوت
زاد المسافر	ابن الجزار	قسطنطين
المدخل في النجوم	القبيصي	الاشبيلي

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
الشفق	ابن الهيثم	الكريموني
المختصر	سرابيون	«
الحميات	ماسويه	مجهول
الجراحة	«	فراعوت
الايساغوجي	حنين	مجهول
المنطق	السرخسي	مجهول
النفس والروح	قسطا بن لوقا	الاشبيلي
التعاويذ	« «	فيلنوف

اسم الكتاب	مؤلفه	مترجمه
اللاهوت	جابر	الكريموني
الانواء	ابن العوام	«
الزيج	الزرقاني	«
السموم	الميموني	المسيقي
النجوم	الفرغاني	الكريموني والاشبيلي
زهر النجوم	البلخي	الاشبيلي
الاختبار	«	مجهول
الرمد	«	«

هذه الكتب كلها من مؤلفات العرب غير ترجماتهم التي لم يحدثوا فيها تغييراً ونقلها عنهم الافرنج ولم نتعرض لذكرها . اما التي ذكرناها فانها من مؤلفات العرب . وليست هي كل ما نقلوه . واكثرها موجود في المكاتب الدولية الكبرى باوربا كالمكتبة الاهلية بباريس ومكاتب اوكسفرد وكمبردج وبرلين ولندن وفينا ورومية وليدن ومنشن وغيرها . وهي هناك حتى الآن معروضة لمن يريد الاطلاع عليها . وبعضها قد ترجم غير مرة ومنها طبعت ترجمته اللاتينية ونشرت مراراً كالقانون لابن سينا وكتاب النجوم للفرغاني والحاوي للرازي وارجوزة ابن سينا في الطب والتيسير لابن زهر ومعظم مؤلفات ابن سينا وابن رشد والفارابي . وبعضها نقل الى اللغات الافرنجية الحية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية وغيرها

فلا جدال في فضل آداب اللغة العربية على اوربا في انشاء التمدن الحديث للاسباب التي قدمناها . وقد يعترض على ذلك بان العلوم التي اقتبسها الافرنج من العرب ليست من موضوعاتهم . والجواب اولاً : ان هذه العلوم مع كونها منقولة في الاصل من امم اخرى فقد رقاها العرب وتوسعوا فيها وادخلوا بعضها في بعض فوصلت الى الافرنج ولها صبغة خاصة بالعرب فلا يصح نسبتها الى اصحابها الاصليين الا ما بقي منها على اصله فهو ينسب الى صاحبه اليوناني او الفارسي كالجغرافية والماجسطي لبطليموس وكتاب البلدان لابقراط والصناعة الطبية لجالينوس وسر الاسرار والخواص والسياسة وغيرها لارسطو والهندسة لاوقليدس . وقد نقل منها الافرنج في اثناء تلك النهضة نحو نصف ما نقلوه عن العرب ولم نتعرض لذكره . على ان للعرب فضلاً حتى في ما ترجموه حرفياً لان بعض الاصول التي نقلوا عنها ضاعت ولم يبق سبيل الى تلك العلوم الا من الترجمات

العربية . ومن المؤلفين اليونانيين الذين ضاعت مؤلفاتهم وبقيت ترجماتها العربية تموخارس وارستلوس ومنيلاوس وثاوون . ومن هذا القبيل كتاب كليلة ودمنة فان اصله الفارسي ضاع وعول الافرنج في نقله على ترجمة ابن المقفع العربية . وكذلك كتاب الفلاحة النبطية فقد نقله ابن وحشية عن السريانية وضاع الاصل فنقله الافرنج عن العربية وقس على ذلك

ثانياً : ان للعرب اكتشافات علمية وطبية وطبيعية لم يكن القدماء يعرفونها وقد اخذها الافرنج في جملة ما اخذوه ولا تزال باقية الى الان عندهم رغم الاكتشافات الحديثة . فالعرب اول من استخدم المرقد (البنج) وقد اخذه الافرنج ولا يزال متبعاً في الطب وان اختلفت المواد المستعملة للتبنيج . وهم اول من استخدم الكاويات في الجراحة ووصفوا علاج اليرقان وهم اول من عالج خلع الكتف برد المقاومة واول من قدح العين اي عالج ظلام العدسة البلورية بعملية الكتركتا ولا تزال باقية . واشاروا بتفتيت الحصاة غير ما وصفوه من الامراض كالحصبة والجدري وكثير من ارائهم لا تزال متبعة

ومن اثارهم في هذا التمدن علم الكيمياء الحديث المبني على التجربة والعمل فانه من موضوعات العرب . وهم اول من استحضر العقاقير على الطريقة الجديدة بالتقطير والترشيح . والصيدلة ايضاً من مبتكراتهم وهم اول من انشا حوانيتها وقد اخذها الافرنج عنهم ولا تزال شائعة عندهم . واهم المستحضرات الكيماوية من مكتشفات العرب كالحامض النتريك والكبريتيك والنتروهيدروكلوريك والبوتاسا وحجر جهنم والسليماني والراسب الاحمر وملح الطرطير وملح البارود والزاج الاخضر والكحول والقلي والزرنيخ والبورق وغيرها وكلها من اهم المواد الطبية الكيماوية التي لا يستغنى عنها في الطب او الصيدلة او في المعامل الكيماوية وغيرها من مصانع الاكتشاف والاختراع

غير فضلهم على هذا التمدن في علم النبات فان الافرنج بنوا اكثر ابحاثهم فيه على كتب العرب واساس الزراعة الحديثة من كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشيه وهو منقول عن العربية كما تقدم . وغير ما اخذوه عن العرب من احكام النجوم وقواعدها فقد تغير كثير منها ولكن اثارهم لا تزال باقية في اسماء الكواكب وغيرها من مصطلحات ذلك العلم . وغير القواعد الرياضية التي اخذها الافرنج من كتب العرب ولم تتغير . ومن هذا القبيل الجبر فانه من اصل عربي يشهد بذلك اسمه العربي عندهم

ومن آثار العرب في التمدن الحديث الارقام فهي هندية الاصل اخذها العرب عن الهنود واخذها الافرنج عن العرب فنحن نسميها هندية وهم يسمونها عربية . وللعرب زيادات في كل العلوم التي نقلوها عن اليونان فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ومن آثار العرب في العلم الحديث انهم حفظوا كثيراً من تواريخ الامم الشرقية التي لولاهم لضاع اكثرها ولا سيما تاريخ العرب والفرس والهنود وغيرهم . والعرب اول من وضع المعجمات التاريخية والجغرافية واول من الف موسوعات العلوم (دائرة المعارف) التي يسميها الافرنج انسكلوبيديا وعنهم اخذها الافرنج ولا تزال باقية عندهم الى الآن

السريانية والكلدانية

﴿ البصرة . العراق ﴾ بهجت افندي فرج

اي اللغتين اقدم السريانية او الكلدانية ومن تفرع من الاثنتين اولاً

﴿ الهلال ﴾ لا بد قبل الجواب على هذا السؤال من تمهيد لان المراد باحد هذين اللفظين يختلف باختلاف الازمان . ان اللغة السريانية يراد بها عادة بقية لغة الاشوريين في ما بين النهرين . والفرق بينهما كالفرق بين اللغة العربية العامية واللغة الفصحى— ووجه الشبه في هذا التقسيم يتناول الاصل والفرع . فاللغة الاشورية تقابل اللغة الفصحى وتشبهها من حيث كونها معربة مثلها اي ان اواخر الكلم فيها تتغير بتغير حالات الاعراب . واللغة العربية العامية تشبه اللغة السريانية من حيث خلوهما من ذلك الاعراب . واللغة الاشورية العامية فروع مثل اللغة العربية العامية تختلف باختلاف الاقاليم من جملتها لغة اهل بابل وسائر العراق . فلما ذهبت الدولة الاشورية واستولى الفرس على بلادها ذهبت اللغة الاشورية الاصلية وظلت اللغات العامية . ثم سطا الفرس على فلسطين وسبوا اليهود وحملوهم الى بابل ومابين النهرين فاقاموا هناك دهراً ابدلوا فيه لغتهم العبرانية بلغة ذلك الاقليم وهي التي يسميها علماء اليهود السريانية اوالارامية . ولكن علماء الافرنج يسمونها كلدانية نسبة الى الكلدانيين الذين كانوا اشهرقوم في ارض بابل أوالعراق . والعرب يسمونها نبطية واما علماء السريان فيسمونها اللغة السريانية وهي تختلف عن السريانية الدارجة اليوم . وقد كتبت فيها

خديوية مصر

﴿ غزه . سوريا ﴾ كامل افندي مباشر

جاء في جغرافية مصر وغيرها من مطبوعات مصر ان اول من لقب خديوياً لمصر اسماعيل باشا بفرمان صادر ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ مع اني اعلم حق العلم ان هذا اللقب لقب به مؤسس هذه العائلة محمد علي باشا الكبير بعد عقد الاتفاق بمدينة لندن سنة ١٨٤٠ م وعندي اوراق رسمية عليها ختم « ديوان عالي خديوي ١٢٤٥ » فنرجو بيان الحقيقة

﴿ الهلال ﴾ كانت مصر ولاية مثل سائر الولايات العثمانية لا تمتاز عنها في شيء حتى اذا تولاها محمد علي وجرى ما جرى على اثر حروبه في الشام وتوسطت الدول بينه وبين الباب العالي اقتضت الازمة بحصر ولاية مصر في نسل محمد علي على ان يكون للباب العالي حق انتخاب الوالي بشروط مذكورة في الفرمان الصادر سنة ١٨٤١ ومن جملتها ان تكون مصر تابعة لسائر المملكة العثمانية في المعاهدات التي تعقد بين الباب العالي والدول الاجنبية وليس لمصر عقد ذلك من عند نفسها وهذا نص الفقرة المتعلقة بذلك :

« قد منحنا كم بموجب فرماننا هذا الهمايوني ولاية مصر بحدودها القديمة كما هي مرسومة في الخريطة التي ارسلها لكم صدرنا الاعظم مختومة . وقد اضفنا على ذلك حق توارث عائلتكم ولاية مصر فاقترحنا عليكم في ذلك الشروط الآتية . متى خلا منصب الولاية من وال يتقلده حينئذ الاكبر فالاكبر من اولادكم واولاد اولادكم ونسلكم الذكور اما تقليدهم الولاية فيصدر دائماً من الباب العالي واذا حدث ان انقرضت ذريتكم الذكور حق لبابنا العالي ان يعين شخصاً آخر للولاية المذكورة . وليس في مثل هذه الحالة لاولاد بناتكم الذكور حق او وجه شرعي يسوغ لهم الادعاء بالارث . نعم انه مسموح لولاة مصر حق توارث الولاية الا انهم فيما خص الرتب والتقدم في نفس درجة سائر وزرائنا ويعاملهم فيما لهم بابنا العالي كمعاملة وزرائه فيحصلون على ذات الالقاب المعطاة لسائر ولاة ممالكنا ... وكافة المعاهدات المبرمة والتي ستبرم بين الباب العالي والدول المتحابة يقتضي ان تكون جميعها نافذة بكامل احكامها في ولاية مصر وكل النظامات التي سنها او سيسنها الباب العالي تكون ايضاً مرعية الاجراء في ولاية مصر ... »

فلم يلقب محمد علي في هذا الفرمان ولا غيره بلقب خديوي وانما سمي والياً وسميت مصر ولاية . فلما تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ صدر له الفرمان نحو ما صدر لجده محمد علي . ثم وقع خلاف بينه وبين الباب العالي انتهى بمنحه امتيازات في جملتها حصر الولاية

في نسله بناء على طلبه وتعينت كيفية الوراثة بحيث لاتخرج من ابنائه وابناء ابنائه وهاك الفقرة المتعلقة بذلك من الفرمان المؤرخ ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ (١٢ محرم سنة ١٢٨٣ﻫ)

«حيث انني اطلعت على طلبك المرفوع لاعتابي السنية الذي اوضحت فيه ان تعديل قاعدة التوارث المقررة في الفرمان الشاهاني المؤرخ في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ والمقدم الى جدك محمد علي باشا حال تقليده ولاية مصر بطريق التوارث المشمول ذلك الفرمان بخطي الهمايوني وان انتقال الولاية بالارث من الاب الى الابن من صلبه بحسب ترتيب البكورية هما امران مناسبان لحسن ادارة ولاية مصر ونمو سعادة اهاليها

«وحيث ... قررت بناء على هذا جميعه ان تنقل ولاية مصر من الان فصاعداً مع ما هو تابع لها من الاراضي وكامل ملحقاتها وقائمقاميتي سواكن ومصوع الى اكبر اولادك الذكور بطريق التوارث وبالصورة نفسها الى اكبر اولاد ذريتك فاذا خلا منصب الولاية من وال ولم يترك الوالي المتوفى ولداً ذكراً ينتقل الارث حينئذ الى اكبر اخوته وان لم يكن له اخوة فالى اكبر اولاد كبير اخوته المتوفين الذكور»

وفي السنة التالية نال اسماعيل امتيازات اخرى تتعلق بداخلية الحكومة بفرمان مؤرخ في ٨ يونيو سنة ١٨٦٧ (٥ صفر سنة ١٢٨٤) وفي هذا الفرمان سمي خديوياً ونائب ملك (فيس روا) وسميت مصر مملكة او خديوية وتتضمن حق عقد الوثائق المتعلقة بالكمارك وامور الضبطية لرعايا الاجانب وغير ذلك مما لم يكن لجده محمد علي وهذا نصه:

«ان فرماني الهمايوني الذي منح نيابة مملكة مصر امتياز التوارث اشترط خلاف ما ذكر ان تكون القوانين الاساسية الجاري العمل بموجبها في كافة انحاء الممالك العثمانية مرعية الاجراء ونافذة ايضاً في مصر بما يوافق الحق والعدل مع مراعاة عادات الاهالي واخلاقهم. اما القوانين الاساسية المذكورة فليكن معلوماً ان هي الا المبادي العمومية المذكورة في تنظيمات كلخانه اعني تأمين الارواح والاموال والشرف ولكن حيث تسلمت ادارة مصر الداخلية وبالتبعية لها مصالح مصر المالية والمادية وسواها الى نائب الملك (فيس رواه) وروي ان من الضروري ان تمنح حكومة مصر الاذن في تنظيم كافة القوانين والقواعد المقتضي تنظيمها بشأن ذلك بصورة عقود خصوصية مختصة بالادارة الداخلية. وكل ماوقعت عليه حكومتي الشاهانية من العهود يكون نافذاً في مصر كما كان حتى الآن. على انه مرخص لخديوي مصر ان يعقد مع وكلاء الدول الاجنبية وثائق خصوصية متعلقة بالكمارك وامور الضبطية للرعايا الاجانب والترانسيت وادارة البوستة (البريد) ولايسوغ بوجه من الوجوه ان تحرر الوثائق المذكورة بصفة

معاهدات او وثائق سياسية . واذا لم تكن هذه العقود موافقة للصورة المبينة اعلاه وكانت تمس الحقوق السلطانية في ممالكها وجب اعتبارها باطلة وكأنها لم تكن . فاذا وقع للحكومة المصرية شك في انها غير حاصلة على كمال حقوقها او ان حقوقها هذه قد مسها ضرر فعليها قبل ان تتخذ قراراً قطعياً في شأن ذلك ان تعرض الكيفية للباب العالي لكنها اذا حررت وفاقاً خصوصياً متعلقاً بالجمارك عليها ان تخطر بابنا العالي به . وكل ما عقد موتمر من الآن فصاعداً بين حكومتي الشاهانية وسائر الدول وكان المقصود منه ابرام وفاق تجاري او معاهدة تجارية تستشار الحكومة المصرية حينئذ في ذلك ويطلب رايها صيانة لمصلحتها التجارية »

وسماه الباب العالي في فرمان آخر صادر في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ «الملك الاعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة بالفعل » كان الولاة قبله كانوا ينالونها بالاسم فقط ثم منحه بفرمان آخر صادر في ٢٥ سبتمبر المذكور حق عقد السلفيات وهو امتياز آخر هذا نصه .

« حيث انني خولتكم الحق في فرماناتي الملوكية المتعددة بادارة مصر المادية والادبية اية كانت على وجه الاطلاق فكان من ضمن هذه الامتيازات المسموحة بنوع خصوصي لحكومة مصر الترخيص لكم بعقد سلفيات في الخارج تتعهدونها للقيام بما يؤول لسعادة مصر . بناء على ذلك كل ما استوجبت الضرورة عقد سلفية من الآن فصاعداً وكان المقصود منها سعادة البلاد فاجدد لكم الرخصة المعطاة لحكومتكم وانبها بأنكم مأذونون باستقراض ما يلزم من النقود باسم الحكومة المصرية ولستم محتاجين لطلب الرخصة »

فيظهر من ذلك ان لقب خديوي لم يعط رسمياً لاحد قبل اسماعيل باشا واذا سمي به احد قبله فانما كانوا يلقبونه به على سبيل التفخيم ويؤيد ذلك انه لم يرد ذكره في الفرمانات الصادرة قبل اسماعيل على ان تاريخ الختم الذي ذكرتموه سابق لتاريخ الاتفاق بعشر سنين

أهم المؤلفات العربية

﴿ سندوة ﴾ الشيخ احمد افندي عدس

اقترحتم على القراء في السنة الماضية ان يكتب اليكم كل منهم اسماء عشرين كتاباً من الكتب العربية التي هي في نظره احسن المؤلفات العربية وافيدها على ان تستخرجوا اكثرية الاراء من ذلك وتنشروا اسماء الكتب التي حازت الاكثرية وقد مضى على اقتراحكم المشار اليه اكثر من سنة فاذا جرى به

﴿ الهلال ﴾ لم يرد علينا من الاجوبة ما يكفي للحكم في هذه المسألة

وتر الدين حساس

يستولي به الخاصة على العامة

للانسان جوانب كثيرة يحرص على صيانتها ويغضب لها كالدين والعرض والنسب ونحوها . لكن غضبه لدينه اوسع مجالاً واشد تأثيراً لانه يشترك فيه الالوف من دين واحد على الالوف من دين آخر . والتدين طبيعيٌّ في البشر لانك لا تجد امة تخلو من دين على تفاوتٍ واختلافٍ في ماهيته وطريقة التدين به . واذا طفت المدائن والقرى قد ترى بينها مدناً بلا اسوار وبلاداً بلا حكام واسواقاً بلا مال او نقود وقد لا تجد هناك مدارس ولا مراسح ولكنك لا تجد بلداً بلا معبد . وقد ترى شعوباً بلا سياسة ولا شرائع ولا مدنية ولا صناعة ولكنك لا تجد شعباً ولا قبيلة بلا دين كأنه من الغرائز الوجدانية فلا عجب اذا كان عرقه حساساً . وقد اتخذه الناس وسيلة للاجتماع من اقدم ازمنة التاريخ

والانسان اجتماعيٌّ من فطرته اي انه ميال الى تبادل المنفعة بالاعانة والاستعانة . ولعل السبب في ذلك كثرة حاجاته وعجزه عن الاستقلال في قضائها فجرَّه ذلك الى انتحال اسباب الاجتماع وهي كثيرة تمثل اسباب ضعفه . واقدم وسائل الاجتماع القرابة وهي عصبية النسب ثم الوطن والدين واللغة ثم العادات والاخلاق والمهن والحرف حتى الجنس واللون والازواج والعزوبة والشباب والكهولة والطول والقصر مما لا يمكن حصره . وقد يشترك الرجل بجامعة النسب مع واحد وبجامعة الوطن مع آخر وبجامعة الدين مع آخر

فاسباب الاجتماع عديدة وميسورة لكل انسان وانما يجنح الى احدها اذا مسته الحاجة تبعاً لما يتوسمه من مصلحته بالاجتماع . فاذا خاف اهل عصبية اوقبيلة من عدو يسطو عليهم اجتمعوا عليه بجامعة النسب وهم الاهل والاقرباء . فاذا لم ينفعهم ذلك استعانوا بجامعة الوطن فاذا اعجزهم التغلب بها تمسكوا بجامعة الدين او اللغة ويختلف ذلك باختلاف العصور وتباين الاحوال

واذا تأملت هذه العصبيات رايت الدين اوسعها كلها لانه يجمع الاسود والابيض والقريب والبعيد لا يشترط فيه التسلسل من اب واحد كجامعة النسب ولا الاقامة في

بلد واحد كجامعة الوطن ولا التكلم بلسان واحدة كجامعة اللغة وانما يكفي فيه الايمان بمعبود واحد . وجامعة الدين اوثق رابطة بين اصحابها من سائر الجامعات لتشابههم في الطبائع والمناقب بنشوئهم على آداب واحدة وتمرسهم بطقوس واحدة تلك صبغتهم في قالب واحد . فيتشابه فيها الانكليزي والزنجي والعربي والهندي والفقير والغني لان الدين لا وطن له — ولكنك لا تجد وطناً لا دين له

وقد يجتمع الناس للدفاع عن وطنهم كما يجتمعون للدفاع عن دينهم لكنهم يدافعون عن الوطن مدفوعين بعامل المصلحة وارشاد العقل لانهم بمحافظتهم على وطنهم يحفظون اموالهم واهلهم وسائر مرافق الحياة الدنيا فيجتمعون لحمايته . اما الدين فانهم يدافعون عنه ليس بحكم العقل بل بدافع الشعور فيغضبون وينقمون وينهضون . واذا لم يكن في قيامهم نفع لهم في هذه الدنيا ففي الآخرة ما هو خير وابقى . وهي تعزية الفقراء ورجاء الضعفاء في الاكثر ولذلك كان وتر الدين اشد حساسة في العامة مما بالخاصة لاشتغال هؤلاء بملاذ الدنيا ومطامعها

و يعلم الخاصة تعلق العامة بالدين فيستفيدون من ذلك الوتر الحساس فيهم لنيل مآربهم فيستنصرونهم به على اعدائهم ويستخدمونهم باسمه في مصالحهم ومطامعهم . فهم يجمعونهم به للقتال ويسمون القتال في سبيل الدين «الحروب المقدسة» والحروب المقدسة قديمة العهد جداً والتوراة مملوءة باخبار تلك الحروب بين اليهود وغيرهم وبين الامم على اختلاف مواطنها واديانها . فان اسباب الخصام كلها دينية يقوم فيها الشعب لنصرة إلهه او ينقم لاهانة لحقت به . فهل كان رؤساؤهم يقومون دائماً لهذه الغاية ام كثيراً ما كانوا يطمعون من وراء ذلك بالتغلب والسيادة ؟ مسألة فيها نظر

واعتبر ذلك في الحروب المقدسة عند الوثنيين فانها كثيرة وفي تاريخ اليونان عدة معارك انتشبت بين قبائلهم او مدائنهم لرد كرامة إله او الدفاع عن حجاجه اولاسترجاع مال مقدس سرق من الهياكل . آخرها واشهرها ان الفوقيين (من اليونان) تعدوا على ارض هيكل دلفي في زمن فيليب المكدوني والد الاسكندر فزرعوا بعضها فادبهم فيليب فهجموا على الهيكل ونهبوه فحاربهم واخلى الديار منهم سنة ٣٤٦ ق م

وقس على ذلك الحروب النصرانية واولها حرب قسطنطين الكبير حامي حمى النصرانية — حتى هذا البطل يرتاب المورخون بصدق نيته في تنصره ويقول بعضهم انه اظهر النصرانية ليكتسب نصرة المسيحيين على اعدائه فناداهم باسم الدين فنصروه ولو ان بطرس الناسك دعا اهل اوربا لمحاربة الشرق باسم السياسة لما لبوا دعوته

ولكنه ضرب على وتر الدين فدعاهم لانقاذ قبر المسيح من ايدي المسلمين فغادروا بلادهم وحملوا على الشرق بخيلهم ورجلهم وتشكلت منهم فرق من الجند باسم الدين كالفرسان الهيكليين ونحوهم . وقس على ذلك حروب المسلمين وسائر الامم مما تستغني عن ذكره بشهرته

والملوك في كل زمان يغتنمون حساسة وتر الدين في العامة ويستخدمونهم في اغراضهم بواسطة رجال الدين . ولذلك كان الخاصة في الاعصر القديمة طائفتين الحكام والكهان يتعاونان على استخدام العامة واستعبادهم باسم الدين . كذلك كان الناس في عهد الفراعنة بمصر والفينيقيين في الشام والكلدانيين في بابل . وفي سائر الدول الوثنية القديمة في الشرق والغرب . وكانت نحو ذلك في عهد النصرانية فلم يكن الملوك يستغنون عن الكهنة ليستقيم سلطانهم على العامة

وكذلك كان المسلمون من زمن الخلفاء اذ كان الفقهاء واسطة السيادة الدينية بين الخليفة والعامة مثل توسط الامراء والقواد في تأييد السيادة الدنيوية . وقد يغني الفقهاء عن الواسطتين جميعاً لان عامة المسلمين ينقادون الى فقهائهم ويستسلمون اليهم كما ينقاد عامة النصارى الى كهنتهم . فالخلفاء العباسيون كانوا يقربون الفقهاء للاستعانة بهم على اخضاع العامة وامتلاك قلوبهم وكذلك كان يفعل السلاطين والامراء لنفس هذا السبب او لسبب آخر . والنفع متبادل بين الفئتين لان الفقهاء كانوا يكتسبون بتقربهم من الخلفاء مالاً وجاهاً ولكن ما يكتسبه الخلفاء منهم اعظم وابقى . فرسخ احترام الخلفاء في قلوب العامة وتمسكوا بهم وعظموهم باسم الدين

وكان الخلفاء يذعنون للعامة باسم الدين ايضاً . حتى كثيراً ما كانوا يضطرون الى مسايرة بعض الناس في بعض اعتقاداتهم الدينية ولو كان ذلك الاعتقاد مخالفاً لما في نفوسهم ومناقضاً للواقع كما فعل الخليفة المهدي اذ جاءه رجل بنعل زعم انها نعل النبي فقبلها المهدي منه واجازه عليها مع اعتقاده كذبه وانما خاف اذا كذبه ان يحمل العامة قوله على الفتور في الدين

ولم يكن للخلفاء بدٌّ من اظهار التقوى والقيام بالفروض الدينية لئلا يفسد عليهم العامة ويحتقروا سلطانهم ولو كان الخليفة لا يعتقد ذلك . ذكروا ان الوليد بن يزيد الاموي مع اشتهاره بالخلاعة والتهتك كان اذا حضرت الصلاة يطرح ما عليه من الثياب المصبغة والمطيبة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها احسن صلاة باحسن قراءة واحسن سكوت وسكون وركوع وسجود فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب

والعامة في كل زمان اتباع كل ناعق فمن استطاع استهواءهم بالدين تبعوه ونصروه وقد يفعل ذلك دعاتهم عن تدين صحيح . وقد يتظاهرون بالدين لاغراضهم كما يفعل دهاة السياسة في كل دولة . وكانوا يسترضون العامة ايضاً بالطعام ينصبون لهم الموائد في الطرق فكان الحجاج يضع في كل يوم من ايام رمضان الف خوان وفي سائر الايام خمسمائة خوان على كل خوان عشرة انفس وعشرة الوان وسمكة مشوية طرية وارزة بسكر. وكان يدور هو بنفسه على الموائد يتفقدها يحملونه اليها في محفة وينتقلون به من خوان الى خوان فاذا راى ارزة ليس عليها سكر امر الخباز ان يجيء بسكرها فاذا ابطأ حتى اكلت الارزة بلا سكر امر به فضرب ٢٠٠ سوط وكذلك كان يفعل عمال الحجاج في سائر المدن فكان بعضهم ينصب الموائد مرتين في اليوم للغداء والعشاء وكان يوسف بن عمر عامل هشام بن عبد الملك ينصب خمسماية خوان وكان يزيد بن هبيرة يضع الف خوان يطعم الناس . ولكن الاكثر في دهاة السياسة ان يستهووا العامة بالدين

على ان حساسة ذلك العرق كثيراً ما تستخدم للخير كاستخدامها للشر. فان ما يصنع من الاحسان في العالم يصنع معظمه باسم الدين التماساً للثواب . ولا سيما في الاعصر الماضية فان الاوقاف الخيرية في كل امة لم تكن لولا الدين — هذه الجوامع والكنائس والتكايا والاديار والمدارس والمستشفيات ونحوها كلها من ثمار الشعور الديني لحساسة وتر الدين

وناهيك بالارساليات الدينية المسيحية في هذا العصر وما انشأته من المعاهد الخيرية — نكتفي بذكر المدارس وما كان لها من الفضل في نهضة الشرق على الاجمال وفي سوريا على الخصوص . فالمدرسة الكلية الاميركية لم تقم بين اظهرنا لولا النعرة الدينية فان الذين دفعوا المال لانشائها وتعضيدها انما فعلوا ذلك غيرة على الدين وقس على ذلك كثيراً من امثالها في الشام ومصر وسائر بلاد المشرق . غير ما لتلك النعرة من التأثير في اوربا واميركا

وبالجملة فان الانسان ولاسيما العامة يجيبون داعي الدين قبل كل داع للاسباب التي قدمناها . وتتوقف نتائج تلك الدعوة من الخير او الشر على غرض الداعي اليها فاذا دعاهم الى حرب او ثورة او عداء او نقمة او نحوها عادت حساسة ذلك الوتر بالضرر . واذا دعوا الى مبرة او احسان كانت الدعوة نافعة — اكثر الله الدعاة الى الخير

عادات واخلاق

الجمالة العرب في طريق الحج

تشتاق النفس الى معرفة طبائع اهل بادية الحجاز واخلاقهم في هذا العصر مقابلتها بما كانت عليه منذ ١٣ قرناً عند ظهور الاسلام . وقد وقفنا على مقالة في نظام قوافل الحجاج في الرحلة الحجازية لمحمد بك لبيب البتنوني اقتطفنا منها ما يأتي :

ان الحجاج لا يخرجون من مكة الى المدينة الا في ركب القافلة التي تكون جمالها من اهل الطريق التي يسيرون فيه . وتكون جمال الحاج غالباً تابعة لجمال واحد وهو الاحسن . اما اذا كانت تابعة لجمالين فتكون مشغوليته اكبر وتعبه بينهما اعظم . وعلى كل حال فعليه ان يجتهد في تخفيف احماله واثقاله . فاذا كملت شحنة القافلة نهضت الجمالة بجمالهم واخذوا يقطرونها الجمل وراء الآخر قطاراً او قطارين متجاورين . وفي المقدمة يكون غالباً اكثر الركب وجامة وعصبية . وجمال كل رجل تسير من خلفه مقطورة في جمله . ومنهم من يرى تقدمها على جمله حتى تكون على الدوام تحت نظره خوفاً عليها من عبث العابثين . والجمال عندهم نوعان جمل الشقدف ويركبه اثنان ومعهما اللازم من فراشهما ومؤونتهما اليومية . وجمل الحمل ويقال له العصم يحمل المتاع ويركب فوقه رجل واحد او رجلان ان كان المتاع قليلاً . واجرة العصم في الغالب ثلثا اجرة جمل الشقدف الذي يكون من الجمال المتينة القوية حتى يتيسر له حمل ما فوقه . وليس لهذه الاجرة من رابطة بل يقدرها الشريف كل سنة (وربما كان باتفاقه مع الوالي) . وينادي المنادي بها في الاسواق . وعليه فالاجرة تكون على حسب اهوائهما وتحت رحمتهما بضيوف الله : ولذلك تراها كالترمومتر ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع ولاة الامور بمكة . ولقد كانت اجرة جمل الشقدف في هذه السنة (١٣٢٨) ست ليرات عثمانية من مكة الى المدينة الى ينبع . اما قبل الدستور فقد بلغت ١٣ جنيهاً مصرياً ونصفاً . كانت تؤخذ من الحاج في مكة بواسطة المطوف . عدا ما كان يصيبه من الجمالة في طريقه من طلبهم زيادة الاجرة المذكورة مدعياً بانه لم يصله شيء من اجرته

وعليه فاذا كان الحاكمون في بلاد العرب من الاخيار البعيدين عن المطامع كانت

الجمالة على اخلاقهم . والعكس بالعكس « والناس على دين ملوكهم »

والمطوفون بعد ان يتفقوا مع الجمالة على حمل حجاجهم يسافرون الى المدينة في الغالب في قافلتهم بحجة المحافظة عليهم وكثيراً ما يغرر الجمالة بضعاف الحجاج فيأخذون الاجرة منهم ويخبرونهم ان الجمال خارج البلد ويرجونهم في اخذها من هناك حتى يوفروا عليهم دفع القوشان « كلمة تركية معناها المكس » وهي ضرائب تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة اوجدة او المدينة او ينبع . واظنها ريالين عن كل جمل فاذا خرجوا اعطوهم جمالاً ضعيفة ضئيلة ينالهم منها مشقات جسيمة وكثيراً ما يتركونها ويسيرون على اقدامهم مسافة الطريق جلها او كلها

والقافلة لا تنتظم عادة الا بعد اول محطة حيث ينظم الجمالة جمالهم ويرتبون قطاراتهم التي لا يخالفونها طول سفرهم

والجمالة في الغالب نحيفو الجسم دقيقو الساقين قصار القامة يكاد لا يكون في اجسامهم عضل اما عظمهم فهو الحديد او اكثر صلابة . ولهم قدرة على العدو بحيث لا يلحقهم فيه احد . وقد رايت رجلاً منهم يعدو وراء جمل شارد حتى تعلق بذيله فعاقه عن الجري ثم امسك بزمامه . اما ملابسهم فهي قميص حوله حزام من الجلد فيه سكين طويل او سيف صغير وفي يدهم عصا غليظة قصيرة . وعلى رؤوسهم تلك الطاقية « الكوفية » يلفونها باشكال مختلفة . وبعض عرب الشروق يستعملون غير الطاقية شيئاً من الخوص يشبه البرنيطة ان لم يكن هو هي ويسمونها الظلة

وبعض الجمالة يلبس نعلاً في رجله تقيها حرارة الارض وحصباءها . اما نظافة ملابسهم فلا يمكنني ان اعبر عنها بغير انها اذا اتصلت باجسامهم فلا يخلعونها مطلقاً حتى تنخلع هي عنها . وهذا لا يكون الا اذا اكل عليها الدهر وشرب . والمترفون منهم يغيرون ملابسهم كل سنة مرة في موسم الحج وبعضهم يلبسون عليها عباءة من الصوف ايام الشتاء تقيهم شدة البرد يسمونها مشلحاً . ولون هذه الملابس كلون الجبال او الرمال فتراها صفراء قاتمة او حمراء ترابية وربما كان اختيارهم لهذه الالوان حتى لا ترى بسهولة عن بعد بل يشكل فيها الامر على الرائي . وفي ذلك ما لا يخفى عليك من الفكرة التي اساسها الخبث والغدر ! ! وربما اخذ الناس من هذا تغطية الاستحكامات الجديدة في اوربا بطبقة ترابية تشبه الارض المحيطة بها . وبعض كبراء الحجيج يعطون جمالتهم عباءة من الجوخ الاحمر فيفرحون بها فرحاً عظيماً وتقع في نفوسهم موقعا حسناً ويتباهون بها على اقرانهم

والجمالة يلحفون للحجاج بعد الابتعاد عن مكه في السؤال ويغلظون لهم في الاقوال فترى اصواتهم هنا وهناك قائلين لركابهم « جرجوش - هللا - سكر - جرش » . فيجيبه هذا الحاج انت اخذت . ويقول الاخر ما بقي شيء او ما في معنى ذلك ويكثر بينهم الاخذ والرد الذي ينتهي باخذ الجمالة ما يريدون

وعلى طول الطرق ترى كثيراً من حجاج الفور « التكرور » مشاة باطفالهم وكثيراً ما ترى الام حاملة طفلها في شبه كيس ملتصق بظهرها بحيث لا يظهر منه غير راس الطفل . وعلى رؤوسهم بعض امتعتهم وفي ايديهم صفيحة اشبه بالكشكول يضعون فيها غذاءهم واذا كانت فيهم حاجه الى السؤال سألوا ركاب القوافل بلطف وادب وما رايتهم يطلبون غير الماء لانه يصعب عليهم حمله وخصوصاً في مدة الصيف اذ تجف القرب وتنشف الركايا . فاذا مرت القافلة قرب بيوت قبيلة من قبائل وجدت كثيراً من الاعراب ينادون على البطيخ الكبير بقولهم برطيخ وعلى صغيره بقولهم الحريز واصلها قربوز بالتركية وينادي بعضهم الما الما وخبز خبز . التمر الفجل . فاذا قربت من ديارهم وجدت شرذمة من اولادهم يحيطون بك وايديهم ممدودة للسؤال وهم يتغنون بقولهم : ياحاج . سلامات يا افندي سلامات . يابويا سلامات . ان شاء الله سلامات . ان شاء الله عرفات . ان شاء الله بركات — وبعضهم يقول حج حجيج « حج الحجيج » بيت الله . والكعبة ورسول الله الخ

وكأني بهم واللقمة تهضم في اكفهم والحسنة تضيع بين اصابعهم لايعرفون الحسنة الا وقت امتداد يدك بها اليهم ! فاذا انقضت حركتها صارت كأنها ما كانت !

اغنية الجمالة

وللجمالة أغنية يتغنون بها في طريقهم وهي في الغالب على النغمة العراقية والرومية التي اخذوها عن حجاج الاتراك والشوام . وجمالهم ترتاح الى هذه الاغنية وتصغي لها فتنسيها لحظة ماهي فيه من التعب والعناء . وهذه الاغنية لايكاد يعرفها من يسمعها لانها اقرب الى الرطانة منها الى العربية . على انها لاتخلو من معاني دقيقة لطيفة وأغلبها غرامية تمثل حكاية محب ومحبوب او عاشق ومعشوق ومنها ماهو مدح في المطايا ودونك شيئاً منها :

« ياحبيبي لو ترى حالي والليي جرالي بعد فرجاك فراقك »
والله ماغبت عن بالي ولا نسيت الحصافة ذاك
يا سيد وايش غربك في دايرة الحفا والشوك . ياوهيف : يامرود العين ربايت

خدي يتجسم نعلين . — الله يحاسبهم كما حاسبوني . كارموني بجوف الوجيدة «الوقيدة» وانا حي »

« لو اهني بالحج واوفي جماره . واجف (واقف) على العيرات ساجدين مع الربع . (الجبل المرتفع) صبح اربع تمسي شعيب الحضارة . مع مثلهن يمسي بوادي الربيع مع مثلهن كل تهني بداره . وادي النعيم اللي عنوجه (عذوفه) مهابيع »

« يا الله ياراد كل غريب بلاده والذوق (النوم) بعد الجنا (القسوة) (يعني التعب الشديد) . حمت اليمن والشام وكل دايره جيت من وراها . لي في اليمن سيد ولي في الشام باشا . ان جيت عند اللي في لمن (اليمن) ببجى (يبقى) يملكني وان جيت عند اللي في الشام يبجى يحكمني » اه

وصغار الحجاج من المصريين لهم اغنية يتغنون بها في طريقهم وعلى الخصوص نساؤهم . وهي لاتخرج عن ذكر الطريق للحج وذكر البيت وعرفة وزمزم . وخصوصاً ذكر النبي عليه الصلاة والسلام . وكلها عبارات بسيطة ليس فيها شيء من المعاني العالية نذكر لك شيئاً منها :

« انا امدح محمد . والحسن والحسين والقاسم احمد . يانخ العاشقين يارب زيارة محمد مديح باشتياق انا ماامدح الا النبي . ياهنا اللي انوعد »

« ياليلة ان برزوا وباتوا لبره . وبات قلبي في حنين . ويطلب من الله يرجعوا سالمين . بنصره من الله ياهنا اللي انوعد »

وان جيت حبيبي يابور وان جيت حبيبي . لاكنسك وارشك وبالشمع اقيدك مروق بحوخه يابحر . يابحر مروق بحوخه . لايمك عكار . ولا ريح بدوخه . تحت ظل القلوع ابو شال وجوخه . في رابغ نوى الاحرام ولبس احترامه . ياانهار الهنا يوم خلوه يفك احترامه . يافرح قلبي يوم طلوع الجبل . والخطيب على الجمل . والمبلغ برقي . يافرح قلبي ساعة النفره . وفرحت عيونا وتزانا بفرحه وفوتنا من بين العلمين كان الفجر لايح . يوم دخولنا منى ونصبنا الخيم وذبحنا الذبايح . وافتكرنا العيال وبقي الدمع سايل . وبعد ثلاث ايام حلنا لمكة . وطفنا طواف الوداع وبرزنا . والجمال حلنا . وعلى ابو ابراهيم سرنا . وصانا قبة المصطفى والاعتاب زمرد . حول مقام النبي قال الطواشي منبين باجماعه . زوروا النبي زوروا واطلبوا الشفاعه » اه

الهلال

الجزء الخامس من السنة التاسعة عشرة

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١١ و ٢ صفر سنة ١٣٢٩

فريدريك الثاني

امبراطور الجرمان

صديق العرب وناقل بذور التمدن الحديث عنهم

ولد سنة ١١٩٤ وتوفي سنة ١٢٥٠ م

تناقشت الصحف المصرية واختلفت الاقوال وتضاربت الاراء في العرب وفضلهم على التمدن الحديث . وبين من خاض عباب هذا البحث جماعة نجل علمهم ونعتقد صدق نيتهم وايناهم يرتابون في حقيقة ذلك الفضل ويحسبون شيوعه من قبيل المبالغات او الخرافات رغم ما بيناه في الهلال الماضي من الادلة المسندة الى الارقام والاسماء . والغالب انهم سيقوا الى ذلك بما سبق الى اعتقادهم من احتقار كل ما للعرب بعد ذهاب دولتهم وافول نجم تمدنهم . ورسخ ذلك الاعتقاد في اذهانهم مما يطالعونه في كتب غلاة التعصب من الافرنج الذين اقتبسوا آراءهم من كتاب الاجيال المظلمة . وكان بعض اولئك الكتاب يعدُّون العرب المسلمين من اهل الاوثان لا يفرقون بينهم وبين اهل الصين !!

فدفعاً للشك ننظر في المسألة من وجه آخر نبين فيه تاريخ العلائق بين اهل اوربا والعرب المسلمين وكيف بدأ اولئك يقتبسون علوم هؤلاء وآدابهم في المدارس ويتحدونهم في سائر اسباب مدنيتهم قبل بزوغ هذا التمدن ببضعة قرون

تمهيد

شارلمان والرشيد

تبدأ تلك العلائق من القرن الثامن للميلاد في زمن شارلمان صديق هرون الرشيد وليس بين قراء التاريخ من يجهل المودة التي كانت بين هذين الرجلين وما كان من تبادل الهدايا بينهما . وكانت اوربا اذ ذاك في ابان ظلمتها وقد قامت الشحناء فيها بين رجال السياسة ورجال الدين . وكانت الكنيسة في خطر من تيار برابرة الجرمان الذين هبطوا على المملكة الرومانية من الشمال واكثرهم يدين بالاريوسية فوقع نزاع بين الاريوسية والكنيسة الرومانية فكان شارلمان من اكبر انصار هذه الكنيسة فجمع شتات شعوبها وايدها ووقف دون تيار الاريوسية . وهو انما استطاع ذلك بما اختص به شخصه من المواهب السامية

وكان العرب يومئذ في ابان مجدهم وقد غصت بغداد بالعلماء والحكماء والاطباء والفلاسفة وقصدها طلاب المعرفة ورجال العلم من الشرق والغرب . فالتقى فيها الطبيب الفارسي والحكيم الهندي والمترجم السوري والعراقي . وعقدت مجالس الادب والشعر وبعث ملوك الارض يخطبون صداقة الرشيد وفي جملتهم شارلمان . وكان قد اعاد مجد قياصرة الرومان وامتدت مملكته من البحر البلطيك والبحور الشمالية شمالاً الى نهر الابر في اسبانيا واواسط ايطاليا جنوباً . ومن البحر الاتلانتيكي غرباً الى نهر سان وتيس واودر شرقاً . وقد زهت عاصمته اكس لاشابل بالابنية والقصور واصبح شارلمان اذ ذاك اعظم ملوك زمانه اعترف له بذلك العدو والصديق . والممالك التي لم تدخل في حوزته راساً كبريطانيا واسبانيا وغيرهما كتبت اليه تلتمس حمايته

ولكنه كان يرى فرقاً كبيراً بين مملكته ومملكة العرب من حيث العلم والمدنية . لان العلم في اوربا كان محصوراً في الاديار قاصراً على المواضيع الدينية بما دخلها من المبالغات والخرافات . واقتصر همُّ اصحاب العقول والقرائح على الجدال والمناقشة واكثر معولهم على الالفاظ . فاقتدى شارلمان بصديقه ومعاصره فقرب اليه الشعراء والعلماء واكرمهم « الكوين » الشاعر العالم واكثر من نبغ في اوربا في ذلك العصر وما يليه من تلاميذه فاحدث نهضة حسنة في الادب والعلم . ولولا تقريب شارلمان لالكوين المذكور لم تحدث تلك النهضة . وكان الكوين ممن تلقى العلم عن العرب او ممن اخذ عن العرب من اليهود . وكان يعرف العبرانية فضلاً عن اللاتينية وله معرفة بالفلسفة والطبيعيات وهكذا كان اكثر معاصريه العلماء



الامبراطور شارلمان

وكان العرب قد دخلوا فرنسا في القرن الاول للهجرة واعادهم منها شارل مارتل لكن كثيرين منهم اقاموا فيها وخصوصاً في قسمها الجنوبي في ماكان يعرف بمقاطعتي لنغدوك وبروفانس. وقبل ان ينضج تمدنهم وينشئوا المدارس او الجامع بثوا هناك روحاً كانوا يمتازون بها على سائر معاصريهم — نعني روح الحرية . وهي من مناقبهم الجاهلية وقد اينعت في عهد المأمون ثم تمكنت بنشر الفلسفة فصار المسلمون اهل تفكير ونقد لا يقبلون رأياً الا بعد تمحيصه وظهرت فيهم طائفة المعتزلة وغيرها من النقادين البحاثين . ورغم ماكان من اضطهاد الحكومة بعد ذلك لطلاب الفلسفة ومنتحليها واتهامهم بالكفر فان روح الحرية الشخصية والشجاعة الادبية تسربت في الافكار ولا سيما حيث لا يكون للخليفة او اعوانه سلطان كما اتفق للعرب المقيمين في جنوبي فرنسا — فانبثت تلك الروح في من خالطهم من الافرنج . لكن هؤلاء لم يكونوا يستطيعون المجاهرة بالحرية خوفاً من غضب الكنيسة

اما شارلمان فكان رجلاً عاقلاً محباً للاصلاح فلما لبس التاج ورسخت قدمه في الدولة بمصادقة البابا عمد الى بث روح الاصلاح على يد مجمع علمي رئيسه الكوين المتقدم ذكره . وادخلوا في مدارس الاديرة وغيرها علوماً ترقي العقل كالموسيقى والهندسة والحساب والمنطق والنجوم ونحوها كما كانت تاتي في بلاد المسلمين . لكنها لم تثمر لان الامة لم تكن مستعدة لهذه الفروع العالية . فاتتها قبل اوانها والشعب جاهلٌ مقصر حتى في مبادئ العلم الاولية وكان الذين يحسنون القراءة البسيطة قليلين حتى في الطبقة الراقية ولا تزال نفوسهم جانحة الى الحرب . وانما جاء شارلمان يطلب اصلاحهم قبل الوقت اللازم كانه اراد ان يغذيهم باللحوم الغليظة وهم لم يفطموا عن اللبن بعد . فذهب سعيه عبثاً فلما مات عادت الاحوال الى ما كانت عليه

سلطة البابوات

ذهب شارلمان وذهبت معه اصلاحاته ولم يخلف بعده الا السلطة التي اعطاها للكرسي البابوي . وكان البابوات قبله لا يرون لهم حق الدخول بالامور السياسية فجعل للبابا السلطة الرسمية في السياسة من سنة ٧٥٥م في زمن البابا اسطفانوس الثالث وتوسعت بعد ذلك توسعاً عظيماً بتوالي الاجيال

وذلك ان شارلمان عرف فضل البابا الذي ثبته في الامبراطورية فبالغ في احترامه واحترام كل من ينوب عنه من الاساقفة في انحاء مملكته ووسع اختصاصات الاكليروس ووهبهم الاموال والعقار وفوض اليهم كثيراً من امور الحكومة . ولكنه كان يولي الاساقفة ورؤساء الاساقفة من تلقاء نفسه كانه هو راس الكنيسة والبابا راض عن استبداده لعلمه انه انما يفعل ذلك بنية حسنة لانه كان اكبر نصير له وللكنيسة . فلما استقلت مملكة جرمانيا بعد ذلك ظل امبراطورها يداخلون في شؤون الاكليروس والبابوات لا يرضون بمداخلتهم فافضى ذلك الى نزاع بين الدولة والكنيسة

ومن اشهر الحوادث الدالة على ذلك ما وقع للبابا غريغوريوس مع هنري الرابع امبراطور جرمانيا في اواسط القرن الحادي عشر فان هذا الامبراطور اراد الاستقلال عن سلطة البابا وان يغل ايدي البابوات عن السياسة فلم يستطع فغلب على امره واضطر ان يأتي لمصالحته على شروط اشترطها البابا وكان مقيماً في قلعة كنوسيا فشخص هنري الى القلعة وقبل وصوله اليها أمر ان يخلع ثوبه الملوكي ويرتدي برداء التائبين . فوصل الى باب القلعة ومعه بعض الاصدقاء وكلهم بالبسة التائبين حفاة الاقدام مكشوفو الرؤوس . وظل هنري بباب القلعة ثلاثة ايام متوالية لا يأكل ولا يشرب والبرد شديد

وهو يتوسل الى الله والى البابا في الصفح عن زلته

وفي اليوم الرابع اذن له البابا بالمثول بين يديه وامر بايقاف الحرم وليس بالغائه وعاد الامبراطور الى منصبه بعد تعب جزيل



هنري الرابع بباب قلعة كنوسيا ينتظر امر البابا بالصفح عنه

تلك كانت سيادة الاكليروس وكانوا يسودون بقوة العامة فيصدرون الحرم على الملوك فينقاد الشعب لهم باسم الدين على ما صوروه لهم في ذلك الحين . وكانوا يعلمون ان العلم الطبيعي والرياضي اذا انتشر حل العامة من تلك القيود فلا يقبلون الا الصحيح . فكانوا لذلك يغضبون ممن يريد نشر تلك العلوم ويحرمونه ويبالغون في تحقير اصحابها واتهامهم بالكفر او الخيانة — كما نراه يقع في كل امة غلب الجهل على عامتها فتمسكوا بقشور الدين كما يصوره لهم رؤساؤه رغبة في استبقاء سيادتهم عليهم للارتزاق من جهالتهم بالخرافات والخزعبلات . فاذا صاح صائح يدعو الى نبذ تلك الخرافات جاهدوا في مقاومته جهاد من يخاف قطع عيشه

ومن امثلة مقاومة كنيسة الاجيال الوسطى للعلم الطبيعي ان شارل ملك فرنسا حفيد شارلمان اراد ان يقتفي آثار جده في القرن التاسع فسمع بعالم انكليزي اسمه جون اريجينا كان يعرف اللغات العربية والعبرانية واليونانية . وقد اطلع على كتب الفلسفة والطب فيها . فاستدعاه شارل المذكور اليه لنقل تلك العلوم الى لسانهم ونشرها في المدارس ففعل . فكان لما نقله منها دويٌّ في العالم الاوروبي لانهم لم يتعودوا شيئاً من ذلك . فاتهمته الكنيسة بالكفر ووقفت في طريقه فاوقف عمله — لكن روح

الحرية بقي منها رمق تسرب الى افكار الناس تحت طي الخفاء

وزادت الرغبة في العلم وتعددت مصادره في اثناء ذلك بالاندلس فانشئت المدارس في قرطبة وزاعت شهرتها في الاقطار وتقاطر اليها الطلاب من كل بلد رغم المقاومة والاضطهاد — لان نور العلم كاشعة الشمس لابد من ظهوره وهو لا يحجب بالاكف ولا يطفأ بالافواه . وكان من جملة الذين تلقوا العلم في مدارس قرطبة على علماء العرب جربرت الذي صار بعد ذلك البابا سلفستر في اواخر القرن التاسع للميلاد وله تاريخ طويل سناتي عليه في فرصة اخرى . فكان له تاثير كبير في هذه النهضة لكثرة مانقله من العلوم

فترى من ذلك ان روح العلم والحرية انبثت في اوروبا من جيرانهم العرب بدأت اولا بالمجاورة في فرنسا ثم بالتعليم في المدارس العربية بالاندلس . اما انشاء المعاهد العلمية في اوروبا لتعليم تلك العلوم فقد رايت ان شارلمان حاول شيئاً من ذلك لكنه لم يفلح ولم يكن العلم قد نضج في الاندلس بجواره . واول من استطاع انشاء المدارس لتعليم تلك العلوم جهاراً فريدريك الثاني الذي نحن في صدد ترجمته

فريدريك الثاني

حياته السياسية

هو اعظم رجال التاريخ في القرون الوسطى من حيث تاثيره في الحالة العامة الاجتماعية والعلمية . وهو حفيد فردريك الاول الذي سماه الايطاليون بربروسا . ولد في جاسي قرب انكونا بايطاليا في ٢٦ دسمبر سنة ١١٩٤ فانتخب سنة ١١٩٦ ملكاً للرومانيين على اصطلاحهم . وفي السنة التالية توفي والده وكانت والدته كونستانس وريثة عرش صقلية (سيسيليا) فتوجوه سنة ١١٩٧ وسعت والدته لتثبيته في ذلك المنصب على يد البابا اينوسان الثالث والتمست له حمايته . فاجابها على شروط اتفقا عليها في جملتها دفع جزية سنوية . وفي السنة التالية توفيت كونستانس بعد ان وكلت وصاية طفلها الى البابا المذكور . وبعد قليل ثارت الفوضى في صقلية حتى كادت تفضي الى الخراب وحجر على الملك الصغير في بالرم ولم يقم البابا بحقوق الوصاية كما ينبغي

اما الغلام فتثقف تثقفاً تاماً وكان فيه ميل الى العلوم من صغره وكانت بالرم يومئذ غاصة بالعرب المسلمين وفيهم جماعة من اهل العلم والاطباء ومنهم كثيرون في حاشية فريدريك فاحتكاكه بالاجناس المختلفة من الناس زاده حنكة وخبرة

على ان تتويجه ملكاً على الرومانيين لم يفده شيئاً لانه شب ولم ينل من الملك الا السيادة على ولايتي نابولي وصقلية ومنهما يتألف جنوب ايطاليا . وقبض على ازمة الحكم سنة ١٢٠٨ م وتزوج في السنة التالية بكونستانس اراغون . واتفق في اثناء ذلك غضب البابا على اوتو امبراطور الجرمانيين فحرمه وخلعه وسلم بان ينصب فريدريك مكانه بشروط اشترطها . فسر فريدريك بهذا الارتقاء السريع لكنه في كل حال لا يستلم ذلك المنصب الا اذا استطاع التغلب على اوتو بالقوة . فحمل عليه بجند قليل حتى اتى جنوا في اول مايو سنة ١٢١٢ وقطع الالب فعلم ان اوتو اوشك ان يستولي على كونستانس المدينة فسبقه اليها فوصلها قبله بثلاث ساعات فسلمت لفريدريك فاضطر اوتو ان يرجع الى سكسونيا

وفي نوفمبر من تلك السنة عقد فريدريك معاهدة مع فيليب ملك فرنسا . وفي دسمبر منها انتخب ملكاً على فرانكفورت وتوج في مينز . وفي سنة ١٢١٤ تخلص من خصمه اوتو على يد فيليب المذكور . وجرت حوادث كثيرة لا محل لذكرها انتهت سنة ١٢٢٠ وانتخب هنري بن فريدريك ملكاً لعرش جرمانيا وكان انتخابه مخالفاً لعقود عقدها البابا اينوسان مع سائر الامراء . وخلفه البابا هونوريوس الثالث وكان راغباً في تجريد حملة صليبية على بيت المقدس . وآنس في فريدريك اللياقة لقيادتها فتوجه امبراطوراً في رومية على ان يخرج في الحملة الصليبية باسرع ما يمكن

وفي أثناء غياب فريدريك عن مملكته الاصلية (نابولي وصقلية) حصل فيها منازعات خاف ان تفضي في غيابه ببيت المقدس الى ما لا تحمد عقباه ورأى المسيحيين في صقلية يقاسون العذاب من هجمات المسلمين المقيمين في جبالها فنقل ٢٠٠٠ رجل منهم الى لوسيرا في مقاطعة نابولي — ولعله انتحل هذا السبب ليكون اولئك المسلمون عوناً له في ايطاليا عند الحاجة لمقاومة البابا

وكان سفر الحملة الصليبية قد تحدد في سنة ١٢٢٣ فتأجل الى سنة ١٢٢٥ ثم اضطروا الى تأخيره سنتين اخريين . وكانت كونستانس زوجة فريدريك قد توفيت سنة ١٢٢٢ وعاهد البابا ان يتزوج بيولاند ابنة يوحنا ملك اورشليم وقيد نفسه بشروط تقضي بسفره في اغسطس سنة ١٢٢٧ وكان بينه وبين ملك اللومبارديين عداوة توسط البابا في صرفها . ورضي اللومبارديون بتقديم فرقة من الفرسان نجدة لتلك الحملة . وفي مارس من تلك السنة توفي البابا هونوريوس وخلفه غريغوريوس التاسع وحالما قبض على صولجان البابوية كتب الى فريدريك يطلب اليه القيام بعهوده والخروج في الحملة الى الارض المقدسة سريعاً فاطاع وخرج في الوقت المعين لكنه اضطر للرجوع بسبب

المرض . فعدّ البابا رجوعه نكثاً لانه لم يصدق خبر مرضه فحرمه حالاً بمنشور اذاعه في ٣٠ دسمبر من تلك السنة

وقد يكون البابا مصيباً في ظنه لكن حرمه هاج غضب فريدريك فكاتب ملوك اوربا يبرىء نفسه مما يوجب الحرم وانحى بالنقد والطعن على البابا وانكر عليه ما يدعيه لنفسه من السلطة الزمنية لان رجال الدين لا يليق بهم غير العبادة البسيطة كما كان يفعل الآباء الاولون بالانقطاع عن ملاذ الدنيا ومطامعها . وقال انه خارج بحملته الصليبية التي كان قد اعدها وانه لا يفعل ذلك خوفاً من احد ولا قياماً بعهوده ولا رغبة في الملك وانما يفعله ليؤيد كونه رئيس الكنيسة الزمني . واخذ في التأهب فتوفيت امرأته يولاند في ابريل سنه ١٢٢٨ فلم تؤخره وفاتها عن السفر فاقلع من اوترانتو في ٢٩ يونيو من تلك السنة

وصل الى الارض المقدسة وقد سبقته اليها اخبار حرمه فابى الفرسان الهيكليون والاوبتاليون ان يشتركوا معه في الحرب . فلم يهمه ذلك وتمكن بحسن سياسته ودهائه واسلوبه من اقناع سلطان مصر وهو يومئذ السلطان الملك الكامل بن العادل الايوبي (تولى سنة ١٢١٨ — ١٢٣٨م) ان يعقد معه معاهدة يتنازل له فيها عن بيت المقدس على ان يجيز المسلمين المرور الى بيت لحم . وفي ١٨ مارس سنة ١٢٢٩ م سمى نفسه ملكاً على اورشليم فلم يرض احد من رجال الدين هناك ان يتولى تتويجه حسب العادة المتبعة فوضع التاج على راسه بيديه

ولما عاد الى اوربا وشاعت اخبار فوزه انحاز الراي العام اليه . وعلم البابا بذلك فراى من حسن السياسة ان يصالحه فحله من الحرم في ٢٨ اوغسطس سنة ١٢٣٠ فتفرغ فريدريك لاصلاح مملكته الصقلية بتجديد الشرائع ونشر العلم . فسن قانوناً ابطل فيه كثيراً من اسباب الاستبداد التي كانت جارية في نظام الاقطاع ونظمه على شكل يقرب من النظام الدستوري . وضمنه كثيراً من ادلة الاعتدال والرفق بالمسلمين واليهود وغيرهم . وسهل وسائل النقل لتوسيع نطاق التجارة . وكان ذلك اساساً لحرية التجارة التي صارت اليها اوربا بعد ذلك . وشكل مجلساً من البارونات والاساقفة ونواب القرى والبلاد ليشاركوه في الراي

واهم ما اتاه من وسائل الاصلاح نشر العلم والصناعة بانشاء المدارس والجامعات وكان قد اسس جامعة في نابولي سنة ١٢٢٤ وتوقفت بسبب حروبه فاعادها وبذل المال في احيائها وانشأ كلية للطب في سالرن اناطها بالاساتذة العرب واليهود واليونان واللاتين

لتعليم العلوم الطبيعية والطب وفروعه الى من شاء من الناس بلا استثناء . وامر بنقل مؤلفات ارسطو وابوقراط وجالينوس وغيرهم من العربية واليونانية الى اللاتينية لغة العلم عندهم — وسنعود الى تفصيل ذلك في الكلام عن اعماله

ولم تطل تلك الراحة لان البابا لم يرض عما اظهره فريدريك من التساهل الديني والجنسي ونشر العلم الطبيعي وبث روح الحرية الشخصية فاستحث هنري بن فريدريك على مقاومة ابيه فانحاز الى التحالف اللومباردي وتمرد على ابيه فقبض ابوه عليه سنة ١٢٣٥ وسجنه في ابوليا . وتزوج في تلك السنة ايزابلا اخت هنري الثالث ملك انكلترا . وانتخب كونراد ابنه الثاني ملكاً سنة ١٢٣٧ بموافقة امراء جرمانيا . ثم تغلب على التحالف اللومباردي سنة ١٢٣٨ فسمى ابنه الآخر ازيو ملكاً على سردينيا

ولما علم البابا غريغوريوس بانتصارات فريدريك زاد غضبه ولم يبق لديه سلاح يحاربه به غير سلطته الدينية فاصدر حرماً جديداً . فاجابه فريدريك بتجريد الجند لفتح مملكة الكنيسة فاستولى على رافنا وفايانزا وبنيفنتو واخيراً تمكن بمساعدة ابنه ازيو من التغلب على الاسطول البابوي وزحف على رومية . فتوفي غريغوريوس سنة ١٢٤١ فخلفه سلستين الرابع ولم تطل مدته فخلفه اينوسان الرابع سنة ١٢٤٣ م وكان وهو كردينال من اصدقاء فريدريك فخابره بشأن الصلح فكانت شروط البابا صعبة للغاية فلم يقبلها فريدريك . فخرج البابا الى ليون وجدد الحرم سنة ١٢٤٥ وزاد فيه ان عرش الامبراطورية الجرمانية مباح لمن يستحقه اي انه يعتبر ذلك العرش خالياً . وانتخب هنري راسب صاحب تورنجيا ملكاً مكانه سنة ١٢٤٦ وتعاقب عليه غيره وقامت الحرب بين فريدريك واعدائه ولكنهم تكاثروا حتى غلبوه على امره . وعظم ذلك عليه فادركه الضعف وتولاه اليأس حتى مات سنة ١٢٥٠ في فيورنتينو قرب لوسيرا بين اعوانه واصدقائه وفيهم الاطباء والعلماء من المسلمين واليهود وغيرهم كما ترى رسمه في صدر هذا الهلال

أعماله وآثاره

تتقدم اعماله الى سياسية وتجارية واجتماعية وعلمية . اما السياسية فقد تقدم ذكر بعضها في سيرة حياته فانه سن قانوناً لم يسبقه احد الى مثله وانشأ مجلساً نيابيا يعترف الانكليز انهم استفادوا منه في انشاء دستورهم . والمشهور ان الانكليز اسبق الامم الى الحكومة الدستورية وقد سبقهم فريدريك الى مثلها . ونظم جنده احسن تنظيم واستنّ

على ذلك بما كان عند المسلمين حتى جعل حرسه الخاص كوكبة من مسلمي لوسيرا يركبون في خدمته اذا ركب او يقفون ببابه وعليهم افخر الالبسة الشرقية واتقن الاسلحة

اما اعماله التجارية فلم تكن اقل اهمية لان علاقاته السلمية مع الشرق الاسلامي جعلت سفن صقلية تطوف البحور وتحمل البضائع في المتوسط والاتلانيكي وغيرهما. واتى بالعملة والصناع من سوريا للتنقيب عن المعادن والحجارة الكريمة. واستقدم المزارعين من مصر لتحسين حال الزراعة. ونقل كثيراً من النباتات الشرقية

وقد شاد القلاع والقصور وكان يبني قصوره على النمط العربي يبالغ في اتقانها وتزيينها يقلد بذلك ابنية الاندلس ويرسم النسر الجرماني فوق ابوابها. ويغرس حولها الحدائق فيها الرياحين والازهار. وكان شديد الرغبة في بناء المدن يجمع اليها الناس من البلاد والقرى. وكثيراً مايكون ذلك لغرض سياسي كما فعل ببناء لوسيرا اذ نقل اليها جماعة من اهل الاسلام الذين تمردوا في صقلية وجعلها حصناً له وصار اهلها من اشد انصاره غيرة عليه

اعماله العلمية

هي اول مايهمنا البحث فيه من مآثر هذا الرجل بالنظر الى الغرض الذي انشأنا له هذه المقالة. ولا ينجلي الموضوع للقارئ الا اذا بسطنا الكلام عما كانت عليه حال العلم في اوروبا لما قام فريدريك بمشروعاته العلمية

جنوب فرنسا (لنغيدوك وبروفانس)

قد علمت ما كانت عليه اوروبا في الاجيال الوسطى من انحصار العلم في الاديار والكنائس واقتصارهم هناك على العلوم الدينية اوما يساعد على تحصيلها. فكانت الافكار مقيدة بالتقاليد والاعتقادات كما رسمها ارباب الكنيسة وكان الشعب قد غشيته ظلمة الجهل. فلما فتح المسلمون الاندلس وانبثوا في فرنسا استفاد اهلها من الاحتكاك بهم كما تستفيد الامم بالمخالطة في كل حال. فكانت تلك الفائدة متبادلة لكن الافرنج اقتبسوا من العرب اشياء لم يتعودوها. اهمها حرية الفكر والقول — لان العرب كانوا في اول الفتح اكثر الامم جرأة وحرية كما تقدم. ثم استفادوا منهم نوراً ومدنية وكان ذلك اكثر ظهوراً في جنوبي فرنسا (لنغيدوك وبروفانس) بمن كان ينزح اليهما من عرب الاندلس على اثر الحروب ونحوها ويقيمون فيها يعملون بالتجارة والصناعة وشأنهم يومئذ هناك شأن الافرنج الذين اتوا بلادنا في القرن الماضي للارتزاق او السياحة او التبشير.

فكان في جملة ما استفدناه منهم حرية القول لانهم جاؤنا وقد تمكنت الحرية من نفوسهم ونحن في اواخر اجيالنا المظلمة وقد تمكن الذل في نفوسنا فاقتبسنا من معاشرتهم حرية القول حتى جرى على السنتنا التمثل بحريتهم وصدقهم فنقول « كلمة افرنجية او انكليزية » اي انها لا تتغير

وهكذا كان شان الافرنج في اجيالهم المظلمة لما خالطهم العرب وهم اهل حرية فتفتقت قرائحهم وادركوا ما كانوا فيه من الظلمة ففتر احترامهم لرجال الدين وظهر ذلك على معظمه في جنوبي فرنسا لانها اقرب اوروبا الى مملكة المسلمين بالاندلس . فاشتهر اهل لنغيدوك وبروفانس من يومئذ بحرية الفكر وحل قيود التقاليد وظهر فيهم الشعراء الغنائيون المعروفون باسم تروبادور . ويمتاز شعراء جنوبي فرنسا عن سائر شعرائها باقتباساتهم من العرب حتى كثيراً ما كانوا يعدلون عن تعلم شعر اللاتين الى اشعار العرب وازجالهم وينشدها قراؤهم في بيوت الامراء على سبيل الاستجداء او الاستعطاف . وقد اقتبس الفرنساويون من العرب تقفية الشعر وكانوا قبل ذلك ينظمون بلا قافية . وتمثلوا بهم في تاليف القصص اخذاً عما كان للعرب من امثال الف ليلة وليلة — وليس هنا محل الخوض في ذلك

جامعة مونبليه

على ان هذا لم يكن اهم ما اثره العرب في جيرانهم فان مجاورتهم والاحتكاك بهم في الاندلس وسوريا في اثناء الحروب الصليبية ولدت فيهم الميل الى تقليدهم في انشاء المدارس العالية . وحدث ذلك على الخصوص بعد ما اصاب العرب من الاضطهاد في الاندلس على اثر سقوط دولتهم ووقوع اهم مدائنهم في ايدي اعدائهم . فنزح منهم الوف كثيرة الى جنوبي فرنسا وقد نضج علمهم وكثرت المؤلفات عندهم فاحدثت هجرتهم هذه نهضة في ترقية العلم نحو ما حدث بعد ذلك ببضعة قرون على اثر فتح العثمانيين القسطنطينية اذ نزح فلاسفتها الى اوربا فاستفادت من علومهم . اما نزوح العرب فكان تاثيره خصوصاً في جامعة مونبليه . وكان الافرنج قد شادوا فيها مدرسة للطب فاستعانوا بالعلماء النازحين اليهم من العرب واليهود في ترقية علومها واطلقوا فيها حرية الدين والاعتقاد وذاعت شهرتها في اقطار اوربا وكانت مصدر نور وحرية لسائر الاقطار . ولم تكن الكنيسة راضية عنها . وفي اثناء ذلك ظهر فريدريك وانشأ مدارسه الآتي ذكرها

صقلية وجنوب ايطاليا

ويقال نحو ذلك في صقلية فان دخولها في حوزة العرب جعل لها حظاً من تمدنهم وتوسطها بين الامم المتمدنة جعل اهلها اخلاطاً من امم شتى وغلبت عليها الصبغة العربية بعد الفتح العربي . فلما فتحها النورمانيون لم يغيروا شيئاً من صبغة ذلك التمدن وما خالطه من بقايا تمدن اليونان والرومان فاصبح اهلها في زمن فريدريك الثاني اي في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد لفيفاً من اليونان والرومان والعرب واليهود والجرمان والنورمان . يتكلمون اليونانية واللاتينية والعبرانية والعربية والجرمانية والفرنساوية وكانت تلك الامم تتزاوج وتتعامل بالحسنى والتكاتف وان كانت كل منها مستقلة بعقرها . على ان المساكن يغلب فيها الطرز العربي تعلوه المنائر والمآذن والقباب

وظل التعليم في صقلية بعد الفتح النورماني كما كان قبله والاساتذة اكثرهم من العرب أواليهود المتخرجين في مدارس الاندلس ولاسيما الطب . والفتح النورماني قلما اثر في حال التعليم لان الفاتحين كانوا شرذمة قليلة . فظل المقام الاول في ذلك كله للمسلمين . وكان الملوك والامراء يقدمونهم ويعولون عليهم حتى في الجندية والادارة وقد جندوا كثيرين منهم ولاسيما في البحرية فان الاساطيل كانت تحت قيادتهم ولا يزال من آثار ذلك في لغات اوربا لفظ Amiral فانها بقية لقب قائد الاساطيل بالعربية « امير البحر » . واتخذوا منهم المشيرين والقضاة والمحررين والجباة لا يعترضونهم في شيء من معتقداتهم او عاداتهم . وكانت الدولة تعول على العرب في المهمات السياسية حتى في البعثات والوفود الى رومية وغيرها . وكانت اللغة الغالبة في الدولة وفي الطبقة الراقية من الامة اللغة العربية — تلك كانت حال مدائن صقلية وخصوصاً بالرم وسالرن ومسينا وسيراقوس واينا واغريجنتم . وكان العنصر العربي متغلباً ايضاً في القرى والجبال

فلما افضت الدولة الى فريدريك الثاني وكان قد تثقف على ايدي اساتذة من العرب شب على احترام العرب وآدابهم . فقربهم واحسن معاملتهم فخدموه خدماً جزيلة في السياسة والحرب والقضاء . فلما اراد اصلاح مملكته كما تقدم وجه انتباهه الى نشر العلم . فكانت نابولي وسالرن اهم مراكزه وله الفضل الاكبر في تأسيس معاهد العلم فيهما

اولها جامعة نابولي انشأها فريدريك واستقدم اليها الاساتذة من العالم العربي فضلاً عمن كان هناك . وكانت علائقه الودية مع المسلمين اكبر مساعد له على جمع ما لم

يتفق لسواه من الكتب العلمية من الاندلس ومصروسوريا غير ما حمله اليها من مكاتب الاديار في اوربا . وتوسط نابولي في البحر المتوسط ساعد على نشر العلم بانحاء اوربا . فكان الطلبة يؤمونها من اقصى البلاد على تفاوت طبقاتهم وفيهم الفقراء يتعلمون مجاناً والحكومة تبذل كل ما في وسعها لتسهيل الانتقال والتعليم

كلية سالرن الطبية

على ان شهرة جامعة نابولي لم تكن شيئاً مذكوراً في جانب شهرة كلية سالرن الطبية لانها كانت بؤرة الطب ومجمع الاطباء واشتهرت على الخصوص في الجراحة . ومن اسباب تسهيل التعليم فيها انها كانت تلقيها باكثر اللغات الشائعة في ذلك التمدن وهي اللاتينية واليونانية والجرمانية والعربية والعبرانية بحيث لا يتعذر على احد ان يتناول العلم بلغة من هذه اللغات . وكانت خطة تلك الكلية الاعتماد على الحقائق الطبيعية ونبذ ما كان سائداً من التدجيل والاوهام

انشئت هذه المدرسة للمرة الاولى في القرن الثامن على ايدي بعض العرب واليهود . لكنها بلغت قمة مجدها في زمن فريدريك وكان معولهم في الطب على ابوقراط وجالينوس وفي الفلسفة على ارسطو وما كتبه العرب من تلك المواضيع بعد اخذها عن الاصول اليونانية بحيث صارت خاصة بهم . ولما اخذتها تلك المدرسة صارت لها صبغة خاصة بها يشترك في تعليمها وتعلم غيرها الراهب والحاخام والامام والمعطل وغيرهم — لا حرج على الطالب ولا على الاستاذ في دينه وانما تجمعهم جامعة العلم والفلسفة والتحقيق

وكانت العلوم تلقى في كلية سالرن خطباً كما تفعل جامعات اوربا اليوم . ويشرح الاساتذة قضاياها بالتجربة العيانية ولا سيما التشريح فان الجثث كان محظوراً مسها يومئذ في عالم النصرانية وكان العرب قد اباحوا تشريحها في قرطبة . فاكتفى جراحو سالرن بتشريح القردة وغيرها من الحيوانات الشبيهة بالانسان . واذا اتيح لهم تشريح جثة آدمي فعلوا ذلك سراً

ولهذه الكلية فضل كبير على الطب بما اتفق لاساتذتها من الاكتشافات في التشريح وغيره : فهم الذين اكتشفوا خصائص الكيلوس ووظائف اقنيته ووظائف الجهاز اللمفاوي والاوعية الشعرية وهم سموها بهذا الاسم . واكتشفوا رطوبات العين وطبقاتها ودرجات الهضم . ووصفوا عمل المبيض واقنيته قبل ابحاث فلوبيوس بأربعمائة سنة . وكان فيهم اطباء اختصاصيون يتفرغ كل منهم لفرع من فروع الطب . فنهم

الاطباء الرمديون وجراحو الحصاة المثانية والفتق . ومجبرون لانواع الكسر والخلع وامراض النساء . وفيهم اختصاصيون في درس خصائص العقاقير الطبية من حيث تأثيرها على الاعضاء في حالتي الصحة والمرض . دونوا ذلك في كتب خاصة ونظموا بعضها شعراً في قصيدة طويلة تعرف باسم (Flos Medicinae Scholae Salerni) وعرف بعدئذ باسم (Regimen Sanitatis) ووجد المحققون ان هذا الكتاب مأخوذ عن رجل اسمه اسحق بن سليمان من اطباء قرطبة توفي سنة ٩٥٠ م فان لم يكن قد الف الكتاب وحده فقد اشترك في اكثره . ويتضمن هذا الكتاب تشخيص الامراض وتشريح الاعضاء ووصف وظائفها . وفيه وصفات طبية مضادة للسموم يسمونها في اصطلاحهم « ترياق » ووصايا صحية لما يقتضي تعاطيه في كل شهر من اشهر السنة . وابحاث في علاقة الصحة بالطوالع والابراج

وبلغ من رقي هذه الكلية ان الحكومة كانت تراقب تصرف الصيادلة وتمنع اشتراكهم مع الاطباء في الكسب وتشترط عليهم ان يقسموا الايمان المغلظة على السير حسب قوانين المدرسة او بروغرامها الطبي . وكان في سالرن عدة مستشفيات اقدمها تأسس في القرن التاسع على القواعد التي بنى بها الامويون مارستاناتهم في الشام وقرطبة . وبعض هذه المستشفيات له اوقاف باهظة ولاصحابها عناية كبرى بالمرضى يتولى ذلك بعض الرهبان المنقطعين لخدمة الانسانية

وكان بروغرام هذه المدرسة في غاية الترتيب والنظام . يقضي الطالب ثلاث سنوات في القسم الاستعدادي يتلقى العلوم والآداب والفلسفة وخمس سنوات في القسم الطبي لدرس علوم الطب . وقد نبغ من تلامذتها طائفة حسنة من العلماء والاطباء منهم روجر البارمي الجراح الشهير بمعالجة الجروح والكسور ونزع الاورام والدوالي . ومتى سلفاتيكوس له كتاب في الفصد وآخر في الاقراباذين . وغريبونس وكان ماهراً في معالجة امراض الحوض . وجيواني بروسيدا طبيب بلاط فريدريك وغيرهم . وكلهم يمتازون بالجراحة على الخصوص . ومنهم طائفة من يهود مسينا فيهم فراغوط وقد ترجم الحاوي للرازي واهداه لشارل انجو اخي لويس التاسع ملك فرنسا

وكانت كلية سالرن تقبل الطلبة من الذكور والاناث على السواء وفيها مدرسة للقوابل . فنبغت منها طائفة من الشهيرات في الطب والكيمياء والجراحة . منهن الطبيبة رفقة الفت كتاباً في الحميات . وايلا الفت في الولادة . وتورتولا في العقاقير الطبية والفتق . ومركوريادا في الجراحة وكوستانزا كولندا المشهورة بالجمال والعلم .

وكانت المعالجة على الاجمال سهلة واجورها معتدلة ويعالج الفقراء مجاناً

في كلية سالرن وجامعة نابولي وجامعة مونبليه بدأ تكوُّن التمدن الحديث من اوائل القرن الثالث عشر اي قبل بدء ظهوره ببضعة قرون . وقد رايت مقدار ما كان من تأثير العرب وعلومهم وتمدنهم فيه . وذلك قليل بالنظر الى ما اقتبسوه بعد ذلك من عوامل المدنية بنقل العلم والفلسفة من اللغة العربية الى السنتهم . وسنعود الى ذلك في فرصة اخرى

مناقبه

قد اجمع المؤرخون ان فريدريك الثاني من كبار رجال التاريخ وانه اعظم رجال عصره ذكاء وهمة . وينسبون ذلك الى كونه نسلاً مزيجاً من الدم الجرماني والايطالي فضلاً عن احتكاكه بالامم المختلفة في صباه بصقلية فاجتمعت فيه مناقب لاتجد لها مثيلاً في الرجال . واجمعوا على انه تقدم عصره باربعة قرون لانه حاول اصلاحات لم تستعد شعوب اوربا لها الا في القرن السادس عشر ولذلك فلم يستطع معاصروه ادراك حقيقة غرضه من اعماله ومشاريعه

وكان قصير القامة منحني الاكتاف احمر الشعر وليس في مظاهره ما يدل على عظمته الحقيقية . وقد قال كاتب عربي شاهده في بيت المقدس « انه لو عرض في دار الرقيق لا يباع باكثر من مائتي درهم » وكان ضعيف الاعتقاد بالتعاليم الدينية التي كانت سائدة في عصره بعيداً عن التعصب . لا فرق عنده بين الناس على اختلاف مذاهبهم واجناسهم وانما يفضل منهم اهل الفضيلة والعلم . ولذلك كان كثير الشغف بالعرب المسلمين واليهود لانهم كانوا اوسع الناس علماً وارقاهم مدنية . وتثقف من صغره على ايديهم فكان يقربهم اليه ويستخدمهم في بلاطه وحكومته ويجعلهم من مشيريه واصدقائه . وقلدهم بعاداتهم واخلاقهم وسائر اطوارهم فاستكثر من الجواري وبنى لهن القصور في بالرم وغيرها اقام فيها الخصيان . فكان قصره مملوءاً بالسراري المجلوبات من الشام ومصر والاندلس والمغرب يصطحب بعضهن في اسفاره للحرب . وكان يلهو بالعاب الامراء والملوك في ذلك العصر من الصيد او مجالس الادب والغناء وكان يعتقد النجامة وامثالها

وكان كبير المطامع لم تقنعه السلطة الزمنية فاراد ان يضم اليها السلطة الدينية فزعم انه معيد النصرانية الى رونقها الاول ايام المسيح — ولعله فعل ذلك نكاية في البابا . وكان شديد الوطأة على الباباوات كما علمت فقضى حياته في حروب متواصلة معهم فحرموه

اربع مرات وكانوا يجدون في اطلاق سراح هواه وتقريب غير المسيحيين اليه ما يسوغ لهم الغضب عليه — وخصوصاً رعايته للمسلمين واستخدامهم في مصالح دولته وفي جنده ومحاكمه حتى كانت لهم الكلمة النافذة في بلاطه وعلى آرائه . فضلاً عما كان من استخدامهم في نشر العلم

وكان صديقاً لامراء المسلمين وملوكهم فقد هاداهم وكاتبهم واستفاد من رقيهم وعقد معهم المعاهدات التجارية . فسلطان مصر كان صديقه الحميم وتبادل معه ارسال السفراء . ولما وصل سفير فريدريك الى مصر سنة ١٢٤١ زينت له القاهرة أحسن تزيين . واتسعت علاقاته التجارية بسبب ذلك مع العالم الاسلامي الى اقصاه . فكانت مصنوعات الهند ومصر تحمل الى بالرم ومسينا وغيرهما من فرض ايطاليا ومنها الى سائر اوربا . وهو اول من وسع تلك العلائق فكانت سفنه تطوف شواطىء البحر الابيض والاتلانتيكي — بدأت صداقته مع الشرق وملوكه بعد ذهابه للحرب الصليبية وان حراسه وبعض مشيريه في حملته كانوا من المسلمين

وكان شغفاً بالعلم وله مقدرة خصوصية في الرياضيات يطرح على علمائها القضايا في الجبر والهندسة ويطلب حلها . وكثيراً ما ارسل المسائل المشكلة الى علماء المسلمين في العالم العربي بافريقيا والاندلس ومصر . وكان يعرف اللغات العربية والعبرانية واليونانية تكلماً وكتابة غير لغته الوطنية واللغة اللاتينية

وكان شديد الغيرة على اهل العلم يبذل وسعه في حمايتهم وينفق الاموال في سبيل تنشيطهم بالجوائز والرواتب لافرق فى ذلك عنده بين المذاهب واللغات فنبغ في عصره جماعة من العلماء والفلاسفة : منهم العالم ملروز استخدمه فى ترجمة كتب العلم فنقل له كثيراً من مؤلفات الاندلسيين • وتيودور الملقب بالفيلسوف الف كتباً في الهندسة والنجامة • ويوحنا البالرمي كتب فى المسائل الحسابية • وليوناردو فيبوانسي نبه اهل اوربا الى علم الجبر كما كان فى مدارس العرب • وبيارو الفيني السياسي القانوني الخطيب الشاعر وله اشعار غنائية فى اللغة الايطالية وهو اول من نظم فيها

وكان فريدريك نفسه ايضاً شاعراً نظم اشعاراً غرامية ونشر في اللاتينية كتباً في الصيد والكواسر لا يزال ثقة في هذا الموضوع الى اليوم . وفي مجلسه بدا الايطاليان باستخدام اللغة الايطالية التي كتب فيها بعد ذلك بترارك ودانتي وباكاسيو

وبالجملة فان فريدريك كان نابغة من نوابغ الزمان ذكاء واقداماً وشجاعة نقل بذور التمدن الحديث من التمدن الاسلامي منذ ثمانية قرون

الحقيقة

ما يقربنا اليها وما يبعدنا عنها

تمهيد

لا بد لكل مفكر ان يقف يوماً ويسأل نفسه « ما هي الحقيقة ؟ واين هي ؟ وما الطريق اليها ؟ » او ما شاكل ذلك . وقد تكون تلك الوقفة امام كتاب علمي او في اثناء بحث ديني اومحاورة فلسفية . وحيثما كانت فانها من دلائل الارتقاء لان الانسان كلما صعد درجة في سلم النشوء وزادت معرفته لشخصه ومحيطه ومابينهما من الروابط والعلائق ادرك جهله وعجزه فيشعر بدافع داخلي يدفعه الى تفهم حقائق الاشياء . وقبل الجواب على هذه الاسئلة يحسن بنا ان نقدم الكلام في نسبة الحقيقة الى اعمال الانسان فنقول :

اذا نظرنا نظرة اجمالية في اعمال الانسان نجد انها تقسم الى قسمين كبيرين :

اولاً الاعمال الحسية التي يتوصل بها الى تحسين حاله مادياً وادبياً ويحصل بها على ضروريات الحياة من قوت وكساء ومأوى

وثانياً الاعمال المعنوية التي لا تظهر نتيجتها لاول وهلة . ومنها العلوم باوسع معنى الكلمة من طبيعية وعقلية وطبية وغيرها

والفرق بين القسمين ان الاول هو الغاية . واما الثاني فانه الوسيلة التي نستدل بها على احسن الطرق المؤدية الى تلك الغاية — اذ لا قيمة للعلم اذا لم يكن له دخل في تركيب عقولنا واجسادنا ولم تظهر نتيجته في اعمالنا بصورة محسوسة — فعلم الكيمياء مثلاً له دخل في مأكولنا وملبوسنا وعلم الزراعة يهدينا الى افضل الطرق لاستثمار الارض وعلم الطب يعلمنا كيف نتقي الامراض وهلم جراً

اما الاعمال المعنوية فهي الفارق بين الانسان والحيوان . فبينما الحيوان يسعى لقوته ومعيشته مدفوعاً بغرائزه الطبيعية فالانسان يستخدم عقله وعلومه للوصول الى نفس الغاية — وهي في كلا الحالين البقاء والتمتع

ولما كانت الحقيقة هي اساس كل علم ومرماه فيجب ان يتضح مركزها لدى الانسان . فالغاية القصوى لكل العلوم هي معرفة حقائق الامور واسبابها ونتائجها وارتباطاتها . فالكيماوي في معمله والفيلسوف في تفكيره والطبيب بميكروسكوبه والفلكي في مرصده

كل هؤلاء يدعون في الكشف عن الحقائق التي لا تزال غامضة وازاحة اللثام عن بعض اسرار الكون . وكل فقرة يضيفونها الى معلومات من سبقهم ترفع العالم درجة نحو الكمال . فنيوتن باكتشافه سنة الجاذبية وغيرها رفع النقاب عن حقائق كانت في عالم الخفاء وسار بالهيئة الاجتماعية خطوة نحو الامام . وكذلك باستور وداروين واديسون وغيرهم من اعاظم الرجال . وعندي ان افضل مقياس لعظمة الرجال هو مقدار ما يضيفونه الى خزينة المعارف والآداب في الدنيا

ما هي الحقيقة

الحقيقة هي الواقع وادراكها هو مطابقة الواقع للاعتقاد . فالحكم الصحيح هو الحكم المطابق للواقع . والحقيقة واحدة لا تتجزأ وهي سابقة لعلمنا مستقلة عن تصديقنا . والحكم لا يعتبر صحيحاً اوفاسداً الا بالنظر الى مطابقته لها اومخالفته اياها . فاذا قلنا « الشمس طالعة » وكانت طالعة فحكمنا صحيح وكون الشمس طالعة لايتوقف على حكمنا

وقد تضاربت الاقوال في ماهية الحقيقة وعلاماتها : قال ارسطو انها عدم وجود ما يناقضها وزاد ليبنز على ذلك وجود البراهين الكافية . وقال ديكارت انها تتوقف على وضوح الافكار وجلائها . وادعى لامونيه ان قاعدتها التصديق العام . وقال سبنسر انها العجز عن ادراك ضدها

انواع الحقيقة

والحقيقة نوعان : حقيقة دينية وحقيقة علمية . فالاولى تتعلق بعقائد الانسان من حيث اقراره بوجود خالق وخوفه منه وارتباطه به واعترافه برسله وآياته وغير ذلك

والثانية تتعلق بالكائنات من جماد ونبات وحيوان من حيث وجودها وتركيبها وعلائقها بعضها ببعض والنواميس التي تسير بمقتضاها وهلم جرًّا

ولم يتفق الباحثون على الفرق بين جوهر الحقيقتين وهذا البحث من ادق الابحاث لكن لاخلاف في ان الاديان على اختلاف اشكالها انما تقوم بالايمان . اي انها تفرض صحة بعض الحقائق وتستنتج منها سائر العقائد

ومما لاجدال فيه ان الايمان من اكبر النعم للانسان لانه يكسب الحياة رونقاً ويكسوها جمالاً وبهاء ولولاه لكانت الحياة باردة لاجاذب فيها ولا لذة . فيثقل حملها اذ ترجح كفة اليأس على كفة الامل - ومن لا امل له فلا حياة له . ولذلك فنحن نسمح لانفسنا ان نؤمن احياناً وان لم يكن لدينا براهين كافية

اما الحقيقة العلمية فطريقها المشاهدة والاستقراء وغيرها من الطرق المنطقية وكلها مبنية على احكام العقل المجرد من كل تأثير سواء من الانسان نفسه اومن خارجه

ماذا يبعدنا عن الحقيقة

من رام الحقيقة وجب عليه ان يقاوم قوات عديدة تحول بينه وبينها . واذا كان من يطلب الشهد يتعرض لابر النحل فمن يروم الحقيقة يعرض نفسه لسهام اعدائها وهم كثيرون . ولكن اهمهم قائم في داخل الانسان اعني « عواطفه واميالة »

١ — العواطف : ويدخل تحتها الحب والبغض والسرور والغضب والالم والعاطفات الدينية والوطنية والاجتماعية وغيرها . او بكلمات اخرى نريد بالعواطف ذلك الجزء من حياتنا العقلية الذي لا تستعمل فيه القوى الفكرية الموصلة الى معرفة الاسباب والنتائج

ولما كانت الحقيقة لا تأتينا الا عن طريق العقل فالاعمال الناتجة عن العواطف تقودنا غالباً الى الضلال (وهنا نستعمل العواطف باوسع معنى الكلمة) لانها لا تصدر الا عن غرائز طبيعية ودوافع داخلية بدون تفكير او استنتاج . وكلما تجرد الانسان عن عواطفه وغرائزه وحكّم عقله صار اقرب الى الحقيقة

ان الحقيقة في نظر كثيرين ما تميل اليه طبيعتهم والصواب انها ما تشتاق اليه نفوسهم . وقد ينكرون ذلك . والانسان كما نعرفه ان لعواطفه واطباعه وغرائزه يداً محركة في جميع اعماله ان لم يكن ظاهراً فباطناً . وقد لا يشعر بتأثيرها الا انها ولا شك موجودة تديره في اكثر الاحيان كما تشاء

كثيرون ينكرون بعض الحقائق وليس لديهم حجة لانكارها وانما تدفعهم الى ذلك اميالهم ومصالحهم فيجعلون اصابعهم في اذانهم حتى لا يسمعوا صوت الحق ويغشون ابصارهم حتى لا يروا نور الحقيقة

قيل «الحقيقة تؤلم» وهو الصواب لان اكثر الحقائق ثبوتاً هي نقص الانسان وعجزه . فاذا عرف حالته الحقيقية شق عليه امره وقد يحمله ذلك على الانكار اذا كان من الجهال

٢ — التقاليد والراي العام : ونعني بالتقاليد المتعارف او المشهور بين الناس من العقائد والآراء وهي من اكبر الحوائل بيننا وبين الحقيقة . فكما ان للفرد عواطف واميالاً تقوده في اكثر اعماله فكذلك للجمهور عقائد وغرائز تقوده وتستعبده بل هي في الجماهير اقوى منها في الافراد . ان لتيار الراي العام قوة عمياء في مقاومة الحقيقة . والتاريخ ينبئنا عن كثيرين ذهبوا ضحية جهل محيطهم وماتوا شهداء العلم والحق . وقد تكفينا نظرة الى القرون الوسطى لنرى تأثير جهل العامة وتعصبهم في محاربة الحق بل يكفينا النظر الى امسنا ويومنا . ولا شك اننا اذا امعنا النظر راينا ما تنفطر له القلوب

اسفاً وتدمع له العيون حزناً ولاسيا في شرقنا المسكين ـ نجد رأي العامة هو الحاكم المستبد المسموع الكلمة والويل لمن يخدشه والهلاك لمن يقاومه — هذه حالتنا وهذه علتنا . اما وقد عرفنا العلة فيجب ان نتلافاها قبل ان يستفحل امرها . ان الجهل اعظم داء والتهذيب انجع دواء

٣ — الظواهر : ومما يبعدنا عن الحقيقة ظواهر الامور اي ما يبدو لنا منها لاول وهلة فقد قيل ان الانسان اسير الظواهر وكلما ارتقى ودرس وبحث ينبذ الظواهر ويتمسك بالحقائق . فكل منا يتذكر ما كان عليه في اول امره من الغرور ببعض المسائل الجديدة عليه . كان يظن الشمس تدور حول الارض وان القمر اكبر من النجوم (الصغيرة) وكان ينسب بعض الظواهر الكيماوية الى السحر وغير ذلك

واذا نظرنا الى تاريخ العلوم نرى انها كانت في اول نشأتها تهتم بالظواهر الخارجية ولذلك كانت واهنة الاساس وحالما اتى العلم الحديث المبني على البحث الدقيق هدم كثيراً من المعتقدات القديمة . من ذلك انهم كانوا ينظرون الى النفس كأنها جوهر مستقل عن الجسد والكتب القديمة في علم النفس لاتذكر الا قليلاً جداً عن فسيولوجية الدماغ اما الآن فاساس هذا العلم درس الدماغ وتراكيبه وما يؤثر عليه من الطوارىء . وكانوا يشبهون الهيئة الاجتماعية بجسم حي وبنوا علم الاجتماع كله على هذا التشبيه وما هي الا في السنين الاخيرة حتى ظهر فساده . وكل العلوم تدرجت بهذا الشكل من عالم المجهولات الى عالم اليقين

ماذا يقربنا الى الحقيقة

قد احطنا ببعض مايبعد الانسان عن الحقيقة فماذا يقربه اليها ؟ نقول يقربه اليها قبل كل شيء عقله ثم بحثه واحترامه اياها

١ — العقل : ونعني بالعقل جميع القوى المفكرة التي تجعلنا نفهم الاشياء ونعلل الحوادث بالنظر الى اسبابها ونتائجها وارتباطاتها . وهو الطريق الوحيد للحقيقة ودليلنا في هذا الطريق علم المنطق الذي يبين الوسائل الواجب اتباعها كالمشاهدة والاستقراء والقياس وغيرها من ابحاث المنطق

وقلما يفرق الناس بين عمل العقل وعمل العواطف فلكل منهما حد لا ينبغي ان يتعداه الى عمل الآخر . فالعقل مستشار في كل عمل . فلا يجب ان نسمح لراي او اعتقاد ان يدخل علينا ان لم يوافق العقل عليه — فهو الحارس يستشار قبل الدخول وكما ان الحراس يتفاوتون في السهر والامانة فالعقول تختلف في التدقيق والاهمال في

تأدية واجبها . فمن الحراس من يقبل قارع البـاب بلا سؤال ومنهم من لايقبله الا بعد الفحص والتدقيق . من الناس من يتقيدون بآراء الغير او بالتقاليد والظواهر ومنهم من لا يقبلون الامور الا بعد تمحيصها والبحث فيها والوقوف على ما ترتاح اليه عقولهم

٢ — البحث : البحث اكبر مساعد للعقل في الوصول الى الحقيقـة وقد قيل « الحقيقة بنت البحث » ومعناه ان الحقيقة تستلزم البحث والتنقيب واقتحام المصاعب فهي لا تعرض جوهرها بل تقول فتشوا عني تجدوني . ومن الامثال الفرنساوية « الحقيقة مخبأة في قعر بئر » اشارة الى بعدها عن نظر الناس

ان وجود العقل اذا لم نحسن استعماله كان كالعدم فهو كالنار الموقدة تذهب ضياعاً اذا لم نستخدمها . فعلينا ان نقرن قوة عقلنا بالبحث والصبر حتى ننال مبتغانا

من يدعي وصوله الى الحقيقة بدون بحث او استنتاج انه في ضـلال لان الانسان من طبيعته جاهل والعلم دخيل عليه ولا يتأتى له الا بالاختبار والبحث . والعلوم نشأت وتقدمت بفضل الباحثين فيها فهم سبب رقي الهيئة الاجتماعية

٣ — احترام الحقيقة : وهنـاك امر يجب ان نضعه نصب اعيننا في كل حركة من حركاتنا . اعني احترام الحقيقة وقد ذهب البعض الى تأليهها اما نحن فيكفينا ان نحترمها ونوقرها بان نعترف بها وان كانت علينا وان لا نخشى المجاهرة بها اذا كانت على غيرنا بل يجب ان نستحي من انفسنا اذا عرفنا الحق وانكرناه او سكتنا عنه . ومن العار ان نرى الحقيقة ولا نقر بها وان نرى اعوجاجاً في اخواننا بني الانسان ولا نرشدهم الى اصلاحه

ومن الحقائق التي نشاهد تأثيرها كل يوم تعرّض الانسـان للخطأ . فهي اكثر الحقائق وضوحاً ولكنها ايضاً اكثرها عرضـة للانكار لانه يصعب على الانسان ان يقاوم انفته وكبرياءه — وقد اصاب الهلال اذ قال : « الاعتراف بالخطأ صواب والاقرار بالعجز قوة »

عرفنا ما يحول دون بلوغ الانسـان للحقيقة من جهـة وما يمهد له الطريق اليها من الجهة الاخرى . فالانسـان عادة يتجاذبه عاملان يدفعه احدهما الى انكار الحق لانه يؤلمه ويجتذبه الآخر الى احترامه والاقرار به مهما كان . ويختلف الناس من هذا القبيل باختلاف تغلب احدى تينك القوتين على الاخرى . فمن خضع للحق فقد افاد واستفاد ومن خالفه فهو من الخاسرين ؟

المدرسة الكلية في بيروت — اميل زيدان

جامعة المنفعة

مرجع سائر الجامعات

وهي الباعث الاول على القيام بالمهمات

ما هي الجامعة

الجامعة هي الاستمساك بمبدأ او اعتقاد او غرض يجتمع حوله جماعة من الناس يشتركون في الاخذ به والدفاع عنه . والاجتماع فطريٌّ في الانسان لكثرة حاجاته وعجزه عن القيام بها وحده . فاضطر الى الاستعانة على قضائها بالاجتماع مع ابناء جلدته للتعاون وتبادل النفع . فهو يتذرع الى الاجتماع باسباب تجمعه مع الآخرين اقدمها القرابة او جامعة النسب وتعرف بالعصبية ايضاً ويدانيها في القدم جامعة اللغة — والتفاهم يقرب القلوب ويوحد الاغراض

فاذا تكاثر الاقرباء وتشعبت القبيلة الى فروع اقام كل منها في بلد واشترك ابناؤه في الدفاع عن ذلك البلد وهي جامعة الوطن مع بقائهم مشتركين بجامعة اللغة أو النسب لانهم من اصل واحد . ويغلب في اهل القبيلة الواحدة ان يدينوا بدين واحد ومهما كثرت فروعها فهي تجتمع أيضاً بجامعة الدين فضلاً عن اللغة والنسب . وقد يتفق وجود أمة أخرى في بلد آخر تتكلم بلسان غير لسانها لكنها تدين بمثل دينها فتجمعها معها جامعة الدين . وقس على ذلك سائر الجامعات وهي عديدة : فاهل البلد الواحد يقسمون الى جماعات يجتمع بعضهم بجامعة المهنة وآخرون بجامعة الجنس او اللون او الزواج او العزوبة فيكون المتزوجون حزباً واحداً تجمعهم جامعة الزواج وكذلك العزاب والكهول مع اشتراك كل فرد من احدى تلك الجامعات بصفة اخرى مع جامعة أخرى فيكون شريكاً مع بعض الناس في جامعة النسب ومع غيرهم بجامعة الدين وغيرهم بجامعة اللغة . وهكذا من حيث المهنة والعادة والسن والطول والقصر وغيره . كأن يكون طبيباً فيجتمع مع الاطباء بجامعة المهنة او محام فمع المحامين

او طويلاً فمع الطوال اوقصيراً فمع القصار اواسمر اللون فمع السمر او ابيض فمع البيض وقس على ذلك

فتتضارب الجامعات وتتقاطع على شكل عجيب فاهل القاهرة مثلا تجمعهم مدينة القاهرة ولـكن ابن هذه المدينة يجتمع مع ابن الاسكندرية على غير المصري ويجتمع مع اهل الشرق على اهل الغرب . والمصري المسلم يجتمع مع المصري غير المسلم بجامعة الوطن ومع السوري والعراقي بجامعة اللغة ومع الفارسي والهندي بجامعة الدين . واعتبر هذا التفرع في كل بلد ودين ولغة فترى الجامعات عديدة يشترك بها الناس بعضهم على بعض او مع بعض على التقاطع والتضارب . ولو رسمنا تلك العلائق خطوطا بين الانسان ومن يشترك معهم بجامعة او غير جامعة لرأينا كلاً منها عبارة عن مركز تنبعث منه الخطوط انبعاث الاشعة من جسم منير حتى تتقاطع وتشتبك بالخطوط المنبعثة من جسم آخر على شكل مرتبك متقاطع

فالجامعات عديدة لايمكن حصرها ولا يخلو انسان من اشتراكه في عشرة او عشرات منها لـكنه لاينتبه لهذه الجامعة أو تلك الا اذا اضطر الى الاجتماع لدفاع أو هجوم . فاذا خاف اهل عصبية او قبيل من عدو يسطو عليهم اجتمعوا عليه بجامعة النسب وهم الاهل والاقرباء . فاذا لم ينفعهم ذلك استعانوا بجامعة الوطن او الدين او اللغة او غيرها

جامعة المنفعة اوالمصلحة

واذا امعنت النظر في ما عددناه من الجامعات العديدة رأيت مرجعها عند العمل الى جامعة لم تذكر في جملتها مع انها اساسها كلها نعني «جامعة المنفعة » اوالمصلحة وهي اشتراك الجماعة في عمل يعود نفعه عليهم . وهي الاصل في قيام الناس بالاحزاب والعصبيات فاذا توسموا لانفسهم نفعاً في عمل مع جماعة تذرعوا الى التقرب منهم أو استخدامهم بجامعة تجمعهم بهم . فاذا رأوا بقاءهم على ذلك الاجتماع مضرًّا بمصالحهم اغضوا عن تلك الجامعة وانتحلوا سبباً يجمعهم بجامعة أخرى . فالجامعة الحقيقية أنما هي جامعة المنفعة والتاريخ غاص بالشواهد على ذلك

كان العرب قبل الاسلام منقسمين الى قبائل تجمع كلاً منها جامعة النسب .

العدنانيون في جانب والقحطانيون في آخر. وينقسم العدنانيون الى عشرات من القبائل والبطون وكذلك القحطانيون . وكل قبيلة أو بطن يجتمع بعصبيته على سائر العرب ويجتمع مع بطن آخر من قبيلته على البطون الاخرى من القبائل الاخرى كما هو مشهور في أيام العرب وحروبهم

فلما جاء الاسلام حامت القبائل حوله وجعلوه جامعتهم الكبرى واغضوا عن عصبية النسب لقول النبي « المسلمون اخوة » وقال في خطبة القاها يوم فتح مكة « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من آدم وآدم من تراب » وقال من خطبة الوداع « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد وأكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى »

واقتدى بالنبي خلفاؤه الاولون لاسيما عمر بن الخطاب فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد أن أسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة ان فزارياً وطئ ازاره فانحل فرفع جبلة يده وهشم الفزاري فشكاه الى عمر فاراد عمران يهشم انف جبلة فقال « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك » فاجابه عمر « ان الاسلام جمعك واياه فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

فالاسلام جمع بين العرب والعجم كما جمعت النصرانية في بلاد الشام ومصر بين الرومي والقبطي والنبطي والعربي وغيرهم . على انهم كثيراً ما كانوا يجنحون الى احدى هذه الجامعات اذا رأوا فيها منفعة . فالمسلمون مع اغفالهم الجامعة العربية وتمسكهم بالاسلام كانوا يعودون الى تلك الجامعة لاكتساب بعض القبائل العربية النصرانية في العراق أو الشام ممن كانوا على ولاء الروم أو الفرس . وكان هؤلاء مع اجتماعهم بجامعة الدين والدولة مع الروم او الفرس لما رأوا تغلب العرب انحازوا اليهم بجامعة النسب واللغة . ولو لم يتوسموا بذلك الانحياز خيراً لانفسهم لتمسكوا بجامعة الدين التي تجمعهم بالروم أو جامعة الوطن التي كانت تجمعهم بالفرس . لكنهم كانوا ناقمين على الفرس لما كانوا يسومونهم اياه من الاضطهاد فلما رأوا قوة المسلمين واقبال دولتهم تقربوا اليهم بعصبية النسب ونصروهم ودلوهم على عورات الفرس

وكثيراً ما كان عرب الشام والعراق عوناً للمسلمين في حروبهم يرشدونهم

وينصحونهم ويحملون اليهم اخبار أعدائهم . فلما خرج الوليد بن عقبة غازياً الروم لقيه الروم فقاتلوه فجاءه رجل من العرب نصراني وقال له « اني لست من دينكم ولكنني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنوكم وان صبرتم هربوا وتركوكم » وقد نفعته هذه النصيحة

ولم يكن عمر يجهل تلك الرابطة لحرض المسلمين على فتح الشام والعراق . ولما رأى ما كان من نصرة عرب العراق لهم عرف فضلهم فلما همّ المسلمون بوضع الجزية على أهل الذمة وفي جملتهم عرب تغلب واياد والنمر وهم نصارى أبى هؤلاء الجزية وبلغ عمر ذلك فاستشار أصحابه فقال له بعضهم « انهم عرب يأنفون من الجزية وهم قوم لهم نكاية فلا تعن عدوك عليك » فوافق ذلك ما في نفسه ففرض عليهم الصدقة كما تفرض على المسلمين ولكنه شرط عليهم أن لا ينصروا أولادهم

فلما استقر الاسلام وانتشر المسلمون في الارض تفرعت الجامعة الاسلامية باعتبار البلاد فنشأت العصبية الوطنية عندهم واقدم ما ظهر منها في ايام عثمان بين الشام والكوفة ثم حدث الانقسام الوطني السياسي بعد قتله . ثم ما بين الشام والحجاز ومصر في ايام معاوية . وهكذا حتى اصبح لكل بلد عصبية خاصة مع اختلاط البلد الواحد من امم شتى . وذهبت عصبية النسب بتوالي الاجيال وظلت الجامعة الوطنية – ناهيك بانقسام الجامعة الدينية الاسلامية الى الشيعة والسنة والى الفرق الاسلامية مما لا يمكن حصره ومرجعه الى جامعة المنفعة

واعتبر ذلك ايضاً في امم اوربا كيف جمعتها الدولة الرومانية وهي في ابان مجدها فلما ذهبت انقسم اهل اوربا الى فرق كل منها مستقلة بنفسها وما زالوا يتحاربون ويتخاصمون حتى اقتضى قيامهم لمحاربة المسلمين في الحروب الصليبية فتذرعوا الى ذلك بجامعة الدين فاتحدوا بها وحملوا على الشرق بخيلهم ورجلهم . فلما فرغوا من ذلك وعادوا الى بلادهم وافاقوا من غفلتهم واخذوا في تكوين الدول اشتغلت كل منهم على حدة واتخذت لنفسها جامعة تفصلها عن سواها – نعني جامعة الوطن . فتألفت بذلك امم فرنسا وانكلترا والمانيا وغيرها ولكل منها لغة خاصة ووطن خاص . وهي مع ذلك تتذرع عند الحاجة الى الاجتماع حسب اصولها فتجنح ايطاليا واسبانيا وفرنسا الى الجامعة

اللاتينيـة وترجع المانيا والنمسا وانكلترا الى الجرمانية . وهي لا تفعل ذلك الا عند الاضطرار التماساً لمصلحة ــ فيكون الباعث الحقيقي لانتحال تلك الجامعة «المنفعة» وانما يظهرون باحدى الجامعات الاخرى توسلاً الى اجتماع الايدي

وكثيراً ما يخلق الناس جامعة لاحقيقة لها ويتواطأون على الاجتماع بها لما يتوسمونه من النفع بواسطتها . واكثر ما يكون ذلك في الامور الدينية او الاعتبارية كان ينتحل بعض الرؤساء ارباب المطامع معبوداً يعظمه ويعبده ويضرب به على وتر الدين فيدعو عصابته الى الاجتماع باسمه والنهوض لقهر امة اخرى يزعم انها اهانته فتسعفه وتحارب وتناضل حتى يفنى معظمها . فاذا ظفرت عاد الظفر على ذلك الزعيم بنيل الرئاسة وشرف الفتح

وقد ينتحل اصحاب المطامع امراً آخر اعتبارياً يعظمه في عيون اتباعه فيضرب به على وتر الشرف او عزة النفس فيزعم ان اعداءه اهانوا شرف امته او حزبه ويدعوهم لرد شرفهم بالسيف وهو انما يطلب الكسب لنفسه ـــ كذلك كان يفعل اكثر القواد العظام في كل العصور فيجمع رجاله حول خرقة منصوبة على عصا يسميها الراية ويوهم اتباعه ان الدفاع عنها دفاع عن الوطن او الدين فيستهلكون دون حمايتها حتى يظفروا ـــ وانما يكون الظفر له

وقس على ذلك تعظيم الزعماء بعد موتهم رغبة في الاجتماع حول اسمهم والعمل بوصاياهم . وكثيراً ما يرفعون قدرهم الى مقام القديسين ويروون عنهم اقوالاً لم يقولوها وينسبون اليهم فضائل لم يأتوها . وهم لا يفعلون ذلك الا اذا توسموا من ورائه منفعة لهم . فكم قدس الناس رجالاً يستحقون الاغفال لمنفعة توسموها في تقديسهم وكم اغفلوا رجالاً يستحقون التقديس لم يروا في تقديسهم منفعة

ماذا نستفيد من ذلك

متى عرفنا ان الباعث الاصلي للتكاتف على القيام بامر من الامور انما هو جامعة المنفعة وان سائر الجامعات لا يتخذها القائمون بذلك الامر الا وسيلة للاجتماع لم تعد تغرنا ظواهر الدعوة باسم الدين او اللغة او الوطن لعمل من الاعمال وانما ننظر الى الباعث الحقيقي اليها فاذا وجدنا فيه مصلحة حقيقية لنا او لذوينا توازي المنفعة التي سيحرزها

الداعون الى ذلك العمل وافقناهم

ونستفيد من ذلك ايضاً ان جمع الكلمة على مشروع عام لا يتم لنا الا اذا كان المجتمعين كافة نفع من وراء نجاحه ولا بأس من ان ندعوهم اليه باسم الوطن او الدين او غيرهما من الجامعات الكبرى او الصغرى بعد ان نبين للقائمين به وجه النفع الشخصي لكل منهم افراداً او اجمالاً . فاذا تبين لهم ذلك اجابونا باسم الجامعة التي ندعوهم بها ووافقونا على تقديسها وكتموا ما يتوقعونه من النفع وهو الباعث الحقيقي على الاجتماع

فمن اراد جمع قوم على انشاء جمعية او تأليف شركة او تشكيل حزب او المطالبة بحق او الغضب لظلامة او غير ذلك من المطالب وجب عليه ان ينظر اولا في هل يرجى منه نفع للمشتركين فيه ؟ فاذا تحقق ذلك دعاهم وهو الفائز والا فليضرب بمشروعه عرض الحائط . ولا يغره ما قد يظهر له في بدء الدعوة من الاقبال ولا سيما اذا دعاهم باسم الدين فانه لا يلبث ان يراهم ينفضون من حوله فيعود بالفشل



هجوم الصليبيين على برج دمياط في اثناء الحروب الصليبية

نقلا عن الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث

الحفر والتصوير

عند قدماء المصريين [1]

١ الحفر

صناعة الحفر قديمة بمصر مثل صناعة البناء ولم يكن قصد المصريين التفنن في تصوير الجمال كافعل اليونان والرومان بعدهم وانما كان المراد تمثيل جسم الانسان لتحل به الروح متى بليت جثته . ولذلك نرى فيها الشبه للاصل الطبيعي . فتماثيل الرجال تدل هيآتها على النشاط والقوة . ونرى تماثيل النساء مصنوعة بشكل يدل على الرشاقة والدلال . وصاحب الوجه الصبوح تظهر في ملامحه خفة الروح ورقة المزاج وترى القزم مرسوماً بشكل جمع اقبح الملامح . واعتبر ذلك بما خلفوه على آثارهم من تماثيل الملوك وكبار الرجال واقفة او قاعدة كأنها تقبل التعظيم من اتباعها والتبجيل من اقاربها وترى صور الخدم والحشم يشتغلون بنشاط في العجين او طحن الغلة اورفع الاثقال وترى الاله العظيم جالساً على كرسيه بهيئة الآمر الناهي والملك المحترم ورعاياه واقفون امامه بخشوع وغير ذلك

ويقال بالاجمال ان الحفار المصري كان يمثل الطبيعة بلا تفنن او تعمل يريد حفظ الشبه الاصلي لا الزينة والزخرفة . ومما ساعد على اجادتهم في هذا الفن وحفظ آثارهم الى اليوم جودة الاقليم وجفاف الهواء وصلابة الاحجار والاخشاب فضلاً عن رغبة الحفارين في نيل قصب السبق ليكتسبوا رضى ولاة الامر . فقد كان للملوك والامراء وكبار رجال الدولة رغبة في تنشيط هذا الفن فيرفعون اقدار الصناع ويجيزونهم على الاجادة ويتفنن الشعراء في وصف تلك المباني

وأما آلات الحفر عندهم فقد كانت قليلة تنحصر في بعض الاسافين والفوس

(١) ملخصة من كتاب تاريخ الفنون الجميلة عند قدماء المصريين

الصغيرة المصنوعة من الحجر واقلام النقش نصالها من الحديد ومقابضهـا من الخشب ومدقات من خشب الجميز



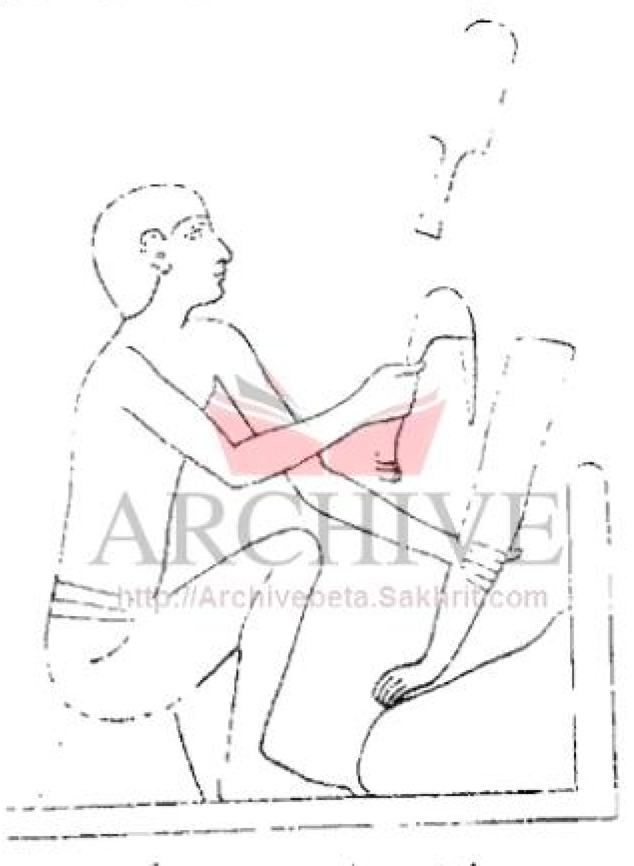
ش١ — حفار مصري يصنع تمثالاً

ولهم في الحفر طريقتان : الاولى ان يعمد الحفار الى صخرة مناسبة لعمل التمثال فينحت حولها خطوطاً متوازية حتى يفرغها من الاعلى الى الاسفل و يصدع زواياها البارزة ليعدها للعمل المطلوب . ثم يشرع في نحت التمثال الذي يريده قطعة واحدة كما ترى في الشكل الاول

والطريقة الثانية ان ينحت الحفار الاجزاء كلاً منها على حدة ثم يركبها بعضها مع بعض فيتكوَّن التمثال الذي يريده — انظر الشكل الثاني

وأقدم ما وصل الينا من تماثيل المصريين القدماء لوح من حجر عثروا عليه في شبه جزيرة سينا نقشه أحد قواد الملك سنفرو وهو يمثل الملك المذكور قابضاً على شعر أحد مشايخ قبائل المونيتو وقد رفع يده الاخرى وفيها مقمعة كانه يهم أن يخمد بها

انفاسه . وتدل ملامح ذلك الشيخ أنه يستغيث ويطلب الامان . ويلي هـذا التمثال تمثالان محفوظان في متحف اللوفر أحدهما تمثال سبا والاخر تمثال زوجته نيسا مصنوعان من الحجر الكلسي . وفي يد سبا عصا وعليه سراويل قصيرة لاتغطي ساقيه . وعلى زوجته رداء طويل مفتوح عند الصدر وحول ذراعيها أساور ملونة باللون الاخضر



ش ٢ — حفار مصري ينحت ذراعاً

ومن أجمل التماثيل المصنوعة في الدولة المصرية الاولى تمثال خشبي يشاهده كل من زار المتحف المصري يسمونه تمثال شيخ البلد وهو من أجمل ماصنعه الحفارون وكانت ساقاه قد فقدتا فجددهما برفيس ويخيل للناظر اليه أنه قادم نحوه يتوكأ على عكاز من السنط . أما جسمه فممتلئ وعنقه غليظ وعليه سمة النشاط والقوة وأما عيناه فملبستان كما هي العادة في كثير من التماثيل المصرية وهما مصنوعتان من قطع الكورنس الابيض المظلم محاطتان بخط لتقليد هيئة العينين وفي وسطهما قطعة من البلور الشفاف تقوم

مقام الحدقة ووراءها قطعة سوداء من الابنوس المصقول تقوم مقام انسان العين . وقد قال العلامة ماسبيرو انه لا يوجد بالمتحف كله تمثال أجمل ولا أكثر اتقاناً في الصناعة منه انظر (الشكل الثالث)



ش ٣ — تمثال شيخ البلد

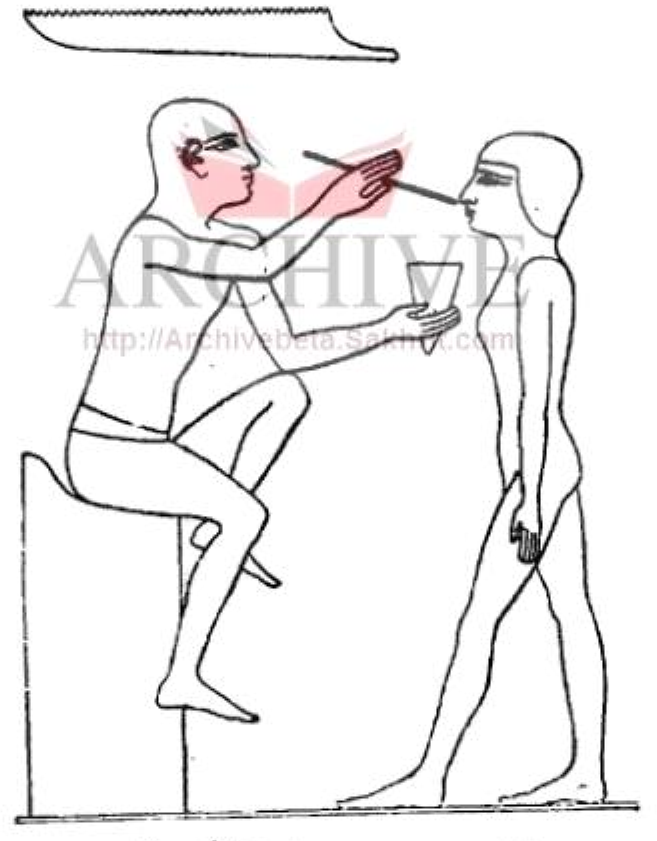
وفي المتحف المصري عشرات من التماثيل المتقنة يرجع بعضها الى العائلة الرابعة والخامسة المصريتين منها تمثال رع نفر وتمثال خفرع وبعضها من زمن الدولة المصرية الوسطى كتمثال امنمحعت الاول وتمثال امرأة اوسرتسن الثاني وغيرهما ولكنها اقل اتقاناً مما في العائلتين المذكورتين . ثم عاد فن الحفر فارتقى في اواخر الدولة الوسطى وفيها صنعت التماثيل المشهورة في ابيدوس والكرنك ومنف وتنيس وسايس وابي سمبل يبلغ ارتفاع بعضها ٥٦ قدماً . وبقايا هذا العصر كثيرة بعضها في المتحف المصري كتمثال رعمسيس الثاني

والبعض الآخر في الصعيد بين انقاض الهياكل والقصور وفي القبور المنحوتة وهي كثيرة

واخذت صناعة الحفر تتقهقر من ذلك العهد الى آخر الدولة الاخيرة . ثم عادوا الى اتقانها في دولة البطالسة والدولة الرومانية . ويقال بالاجمال أن صناعة الحفر بلغت اوج ارتقائها في عهد العائلتين الرابعة والخامسة من الدولة المصرية الاولى وفي العائلة الثامنة عشرة

٢ — التصوير

لم يكن التصوير فناً قائماً بنفسه عند المصريين القدماء بل كان تابعاً للحفر فالمصورون كانوا يشتغلون بتلوين التماثيل بعد تمام صنعها فهو من قبيل التلوين لا التصوير وهم دون سائر الامم الراقية في هذا الفن وغاية ما توصلوا اليه في علم النور والظل ان يلونوا التمثال باللون الاسمر القاتم اذا كان ذكراً وبالزاهي اذا كان انثى



ش ٤ — مصور مصري يلون تمثالاً حجرياً

وفي مدافن بني حسن بطيبة صور منقوشة تمثل المصور المصري وهو يشتغل بتلوين النقوش والتماثيل التي فرغ الحفار من عملها كما ترى في الشكل الرابع

التنويم المغنطيسي

اولاً — تاريخه القديم

١ — في الشرق القديم

التنويم المغنطيسي — ويرادفه التنويم الصناعي والمغنطيسية الحيوانية والهبنوتزم والمزمريزم والنوريهبنولوجي — هو عبارة عن القوة الخفية الكامنة في الحيوان كون النار في الزناد ويمكنه ان يؤثر بواسطتها في حيوان آخر

وقد سمي باسم مزمريزم نسبة لمزمر كما سمي التيار الكهربائي جلفانيزم نسبة لجلفاني . وكان اول من اطلق عليه اسم هبنوتزم الدكتور بريد الانجليزي من اطباء مدينة مانشستر بانجلترا

كان القدماء يجهلون حقيقة هذا الفن ولذلك كانوا ينسبون جميع نتائجه المدهشة الى قدرة الآلهة وينظرون اليها كما ينظرون الى المعجزات والآيات البينات . وفي ذلك قال سلسوس « كان المشعبذون يعالجون الامراض بتمرير الايدي وقرع الاكف »

وكان معروفاً على ما نظن عند المصريين القدماء وقيل انه كان منقوشاً على مقعد تمثال الالهة ايزيس المصرية الحاكمة على جميع قوى الطبيعة العالية هذه العبارة « كنت ولا ازال وسأبقى الى الابد كما انا . لم يرفع حجابي ولن يرفعه احد »

والصور الرمزية التي وجدت على جدران معبدها المتخرب تدل على ظواهر التنويم . والسائح يرى على قبة معبد دندره بمصر بالوجه القبلي صورة الالهة المذكورة قابضة بيدها على ولد تمرُّ بيدها الاخرى على وجهه كأنها تنومه

وكان الهنود يعرفونه ايضاً بدليل انهم يرسمون معبودهم فشنو واقفاً واللهيب يخرج من اطراف اصابعه . وهذا يؤيد ما يقوله بعض الوسطاء (المنوَّمين) وهو انهم يرون اللون الازرق او البنفسجي خارجاً من اطراف المنوِّمين

اما شيوع استعماله عند العبرانيين والاشوريين فلا يحتاج الى برهان والناظر الى التوراة يجد آيات تدل على ان الشفاء بلمس الايدي كان معروفاً وفي العدد ١١ من

الاصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني « فغضب نعمان ومضى وقال هوذا قلت أنه يخرج اليَّ ويقف ويدعو باسم الرب الهه ويردد يده فوق الموضع فيشفى الابرص »

٢ — عند اليونان

ومعلوم ان اغلب علوم اليونانيين مأخوذة من مصر والهند وان الطب عند اليوناني كان ضرباً من الكهانة التي لايعرف اسرارها غير الكهنة . وان اطباءهم حتى اشهر مشاهيرهم كانوا يعالجون الامراض بطرق شبيهة بالسحر . وهذه الطرق لغرابتها يمكننا تطبيقها على اعمال الناس اليدوية الشائعة الآن المعروفة بالتنويم المغنطيسي

ومما يدلنا على ان اليونانيين كانوا يستعملون هذا الفن ما قاله ابقراط في مؤلف له وهو : « ان الامراض الجسمية تراها النفس ولو كانت عيون المريض مغلقة » وقد عرف الاطباء فوائد ذلك الجسم باليد وتقويته للدم . ويعتقد بعض الماهرين من الاطباء ان حرارة الكف وحدها كافية لشفاء كثير من الامراض المعضلة التي تعجز الجواهر الطبيــة عن معالجتها . وقــد لاحظوا ان ذلك العضو المتألم يكفي لازالة اسباب الألم عنه . وظهر بالاختبار ان الشفاء قد يأتي للمريض بمجرد وضع الاصابع مفردة بجانب العضو المتألم كما ينتقل الداء من شخص الى آخر بغير سبب سوى اقتراب السليم من المريض

وقال سترابو الجغرافي الشهير معززاً قول ابقراط : « انه كان فيما مضى بين نيسا وفيراليا مكان مقدس ومكرس للبلوتو وجونو يستقبل فيه الكهنة مرضاهم ليصفوا لهم العلاج الشافي »

وقال الموسيو فواساك : « ان شيطان سقراط الفيلسوف كان يوحي اليه بما سيحدث له ويرشده الى ما يجب عمله وان ذلك كامن من نوع الجولان النومي المعروف بالسومنومبولزم » ولكننا نجهل ذلك عن سقراط ونظن — وهكذا يظن الموسيو ليبوت — ان الرجل كان عصبي المزاج وكانت تحدث له احياناً نوبات عصبية شديدة تفقده الادراك . وكل هذا يبرهن لنا على ان اليونانيين كانوا يعرفون هذا الفن

٣ — عند الرومان

واذا تقدمنا في البحث الى الامام وجدنا هذا الفن كان معروفاً وشائعاً عند الرومانيــين ايضاً ويدلنا على ذلك ما قاله كثيرون من علمائهم المشهورين . فان اسكولابيوس (اسكولاب) كان يوحي الى المرضى معالجة امراضهم وهو في غيبوبة وكان ايضاً ينفخ في الاعضاء المعتلة ويخفف الألم بقرع الكف وينوم المرضى ليشغلهم

عن امراضهم . وقال فارو : « ان الكاهنة المجذوبة كانت تتنبأ لمن يسألها عن مستقبله بكل ما سيحدث

وقد ورد في ترجمة القديس جوستين ان الكاهنات كن يوحين بوقوع حوادث خطيرة قبل وقوعها بزمان طويل وان نبوءاتهن كانت تصدق في اغلب الاحيان

وقال سلسوس : « ان ألسيباديس كان يعالج المصروعين بالتنويم والدلك ونحوهما وانه كان ينجح كثيراً » وهذه البراهين تدلُّ على ان التنويم كان منتشراً في الازمان الغابرة عند الرومانيين انتشاراً عظيماً

٤ — عند العرب وغيرهم

أما العرب فكانوا يعرفونه خير معرفة ولا دليل عندنا على ذلك اقرب من غرائب الكهانة والنفث في العقد . وكان العرب يضعون المنومين والسحرة في صف واحد . والذين اشتهروا منهم قبل الاسلام هم الافعي الكاهن وسواد بن قارب وابن الضيا والاسود العنسي . وفي الاسلام جابر بن حيان الكيماوي الشهير ومسلمة بن احمد المجريطي واحمد بن علي القرشي والبوني وابن العربي وابو معشر الفلكي وابو العباس الغمري والصلاح الصفدي

وكان الغاليون يعرفونه ايضاً ويستعملونه في معابدهم الدرويدية على الخصوص وقد نقله الفرنساويون عن اسلافهم الغاليين . ونظن ما نراه الآن من ظواهر الفن ليس الا بعض ما كان يأتيه جماعة الدرويديين من الامور الغريبة المدهشة في معابدهم . وكانت نساء الغاليين (اي الغاليات) يتعلمن هذا العلم في معابد كهنتهن ويتنبأن بما سيقع في المستقبل . وكثيراً ما كن يصفن الدواء لذي الداء فينال على ايديهن تمام الشفاء

واقر تاسيتوس ولامبريديوس وفوبيسكوس بان نبوات هؤلاء النسوة كانت كلها صحيحة . ولاحظ الموسيو ميال ان كنائس القرون الوسطى خلفت معابد القرون الاولى في اعمالها المدهشة

وقال العلامة فان هلمونت « ان المغنطيسية كائنة في كل مكان وليس فيها جديد غير اسمها وانها لغز يعجز عن حله او فهمه الجهال ومن ينسبون للشياطين كل ما لا تدركه افهامهم الضعيفة »

والعادة المتبعة هي ان الناس ينسبون الى القوات العليا كل ما لا يستطيعون معرفة حقيقته

ثانياً — تاريخه الحديث

١ — المزمريزم نسبة الى انطون مزمر

ولد الدكتور انطون مزمر في ١٥ مايو سنة ١٧٣٤ م بقرية صغيرة على ضفاف نهر الرين يقال لها ستين . ولما شبّ وترعرع تلقى العلوم الطبية بجامعة فينا على الاستاذين الكبيرين فان سويتين وهاين ونال شهادة الطب منها ثم حضر صدفةً الاعمال المدهشة التي كان يجريها الكاهن الجزويتي الآب ههل الفلكي النمساوي في التنويم المغنطيسي وشاهد طرق معالجته للامراض على اختلافها . فمال لهذا الفن كل الميل وشرع في تعلمه والتمرن عليه سنة ١٧٥٠

وكان ههل ينوم الناس بواسطة صفائح ممغنطة من الحديد وقطع صغيرة من الفولاذ فلاحظ مزمر يوماً ان تمرير يديه على الجسم يقوم مقام استعمال المعادن فاستعاض به عنها ونجح نجاحاً لم يكن يتوقعه . ووضع رسالة صغيرة دعاها « تأثير الكواكب في الاجسام البشرية » بين فيها كيف اهتدى الى طريقة التنويم بالايدي وعلاقتها بطريقة التنويم بالمعادن . ثم ترك فينا وسافر الى المانيا وسويسرا وهناك خدمه الحظ فزاره عدد كبير من المرضى يلتمسون الشفاء بطريقته الحديثة المدهشة . وكان اينما حلّ يجد النجاح حليفاً له

ولم يقتصر عمله على شفاء المرضى بل اخذ يشتغل بظواهر هذا الفن الاخرى ولذلك كان الملوك والوزراء وكبار رجال البلاط الملوكي والحكام والنبلاء يحضرون حفلاته التي يقيمها لعرض بضاعته . فكانوا يسرون بعمله الجليل وينفحونه بالمال وباجمل عبارات التشجيع . وفي سنة ١٧٧٨ زار باريس ام العواصم ومهد المعارف . فرحب به اهلها وتسابقت الجمعيات الكبرى الى دعوته لزيارتها وعرض بضاعته على اعضائها فلم يبخل عليهم . و اخيراً تم معه الاتفاق على تأسيس جمعية كبرى يكون هو استاذها فاسست وكان اعضاؤها كثيرين جداً . ووضع مزمر لهذا الفن نظرية نذكرها هنا كما وضعت ونترك الحكم فيها للمطالع وهي :

٢ — نظرية مزمر

اولاً توجد صلة بين الكواكب والارض والطبيعة البشرية

ثانياً سبب هذه الصلة سيال مغنطيسي حاد يخترق جميع الاجسام

ثالثاً لهذا السيال نواميس مخصوصة ولكنها مجهولة

رابعاً الصلة الكائنة بين الكواكب والارض والطبيعة البشرية تشبه المد والجزر

خامساً للسيال تأثير على الاعصاب كتأثير الحجر المغنطيسي

سادساً السيال سريع الانتقال يؤثر على مسافات طويلة جداً وقابل للانعكاس والتضعيف والتمدد

سابعاً توجد اجسام تفسد عمل السيال

ثامناً من خواص هذا السيال شفاء الامراض التي تعجز عن معالجتها الجواهر الطبية

تاسعاً بواسطة هذا السيال يمكن تشخيص الامراض المجهولة

وتتلمذ لمزمر كثيرون من رجال المال واصحاب المراكز السامية في الحكومات منهم المركيز بوسيجور المشهور وكوليت ودي فوموربل وبتيتيان وبرجاس وشانج وفون همبولدت وريتر وتريفيرانوس ووالتر وهوفلاند وايخماير وناسي وتيس اف ايسنباخ وفرانسيس بادر وكيزر وجوسيو العالم النباتي الذائع الصيت

وارسلت الحكومة الفرنساوية وفداً من العلماء والاطباء الى مزمر ليدرسوا هذا الفن ويستطلعوا حقيقته . ومن اعضاء الوفد لافوازيه وفرانكلين . فرفعوا تقريراً وافقوا فيه مزمر . واشتغل جوسيو النباتي الذائع الصيت به وبحث فيه فاعتقد اخيراً صحته ووضع من عنده براهين تثبت ذلك . وشبت نيران الثورة الفرنساوية فقل انتشار المزمريزم في فرنسا

اما الحكومة الالمانية فاهتمت به كثيراً بالفن واقامت له اساتذة بجميع جامعاتها الكبرى ثم اسست داراً كبيرة للعلاج بالمغنطيسية واوفدت في سنة ١٨١٢ مديرها الاستاذ ولفارت الى مزمر نفسه ليستفيد منه المعارف اللازمة واعلنت الجمعية العلمية الكبرى ببرلين بان تضع جائزة قدرها ٣٣٠٠ فرنك تعطى لمن يقدم اليها احسن حل لنظرية المزمريزم . اما حكومات روسيا والنمسا وبافاريا فكانت تأمر اطباءها بمعالجة المرضى بطريقة مزمر وترك سواها

ولما شبت نيران الثورة الفرنساوية انقلب كل شيء في فرنسا حتى قانون الادارة والنظام نفسه فعاد مزمر الى بلاده وقسم وقته هناك الى قسمين يجني في احدهما ثمار فنه ويفلح في الآخر مزارعه الواسعة واراضيه الشاسعة وهناك ايضا زاره اكبر رجال اوربا وفطاحل علمائها وراى قبل ان يذهب الى مسكنه الابدي خلاصة اعماله في هذا الفن مطبوعة في كتب صغيرة اعتنى بنشرها احد اساتذة جامعة ستراسبورج وشاهد

علمه الحديث منتشراً انتشاراً عظيماً في برلين وجينا وبون وهال وطوبنجن وسان بيترسبورج وكوبنهاجن وفينا ولما توفي وضع اطباء بروسيا اثراً كبيراً على قبره اعترافاً بفضله وكانت وفاته سنة ١٨١٥ وعمره ٧٨ سنة

واشتغل الطبيب النمساوي ملفاتي على طريقة مزمر فنجح نجاحاً باهراً وذاع صيته في اوربا كلها ثم المركيز بوسيجور تلميذ مزمر نفسه وجنى ثمار الفن بمزارعه الواسعة ببوزانسي

٣ — السومنومبوليزم

وكان بوسيجور اول اشتغاله بالفن انه حضر درساً من دروس مزمر ولما عاد الى منزله تاقت نفسه لتجربته فزار منزل خوليه واستاذنه لينوم ابنته فاذن له وشرع في تنويمها فنامت واستغرقت في النوم بعد برهة وجيزة من الزمن. ثم نوم بالطريقة نفسها زوجة ناظر الصيد فنجح ايضاً فازداد تعلقاً بالتنويم وصدق نظريته كل التصديق . وما هي الا بضعة اشهر حتى صار من اشهر المنومين . وهو اول مكتشف لظاهرة الجولان النومي المعروفة بالسومنومبوليزم . وطريقة ذلك انه كان ذات يوم ينوم شاباً اسمه فيكتور مصاباً بالسل ليشفيه من دائه العضال وبينما هو يعمل له السحبات المغنطيسية الطويلة استغرق الشاب ونام نوماً اطبقاً متعمقاً وسمعه المركيز يتكلم وهو نائم بفصاحة عجيبة نادرة . ثم سمعه يصف لنفسه العلاج الذي يشفيه من دائه العضال

وتكررت هذه الحالة مع المركيز فوضع مؤلفاً في هذا الموضوع الحديث وشرع في ممارسة الفن بجميع فروعه المعروفة وكان النجاح دائماً حليفه . اما راي هذا المنوم الكبير في المزمريزم فلا يختلف عن راي استاذه مزمر وفي ذلك الحين عملت المرآة السحرية العجيبة وظهرت طريقة نقر المائدة واشياء اخرى تتعلق بالتنويم المغنطيسي

٤ — التنويم المغنطيسي في انكلترا

ولم يمض زمان طويل حتى عبر الفن بحر المانش ووصل انكلترا . وفي سنة ١٨٢٩ نشر المستر ريتشارد شينفكس العضو بالجمعية الملكية بضعة رسائل بديعة في التنويم بجريدة لندن الطبية الفسيولوجية تحت عنوان « المزمريزم المسمى خطأ مغنطيسية الحيوان » وتجاربه التي اجراها على مشهد من رجال العلم والاستقراء استلفت افكار كثيرين من علماء انكلترا وخصوصاً الدكتور اليوتسن

وفي سنة ١٨٣١ زار البارون روبرتيه لندن ومارس الفن فيها ولما شاهد اليوتصن الآنف الذكر نجاحه مارس الفن بنفسه ونشر مقالة بجريدة اللانست الانكليزية المشهورة كان لها دوي في آذان الانكليز وصارت موضوع حديثهم وبحثهم. واخيراً شاع ان هذا الفن بجميع فروعه من قراءة افكار وبعد نظر وكشف مستقبل وعلاج الخ صحيح لا ريب فيه. وفي ذلك الحين كتب الشاعر المشهور صموئيل تيلر كولردج الانكليزي ما يأتي «انا اشك كثيراً في صحة مغنطيسية الحيوان وهي موضوع بحثي منذ تسع سنوات وقد درست تاريخها وجمعت نشرات تختص بها وشاهدت عدة اختبارات قام بها رجال الفن انفسهم. والنتيجة التي اهتديت اليها من ذلك كله ان العقل الخالي من الاغراض لا يشك في كذبها وانما يتظاهر بتصديقها خداعاً واحتيالاً — خالف تعرف»

واشترك في هذا البحث الاطباء اليوتصن واشبورتو وسيلاز وهربرت مايو وغيرهم.

وفي سنة ١٨٤٠ طبع شونسي هيرتونسند رسالته المشهورة. وفي سنة ١٨٣٥ استلفتت اختبارات الدكتور ازديل بكلكتا انظار الحكومة الهندية وعملت مئات من العمليات الجراحية الكبرى بمساعدة التنويم المغنطيسي منها ١٣٦ عملية امام مندوبين من قبل الحكومة الهندية نفسها للاختبار. واخيراً تشكل وفد من تسعة اطباء لتقديم تقرير بما يشاهدونه فكانت خلاصة التقرير ان عشرة اشخاص نوموا واجريت لهم العمليات الجراحية وكانت النتيجة ان ستة منهم لم يشعروا بالم البتة وواحداً كانت تظهر عليه امارات التألم قليلاً والثلاثة الاخرين لم يمكن تنويمهم. فتأسست بناء على تقريرهم دار للعلاج المغنطيسي بكلكتا وفرض على طلاب الطب ان يمضوا بها ستة اشهر لدرس هذا الفن قبل نيلهم الشهادة التي تخولهم مزاولته

وتأسست بعد ذلك دار أخرى كبيرة بلندن بالاكتتاب العام للمعالجة المغنطيسية واخذ الدكتور اليوتصن على عهدته ادارته وهكذا انتشر التنويم في جميع انحاء اوربا

وفي سنة ١٨٣١ بحث المجمع العلمي الطبي بباريس في مسألة المزمريزم فسلم بصحتها. وفي سنة ١٨٤١ زار انكلترا رجل فرنساوي منوم يدعى لافونتين وشرع في القاء دروس علمية على الجمهور واستلفتت دروسه انظار الدكتور بريد الانكليزي بمانشستر وكان قد رماه بالجهل والحمق واتهمه بالنصب والاحتيال ثم قبل النظرية واعتقد صحتها وشرع في ممارسة الفن بنفسه ووضع له نظرية جديدة من عنده سماها الهيبنوتزم ودارت عليه الدائرة فرماه اعضاء الجمعية الملكية الطبية الانكليزية بالجهل والحمق ولكنه تغلب على اوهامهم ووضع سنة ١٨٤٣ كتاباً وافياً في التنويم سماه

« النوريبينولوجي » او « علم تخدير الاعصاب » وتلاه في طبع المؤلفات الفنية الثمينة كثيرون من العلماء والاساتذة ومنهم سبنسر ت . هول (الكاتب الشاعر الطبيب) والكبتن هورسن من مدينة سوانثي وج . اتكنس والمس مارتينو واشتغل به في اسكوتلاندا دارلنج ولويز وستون وجاكسن وانتشر ايضاً في اميركا وغيرها

٥ — التنويم المغنطيسي في الحيوانات

وقد يظن القارئ ان التنويم قاصر على البشر ولكن دلت الاختبارات التي اجراها كبار المنومين المتقدمين وبعض المتاخرين على انه يمكن تنويم الحيوانات والطيور والاسماك . ففي سنة ١٦٣٦ نوم دانيال شونتر ديكة وفراريج واخترع طريقة لتنويم الحيوانات شاع استعمالها في ذلك العصر . وكان الأب كرشر المنوم المشهور ينوم الفراريج بربط ارجلها ووضعها امام خط مرسوم بالطباشير على الارض وهذه الطريقة تذكرنا بطريقة دائرة البارون دوبوتيه السحرية وطريقة نساء النورمانديين التي كن يستعملنها لارغام الفراريج على حضن بيضها بان يضعن رؤوسها تحت اجنحتها ويهززنها بلطف فتنام ولا تستيقظ الا وهي فوق البيض ولا تفارقه حتى يفقس . وكان بيرد من مدينة بوستن يخشب الحيوانات في سنة ١٨٨١ بالتخويف او بالنور الابيض او بالموسيقى او بالسحبات المغنطيسية او بتثبيت النظر . وكان لافونتين ينوم القطط والكلاب واليرابيع والاسود والحيوان المعروف بالضب حتى يفقد الاحساس التام

ويوجد جماعة من الهنود يسمونهم « الفقراء » ينومون الحيات الكبرى باصوات موسيقية مخصوصة مع تثبيت النظر وسحبات مغنطيسية . وقد لوحظ ان نظرة احدى الحيات الكبرى تكفي لصرع رجل كبير . وشاهد العلماء رومانيس وبنات وتومبسن ولافيان ان نظرتها كافية لصرع اليربوع والفار . وشاهد الدكتور ليوبولت مرة عصفوراً وقع على الارض ميتاً حالما وقع نظره على حية كانت تتفرس فيه . وشاهد منتاني مرة قطاً صرع فأراً بمجرد نظره اليه . ورأى بعضهم في مسرح الحيوانات بلندن فأراً أصيب بشلل عند وقوع نظره على افعوان كان ينظر اليه شذراً

وكان زرماك ينوم الطيور في سنة ١٨٧٣ بوضعها امام النار وكان سوليفان ودوري مربيا الخيل المشهوران ينومان الخيل بواسطة السحبات المغنطيسية . وشوهد ان نور السراج يكفي لتخدير اعصاب الفراش فيقع فيه من غير ان يشعر فيحترق

(مصر) شكري صادق

قراءة الافكار

تجربة جديدة لعالمين كبيرين

اديسن وطمسن

قراءة الافكار من الظواهر العقلية التي لم يتفق العلماء على تعليلها . نعني ان يقرأ الرجل فكر رجل آخر وهو لامس جبهته او بمجرد النظر في عينيه بشرط ان يثبت هذا فكره في موضوع معين . فالعلم لا ينكر امكان ذلك وخصوصاً بعد الاكتشافات الحديثة في فيسيولوجية الدماغ وما وقفوا عليه من الاشعة الحيوية التي تنبعث عن الاجسام الحية وعن الدماغ حتى زعموا انهم يقيسون العقل بها ويقدرون ما ينفقه الدماغ من القوة في عمل من الاعمال . وهم يتوقعون من وراء ذلك كشف كثير من اسرار العقل — فهذا وامثاله يسهل علينا التسليم بقراءة الافكار وانها ظاهرة من الظواهر الطبيعية لا يستطيعها الا فئة من الناس فيهم استعداد لذلك

لكننا قرأنا في احدى جرائد اميركا تجارب اجراها اثنان من علمائها احدهما توماس اديسن العالم الكهربائي الشهير . والثاني الدكتور وليم طمسن اعظم علماء فيسيولوجية الدماغ باميركا في رجل الماني اسمه الاستاذ برت ريز جاء نيويورك واشتهر بقراءة الافكار وتحدث الناس باعاجيبه وغرائبه واتصل ذلك باديسن فاجرى معه تجارب ادهشته ثم جربه بها الدكتور طمسن . وهي اغرب ما نتوقعه وابعد من ان تعلل بالنواميس الطبيعية المعروفة . ولولا شهرة هذين العالمين لم نعرها التفاتاً فنكتفي هنا بنقل الحادثة كما روتها تلك الجريدة قالت :

ان القارئ الاستاذ ريز رجل في حدود الكهولة بروسياني الاصل قليل الحركة كبير الجمجمة عريض الجبهة في اخلاقه غرابة . ويزعم انه يقتص عن خاتم توفي في بوزن من اعمال بروسيا منذ مئة سنة . وكان ريز هذا يخطر في شوارع نيويورك بثوب رمادي اللون بسكون وهدوء . فدخل يوماً على اديسن في معمله بلا استئذان — قال اديسن : فما شعرت الا والرجل واقف بين يدي وبادرني قائلاً « قد جئت لاريك امراً غريباً مدهشاً »

فبهت وخفت ان يكون وراء ذلك مايدعو الى الحذر فقلت وما ذاك قال « قرأ

ما يخطر ببالك واجيبك على اي سؤال اشكل عليك »

فدعوت رجلاً من غرفة اخرى فلما جاء اشار اليه ريز ان يكتب ما يريده على ورقة سراً. فكتب بخفة وعجلة بحيث يستحيل ادراك مافعله وطوى الورقة وقبض عليها بيده فوضع ريز يده على جبهة الرجل وقرا ماهو مكتوب في تلك الورقة (قال اديسن) فادهشني عمله لكنني حسبته فعل ذلك بالتواطؤ وعزمت على كشف الحقيقة فقلت له « انا اجرب ذلك بنفسي » قال « افعل »

خلوت به في الغرفة وتحققت استحالة التواطؤ مع احد لان الغرفة غرفتي في معملي وانا اعلم ان مثل هذه الغرائب يجربها بعضهم بواسطة التنويم المغنطيسي فاخذت الاحتياطات اللازمة بحيث لايستطيع الرجل ان يؤثر علي تاثير الهيبنوتزم فيستهويني. ثم سالته اذا كنت استطيع ان اساله عدة اسئلة فاجاب « نعم افعل »

وكنت مشتغلاً يومئذ في اختراع بطارية لخزن الكهربائية وانا في شك من المواد التي استخدمتها في هذا الاختراع وكنت قد عولت في ذلك اليوم على استخدام هيدروكسيد النيكل وانا على ثقة انه يأتي بالغرض المطلوب من تلك البطارية. فلما طلب الي الرجل ان اكتب ما اريده كتبت سرًّا على ورقة في يدي « هل هناك مادة تفيد في اصطناع بطارية لخزن الكهربائية افضل من هيدروكسيد النيكل »

فاجابني والورقة مطوية في يدي « لا، افضل منه » ومضى كانه جاء ليجيبني على هذا السؤال وينطلق. وقد اصاب بجوابه كل الاصابة لاني تاكدت الآن ان هذه المادة افضل المواد لهذا العمل » اهـ

ثم ان اديسن ذكر ما وقع له في هذا الشان بين يدي بعض اصدقائه وكان بينهم الدكتور وليم طمسن رئيس اكاديمية الطب في نيويورك وعضو في عدة جمعيات علمية ومؤلف كتاب « الدماغ والشخصية » وهو في السبعين من عمره وقد حنكه الاختبار وينظر الى اعمال النفس مثل سائر الظواهر الطبيعية الفيسيولوجية. فلما سمع استغراب اديسن مما شاهده من ذلك القارئ اظهر الاستخفاف وقال « انها خديعة خدعك بها بالتواطؤ. لان ماتقوله مستحيل مع مانعلمه من النواميس الطبيعية »

فشق على اديسن ان تنطلي الخديعة عليه واشار على صديقه ان يجرب ذلك بنفسه ففعل فاستقدم الاستاذ ريز وجعل يتفرس فيه ثم دعاه للجلوس فجلس ثم قال طمسن « هأنذا الآن في انتظار ما تريد ان تفعله على سبيل التجربة كما فعل اديسن »

وكان في الغرفة رجل ثالث فطلب ريز اخراجه فوافق ذلك مافي نفس طمسن

وقال « دعنا ندخل غرفة العيادة لانها معدة للخلوة » فدخلا واغلقا الباب فقال ريز وهو يشير الى مكتبة هناك « اكتب اسئلتك او ما تشاء — سؤالين او اربعة او اكثر كما تخطر لك بينما الموسع صديقي خارجاً »

فاخرجه ولما خلا بنفسه امسك قلماً بين الابهام والسبابة واعمل فكرته قليلاً . ثم تناول ورقة قطعها ثلاث قطع وكتب على كل قطعة منها اسم صديق من اصدقائه وزملائه : الدكتور كولنس والاستاذ وبتهاوس والدكتور كب وهم من مشاهير اطباء اميركا مثله . ثم اعمل فكرته ثانية فخطر له ان يكتب ايضاً ثلاث اسئلة لا يمكن ان تخطر لسواه لانها تتعلق بابحاثه الخصوصية . فكتب على ثلاث ورقات اخرى ثلاث اسئلة لا فائدة من ترجمتها لانها اسماء مصطلحات علمية لم تدرج في المعاجم العلمية بعد وخبأ هذه الاوراق في اماكن مختلفة من الغرفة — وضع بعضها في درج المكتبة والبعض الآخر في جيبه ثم نادى « تعال »

فدخل ريز وهو يفرك جبهته بكفه حتى دنا من المكتبة واخذ يفكر وما لبث ان اشار الى الورقة التي في الجيب واجاب على مافيها ولم تمض خمس دقائق حتى كشف سائر الاوراق واصاب في الاجابة عليها كلها . فكتب الدكتور طمسن الى اديسن يقول :

« عزيزي اديسن

« جاءني الاستاذ ريز حسب الوعد في هذا الصباح وطلب الي ان امتحن قدرته على قراءة الافكار ليجيب على ثلاث اسئلة من اي موضوع اريده وليقرا ثلاثة اسماء اكتبها له كل اسم في ورقة على حدة وقد فعلت فرايت من اجوبته وقراءته ما اقنعني لانه قرا واجاب على اشياء لم يسبق له رؤيتها وانا عاجز عن تعليل ذلك »

« طمسن »

يلزم لادارة الهلال

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية - ٢ و٣ و٥ و٦ من السنة ١٨ و١ و٢ و٣ و٦ و٧ و ٩ من السنة ١٧ و ٦ و ٨ و ٩ من السنة ١٦ و ٥ و ٧ من السنة ١٥ و ٣ من السنة ١٤ و ٥ من السنة ١٣ و ١ و ٣ و ١٣ و ١٤ من السنة ١٢ و ١ و ٢ و ٥ و ٦ و ٩ من السنة ١١ و ١ و ٢ و ٩ و ١٢ من السنة ١٠ و ١ من السنة ٢ و ١٢ من السنة ٥ و ٤ و ٢٠ من السنة ٦ و ٧ من السنة ٧ و ١٦ و ١٩ و ٢٠ من السنة ٨ و ١ من السنة ٢

نحن وانتم

مثال من الشعر المنثور

اطلعنا في مرآة الغرب التي تصدر في نيويورك على مقالة شعرية أو هي قصيدة منثورة لجبران خليل جبران النابغة في الخيال الشعري الفلسفي يندر مثلها بين اشعارنا المنثورة – وهي قليلة عندنا . لان اكثر شعرائنا يقيدون شعرهم بالوزن والقافية فاحببنا نشرها ليتبين للقراء ان الشاعرية تظهر في النثر كما تظهر في النظم قال :

نحن وانتم — ارفعها الى M. E. H

نحن ابناء الكآبة وانتم ابناء المسرات

نحن ابناء الكآبة والكآبة ظل اله يسكن في جوار القلوب الشريرة . نحن ذوو النفوس الحزينة والحزن كبير لا تسعه النفوس الصغيرة . نحن نبكي وننتحب ايها الضاحكون ومن يغتسل بدموعه مرة يظل نقياً الى نهاية الدهور

انتم لا تعرفوننا اما نحن فنعرفكم . انتم سائرون بسرعة مع تيار الحياة فلا تلتفتون نحونا اما نحن فجالسون على الشاطئ نراكم ونسمعكم . انتم لا تعون صراخنا لان ضجيج الايام يملأ آذانكم أما نحن فنسمع اغانيكم لان همس الليالي قد فتح مسامعنا . نحن نراكم لانكم واقفون في النور المظلم أما انتم فلا تروننا لاننا جالسون في الظلمة المنيرة

نحن ابناء الكآبة . نحن الانبياء والشعراء والموسيقيون . نحن نحوك من خيوط قلوبنا ملابس الآلهة ونملأ بحبات صدورنا حفنات الملائكة . وانتم — انتم ابناء غفلات المسرات ويقظات الملاهي — انتم تضعون قلوبكم بين ايدي الخلو لان اصابع الخلو لينة الملامس وترتاحون بقرب الجهالة لان بيت الجهالة خال من مرآة ترون فيها وجوهكم

نحن نتنهد ومع تنهداتنا يتصاعد همس الازهار وحفيف الغصون وخرير السواقي أما انتم فتضحكون وقهقهة ضحككم تمتزج بسحيق الجماجم وحرقفة القيود وعويل الهاوية نحن نبكي ودموعنا تنسكب في قلب الحياة مثلما يتساقط الندى من اجفان الليل

في كبد الصباح . أما انتم فتبتسمون ومن جوانب افواهكم المبتسمة تنهرق السخرية كما يسيل سم الافعى على جرح الملسوع

نحن نبكي لاننا نرى تعاسة الارملة وشقاء اليتيم وانتم تضحكون لانكم لاترون غيرلمعان الذهب . نحن نبكي لاننا نسمع أنة الفقير وصراخ المظلوم وانتم تضحكون لانكم لاتسمعون سوى رنة الاقداح . نحن نبكي لان ارواحنا منفصلة بالاجساد عن الله وانتم تضحكون لان اجسادكم تلتصق مرتاحة بالتراب

***

نحن ابناء الكآبة وانتم ابناء المسرات فهلموا نضع ماتي كآبتنا واعمال مسراتكم أمام وجه الشمس

انتم بنيتم الاهرام من جماجم العبيد . والاهرام جالسة الآن على الرمال تحدث الاجيال عن خلودنا وفنائكم . ونحن هدمنا الباستيل بسواعد الاحرار والباستيل لفظة ترددها الامم فتباركنا وتلعنكم . انتم رفعتم حدائق بابل فوق هياكل الضعفاء واقمتم قصور نينوى فوق مدافن البؤساء وها قد اصبحت بابل ونينوى نظير آثار اخفاف الابل على رمال الصحراء . اما نحن فقد نحتنا تمثال عشتروث من الرخام فجعلنا الرخام يرتعش جامداً ويتكلم صامتاً وضربنا النهاوند على الاوتار فاستحضرت الاوتار ارواح المحبين الحائمة في الفضاء ورسمنا مريم بالخطوط والالوان فغدت الخطوط كافكار الآلهة والالوان كعواطف الملائكة

انتم تتبعون الملاهي واظافر الملاهي مزقت الف الف من الشهداء في مراسح رومة وانطاكية . ونحن نلاحق السكينة واصابع السكينة نسجت الالياذة وسفر ايوب والتائية الكبرى . انتم تضاجعون الشهوات وعواصف الشهوات جرفت الف موكب من ارواح النساء الى هاوية العار والفجور ونحن نعانق الوحدة وفي ظلال الوحدة تجسمت المعلقات ورواية هملت وقصيدة دانتي . انتم تسامرون المطامع واسياف المطامع اجرت الف نهر من الدماء . ونحن نرافق الخيال وايدي الخيال انزلت المعرفة من دائرة النور الاعلى

***

نحن ابناء الكآبة وانتم اولاد المسرات وبين كآبتنا وسروركم عقبات وعرة المسالك ضيقة المعابر لاتجتازها خيولكم المطهمة ولا تسير عليها مركباتكم الجميلة

نحن نشفق على صغارتكم وانتم تكرهون عظمتنا وبين شفقتنا وكرهكم يقف الزمان محتاراً بنا وبكم

نحن ندنو منكم كالاصدقاء وانتم تهجوننا كالاعداء وبين الصداقة والعداوة هوة عميقة مملوءة بالدموع والدماء

نحن نبني لكم القصور وانتم تحفرون لنا القبور وبين جمال القصر وظلمة القبر تسير الانسانية بقدم من حديد

نحن نفرش سبلكم بالورد وانتم تغمرون مضاجعنا بالاشواك وبين اوراق الورد واشواكه تنام الحقيقة نوماً عميقاً ابدياً

منذ البدء وانتم تصارعون قوانا اللينة بضعفكم الخشن . تغالبوننا ساعة فتضجرون فرحين كالضفادع وتغلبكم دهراً فنظل صامتين كالجبابرة . قد صلبتم الناصري ووقفتم حوله تسخرون وتجدفون عليه ولكن لما انقضت تلك الساعة نزل من عن صليبه وسار كالجبار يتغلب على الاجيال بالروح والحق ويملأ الارض بمجده وجماله

قد سممتم سقراط ورجمتم بولس وقتلتم غليلو وفتكتم بعلي بن ابي طالب وخنقتم مدحت باشا وهؤلاء يحيون الآن كالابطال الظافرين امام وجه الابدية . اما انتم فتعيشون في ذاكرة الانسانية كجثث فوق التراب لا تجد من يدفنها في ظلمة النسيان والعدم

نحن ابناء الكآبة والكآبة غيوم عطر العالم خيراً ومعرفة وانتم اولاد المسرات ومهما تعالت مسراتكم فهي كاعمدة الدخان تهدمها الرياح وتبددها العناصر

جبران خليل جبران

السعي في طلب الرزق

قال الشاعر :

اذا المرء لم يبغ المعاش لنفسه	شكى الفقر او لام الصديق فاكثرا
وصار على الادنين كلاً واوشكت	صلاتُ ذوي القربى له ان تنكرا

وقال آخر

وهمن يكُ مثلي ذاعيالٍ ومقتراً	من المال يطرح نفسه كل مطرحِ
ليبلغَ عذراً او ينالَ غنيمةً	ومبلغُ نفسٍ عذرها مثلُ منجح

باب السؤال والاقتراح

الاوقاف المصرية

﴿ طنطا ﴾ اسعد افندي حسن

ماهو اصل الاوقاف العمومية التي انشأت لها الحكومة ديواناً خاصاً وما هي فائدتها وتاريخها

﴿ الهلال ﴾ الوقف حبس المال على ملك والتصدق بمنفعته والاوقاف قديمة في الاسلام . فكان الامراء وغيرهم من رجال الثروة اذا كثرت اموالهم وقفوا جانباً منها على البر للتصدق به على الفقراء او بنوا المساجد للصلاة او المارستانات لمعالجة ذوي الاسقام او المدارس للتعليم وغير ذلك من اوجه البر التماساً للثواب . على ان بعضهم كان يفعل ذلك خوفاً من ذهاب ماله بعد موته بالمصادرة فيحرم اهله منه ولاسيما الامراء الذين كانوا ينشأون في بلاط السلطان في عهد السلاجقة ومماليكهم وكانوا يعدون من صنائعه او مواليه فيكون له عليهم حق الولاء او الرق . فاذا توفي احدهم عن مال او ضياع واراد السلطان قبضها فعل وحرم ابناءه منها . فكان الرجل منهم اذا بلغ الامارة وكثر ماله خاف عادية السلطان على من يخلفه من ذريته فيبني المدارس او الزوايا او الربط ويقف عليها الاوقاف المغلة من ضياعه او ابنيته ويجعل في شروط الاوقاف ان يتولاها بعض ولده وله نصيب منها والاوقاف ثابتة فيأمن بذلك على اولاده الفقر

وقد توالى على مصر كثيرون من الامراء والسلاطين في عصر المماليك خلفوا اوقافاً كثيرة عرفت بالاوقاف الخيرية على كل منها نظار يديرونها ولم يكن لها نظام عام يضبط ادارتها فكان اول من فكر في ضبطها المغفور له محمد علي باشا بامر اصدره سنة ١٢٥١ هـ بانشاء ديوان الاوقاف لمحاسبة نظار الاوقاف على ايراداتها ومراقبة اعمالهم

ولم يطل العمل به الا ثلاث سنوات ثم الغي واعيد ثانية سنة ١٢٦٧هـ في زمن عباس الاول ولا يزال

وما زالت دائرة الديوان تتسع بما اضيف اليه من الاوقاف التي كانت خصوصية وانقطع شرط النظر فيها وآلت للخيرات . وتعددت واجبات الديوان حتى صدر الامر العالي بتعيين اختصاصاته سنة ١٨٩٥م وله فوق ذلك اختصاص ديني نعني انه يقيم شعائر المساجد في القطر المصري وينفذ شروط الواقفين في ما خصصوه لنشر التعليم بالمدارس والكتاتيب والمعاهد العلمية والدينية ويدبر على نفقته من الاموال الخيرية ملاجيء انشئت للعجزة والبائسين ومستشفيات وعيادات طبية للفقراء مجاناً ويمد بالمرتبات السنوية جملة جمعيات خيرية ومدارس صناعية ويتولى بالصدقات الشهرية مواساة كثير من العائلات وذوي البيوت التي ادبر عنها الدهر ويتصدق في الاعياد وبعض المواسم على كثير من الفقراء والمساكين الى غير ذلك

وبلغ دخل الاوقاف للسنة الماضية ٥٠٠٠٠٠ جنيه تنفق على ما تحت ادارتها من المساجد والمدارس والمستشفيات وغيرها

وبلغ عدد المساجد التي يديرها ديوان الاوقاف ١٤٠٠ مسجد منها ٤٠٠ في مدينة القاهرة وضواحيها عدد مستخدميها جميعاً ٧٢٨١ عاملاً منهم ١٢١٦ اماماً و٧٠ مدرساً و٣٧ شيخاً و ١١٨٦ مؤذناً او ميقاتياً و١٥١٢ قارئاً للقرآن و٢٢٣٥ خادماً والباقي وظائف متنوعة . ويدخل في ادارته المدارس الدينية في القاهرة وغيرها ونفقاتها ٤٩٧٢٠ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

المعاهد	المقرر للمعهد بالديوان	العلماء	الطلبة
	جنيه مصري	عدد	عدد
١ — الجامع الازهر	٢٨٩٠٠	٥٩٧	٩٠٠٠
٢ — مشيخة علماء الاسكندرية	١٢٨٠٠	٧٥	١٣٦٠
٣ — « الجامع الاحمدي	٥٧٥٠	١٠٧	١٨٠٨
٤ — « الجامع الدسوقي	١٢٧٠	١٨	٢٦٤
٥ — « علماء دمياط	١٠٠٠	٣٦	٢٥٠
المجموع	٤٩٧٢٠	٨٣٣	١٢٦٨٢

ويلحق ذلك ١٥١ مكتباً نفقاتها ٢٤٦٧٧ جنيهاً . وتسعة مستشفيات او عيادات نفقاتها ١١٦٢٢ جنيهاً تعالج نحو ٢٠٠٠٠٠ مريض . وست تكايا او ملاجيء نفقاتها

٢١٩٠٠ جنيه وتنفق نحو ١٧٠٠٠ جنيه في غير ذلك من اسباب البر لمساعدة المعاهد العلمية والجمعيات الخيرية منها ٥٠٠٠ جنيه للجامعة المصرية و١٠٠٠ لمدارس الجمعية الاسلامية ومثلها أو اقل منها لمعاهد اخرى

هل يتغير نظام الاجتماع

﴿ بيروت . المدرسة الكلية ﴾ نجيب افندي فرح في القسم الطبي

قلتم في الهلال الثالث من هذه السنة ردًّا على سؤالنا « ان تأثير الاقليم والتربية على الانسان محدود ولا يصح ان يقاس بناموس النشوء العام الذي تفرعت به انواع الحيوان وارتقى به الانسان »

ان تأثير الاقليم والتربية على الانسان ثابت كما ذكرتم ولكننا لا نرى لماذا اعتبرتموهما امراً قائماً بنفسه وليس له علاقة بناموس النشوء كأنه لم يكن من العوامل التي اوجبت تفرع الحيوانات وناموس النشوء مجموع عوامل من جملتها الاقليم تفرعت بها الانواع . وقد ذكر العلماء اهمية الاقليم وما كان من تأثيره بتوالي الاجيال في تحول الانواع بعضها الى بعض فلا تعدون تفصله عن ناموس النشوء لانه من العوامل التي يقوم بها . ولا نرى كيف ان هذا التأثير محدود . واذا صح ذلك فناموس النشوء محدود ايضاً

ان تأثير التربية كذلك هو عامل من عوامله . وان اقدم وقائع الانسان كما ذكر العلماء دلت على انه كان يطبع الحيوانات ويستطيع استخدامها في تخفيف متاعبه . وبمرور الاحقاب والاجيال تولدت انواع متباينة منها الكلاب التي هي في الاصل ذئاب فتطبعت . نعم « ان التباينات فيها قد زادت وانها لم تفقد شيئاً من غرائز الكلاب » ولكنها فقدت شيئاً من غرائز الذئاب . وذلك بوسائط اخصها التربية (بمعناها المنحصر)

ان تأثير التربية منذ الابتداء على الانسان ثابت وبواسطته فقد الانسان كثيراً من طباعه الوحشية . ونعتقد ان حلقات التربية آخذة في الاتساع وكلما اتسعت زاد تأثيرها وتقدم الانسان نحو الكمال . وكان يخطو نحوه ويحول دون وصوله اليه بواعث شتى ولكننا نرى تلك البواعث تخف رويداً رويداً باتساع حلقات التربية فربما يتصل اليه يوماً ما . ولا نرى دليلاً كافياً على انه لن يبلغه

ذكرتم «ان الامم اعماراً كالافراد . فكما ان الانسان يأخذ في الدرس والبحث منذ نعومة اظفاره ولا يزال يزداد علماً واختباراً حتى يصير شيخاً فيدهمه الموت ويذهب ثمار ذلك الدرس الا قليلاً وكذلك الامة فانها تنشأ في البادية وتتجه نحو الحضارة ولاتزال ترتقي وتتسع حضارتها بالعلم والفلسفة حتى يدركها الهرم وتضمحل فيأتي في مكانها امة اخرى تمشي على خطتها » وعددتم ذلك من العوائق التي تحول دون ما نتمناه من الكمال لانه يجعل تأثير التربية محدوداً

نعم ان ذلك كان شأن الامم في الاعصر الماضية . وهذا بديهي لانها لم تكن خبيرة بالاسباب التي تؤدي الى اضمحلال الامم وانقراضها فلم يمكنها ضبط تلك الاسباب والتغلب عليها لان وسائط ردعها كانت عاجزة وناقصة . فانقرضت الامم القديمة من بلاد الشرق وخلفها اليونان والرومان . ولكن تلك الوسائط تكتسب يوماً بعد يوم نشاطاً وقوة ولانرى لماذا لانتوصل بمرور الاحقاب الى ذلك اليوم حيث يمكننا التغلب على جميع الامور التي تؤول الى انحطاطنا وانقراضنا . ان موت الفرد متحتم اما موت الامم فليس كذلك لان انقراضها ليس من الامور التي ينبغي وقوعها لاسباب ذكرناها

وذكرتم ايضاً « ان نظام الاجتماع لا يزال كما كان منذ آلاف من السنين » نعم انه لم يزل كما كان ولكنه بالاقل تكيف بالتربية وان الحاكم اليوم ليس كما كان في الاعصر الماضية وكذلك المحكوم والغني والفقير والقوي والضعيف والعالم والعامي حتى نظام العائلة فسلطة الاب اليوم ليست كما كانت قبلا وان عصر الامة الانكليزية اليوم ليس كما كان عليه ايام البريطانيين القدماء . وقس على ذلك سائر الامم

فما هو الدليل على انه لن يتكيف بتوالي الاجيال ليبلغ الكمال ؟ ان الانواع ثابتة بدليل بقائها كذلك منذ آلاف من السنين ولكن هذا لايمنع تقلب الاخلاق وانتقالها الى ما هو اعلى واجل . ولا نجد مانعاً من وصول الانسان اليه

﴿ الهلال ﴾ رأى العلماء تشابهاً بين انواع الحيوان واكتشفوا حلقات تربط بعضها ببعض فذهبوا الى تولد تلك الانواع بالنشوء اي بالتفرع والتشعب . واضطروا لتعليل ذلك ان يذكروا العوامل التي ساعدت على ذلك النشوء فكان اهمها الاقليم أي الطوارئ التي طرأت على الاحوال المحيطة بالحيوان فغيرتها وتغير هو معها بالقوة التي فطر عليها لتطبيق نفسه على الاحوال المحيطة به . أما التربية فتأثيرها محدود ولم يكن لها شأن في عهد النشوء لانها من عوامل الحضارة . وعلى فرض وجودها أو وجود ما يقوم مقامها كتوليد الحيوانات الداجنة . فالظاهر من النواميس المعروفة

من اول عهد التاريخ ان الاسباب التي عللوا بها تفرع الانواع او تحولها لا تكفي وحدها لحصول ذلك التفرع ولا بد من مؤثرات أخرى رافقتها وقد ذهبت الآن

يقولون مثلاً ان الزرافة طال عنقها لأنها تتناول طعامها من اعالي الاشجار لخلو الارض من الاعشاب لسبب من الاسباب ويعدون ذلك من تأثير الاقليم . وهو تعليل يقبله العقل لاول وهلة لكننا لا نقدر نأتي بدليل او شبه دليل على وقوع شيء مثله في عهد التاريخ ولا وجدنا في الاحافير زرافة قصيرة العنق

يسهل علينا القول ان الذئب تحول الى كلب بالتربية ولكن هل استطاع البشر منذ آلاف من السنين ان يحولوا ذئباً الى كلب ؟ انهم لا يستطيعون ذلك ولا غيره من مثاله وانما يغيرون الظواهر ولا يمسون الغرائز . ولذلك فلا غرابة اذا كان ناموس النشوء محدوداً طالما كانت النواميس الطبيعية كما هي الآن . وهل ادلّ على ذلك من بقاء الانواع آلافاً من السنين لم يحدث فيها تغيير ؟

اما الانسان فانه ابعد سائر الانواع عن التغيير في جوهره فهو على حال واحدة منذ آلاف كثيرة من السنين . واذا راينا فيه تغيراً بانتقاله من البداوة الى الحضارة او نحو ذلك فانه تغيير ظاهري كالصقل المعدن لم يغير شيئاً من جوهره كما قدمنا في مقالنا الماضي . وما المدنية الحاضرة الا احدى المدنيات تمتاز عن سوابقها بترقية العلم الطبيعي . أما من حيث الادبيات والعقليات فن المدنيات القديمة ما كان ارقى منها . واعظم ما تفاخر به القرون الماضية الحكومات الدستورية او الجمهوريات . ولكن العلماء مختلفون في اي السلطات انفع للناس — سلطة الفرد أم سلطة الامة

ومن جملة غرورنا في تمدننا اننا نحسبه اطول عمراً من سائر ضروب التمدن الماضية وان الامم لم تعد تموت كالافراد . والمتأمل يرى عكس ذلك فان لهذا التمدن شوائب تعجل الانقراض اهمها استبقاء الضعيف فيضعف به النسل وتضعف الامة . غير ما اقتضاه هذا التمدن من الازدحام في المدن وانهاك القوى في الملذات او المطامع فضلاً عن الامراض العضالة المتفشية في العائلات فيتسرب بها الضعف الى الامة

اما في الاعصر الماضية فالضعيف كان يموت لقلة العناية به ويبقى القوي فتكون الامة باجمالها اصح بنية واصبر على الطوارئ . والخلاصة ان النواميس الطبيعية المعروفة الآن لا يرجى معها بلوغ الانسان الكمال المطلوب لانه ان تغيرت ظواهره بالمدنية الحديثة فاخلاقه باقية — الا اذا حدث تغيير يبعث على انقلاب طبيعي كما حدث في أثناء مدة النشوء على ما يظن والله اعلم

الهلال

الجزء السادس من السنة التاسعة عشرة

اول مارس (آذار) سنة ١٩١١ و٣٠ صفر سنة ١٣٢٩

اليمن

جغرافيتها وتاريخها وعمرانها وسائر احوالها

جردت الدولة العلية على اليمن لاخماد الثورة المنشبة هناك فكثر تحدث الناس عن تلك البلاد واحوالها فرأينا ان نأتي على خلاصة جغرافيتها وتاريخها ووصف احوالها على أجاري عادتنا في مثل هذه الحال

اولا — جغرافيتها

حدود بلاد العرب واقسامها

اختلفت حدود بلاد العرب باختلاف الاعصر وان كان المراد بها في الاصل جزيرة العرب فقط وحدودها الطبيعية اربعة : شرقي شمالي يبدأ في الجنوب بخليج فارس من شواطىء عمان فالبحرين الى مصب الفرات ودجلة ثم على طول الفرات الى اعالي سوريا . وغربي شمالي يمتد من الفرات شرقي سوريا وفلسطين الى خليج العقبة . وشرقي جنوبي على طول البحر الاحمر الى باب المندب . وجنوبي غربي هو بحر العرب على شواطئ اليمن وحضرموت والشحر الى شواطىء عمان

وادخل فيها بعض القدماء برية سينا وفلسطين وسوريا واضاف آخرون صحراء مصر الشرقية مما يلي البحر الاحمر . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من كتابنا « العرب قبل الاسلام »

واقسامها اختلفت ايضاً باختلاف ما تقدم فكان القدماء يقسمونها باعتبار طبائع اقاليمها الى البادية في الشمال والحاضرة في الجنوب . والبادية تشمل القسم الشمالي من تلك الجزيرة بين مشارف الشام وحدود نجد والحجاز . والقسم الجنوبي يشمل سائر جزيرة العرب وفيها الحجاز ونجد واليمن وغيرها . ثم اضاف اليونان الى هذين القسمين قسماً ثالثاً سموه العربية الحجرية Arabia Petra نسبة الى بطرا في وادي موسى جنوبي فلسطين . فاصبحت بلاد العرب عند بطليموس القلوذي ثلاثة اقسام : البادية Arabia Deserta والحجرية Arabia Petra والسعيدة Arabia Felix ومما ذكره بطليموس من مدنها في ذلك العهد تيماء وحويلة ودوماته (دومة الجندل) واورانا (حوران) وغيرها في البادية . وبطرا وبصري وجرش وعمان واذرع وليزا وغيرها في العربية الحجرية . وسبا ومأرب وظفار وحضرموت وعمان والحجر وغيرها في العربية السعيدة . غير ما ذكره من اسماء القبائل والامم ومنها ما لم يعرفه العرب — وظل تقسيم بطليموس مرعياً في اوربا الى عهد غير بعيد

اما العرب فيقسمونها الى اقسام طبيعية باعتبار المواضع واقاليمها . واساس تقسيمها عندهم جبل السراة وهو اعظم جبال جزيرة العرب عبارة عن سلسلة جبال تبدأ في اليمن وتمتد شمالاً الى اطراف بادية الشام فتقسم جزيرة العرب الى شطرين غربي وشرقي : فالغربي وهو اصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطىء البحر الاحمر وقد صار هابطاً او غائراً فسموه الغور او تهامة . والقسم الشرقي اكبرهما يمتد شرقاً وهو على ارتفاعه مسافة طويلة الى اطراف العراق والسماوة فسموه نجداً لذلك السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد « الحجاز » وهو سلسلة جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ماتنتهي به نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض . وسموا القسم الجنوبي وراء الحجاز ونجد بلاد اليمن وحضرموت والشحر

فجزيرة العرب تقسم بهذا الاعتبار الى خمسة اقسام كبرى الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن وكل منها يقسم الى اقسام اختلفت اسماؤها وحدودها باختلاف الاعصر والدول مما لا نتعرض له الآن لان المراد الكلام عن اليمن . وانما نذكر اقسامها

الجغرافية على الاجمال فهي في الشمال البادية وفي الغرب الحجاز وعسير. وفي الشرق الحساء والبحرين وعمان وفي الجنوب اليمن وحضرموت ومهرة وفي الوسط شمر ونجد وتهامة والاحقاف . ولا شأن لنا في شيء من ذلك غير اليمن موضوع كلامنا هنا

اليمن واقسامها

اليمن واقعة في الجنوب الغربي من جزيرة العرب يحدها من الشمال بلاد عسير ومن الجنوب خليج عدن ومن الغرب البحر الاحمر ومن الشرق بادية الاحقاف وحضرموت . واختلفوا في تقدير مساحتها بين ٧٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠٠ ميل مربع . وتقسم باعتبار مواقعها الطبيعية الى قسمين كبيرين الجبال في الوسط والسهول تحدق بها من الغرب والجنوب يسمون تلك السهول في اصطلاحهم تهامة . وهي تهامتان (١) تهامة الغربية مما يلي البحر الاحمر تمتد من حدود عسير في الشمال الى اقصى الجنوب ولا يزيد عرضها على ٣٠ ميلاً (٢) تهامة الجنوبية من حدود الجبال الى خليج عدن

اما الجبال فيتألف منها قلب بلاد اليمن وبينها جبال وعرة يعلو بعضها نحو ١٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر تتخللها اودية تجري فيها السيول المجتمعة من ماء المطر تخترق تهامة الى البحر . وعدد سكان اليمن اختلف الرواة في تقديره من مليون الى بضعة ملايين نفس لان اكثرها مجهول ولم يدخلها السياح الاخلسة تحت خطر القتل ولا عنيت الحكومة في احصائها

اما اقسامها السياسية فهي بضعة وعشرون قسماً . وكان اهل اليمن القدماء يقسمونها الى مخاليف جمع مخلاف ذكر الهمداني منها بضعة وعشرين مخلافاً . ثم قسمت بعد دخولها في سيادة الدولة العثمانية الى اقسام اختلفوا في حدودها ومقاديرها ولكنها في الاكثر ١٥ قسماً او متصرفية او قضاء هذه اسماؤها :

١ تهامة	٦ بلاد القبائل (حاشد وبكيل)	١١ خولان الشرقية
٢ صنعاء	٧ ابو عريش	١٢ بلاد الجحاف او حمير بهـ مأرب
٣ لحج	٨ خولان	١٣ يافع
٤ عدن	٩ سحان وفيها صعدة	١٤ نجم
٥ كوكبان	١٠ نجران	١٥ مابين ابي عريش والحجاز

فتهامة تقدم ذكرها وهي سهول رملية تجول فيها قبائل البادية بجمالهم وماشيتهم ينتجعون المراعي . والزراعة قليلة فيها الا في بعض الواحات تزرع الحبوب . وفيها من البلاد الحديدة وزبيد وبيت الفقيه ومخا وغيرها

ومتصرفية صنعاء سميت بذلك نسبة الى صنعاء المدينة وسنعود الى وصفها على حدة لانها العاصمة . واليها ترجع اكثر بلاد اليمن الجبلية ومن مدنها ذمار ويريم والروضة واب وجبلة وتعز وحيس

ولحج اقرب الاقسام الى عدن من جهة البحر في الجنوب الشرقي . وهي في حكومة قبيلة العبادلة يتولاها منهم سلطان يعرف بسلطان لحج . ويدخل في سيطرته قبائل صبيحة والعكارية والفضيلة والحواشبة ومن البلاد الواقعة فيها الحوطة مقر سلطانها

وكوكبان مع بلاد القبائل (حاشد وبكيل) وابو عريش متجاورة في شمال صنعاء وشرقيها وفيها تقيم القبائل — منها بنو هلال اقربها الى الشاطىء ووراءه نحو الشمال والشرق سائر البلاد الى صنعاء . وينتهي ابو عريش بحدود عسير الجنوبية

وخولان واقعة في الطريق المؤدي من صنعاء الى مكة . وفي شرقيها صحان وفيها مدينة صعدة وهي من المدن الهامة في تاريخ اليمن ومن اخصب بقاعه تكثر فيها الفاكهة والعسل والماشية . وفي خولان اودية تجري فيها المياه وهي مرتفعة تصلح للسكن لجودة هوائها

ويلي ذلك نجران وهي قديمة ولها ذكر كثير في التاريخ وهي كثيرة الخصب مثل خولان واشتهرت بماشيتها وافراسها . وفي شمالي وادي نجران قطعة تسمى قحطان عند حدود اليمن . وخولان الشرقية واقعة في الشمال الشرقي من صنعاء وكان فيها قديماً كثيرون من اليهود واصبحت الآن خالية وهي مؤلفة من عدة اقسام

وبلاد الاحقاف واقعة في اقصى الشرق من حدود اليمن الى عمان وهي صحراء مجهولة وبعضهم لا يعدها من بلاد اليمن وفيها كانت مدينة مأرب التي حدث فيها سيل العرم كما سيجيء . واخيراً يافع بين اليمن وحضرموت في الجنوب والشرق من لحج ولها تاريخ خاص وفيها ثلاثة بلاد وهي : يافع وبلاد الاسفل والغراء وتسكنها قبائل العلاقي

واليمن واقعة بين درجة ١٢ و١٦ من العرض الشمالي فهي لذلك من المنطقة الحارة ولكن اقليمها يختلف باختلاف ارتفاعها فهو في الجبال معتدل نشيط . والفرق بين طقس جبال اليمن وتهامة كبير جداً وليس في اليمن ولا في سائر بلاد العرب نهر بالمعنى المراد بالنهر وانما يستقي اهلها من السيول في الاودية ويجري الماء في بعضها معظم السنة من الامطار وكثيرمنها يضيع ماؤه في الرمال . واشهر حاصلات اليمن البن والسنامكة والبلسم والمن فضلاً عن الحنطة والذرة وغيرها . ونظراً لتوقف جري الانهر على ماء المطر فقط كانت الزراعة فيها محدودة وفي حديث سيل العرم شاهد على ذلك

ثانياً — تاريخ اليمن

لليمن تاريخ طويل اكثره قبل الاسلام فيها حكم التبابعة والاذواء وفيها كان سد مأرب الذي انفجر وطاف ماؤه حتى اغرق مأرب وما جاورها واشتهر بسيل العرم وقد فصلنا تاريخ اليمن في كتابنا «العرب قبل الاسلام» فنكتفي بقدر ذلك منه

تاريخها القديم

كانت اليمن في اقدم ازمانها واصل نظامها تقسم الى محافد (جمع محفد) والمحفد الى قصور والقصر كالحصن او القلعة يحيط به سور ويقيم فيه شيخ او امير او وجيه يحف به الاعوان والحاشية والخدم كما كانت حكومات بابل قديماً . وهو يشبه نظام الاقطاع في الاجيال الوسطى باوربا . ويعرف صاحب المحفد او القصر بلفظ «ذو» اي صاحب يضاف الى اسم المحفد فيقال «ذو غمدان» اي صاحب غمدان و «ذو معين» اي صاحب معين . وتعرف هذه الطبقة من الحكام بالاذواء او الذوين وهم كالبارونية او اللوردات في نظام الاقطاع . وكانت هذه المحافد عديدة لكل منها حكومة قائمة بنفسها واشهر المحافد او القصور التي وصلت الينا اسماؤها : غمدان وتلفم وناعط وصرواح وسلحين وظفار وشبام وبينون وريام وبراقش وروثان وارياب وعمران وغيرها وبعض هذه القصور بقي الى مابعد الاسلام وذكره العرب ووصفوه كما سيجيء في كلامنا عن عمران اليمن

وقد تجتمع عدة محافد يتولى شؤونها امير واحد يسمى «قيل» جمعه «اقيال» ويسمى مجموع المحافد مع مايلحقها من القرى والمزارع «مخلاف» وهو كالكورة او الرستاق او القضاء يحكمه قيل او ملك صغير . وينسب المخلاف الى اكبر محافده او الى المحفد الذي يقيم فيه القيل او الملك وقد يتحول القصر او المحفد الى مدينة بعد ظهور الدولة وقد يبدل اسمه كما تحول قصر «ريدان» الى مدينة «ظفار» و «سلحين» الى «مأرب»

وكان الاقيال يتغازون ويتنازعون فيغير احدهم على جاره وربما رجع عن غزوه لغير سبب . وقد اشار الطبري الى ما تقدم بقوله «لم يكن لملوك اليمن نظام وانما كان الرئيس منهم يكون ملكاً على مخلاف لايتجاوزه وان تجاوز بعضهم عن مخلافه بمسافة

يسيرة من غير ان يرث ذلك الملك من آبائه ولا يرثه ابناؤه انما هو شأن شداد متلصصة يغيرون على النواحي باستغفال اهلها فاذا اقعدهم الطلب لم يكن لهم ثبات . وكذلك كان امر ملوك اليمن يخرج احدهم من مخلافه بعض الاحيان ويبعد في الغزو والاغارة فيصيب مايمر به ثم يتشمر عند خوف الطلب زاحفاً الى مكانه من غير ان يدين له احد من غير مخلافه او يؤدي اليه خراجاً »

وكان أكثر اشتغال الاذواء والاقيال بالتجارة لتوسط بلاد اليمن بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق فكانوا ينقلون التجارة بين هذه البلاد بعد دخولها الى جزيرة العرب بالقوافل في طرق خاصة . وقد ينبغ بين الاقيال او الذوين رجل ذو مطامع اهل للسيادة العامة فيمد سلطته على جيرانه ويسمي نفسه ملكاً وينظم مملكة يجعل محفده قصبتها وتنسب المملكة اليه . ويتوالى الحكم في اعقابه او اهله فيتألف منهم دولة يطول بقاؤها او يقصر ويتسع نفوذها او ينحصر حسب الاحوال. وقد نشأ على هذه الكيفية عدة دول لم يصلنا من اخبارها الا القليل ولم يعرف العرب منها الا دولة حمير . والذي بلغنا خبره من دول اليمن بما لدينا من اسباب العلم في الكتب او الآثار حتى الآن ثلاث دول رئيسية هي المعينية والسبأية والحميرية غير الدول الصغرى

فالدولة المعينية تنسب الى عاصمتها معين ومن مدائنها براقش والسوداء ونشق وقد كشف علماء الآثار انقاضها في الصحراء شرقي صنعاء ووقفوا فيها على اسماء عشرات من ملوكهم ومتى اتيح لهم التنقيب زادونا ايضاحاً والراجح عندنا ان اصل المعينيين من بين النهرين من عمالقة العراق نزحوا بعد ذهاب دولتهم الى اليمن وحملوا معهم آدابهم ولغتهم وقد تعودوا الحضارة فنزلوا اليمن واقاموا فيها بالمحافد والقصور وتلك كانت عادتهم بين النهرين فاقاموا في اليمن لانها اكثر بلاد العرب حضارة واقتبسوا الابجدية الفينيقية بدلاً من الحرف الاشوري الذي كانوا يستخدمونه في العراق وتنوع حسب حاجاتهم حتى صار لبعض حروفها عدة اشكال كما ترى في الصفحة المقابلة ويجانبها لفظها بالاحرف العربية

واختلف العلماء في تقدير عمر هذه الدولة المعينية من الآثار التي عثروا عليها فذهب جماعة الى انها تبدأ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد وقال آخرون انها تبدأ من الثامن . ولم يعرف العرب هذه الدولة ولذلك لم يجر ذكرها في كتبهم

ويلي المعينيين السبأيون . وقد عرف العرب بعض اخبارهم ولكن العلماء تبينوا

من آثارهم انهم كانوا دولة فخيمة عاصمتها مأرب التي جرى فيها سيل العرم وعرفوا من

الابجدية الحميرية او الحرف المسند

اسماء ملوكها ٢٧ ملكاً ذكرناهم في تاريخ العرب قبل الاسلام (صحيفة ١١٩) وانقضت تلك الدولة على اثر السيل المتقدم ذكره في القرن الثاني قبل الميلاد

ثم جاء الحميريون ويمتد سلطانهم من سنة ١١٥ ق م الى ٥٢٥ ب م وقد عرفهم العرب واليونان واكثروا من ذكرهم . وعرفنا اسماء ٢٨ ملكا منهم بينهم شمر يرعش والهدهاد وابو كرب اسعد وبلقيس وزوجها عمرو وذو القرنين (افريقش) وحسان ابن اسعد وغيرهم وتختلف هذه الدولة عن سابقتها انهما كانتا تجاريتين وهي جنحت الى الفتح ولكن العرب بالغوا في اخبار فتوحها

وتولى اليمن بعد الحميريين الاحباش على يد قائدهم ابرهة من سنة ٥٢٥ م وجعلوا صنعاء عاصمتهم الى ٥٩٥ م اذ فتحها الفرس وثبتت في قبضتهم حتى جاء الاسلام فدخلت في سلطانه

عمران اليمن القديم

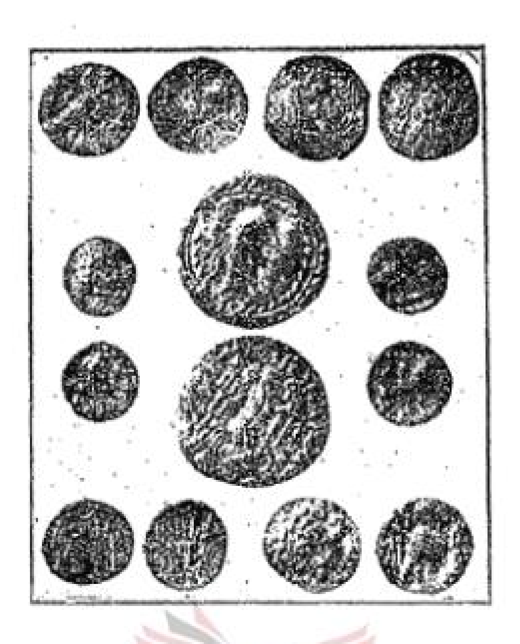
كانت اليمن في عهد الدول التي تقدم ذكرها لاتقل شيئاً عن دول معاصريها في اشور وفينيقية ومصر وفارس فابتنى اهلها المدن وشادوا القصور والهياكل وتبسطوا في العيش مثلهم لكن تمدنهم لم يكن حربياً كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجارياً كتمدن الفينيقيين فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب في عهد ذلك التمدن فانقطعوا لاعمالهم وتفرغوا لاستثمار ارضهم بغرس الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب وركوب القوافل في القفار والسفن في البحار لنقل السلع. وتوالت اجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كما كان اخوانهم الفينيقيون في اجيال اخرى وقد تعاصروا حيناً وتعاونوا على ذلك دهراً طويلاً

وكان نظام الاجتماع عندهم نحو ما كان في بابل فالمملكة عندهم مؤلفة من قصور او محافد يملك كلاً منها شيخ او امير وطمع بعضهم بالسيادة فتغلب على زملائه فصار صاحب دولة كما فعل المعينيون والسبائيون والحميريون . وكان ملكهم مطلق الحكم لايخرج من قصره في مأرب او غيرها من قصباتهم الا نادراً . وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحروب والفتوح الا مايدفعون به عن انفسهم عند الحاجة او لحماية القوافل في اسفارها وانما كانوا يجمعون الرجال لاستخدامهم في بناء المدن او القصور او في انشاء السدود او ترميمها . وكانت الحكومة عندهم وراثية تنتقل الى الابناء او الاخوة الا حضرموت قبيل النصرانية فقد ذكر استرابون ان الملك فيها لاينتقل من الاب الى الابن او احد اهله وانما هو ينتقل الى اول مولود من الاشراف ولد في اثناء حكمه . وان من عاداتهم عند الاحتفال ببيعة الملك ان يرفعوا اليه قائمة باسماء نساء الاشراف الحوامل فيعين لكل منهن من يخدمها ويراقب وضعها ليعلموا السابقة الى الوضع وهل وضعت غلاماً او جارية فاذا كان غلاماً امر الملك بمن يعتني بتربيته واعداده للملك كما يربى ولاة العهد اليوم

وضربوا نقوداً نقشوا عليها صورهم واسماءهم وترى امثلة منها في الصفحة المقابلة

واليمن بطبيعتها بعيدة عن الصناعة والزراعة فكانت الصناعة قاصرة فيها على تحضير بعض أصناف التجارة كالبخور واللبان والطيوب اما الزراعة فكانت حسنة عندهم

ومن يجب بلاد العرب حتى يأتي حيث كانت مدائن معين وسبا وحمير وغيرها من الدول القديمة لا يجد الا رمالاً محرقة وجبالاً جرداء فيستغرب مايسمعه عن ثروة تلك



امثلة من نقود السبائيين في اليمن

الامم وسعة سلطانها . والحقيقة ان تلك البادية المحرقة كانت على عهد ذلك التمدن بساتين وغياضاً فيها الاغراس من الاشجار والرياحين والحنطة والازهار . وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا نيل فيها ولا فرات وانما هي تسقى من السيول في الشتاء فاذا اقبل الصيف شحت المياه وييبس الزرع فبلغ من رغبتهم في العمارة وعلو همتهم انهم انشأوا سدوداً كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقوا بها المرتفعات يصرفون اليها الماء من نوافذ حسب الحاجة كما يفعلون بخزانات هذه الايام . والعرب اول من اصطنع الخزانات وهي السدود اعظمها سد مأرب الذي تقدم ذكره وقد نقشوا صور الفلاحين على آثارهم كما فعل المصريون

وكان للتعدين في اليمن حظ وافر واشتهرت جزيرة العرب في التاريخ القديم بمعادنها وجواهرها وان ظهر ذلك غريباً الآن لتقلب الاحوال وقد ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب وياقوت في معجم البلدان عشرات من مناجم الذهب وغيرها

وقد تقدم ذكر المدائن التي كانت في اليمن واكثرها اندثر اشهرها مأرب ومعين وبراقش وظفار وشبوة وصنعاء والمدينة تحتوي على عدة قصور وهياكل فخيمة البناء . وقد وقف الباحثون على آثار مأرب فوجدوها مستديرة الشكل قطرها نحو كيلو متر وشاهد الهمداني انقاض مأرب فذكر في كتابه الاكليل بين تلك الانقاض اعمدة للعرش

ولعله يريد قصر سلحين وهو القصر الذي كان يقيم فيه الملك . قال انها لا تزال قائمة ولو اجتمع جيل على ان يصرعوا واحدة منها لم يقدروا لان كل عمود منها نقبوا له في الصفا ثم القم اسفله وصب بينه القطر » ويسمون قصر سلحين ايضاً قصر بلقيس وقد افاض الشعراء في وصف مأرب وآثارها قال علقمة :

وقصر سلحين قد عفاه ريب الزمان الذي يريب
تعوي الثعاليب في قراها مافي مساكنها غريب

وكان في اليمن قصور كثيرة ذكر الشعراء عشرات منها ووصفوا بعضها وصفاً يوهم القاريء لاول وهلة انه بعيد عن الحقيقة لتعودنا سماع المبالغة في اقوال بعض العرب ولكننا نعوّل على رحالة عربي شاهدها بنفسه وقد ثبت صدقه من قرائن كثيرة — نعني الهمداني انه وصف قصر غمدان في صنعاء وقد شاهد بقاياه قال « كان قصر غمدان عشرين سقفاً غرفاً بعضها فوق بعض (اي عشرين طبقة مثل اكبر ابنية العالم اليوم واعلاها) بين كل سقفين عشرة اذرع » وقال ان بانيه لما بلغ غرفته العلياء اطبق سقفها برخامة واحدة شفافة وكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحداة وهو تحت الرخام . وكانت حروفه اربعة تماثيل اسود من نحاس مجوفة رجلا الاسد في الدار وراسه وصدره خارجان من القصر وما بين فيه الى مؤخره حركات مدبرة . فاذا هبت الريح فدخلت اجواف الاسد سمع لها زئير كزئير الاسد وكان يصبح فيها بالقناديل فترى من راس عجيب . وكانت غرفة الراس العليا مجلس الملك اثني عشر ذراعاً . وكان للغرفة اربعة ابواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب وعند كل باب منها تمثال من نحاس اذا هبت الريح زأر . وفيها مقيل من الساج والابنوس . وكان فيها ستور لها اجراس اذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الاصوات عن بعد

وقس على ذلك ما ذكروه عن قصر ناعط وهو محفد مؤلف من عدة قصور عليها نقوش وتماثيل شاهدها الهمداني فقال في وصفها :

فمن كان ذا جهل بايام حمير وآثارهم في الارض فليأت ناعطا
يجد عمداً تعلو القنا مرمرية وكرسي رخام حولها وبلاطا
ملاحكها لا ينفذ الماء بينها ومبهومة مثل القراح خرائطا
على كرف من نحتها ومصانع لها بسقوف السطح لبس(؟) وتمابطا
ترى كل تمثال عليها وصورة سباعاً ووحشاً في الصفاح خلائطا

تجانب ما تنفك تنظر قابضاً | لاحدى يديه في الحبال وباسطا
ومستفعمات من عقاب واجدل | على ارنب هم ذا فراخ وقامطا (؟)
وسرب ظباء قـد نهان لحتف | وغضف ضراء قد تعلقن باسطا
وذا عقدة بين الجياد مواكباً | وسامي هاد للركاب مواخطا

ومن ادلة مدنيتهم اتساع التجارة على ايديهم فان توسط بلاد اليمن بين امم العالم القديمة جعلها واسطة التجارة بينها من اقدم ازمنة التاريخ فكان بينها وبين الهند علائق تجارية لا يعرف اولها كان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الامم في سفن البحر او قوافل البر . وكان على شواطيء اليمن فرض ترسو عندها السفن القادمة من الهند او وادي الفرات او وادي النيل كما ترسو اليوم سفن انكلترا وغيرها عند عدن في اثناء اسفارها بين اوربا والهند . وكانت لهم فرضة اسمها (موزا) يبنون فيها السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندي . ولهذا السبب عمرت جزيرة سوقطرة يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة كما عمرت مالطة في البحر المتوسط لمثال هذا السبب . ومن البلاد التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد عدن وقانا وظفار وغيرها

وكان لهم من اسباب الحضارة ما يستغربه اهل هذا الزمان لبعدها عن امثاله اليوم ولكنهم كانوا من اكثر الامم انهماكاً في الحضارة فقد اقتنوا الرياش الفاخر ولبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق والبساتين قال آغاثرسيدس « وللسبئيين في منازلهم ما يفوق التصديق من الآنية والاوعية على اختلاف اشكالها من الفضة والذهب وعندهم الاسرة والموائد من الفضة والرياش من افخر الانسجة واغلاها . قصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب او المنزلة بالفضة يعلقون على افاريز منازلهم وابوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر ويبذلون في تزيين قصورهم اموالاً طائلة لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » ويؤيد ذلك ما جاء في شعر العرب من وصف القصور الفخيمة كقول ينسبونه الى تبع يذكر بلقيس فقد قال في وصف عرشها :

عرشها رافع ثمانون باعاً | كللته بجوهر وفريد
وبدر قد قيدته وياقو | ت بالتبر ايما تقييد

ومن قوله في مأرب :

ومأرب قد نطقت بالرخام وفي سقفها الذهب الاحمر

وذكر الهمداني في وصف قصر كوكبان « كان مؤزر الخارج بالفضة وما فوقها حجارة بيض وداخله مرد بالمرمر والفسيفساء والجزع وصنوف الجوهر » وقال في وصف بينون :

واسأل بينون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر

تاريخ اليمن الحديث

١ — من الفتح الاسلامي الى الدولة العثمانية

يبدأ تاريخ اليمن الحديث بدخولها في حوزة المسلمين على عهد النبي . فان اهل اليمن لما بلغهم ظهوره في الحجاز اتته وفودهم فكتب لهم كتاباً باقرارهم على ما اسلموا عليه من اموالهم وارضيهم وركازهم ووجه اليهم رسله وعماله لتعريفهم شرائع الاسلام وسننه وقبض صدقاتهم وجزى رؤوس من اقام منهم على النصرانية او اليهودية او المجوسية . ولما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان كان اليمنيون في جانب علي فلما غلب معاوية اقتص منهم ثم استرضاهم واستمال جانباً كبيراً منهم . ودخلت اليمن طبعاً في حوزة الامويين في جملة بلاد العرب

فلما افضت الخلافة الى العباسيين صارت اليمن اليهم وكان لاميرها السيادة على الحجاز ولما وقع الشقاق بين الامين والمأمون ابني الرشيد على الخلافة كان اليمنيون في جانب المأمون واميرهم يومئذ محمد بن زياد ورأى ابن زياد تضعضع المملكة العباسية وجنوح ولاتها الى الاستقلال فاقتدى بهم واعلن استقلاله سنة ٢٠٤ هـ وتوالى الحكم في نسله الى سنة ٤٠٩ هـ وتعرف دولته هذه بالدولة الزيادية كانت لها السيادة على اليمن كلها وجعلوا عاصمتهم زبيد في تهامة الغربية

فاقتدى بهم في خلع الطاعة الامراء الذين كانوا تحت حكمهم فخلعوا طاعتهم واستقلوا بالاحكام عنهم واسبقهم الى ذلك يعفور بن عبد الرحمن في صنعاء فانه اعلن استقلاله من الدولة الزيادية سنة ٢٤٧هـ وتوارث الحكم ابناؤه من بعده وكانت عاصمتهم صنعاء او جند الى سنة ٣٨٧ هـ

على ان الزياديين انفسهم لما ضعف امرهم تحول النفوذ الى بعض وزرائهم ثم افضى الامر الى واحد منهم اسمه نجاح فانشأ دولة عرفت بالدولة النجاحية حكمت

من سنة ٤١٢ ﻫ الى سنة ٥٥٣ ﻫ في زبيد . وتخلل سلطتهم هذه دخول زبيد في سيادة الدولة الصليحية برهة ثم عادت اليهم وما زالت في حوزتهم حتى استولى عليها المهديون سلالة علي بن المهدي ادعى المهدوية وتبعه جماعة سموا انفسهم الانصار والمهاجرين وما زالوا حتى اخرجوا زبيد من ايدي النجاحية سنة ٥٥٤ ﻫ واقاموا فيها دولة انتهت بدخولها في حوزة الايوبيين سنة ٥٦٩ ﻫ

اما صنعاء فدخلت سنة ٤٢٩ﻫ في حوزة الدولة الصليحية نسبة الى الداعي علي بن محمد الصليحي وهو من الشيعة فانشأ فيها دولة شيعية انقضت بانتقال السلطة سنة ٤٩٢ﻫ الى الدولة الحمدانية من قبائل حاشد وبكيل . وكانت للحمدانيين دولة في صعدة فاستولوا على صنعاء وما زالت في حوزتهم حتى دخلت في سيطرة الايوبيين سنة ٥٦٩ ﻫ

اما عدن فدخلت في حوزة دولة تعرف بالزريعية من سنة ٤٧٦ ﻫ ثم انتهت الى الايوبيين سنة ٥٦٩ مثل سائر اليمن

ففي سنة ٥٦٩ﻫ صارت اليمن كلها الى الدولة الايوبية وهي غريبة عن اهلها لانها كردية واليمن عرب . وتعد مدة حكمهم فيها من قبيل الاجيال المظلمة او الوسطى لان عمال الايوبيين نزعوا من اهلها كل سلطة . واول من فعل ذلك طوران شاه بن ايوب فانه حمل على اليمن فاخضع المهديين في زبيد والحمدانيين في صنعاء والزريعيين في عدن كما فعلوا في سوريا ومصر . ولكن سيادتهم على اليمن لم تدم طويلاً فانقضت سنة ٦٢٥ ﻫ بانتقالها الى الدولة الرسولية

والدولة الرسولية تنسب الى علي بن رسول سمي ابوه رسولاً لانه جاء برسالة من بعض الخلفاء العباسيين في بعض المهام وتعين ابنه علي اميراً على مكة في زمن الايوبيين سنة ٦١٩ ﻫ عينه هناك مسعود يوسف آخر الملوك الايوبيين في اليمن . فلما توفي مسعود سنة ٦٢٥ ﻫ كان لعلي بن رسول ابن ذو بسالة اسمه منصور عمر بن علي وقد طمع بالحكم فنادى بنفسه ملكاً على اليمن سنة ٦٢٦ ﻫ وتوالى الحكم في اعقابه نيفاً ومئتي سنة . ثم خرجت الدولة من ايديهم الى الدولة الطاهرية سنة ٨٥٠ﻫ

والطاهريون او بنو طاهر حكموا اليمن بضعاً وسبعين سنة حتى اخرجها من ايديهم السلاطين المماليك المصريين على يد السلطان قنصو الغوري (تولى سنة ٩٠٦ﻫ) ثم كان الفتح العثماني فدخل بعض بلاد العرب في حوزة العثمانيين في جملة ما دخل في سلطانهم بعد فتح مصر

ونشأ في اثناء ذلك دولة عربية في صعدة طال حكمها (من سنة ٢٨٠ — ٧٠٠ ﻫ)

تعرف بالدولة الرسية امراؤها من الأُمة الزيدية . واصل هذه الاسرة تنسب الى كبيرها الهادي يحيي حفيد قاسم الرسي احد غلاة الشيعة في ايام المأمون العباسي . اول من تولى السيادة فيها القاسم الرسي ترجمان الدين سنة ٢٤٦ هـ وخلفه الهادي الى الحق يحيي وتوالى بعدهم بضعة عشر اماماً آخرهم المستنصر داود سنة ٦٨٠ هـ واخبارهم مبهمة مشوشة

ائمة صنعاء : ان ائمة الرسيين كانت قصبة حكمهم في صعدة كما تقدم لكنهم كثيراً ما مدوا سلطانهم الى صنعاء واخيراً اخرجوا العثمانيين منها سنة ١٠٤٣ هـ وجعلوها كرسيهم وهم يعرفون الى اليوم بأئمة صنعاء ولكنهم بالحقيقة من سلالة ائمة صعدة . ومؤسس امامة صنعاء منصور يوسف من نسل يوسف الداعي ابن حفيد الهادي يحيي مؤسس الدولة الرسية

٢ — اليمن في سلطة العثمانيين

لما فتح السلطان سليم مصر سنة ٩٢٣ هـ دخلت الحجاز في سلطانه لكنه عزم على اخضاع سائر بلاد العرب وخصوصاً بعد ان صار خليفة لعلمه ان اصحاب الخلافة لا يستغنون عن جزيرة العرب لوجود الحرمين فيها . لكنه لم يكد يخرج فكره الى حيز العمل حتى داهمه الموت وخلفه ابنه سليمان القانوني وفي ايامه بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها . وتطوحت به مطامعه الى فتح الهند فاعد عمارة حربية برحت السويس في اواسط سنة ١٥٣٨ م فوصلت عدن في بضعة اشهر واستولت عليها

لكن هذه الحملة اضطرت بعد ان همت بالهند ان تعود الى عدن وقائدها اسمه سليمان باشا فاقلع من عدن حتى رسا في مخا وبعث رسله الى زبيد يطلب الى صاحبها ان يأتي صاغراً فابى ثم اضطر الى التسليم قهراً . فدخلت اليمن في حوزة العثمانيين لكنهم لم يستفيدوا منها شيئاً لتعود اهلها العصيان وتجافيهم عن دفع الخراج او الضرائب

. وبعد بضع عشرة سنة ثارت عدن ووالي اليمن يومئذ بري باشا فاخضعها وبعد ثماني سنين ثارت اليمن بجملتها وواليها حسن باشا فتعب في اذلالها . ولما توالت المتاعب على الدولة بلا جدوى تتوقعها من تلك البلاد اقرت على التخلي عنها فانسحبت جنودها سنة ١٦٣٠ (١٠٤٣ هـ)

وحالما خرجت جنود الترك منها عادت حكومتها الى الأئمة وتنازعوا عليها فيما بينهم . ونازعهم عليها جيرانهم و لدولة لا شأن لها فيها . وسنحت لها فرصة في اواسط

القرن الماضي لم تضيعها لكنها لم تستفد منها ـ وذلك ان اليمنيين تمردوا على امامهم وخلعوه واقاموا مكانه ابن عمه محمد يحيى فاحب ان يفتح تهامة وهي في سلطة شريف مكة فجرت بينهما حروب في الحديدة وباجيل اخذ الشريف فيها اسيراً ودخلت الحديدة وزبيد وبيت الفقيه في سلطة الامام . ثم فتح مخا فبلغه وهو هناك ان الشريف عاد بحملته واحتل زبيد فخاف الامام وانسحب الى صنعاء فدخلت مخا في حوزة الشريف



رجل وامرأة من اهل جبال اليمن

وبلغ الخبر الى الباب العالي فاغتنم ضعف الامام وبعث حملة الى الحديدة فتخلى له الشريف عنها فبعث قائد تلك الحملة واسمه توفيق باشا الى امام صنعاء ان يسلم اليه فخاف وجاءه فالتقيا في الحديدة وعقدا معاهدة تقضي بما يأتي :

اولاً ـ ان تكون اليمن في سلطة الامام كما كانت قبلاً لكنه يعترف بسيادة الدولة العثمانية عليه

ثانياً ـ ان دخل اليمن يقسم مناصفة بين الامام والباب العالي

ثالثاً ـ تقيم في صنعاء حامية عثمانية من الف جندي

رابعاً ـ يقبض الامام ٣٧٠٠٠ ريال في الشهر من الدخل قبل قسمته

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة انتقل توفيق باشا الى صنعاء والامام معه واعلنا اهلها بذلك فكبر عليهم الاذعان لكنهم صبروا حتى جاءت الصلاة وسمعوا الخطيب يدعو للسلطان عبد المجيد بدلاً من السيد محمد يحيي امامهم فشق ذلك عليهم لأنهم من الشيعة الزيدية وغضبوا وثاروا ولم ينقض نصف الليل حتى قتلوا معظم الجند العثماني . فلم ير توفيق باشا بداً من الرضوخ بعد ان اصيب بجراح عديدة واستأذن في الرجوع الى الحديدة ودفع في سبيل ذلك ٢٠٠٠٠ ريال . فوصل الحديدة ومات فيها من الجراح والعذاب . ولم يكتف اليمنيون بذلك لكنهم حقدوا على الامام محمد يحيي قبوله بتلك المعاهدة فقتلوه سراً ونصبوا مكانه الامام منصوراً

فانحسرت سلطة العثمانيين عن اليمن الداخلية او الجبلية الى الشواطىء حتى سنحت فرصة اخرى سنة ١٨٧٢ في زمن السلطان المخلوع وقد استفحل امر العصاة وصاروا يتعرضون للقوافل وللحجاج وملّ الناس اعمالهم واستغاث بعضهم بالدولة فجردت عليها واخضعتها وارسلت حامية عثمانية تقيم في صنعاء واشترطت على الامام الذي خلعته يومئذ ان يقيم في صنعاء براتب يستولي عليه حذراً من نفوذه الديني . فبقي حتى مات وخلفه احد اقاربه السيد حميد الدين والد السيد يحيي الحالي . واليمنيون في كل حال غير راضين عن ذلك لا يكفون عن التمرد تارة والخروج اخرى فلم يهدأ للعثمانيين بال وهم بين تجريدة وحرب ومخابرات بلا رابطة حتى كان الدستور بالامس فتجددت الاسباب وظهر داع آخر اسمه محمد بن علي بن ادريس ويعرف بالسيد الادريسي يسعى في عسير مثل سعي الامام يحيي بن حميد الدين في اليمن فرأت الدولة اخضاع البلدين بالقوة وقد بسطت الاسباب التي بعثتها على ذلك بمذكرة رسمية هذه صورتها :

مذكرة الحكومة

تاريخ الحركة

« كان الامام حميد الدين امام الزيدية يقطن الجبال الشرقية فبعد وفاته خلفه ابنه يحيي واخذ مع اتباعه يشن الغارة على الجبال اليمانية الخاضعة للادارة العثمانية حتى دفعتهم الجرأة الى احتلال صنعاء عاصمة الولاية

ولم تتأخر الحكومة في وقت من الاوقات عن ارسال القوات العسكرية لاخضاع الثوار . ولكن هؤلاء لم ينثنوا عن الهجوم والغارة كلما لاحت لهم الفرصة فيكدرون بعملهم صفاء الراحة في الولاية كلها

ولما رات الحكومة الصعوبة التي تلقاها الحملات العسكرية في اعادة النظام خطر لها ان تقسم اليمن الى ولايتين . احداهما تشمل الجهات الجبلية . والثانية تشمل تهامة اي البلاد السهلية . وتكون عاصمة البلاد الجبلية صنعاء ويكون الوالي الامام يحيي ويخول السلطة في تعيين القضاة الشرعيين والموظفين الملكيين والجندرمه . وينفق على ادارة تلك الولاية من دخلها وما زاد يرسل الى الاستانة . ويكون المركز العام للجيش في مناخه بدلاً من صنعاء . ولايكون في صنعاء من القوة العسكرية سوى عدد قليل . وقد وضعت الحكومة قانوناً لهذا النظام الجديد قدمته للهيأة التشريعية لتوافق عليه

وبما ان اليمن تقسم الى ثلاثة اقسام الجبل وتهامة وعسير . والامام يحيي ينزل في القسم الاول ولا سلطة له الا على شيعته من الزيدية وهم لا ينفكون عن مقاتلة جيرانهم التهاميين والعسيريين . وكلهم من الشوافع . راى ولاة الامور ان النظام الذي سن للجبل لا يصلح لتهامة ولا يصلح للعسير لانه لا يفي بالغرض لحفظ الامن وصيانة الراحة ـ رات الحكومة هذه الصعاب ثم رات ان رجلاً يسمى السيد الادريسي قد استمال قبائل تهامة والعسير واخذ يحصر القرى والمدن ويقطع الطرق . فقررت بضرورة اتخاذ الوسائل الفعالة لاعادة النظام

فارسلت عند زوال العقبات قوات جديدة الى اليمن وعسير ومع تلك القوات حاجتها من الذخائر والمؤن وفصلت عسير عن اليمن وجعلتها متصرفية مستقلة وولي عليها سليمان باشا . وولي على اليمن محمد علي باشا ومنح السلطة الواسعة . وارسلت المدفعيات الى السواحل لرقابتها وعندما وصلت الجنود النظامية اليها طردت الثوار من لحيه وزهره واعادت المواصلات مع حجور وحجه وقنفذه وابها . وطلب البدو سكان تلك الجهات الامان

ولما كان غرض الحكومة اعادة السكينة دون اراقة الدم واجراء الاصلاح بما يتفق مع عوائد اهل تلك البلاد وتقاليدهم واستمالة تلك القبائل الهمجية نحو عرش الخلافة . رات قبل العمد الى اتخاذ الوسائل الحاسمة ان تدعو السيد الادريسي الى تقديم الطاعة . ولبلوغ هذه الغاية تقابل الادريسي مع سعيد باشا قائد الفصيلة وسليمان باشا متصرف عسير وقائد قوتها العسكرية . فاقسم الادريسي يمين الطاعة للخليفة وثبت الادعية وقام الادريسي بوعده بجمع الاموال الاميرية واصلاح الاسلاك التلغرافية المقطوعة

ولما رات الحكومة ان الامن قد عاد الى نصابه في عسير وان الامام يحيي قد قعد عن كل هجمة وعدوان عدلت عن ارسال الحملة العسكرية . وحلت التوابير التي كانت

قد الفت لهذا الغرض . واخذت بانفاذ الاصلاح الذي تدعو اليه حالة تلك البلاد . فاعادت احكام الشريعة الغراء اجابة للراي العام هناك . وارسل وفد من العلماء اختاره شيخ الاسلام لانشاء المحاكم الشرعية وألغت الحكومة بعض الرسوم البالغ مجموعها ٨٠ الف ليرة مراعاة لحالة الاهلين الفقراء ، وانشئت في العام الماضي ٣٢ مدرسة وفي هذا العام ٢٠ مدرسة احداها للبنات واصلحت المدارس التي كانت موجودة . ورممت مدرسة البنات في صنعاء . وستنشأ قريباً عشرون مدرسة اخرى . وتنشأ مدرسة عليا في الحديدة

ولم تهمل الحكومة الاشغال العمومية فبدات بانشاء طريق من صنعاء الى مناخة وطولها ٨٠ كيلومتراً وقريباً تبتدىء الاعمال بمد خط حديدي من الحديدة الى صنعاء ومن الحديدة الى مينا حبانه . ولم تغفل الحكومة امور الزراعة فارسلت الادوات الزراعية والآلات والبذور والمعدات لتوزع على الاهلين . ونظرت الى حفظ الامن فالفت تابوراً وبلوكاً من الجندرمة من الاهلين وعينت الرواتب للشيوخ . وعمرت الجامع الكبير في باجل وارسلت سفن الخفر لتأمين السواحل

هذا ما فعلته الحكومة وبينما هي تفكر في تعميم الاصلاح وتأييد النظام وخير الاهلين ثار السيد الادريسي يتطلب اقتطاع قطعة من عسير لتكون امارة مستقلة له . ونهض الامام يحيى فهيج الاهلين على الحكومة وتقدموا نحو صنعاء فاضطرت الى الوسائل الشديدة

[illegible]

« يؤخذ من مجمل التلغرافات التي تلقتها الحكومة من متصرفية عسير ان السيد الادريسي نبه على القبائل التابعة له بان تستعد للقتال وبان تجمع لنفسها مؤونة وذخيرة لستة اشهر . وارسل رسله وشعراءه المداحين في كل جهة ومنع الجنود الجديدة والافراد الذين انتهت مدة خدمتهم من المرور بين جيزان وابها . ويؤخذ من تلغرافات الالوية ان الادريسي سلح اتباعه وامرهم بان يكونوا مستعدين للجهاد . ونقل الى محل اقامته السلاح والذخائر المهربة التي كانت مخبأة في القوز . وقبض على اربعة ضباط وخمسة جنود كانوا في صبيا . وهو قد اخذ ولا يزال يأخذ الرهائن من القبائل الخاضعة للحكومة . ويعين المديرين والنواب للقبائل ويواصل العقاب والتعذيب . وقد قطع المواصلات بين ابها وجيزان وقنفذه وبهذه الواسطة حصر القوات المعسكرة في المحلات الثلاث المحكى عنها . وبث الافكار الفاسدة بين الاهلين ودعوة التحريض بين الزرانيق . وحاول قطع المواصلات بين لحية وميدي وارسل رجاله لخطف موظفي جمرك الوسيم وقبض على المبعوث علي سويدي وابعده الى جبل النضير . وفي آخر

تلغراف ورد من متصرف عسير بتاريخ ٢٤ دسمبر ان ابها محصورة منذ شهر وهي لا تزال تدافع عن نفسها وعدد حاصريها نحو الفي رجل . والراجح ان القبائل البعيدة تنضم اليهم . واعلن الادريسي استقلال امارته وطلب من القبائل العهد بذلك . وقد تلقينا تقريراً من المتصرف مرسلاً الى قائد فصيلة جيزان والى القائمقام ان حالة ابها لا توجب القلق وان الحامية قادرة على الثبات بوجه القبائل بل بوجه اهل عسير كلهم . وان عندها من الذخائر والمؤن ما يكفيها اشهراً طويلة وان الادريسي حبط في اثارة القبائل المجاورة فحدث بين رجاله وبين تلك القبائل خصام شديد رغم وجود الرهائن عنده

حالة ولاية اليمن

« يؤخذ من تلغرافات والي اليمن عن حالة الجبال ان الامام يحيى ارسل رسالة الى اهالي تعز يدعوهم فيها الى الجهاد . وان دماء العساكر تراق عمداً . ومنذ ايام التقت الجنود بالف بدوي ونيف من اتباع الامام بين الحد ويريم فحدثت معركة شديدة انكسر فيها البدو بعد ما قتل منهم ٦٣ وجرح ١١٣ وكانت خسارة العساكر ٤٠ قتيلاً وجريحاً

وحدثت معركة اخرى بين البدو وفصيلة من العساكر كانت تنقل المؤن والذخائر بين سوق الحسيب وحجه فقتل من البدو ١٠ وجرح ٢٥ واحرق البدو عدة قرى من قضاء اعظا والف الامام عصابات سيرها على قضاء حجه وانس وعمران . وغايته من ذلك قطع المواصلات مع صنعاء وحجه وتعز ثم اعلان الثورة العامة . وهكذا انقطعت المواصلات بين صنعاء والمرابط العسكرية في الجبال واهالي تلك القرى يخرجون الآن نساءهم واولادهم ويستعدون للحرب

فمن هذا كله يظهر ان غاية الادريسي والامام يحيى واحدة وهي الاستئثار بالسلطة في اليمن وعسير . على ان الحكومة ظلت تأمل حل الاشكال بالتؤدة حقناً للدماء فارسلت متصرفاً وقومنداناً لعسير سعيد باشا الذي قدم الادريسي الطاعة على يديه . ولكننا لما راينا الامام يحيى مصراً على ثورته وهجماته عرفنا انه لا مندوحة لنا عن اشهار قوتنا لاخماد فتنة دائمة فشرعنا بارسال جيش مؤلف من ٣١ تابوراً من المشاة وخمس بطاريات من المدافع وثلاثة بلوكات من المتراليوز وكمية كافية من الذخائر والمؤن وان نشرع بالاصلاح حالما تتمكن الجنود من اخماد الفتنة واعادة السلام » انتهت المذكرة

هذا والامام يحيى يقيم الآن بين قبيلة حاشد في شمالي صنعاء وشرقيها في قرية اسرائيلية مؤلفة من خمسين منزلاً تدعى غفلة القمر وله السيادة العامة على طائفة الزيدية الشيعية . ويقال انه ليس من الذكاء على مثل ما كان ابوه حميد الدين الذي ارتقى الى الامامة بذكائه ودهائه ويقدر الزيدية بالعدد نحو عدد السنيين وهؤلاء من الشوافع

ثالثاً — مدائن اليمن

والطرق المؤدية الى صنعاء

مدائن اليمن كثيرة قد ذكرنا معظمها في ما تقدم ولا يسع المقام وصفها جميعاً فنكتفي بوصف ما كان منها في الطريق الى صنعاء. والطرق الى صنعاء عديدة اشهرها اثنان احدهما من الغرب الى الشرق اي من الحديدة الى صنعاء والاخر جنوبي شمالي من عدن الى صنعاء ونقدم الكلام عن صنعاء نفسها لانها العاصمة فنقول:

صنعاء

هي قصبة اليمن ومركز حكومتها واقعة في منخفض متسع يعلو ٢٢٠٠ قدم عن سطح البحر عند سفح جبل يقال له جبل نقم واقع في شرقي المدينة وهي قائمة في غربيه لكنها تتصل من طرفها الشرقي بقلعة على طرف جبل نقم المذكور تشرف على المدينة وتسمى القصر سيأتي ذكرها

تقسم صنعاء الى ثلاثة اقسام كما تراها في الخريطة وقد عولنا في رسمها على منزوني الرحالة الايطالي. كل منها محاط بسور من طوب عليه ابراج بعضها من حجر: القسم الاول اقربها الى الجبل وهو صنعاء الاصلية وتسمى «صنعاء المدينة» والثاني حي كبير الى غربيها يعرف بالمتوكل. والثالث في اقصى الغرب مؤلف من حيين الاول حدائق وبساتين اسمه بير العزب والثاني مساكن اليهود اسمه قاع اليهود

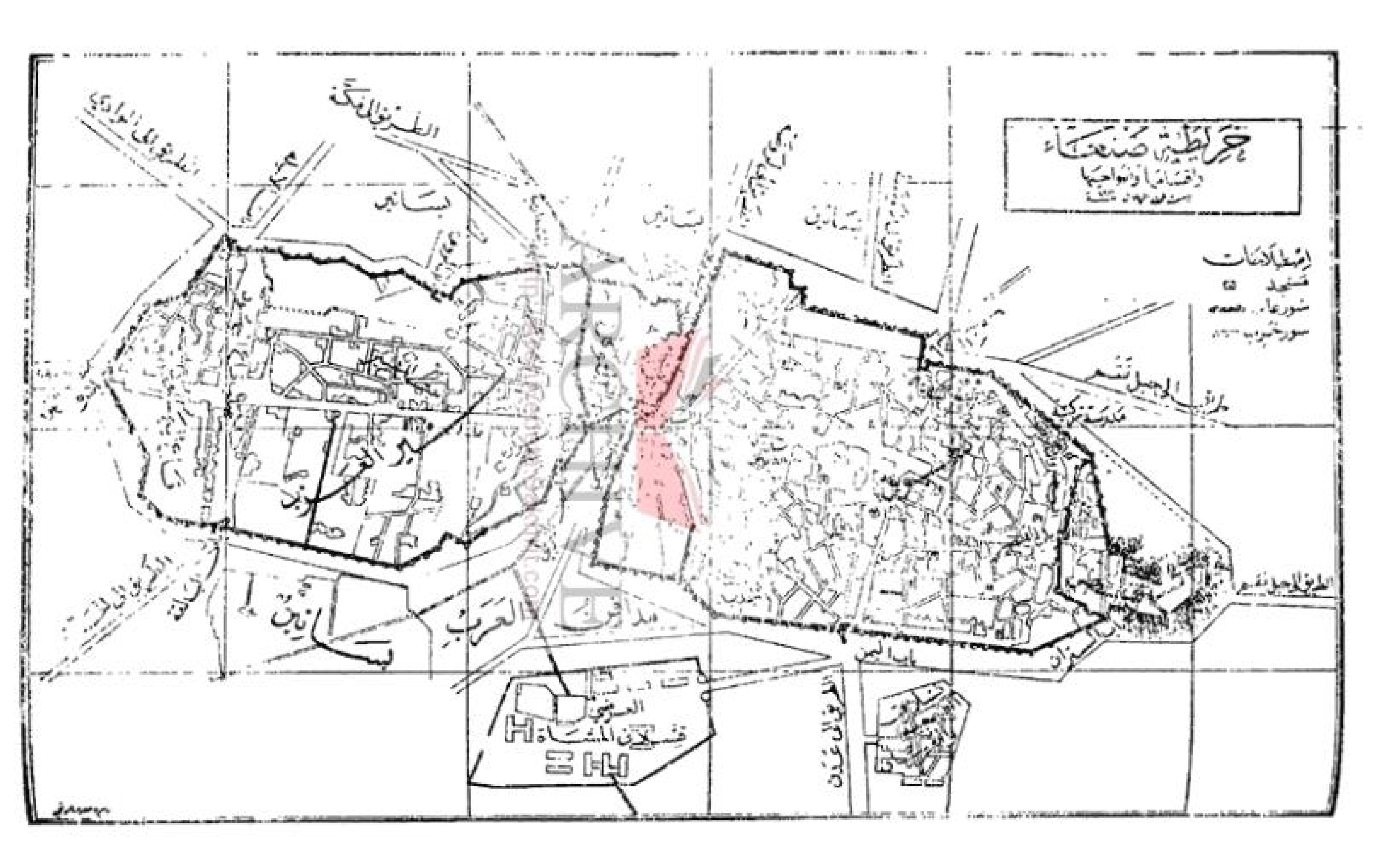
صنعاء المدينة: هي مثلثة الشكل راس المثلث نحو الشرق على طرف جبل نقم وفيه القلعة المسماة بالقصر وهي تشرف على المدينة وما يحيط بها كما تشرف قلعة الجبل بمصر على القاهرة وضواحيها. وحول هذه المدينة سور طوله ٦٨٤٢ متراً له اربعة ابواب تستطرق الى خارجها وباب يستطرق الى القصر يقال له باب القصر واما الابواب الاربعة الاخرى فهي:

(١) باب الشعب في الشمال يؤدي الى قرية اسمها الجراف ومنها الى الروضة وهي بلدة على خمسة اميال من صنعاء فيها الحدائق والبساتين لاغنياء الصنعانيين

(٢) باب الستران في الجنوب من جهة القصر

(٣) باب اليمن في الجنوب ايضاً يؤدي الى ذمار ويريم في الطريق الى عدن

(٤) باب السباخ يؤدى الى المتوكل بير العزب



خريطة صنعاء
وأقسامها ونواحيها
اصطلاحات
مسجد
سور عام
سور خرب
بساتين
الطريق إلى مكة
الطريق إلى الوادي
بير العزب
العرب
باب اليمن
الطريق إلى عدن
باب السبحة
مدرسة

والشوارع في هذه المدينة منتظمة وواسعة واهلها عائشون في سعة . ويسمون اكبر الشوارع النهجة ثم الشارع فالزقاق . وفي صنعاء ٤٨ مسجداً في جملتها مسجد في القصر واكبر المساجد فيها يسمى الجامع مساحته مئة متر في ٨٠ متراً. ومن هذه المساجد ماهو على شكل جوامع الاستانة بالقبة واشهرها في صنعاء جامع الطواشي ومنها بدون قبة مثل جامع المدرسة

وفي صنعاء اثنا عشر حماماً منها حمام في المتوكل وآخر في بير العزب غير المغاسل في المساجد اشهرها حمام الطواشي وحمام الميدان . واشهر قصور المدينة دار الطواشي فيها ٣٦٠ نافذة وحولها حديقة غناء . ودار الامام ودار الذهب والدار الجديدة للسيد غالب من اسرة الامام . وبيت الخضير او بيت الباشا قرب باب الشعب كان يقيم فيه اسماعيل حقي باشا في اثناء سياحة منزوني سنة ١٨٨٠ . ودار الحكومة وربما سموها دار الميدان ايضاً وبجانبها بيت البوسطة والتلغراف ويسمونه دار السلك



بيت الخضير مسكن اسماعيل حقي باشا في صنعاء

وفيها كثير من البساتين والحدائق اشهرها بستان الطاوس والبستان الجديد وتمتاز صنعاء المدينة عن سائر الاقسام بان فيها الاسواق والتجارة والصناعة

المتوكل : وهو القسم الثاني من صنعاء سمي بذلك نسبة الى الامام المتوكل

وحوله سور لا يزال معظمه باقياً . وله بابان (١) باب الانتباه في الجنوب يؤدي الى صنعاء المدينة من باب السباخ (٢) باب الشقاديف في الشمال . وفي المتوكل بناء كبير لمعالجة المرضى يسمى الخسته خانه وحديقة كبيرة وجامع تقدم ذكره وحمام . وفي الخسته خانه ٣٧٠ سريراً وستة اطباء من المسيحيين رئيسهم ضابط كبير

بير العزب وقاع اليهود : هو آخر اقسام صنعاء في الغرب محاط بسور ويقسم الى ثلاثة اقسام : بير العزب وقاع اليهود وبينهما خلاء يسمى صلب قاع اليهود . وطول السور ٦٤٩٦ متراً وله ثمانية ابواب (١) باب الشرارة في الشرق (٢) باب الخزيمي (٣) باب النزيلي (٤) باب البالقة في الجنوب (٥) باب قاع اليهود في الغرب (٦) باب الايلة (٧) باب الروم (٨) باب الشعاري في الشمال كما ترى في الخريطة

وكان بير العزب مسكناً لاهل الترف والثروة من الاتراك أكثره حدائق فيها ابنية جميلة في جملتها دور الامام وكبار الموظفين واغنياء الصنعانيين . اما قاع اليهود فهو مساكن لليهود المقيمين هناك واكثرها قبيح المنظر قذر بالنسبة الى سائر احياء صنعاء



الامام والقاضي وكبار الموظفين في صنعاء

واما عدد سكان صنعاء فيصعب تقديره واستنتج منزوني الرحالة الذي زارها منذ نحو ثلاثين سنة بالنظر الى ما فيها من الاسواق ان سكانها لا يزيدون على ٢٥ الفاً منهم ٢٠٠٠٠ من العرب و٣٠٠٠ من الاتراك و١٧٠٠ من اليهود

وخارج سور صنعاء في الشمال والغرب حدائق وبساتين تتصل بالوادي وبالروضة ويكثر فيها الارنب والحجل ودجاج فرعون . وفي جنوبيها المعسكر التركي قسمان

احدهما في الغرب لاقامة المشاة والآخر في الشرق للطبجية والفرسان . وبينها وبين المدينة مدافن العرب (جبانة) . فيظهر مما تقدم ان صنعاء مدينة جميلة وهي جيدة الهواء عليلة النسيم حتى تغنى الشعراء بوصفها قال ابو محمد الزبيدي

قلت ونفسي جم تأوهها ... تصبو الى اهلها واندهها
سقياً لصنعاء لا أرى بلداً ... اوطنه الموطنون يشبهها
خفضاً ولينا ولا كبهجتها ... ارغد ارض عيشاً وارفهها
كأنها فضة مموهة ... احسن تمويهها مموهها
كم دون صنعاء سملقاً جدداً ... تبو بتن رامها معوهها
ارض بها العين والظباء معاً ... فوضى مطافيلها ووتلها
كيف بها كيف وهي نازحة ... مشبة تيهها ومهمهها

ومع وقوعها بين الدرجتين ١٥ و١٦ من العرض الشمالي فان اقليمها يختلف عن تلك المنطقة ويشبه الاقليم المعتدل . قد يشتد الحر بها في الصيف نهاراً لكنه يتلطف في الليل فطقسها من هذا القبيل يشبه طقس القاهرة وغيرها من البلاد الجافة . وينسكب فيها المطر غزيراً في الشتاء فيتكون من مائه نهر يجري في وسطها يتمتع اهلها بمائه معظم السنة فاذا اشتد الصيف جف واستقى الناس من آبار يحملون ماءها بالقرب

وحصون صنعاء عبارة عن الابراج القائمة على السور وهي عديدة واكثرها متخرب ومنها ما هو مبني بالطوب وبعضها بالحجارة وامنع استحكاماتها قلعة القصر على طرف جبل نقم المتقدم ذكره فانها مبنية بالحجارة الصلبة في غاية المتانة . وقد رصعت بالمدافع واكثرها موجه الى المدينة لان الحكومة تخاف ثورة الاهلين فتهدم بمدافعها . وفي الطرف الآخر من المدينة عند باب قاع اليهود المؤدي الى الحديدة حصن لا بأس به

وفي صنعاء انقاض بعض الابنية القديمة اشهرها قصر غمدان فان انقاضه اليوم أكم يصعد اليها في ١٦٠٠ درجة . وقد تقدم خبر غمدان وتاريخها

الطريق من الحديدة الى صنعاء

الحديدة : هي من المدن الحديثة لم يرد ذكرها في كتب العرب قبل القرن السادس عشر للميلاد واقعة على شاطىء البحر الاحمر جنوبي بلاد عسير في الشمال الشرقي من خليج تحميه تلال في الشمال الغربي . وهي كبيرة يقدر سكانها بين ٣٥ و٤٠ الفاً وفيها الاسواق ضيقة مسقوفة من الشمس وبيوتها متينة وعالية لكن مناخها رديء تنتاب اهلها الاوبئة في فصول معلومة من السنة . وخصوصاً على اثر

سقوط المطر او بعد هبوب ريح غربية سكانها لفيف من امم شتى وفيهم العربي واليهودي والهندي والفارسي والمصري والبدوي والحبشي والتركي والرومي والزنجي والافرنجي وحولها سور له ابواب حصينة . وحول المدينة مغارس للفاكهة وغيرها . على ان ماءها قليل وغير صالح للشرب ولعله من جملة اسباب الامراض فيها يحملونه اليها في القرب او البراميل على ظهور الجمال او الحمير من آبار تبعد بضعة اميال عن المدينة يذهب اليها اهل المدينة للتنزهة في مغارسها والتمتع براس النبع



سوق في الحديدة

وقرب الحديدة من بلاد عسير جعلها عرضة لمطامعهم وقد تمكن بعض امرائهم من فتحها سنة ١٨٠٤ على زمن الوهابية ثم اعيدت الى سيطرة امام صنعاء ثم اتخذها التجار فرضة تنقل منها البضائع الى صنعاء وهي اقرب الطرق اليها من البحر . فاصبحت مرسى لسفن الافرنج وعمرت المدينة حتى جاء محمد آغا احد قواد الاتراك من الحجاز براً وبحراً سنة ١٨٣٢ وحاصرها وطلب من اميرها الزاد فابي فاطلق عليها القنابل فسلمت ولم يطل مقام ذلك الآغا هناك فغادرها الى زبيد

وسنة ١٨٤٠ اخلاها العثمانيون ودخلت في سيطرة شريف مكة . لكن اشراف اليمن لم يصبروا على ذلك فجاءها امير ابو عريش واستولى عليها ثم سطت عليها قبائل عسير ونهبوها وقبضوا على من كان فيها من التجار ولم يطلقوهم الا بعد دفع فدية فادحة

وفي سنة ١٨٤٩ نزل عليها الاتراك من الحجاز واحتلوها واسترضوا الامام بمبلغ من المال فرضي ولكنهم لم يدفعوا له شيئاً فشخص الى الاستانة ليشكي امره الى السلطان فمات على الطريق فتولى الحديدة وما يليها توفيق باشا رئيس تلك الحملة باسم الدولة العثمانية ثم عقد المعاهدة كما تقدم. ومن حوادث الحديدة ان ستين الفاً من عرب عسير هموا بها سنة ١٨٥٥ لكنهم خافوا سفناً انكليزية كانت راسية في مياهها وتفشت الكوليرا فيهم فامانت ربعهم قبل وصولهم الى بلادهم



مسير الجنود العثمانية في جبال اليمن

باجل : وبعد الحديدة شرقاً على مسافة نحو ٧٠ كيلو متراً « باجل » وهي بلدة صغيرة واقعة في سفح جبل لا يزيد سكانها على بضعة آلاف نفس لكن فيها حصناً منيعاً يشرف على الطريق مبني من حجارة مربعة . بيوتها من الطين والحجر مسقوفة بالحصير وحولها مغارس للدخن والذرة ومياهها كثيرة فلذلك كثرت فيها الاشجار واكثرها من السنط فتظهر باجل للقادم اليها كانها واحة في وسط صحراء

مناخة : واهم البلاد بعد باجل « مناخة » على مسافة نحو ٨٠ كيلومتراً من باجل نحو الشرق وهي بلد صغير لا يزيد عن باجل كثيرا لكن بيوتها اضخم واعلى وفيها منازل مؤلفة من اربع طبقات وكثير منها مؤلف من ثلاث طبقات وفيها مستشفى



مضيق مناخة

وقشلاق للجند مبني على السوق الافرنجي لان العثمانيين ... جدهم وفيها دكاكين لبقالين الافرنج وهي تعلو نحو ٧٦٠٠ قدم عن سطح البحر ولذلك كان طقسها متقلباً ولها اهمية عسكرية بالنظر الى موقعها لانها تشرف على شعبتين من الطريق بين الحديدة وصنعاء . وقد بنت الحكومة فيها حصوناً تتسلط على ذلك الطريق وكثيراً ما لجأت اليها الجنود العثمانية للدفاع في اثناء تمرد اليمنيين . وبالقرب من مناخة مضيق يعسر على الجند سلوكه ترى صورته في الشكل ويليه بعد مناخة بلد ذوشان الى صنعاء

الطريق من عدن الى صنعاء

عدن : هي من اقدم مدائن اليمن عمرت في عهد التمدن القديم لتوسطها في البحر فكانت مركزاً تجارياً ترسو عندها السفن في جملة فرض اليمن على عهد دولتي سبا وحمير وقد اخربها الرومان عمداً . ثم عمرت ودخلت في سيطرة الدولة الزريعية من سنة ٤٧٦ هـ الى ٥٦٩ كما تقدم ثم صارت الى الايوبيين . ولما طاف البورتغاليون بحر الهند نزلها بعضهم فاخرجهم الاتراك منها سنة ١٥٣٨ ثم استقلت كما استقل غيرها من بلاد اليمن حتى دخلت في حوزة انكلترا سنة ١٨٣٩ وسبب ذلك ان سفينة انكليزية تكسرت هناك ونهبت فطالبت انكلترا سلطان عدن بذلك فوعدها ان يعوض

عليها وان يأذن لها في ان تجعل البلد مرسى لسفنها ومخزناً لفحمها. فخالف ابنه الوعد فاخذته بالقوة واقامت فيه حامية ومستودعاً للفحم . اهلها مزيج من امم شتى وفيهم الهنود والعرب والفرس والزنج والاحباش والصومال والافرنج والترك وغيرهم

الحوطة : ومن اشهر مدن اليمن في الطريق من عدن الى صنعاء « الحوطة » على نحو ثلاثين كيلومتراً من عدن شمالاً وهي كرسي سلطان لحج . ضيقة الشوارع على غير نظام تحيط بمنازلها زرائب . وبعدها نحو الشمال وادي لحج يجري فيه الماء قليلاً في الصيف فاذا نزلت الامطار صار نهراً جاريا يصب في البحر والغالب ان تضيع مياهه في الرمال قبل وصولها البحر. ثم الخريبة وهي قرية على جانب وادٍ اذا حمل سمي نهر الخريبة واكتسى جانباه بالخضرة وفيه اشجار ضخمة يستظل بها الناس من حر النهار ومنها الى قتبة مسافة قصيرة ومن قتبة الى بيت سعيد طريق وعر تقيم بجواره قبائل العود

يريم : ومن بيت سعيد الى يريم نحو ستين كيلومتراً وبينهما عدة قرى وبلاد . ويريم من اهم بلاد اليمن وهي قائمة على سهل مرتفع عرضه ميل وبعض الميل ينتهي بجبل سمارة والبلد مبني عند ملتقى السهل بالجبل. وفي السهل احواض الماء يستقي منها الناس ويغسلون اثوابهم فيها وهي من المدن القديمة كان في مكانها بلد عامر في عهد التبابعة يسمى « ذو رعين » من مملكة ظفار . وكانت ظفار مدينة عامرة لا تزال انقاضها باقية هناك الى الان على تل مستدير. اما يريم الان فليست مما يحتفل به بعد ما اصابها كما اصاب غيرها من بواعث الاهمال لولا انها مركز عسكري تقيم فيه الحامية . وقد تناوب السيادة عليها العرب والترك غير مرة وحولها سور له ابواب وفيها جماعة كبيرة من الاحباش يظن انهم هناك من عهد بعيد لعلهم من بقايا الفاتحين قبل الاسلام

ذمار : وبعد يريم يصل المسافر الى ذمار وبينهما نحو ٤٠ كيلومتراً بعد ان يقطع بضع قرى لا اهمية لها وواديا يعرف بوادي (خا) يجري فيه الماء شتاء مثل سائر اودية اليمن . وهناك احواض قديمة العهد لعلها من آثار الحميريين لانها منقورة في الصخر وهي كبيرة مستديرة الشكل يستقي منها الناس والماشية وبعضها عميق ينزل اليه بدرجات منقورة في الصخر ايضاً . اما ذمار فانها واقعة على سهل منبسط اقرب الجبال اليه جبل سمران يعلوه بضع مئات من الاقدام ويبعد عن المدينة ميلين نحو الشمال . على ان موقع ذمار يعلو نحو ٨٠٠ قدم عن سطح البحر وهي بلد محصن ببعض الابراج وفيها بيوت عليها مظاهر الثروة والاسواق ضيقة كالعادة لا سور حولها وليست من المدن القديمة . ولم يبق بينها وبين صنعاء بلد يستحق الذكر

العميان

والعناية بامرهم

انعقد المؤتمر الدولي الرابع لتحسين حالة العميان في القاهرة بين ٢٠ و ٢٥ فبراير الماضي وتباحث في الوسائل التي تأول الى تربية العميان وتعليمهم وتخفيف تعاستهم وافاضت الجرائد في وصف اعماله . فرأينا ان نقول كلمة في هذه الفئة من المجتمع الانساني وفي تاريخ تعليمها والعناية بامرها

تعود الناس ان يعدوا العمى من اشد العاهات وطأة ويضربون الامثال بذلك . فهو عندهم اصعب من الصمم والخرس والعرج والكساح ونحوها . لان البصر اشرف الحواس وادقها . والعين مصباح العقل ومرآة القلب وترجمان الضمير وقد تغزل بها الشعراء وتفنن في وصفها العلماء

قال حيص بيص

العين تبدي الذي بقلب صاحبها من الشناءة او حب اذا كانا
ان البغيض له عين يصدقها لا يستطيع لما في القلب كتمانا
فالعين تنطق والافواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال صرَّ در

ان العيونَ لتبدي في نواظرها ما في القلوب من البغضاء والحن

وقال التعاويذي

عيناك قد دلتا عينيَّ منك على اشياء لولاهما ما كنت رائيها
والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها اومن اعاديها

وقال احد ادباء العصر (حبيب افندي غبريل)

واذا اعوز اللسان بيانٌ فعلى العين بسط تلك المعاني
فتراها تجول بين جفونٍ تتمنى لو انها شفتان

وقال امرسن الفيلسوف الاميركي : العيون تنطق بكل لسان ولا تحتاج في

احاديثها الى ترجمان . لا ميزة عندها بين الاعمار او المناصب او الاجناس . ولا عبرة لديها بالغنى اوالفقر بالعلم او الجهل بالقوة اوالضعف . ولا تفتقر في التعارف الى وسيط كما يفعل الانكليز . بل هي تقدم نفسها وتخاطبك وتباحثك فتوحي اليك في لحظة ما لا يستطيعه اللسان في ايام

يتحادث الناس بعيونهم كما يتحادثون بالسنتهم على ان حديث النواظر افصح الحديثين لانه يدور في لغة عامة لا تحتاج في تعلمها الى قاموس . اذا قالت العين قولاً وقال اللسان قولاً آخر فالصادق هي لا هو والعمدة على قولها لا على قوله . وقد تجادل امرءاً في شأن فينكر عليك رايك بلسانه وعيناه تعترفان به . وتدلّ العين على ما سيقوله اللسان من خير او شر قبل ان يتكلم

ان هذا وامثاله من حسنات البصر لا يتمتع به الاعمى ولا يعرفه (نعني المولود اعمى) وهو فوق ذلك لا يرى طريقه ولا يشاهد صديقه ولا يعرف الالوان ولا يتصور المناظر الطبيعية ولا يدرك جمال الملامح . فهو لذلك في مأمن من عثرات البصر وسحر العيون فلا خوف عليه مما خافه ابن الجهم اذ قال :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ولا قول الاعزازي

رد منا القلوب منكسرات عندما راح كاسراً اجفانه

ولا قول جرير

ان العيون التي في جفنها مرض قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

فالاعمى لا خوف عليه مما يجر اليه البصر من الشراك وتلك حسنة من حسناته . اضف اليها ما يقذي عيون المبصرين من المشاهد التي يتمنى احدنا لو لم يرها.. ولله در ابا العلاء اذ عيره بعضهم بالعمى فاجابه :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

وناهيك بالشراك التي تنصبها العيون او تجر اصحابها اليها . وقد عبر الشاعر عن ذلك بقوله

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في اعين الغيد موقوف على الخطر

ومن حسنات العمى :

اولاً : انه يرقي سائر الحواس فالاعمى ادق سمعاً وارق لمساً واسرع الى ادراك سائر المحسوسات مما يغنيه عن حاسة البصر . فيستوي عنده الليل والنهار وكلاهما منيرٌ في نظره فهو يعرف طريقه في الظلام كما يعرفه في النور ويعرف صديقه بمجرد لمس يده مما لا يستطيعه المبصرون

ثانياً : انه يوسع الخيال ويرقي التصور ولذلك كان شعراء العميان اوسع تصوراً من سواهم في ما يحتاج الى بديهة واعمال فكرة . فاذا كان العمي قد منعهم من معرفة صور المرئيات فلم ينبغ منهم مصورٌ ولا حفار فقد رقى فيهم تصور المجردات وادراك المسموعات فنبغ منهم طبقة حسنة من الشعراء والعلماء ورجال الموسيقى او المغنيين وسنأتي على ذكر نوابغهم

ثالثاً : ان العمى ينقذ صاحبه من شرور كثيرة لا تأتي الاً عن طريق البصر كالافتتان بما يقع عليه النظر من بواعث الشهوة التي تقود الى الحسد او البغض او الى العشق . وناهيك بما يجر اليه ذلك من الرذائل . فالاعمى بهذا المعنى اقرب الى الفضيلة من سواه لانهُ اقل تعرضاً لتلك المؤثرات

وقد اخطأ من يعدُّ العمى اعظم العاهات البدنية فان الصمم اشد وطأة منه — ونعني الصمم الخلقي كما نعني العمى الخلقي — فالمولود اعمى اخف مصيبة من المولود اصم لان هذا ينشأ ابكم يعجز عن التفاهم مع اقرانه فيفوته اهم ثمار الاجتماع كانه غريب عن الهيأة الاجتماعية اذا حضر مجلساً يرى اناساً يحركون شفاههم وايديهم ولا يفهم ما يقولون . فهو يرى الصور جامدة لا حياة فيها والاعمى لا يرى الصور ولكنه يرى حياتها بعين بصيرته فيدخل في الحديث فيفيد ويستفيد

ولا يخفى ان العلم اكثره يأتي عن طريق السمع وخصوصاً العلوم الادبية والعقلية والفلسفية . كيف يمكنك ان تنقل الى الاصم تاريخ الامم الغابرة وفلسفة تاريخها ؟ بل كيف تفهمه معنى ما تقرأه او تسمعه من المعاني الشعرية او الادبية او الاجتماعية وهي قوام المجتمع الانساني فضلا عن الابحاث العقلية والفلسفية التي يمتاز بها الانسان عن سواه . فالاصم لا يقدر ان يتصورها او يدركها فهو من هذا القبيل اقرب الى الحيوانية من سائر طبقات الناس . بخلاف الاعمى فانه من ارقى طبقات البشر لسمو خياله وسعة تصوره ودقة شعوره . فقد حاسة من الحواس الحيوانية

فذاب عنها ارتقاؤه في المواهب الانسانية . واذا كانت بواعث الحب عند المبصرين النظر فهي عند العميان التصور . وللجمال في خيالهم صورة غير صورته عندنا — قال بشار الاعمى :

يزهدني في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال ابو يعقوب الخزيمي :

قالت وتهزأ بي غداة لقيتها يالارجال لصبوة العميان
فاجبتها نفسي فداك انما عيني واذني في الهوى سيان

العميان والعلم

قد تقدم ان العلم يكتسب اكثره عن طريق الاذن فلذلك كان العميان من جملة القادرين على اكتسابه بل هم يفضلون سواهم في ما يحتاج الى تصور او خيال او حفظ لارتقاء هذه القوى فيهم بسبب العمى . ولذلك نبغ اكثرهم في الشعر او الادب . واقدم الشعراء العميان هوميروس صاحب الالياذة ويكفيك ذكره عن وصفه . وهناك طائفة من ادباء العميان عند كل امة مما لا يتسع له هذا المقام فنكتفي بذكر من كان منهم عند العرب واكثرهم من الشعراء نورد اخبار اشهرهم بحسب سبق وفاتهم :

١ — بشار بن برد توفي سنة ١٦٨ هـ

هو فارسي الاصل نشأ في البصرة وقدم الى بغداد وقد ولد اعمى جاحظ الحدقتين يغشاهما لحم احمر وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلق والوجه مجدراً . وشهد له الادباء واهل النقد انه اطبع شعراء عصره على الشعر . وعماه من اسباب تبرزه لاتساع الخيال . ظهر بشار في اوائل العصر العباسي فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه وهو مقدم عليهم باجماع الرواة ورئيسهم بلا خلاف . ويعدونه امام الشعراء المحدثين مثل امرىء القيس بين شعراء الجاهلية . قال الشعر وهو ابن عشر سنين وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية . فقضى ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز وبلغ عدد ما نظمه ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي اهل الادب ان له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا ان هذا القدر لا يجتمع لكل الشعراء فقال لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت في كل قصيدة ؟ ولم يبق من هذه القصائد الى ايام ابن النديم في اواسط

القرن الرابع للهجرة الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس من ذلك الآن الا نتف متفرقة في كتب الادب

ويمتاز بشار على سائر الشعراء انه تصرف وتفنن وزاد في معاني الشعر شيئاً كثيراً وراج شعره حتى لم يبق في ايامه غزل ولا غزلة الا ويروي شعر بشار . ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه

وقد طرق بشار كل ابواب الشعر ـ ومن قوله في الغزل :

لم يطل ليلي ولكن لم انم	ونفى عني الكرى طيف الم
واذا قلت لها جودي لنا	خرجت بالصمت عن لا ونعم
نفسي ياعبد عني واعلمي	انني ياعبد من لحم ودم
ان في بردي جسما ناحلا	لو توكأت عليه لانهدم
ختم الحب لها في عنقي	موضع الخاتم من اهل الذمم

ومن قوله في الحكم :

اذا كنت في كل الامور معاتباً	صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً او صل اخاك فانه	مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى	ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وكان بشار من اهل الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقد ان الانسان مسوق لا مخير واخباره طويلة لا محل لها هنا

٢ – ربيعة الرقي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ فيها وكان شاعراً مطبوعاً ولولا انقطاعه عن الحضارة وبعده عن مجالس الخلفاء لكان في مقدمة معاصريه . على ان الخلفاء كانوا يشخصونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي ثم الرشيد . وكان ابن المعتز يرى ربيعة هذا اشعر غزلاً من ابي نواس وقد مدح غير الخلفاء ايضاً . ومن نكته انه مدح العباس بن محمد من امراء بني العباس بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد	قل « لا » وانت مخلد ما قالها
ما ان اعد من المكارم خصلة	الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة	كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة	حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع الفين فاعطى الدينارين الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة قال فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء كأني ان مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فقص ربيعة الواقع على الرشيد فاحتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته فتغير عليه واعطى الرقي ثلاثين الف درهم . واتفق للرقي ايضاً نحو ذلك مع معن بن زائدة

٣ — العكوك توفي سنة ٢١٣ ﻫ

هو علي بن جبلة الانباري من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية. نشأ في بغداد وكان ضريراً منذ ولادته . وكان شاعراً مطبوعاً عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداحاً حسن التصرف وقد استنفد شعره في مدح ابي دلف العجلي وحميد بن عبد الحميد الطوسي وبالغ في ذلك . فبلغ المأمون ان العكوك قال في ابي دلف :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فغضب المأمون وسل لسانه من قفاه . ومن غزله وهو اشبه بتصور المبصرين :

بابي من زارني مكتتماً خائفاً من كل شيء جزعا
زائر نم عليه حسنه كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

٤ — ابن العلاف المتوفى سنة ٣١٩ ﻫ

هو من الشعراء المجيدين من اهل النهروان واشتهر بقصيدة رثى بها هراً والمقصود بالرثاء حقيقة غلام كان له وقتله علي بن عيسى الوزير . والقصيدة من احسن الشعر مطلعها :

ياهرُّ فارقتنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفار من مكامنها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مدد وانت تلقاهم بلا مدد

٥ — ابو العلاء المعري توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو الشاعر الفيلسوف وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه . وقد ترجمناه مطولا في السنة الخامسة عشرة من الهلال

٦ — مظفر بن ابراهيم والمدني والحصري

ومن الشعراء العميان مظفر بن ابراهيم له الابيات المشهورة عن العشق مع العمى وهي:

قالوا عشقت وانت اعمى ظبياً كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا م فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤا د وانت لم تنظره سهما
وباي جارحة وصلـ ت لوصفه نثراً ونظما
والعين داعية الـ هوى وبه تتم اذ استتما
فاجبت اني موسوي العشق انصاتاً وفهما
اهوى بجارحة السما ع ولا ارى ذات المسمى

ومنهم المدني القائل :

ايا من لامني في حب من لم يره طرفي
لقد افرطت وفي وصـ فك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ ة يوماً بسوى الوصف

ومنهم علي بن عبد الغني الحصري المتوفى سنة ٤٨٨ هـ صاحب القصيدة المشهور التي مطلعها : « ياليل الصبُّ متى غده » وقد نشرناها في باب السؤال والاقتراح من هذا الهلال . ومن احاسن شعره قوله :

اقول له وقد حيا بكأس له من طيب نكهته ختام
امن خديك تعصر قال كلا متى عصرت من الورد المدام

٧ — ابن سيده توفي سنة ٤٥٩ هـ

ومن العميان العلماء ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الاندلسي وكان ضريراً وابوه ضرير . وكان ابوه عالماً باللغة فاخذها عنه وتوسع فيها وله عدة كتب مهمة في اللغة اهمها معجمان احدهما لفظي هو « المحكم والمحيط الاعظم » كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين . ويمتاز بالضبط والدقة وصدق النظر . والآخر معنوي وهو المخصص قد ترتبت مواده حسب معانيها

وليس حسب حروفها وهو مطبوع في ١٧ مجلداً . وله كتاب شرح مشكل المتنبي وكتاب الانيق في شرح الحماسة وغير ذلك

العناية بالعميان

فترى مما تقدم ان السعي في تعليم العميان يأتي بأثمار حسنة . ولذلك فقد اهتمت الحكومات بتعليمهم وتحسين احوالهم والعرب اسبق الامم الى هذه المنقبة . واول من فعل ذلك الوليد بن عبد الملك لانه « امر بحبس المجذمين لئلا يخرجوا واجرى عليهم وعلى العميان الارزاق » في اوائل القرن الثامن للميلاد . وامثال هذه الملاجي لم ينشأ في اوربا الا في القرن الحادي عشر . على ان العناية بالعجزة والعميان كانت قبل ذلك من جملة اعمال الدبور في اوائل النصرانية

وتدرج الافرنج في تمدنهم الحديث من اعالة العميان والاحسان اليهم الى تعليمهم فانشأوا لهم المدارس ووضعوا لهم اشكالاً من الحروف الهجائية سيأتي بيانها . واما العرب فلم يغفلوا تعليم العميان في مدارسهم ما يمكن تعلمه بالسماع كالقرآن والتفسير ونحوهما وخصوصاً في المساجد والملاجيء التي كانوا ينشئونها لهم

اما انشاء المدارس لتعليم العميان في كتب خاصة فهو من محدثات هذا التمدن . واسبق امم اوربا اليه الفرنساويون واول مدرسة انشئت لهذا الغرض انشأها فالانتين هوي في باريس سنة ١٧٨٤ واقتدى به الانكليز فانشأوا مدرسة في ليفربول سنة ١٧٩١ وانشأوا غيرها في ايدنبورج وسكوتلاندا سنة ١٧٩٢ واول مدرسة انشئت في لندن للعميان سنة ١٧٩٩ واقتدت سائر امم اوربا بذلك وتسابقت الحكومات والجمعيات ورجال البر الى انشاء المدارس للعميان لتعليم القراءة والصناعات . فنبغ منهم الخطباء والوعاظ والصناع ورجال الموسيقى والشعر وانشأوا لهم غرفاً للمطالعة بحروفهم

وفي الشكل الاول صورة غرفة المطالعة في مكتبة هي فرع المكتبة سان جورج في لندن خصصوها لمطالعة العميان وهي تعيرهم الكتب يطالعونها في منازلهم . وفي هذه المكتبة اربعمئة مجلد وتزداد يوماً فيوماً بما يتبرع به اهل الاحسان

اما في الشرق فقدكان تعليم العميان على هذه الصورة في جملة ما اقتبسوه عن الافرنج في نهضتهم الاخيرة . فانشأ المبشرون الانكليز في بيروت مدرسة لتعليم العميان منذ بضع وثلاثين سنة . انشأها المرحوم مستر موط وطبعوا لها الكتب بالاحرف الناتئة التي سنصفها وخصوصاً الكتاب المقدس . ثم اضافوا لها فرعاً لتعليم الصناعة . وقد

استفاد منها كثيرون فتثقفت اذهانهم وانفتقت قرائحهم فاشتغل بعضهم بالموسيقى وآخرون في بالتبشير وآخرون في غير ذلك . وانشأ المصريون نحو ذلك الزمن مدرسة لتعليم العميان ودونوا لهم الكتب في الاحرف الخاصة بهم وخصوصاً القرآن . غير مدرسة العميان في الزيتون



ش ١ — غرفة المطالعة للعميان في لندن

﴿ أحرف العميان ﴾ لاسبيل الى تعليم العميان القراءة الا باستبدال البصر بما يقوم مقامه . فاختاروا اللمس بالاصابع — فالبصير يقرأ بعينيه والاعمى باصابعه . وكان المشهور ان اصطناع احرف يقرأها العميان من مستنبطات اهل التمدن الحديث ولكن صديقنا احمد زكي بك سكرتير مجلس النظار وقف في بحثه على طريقة لقراءة العميان استخدمها زين الدين الحنبلي الامدي العالم العراقي من اهل القرن الثامن للهجرة عمي في طفوليته فكان يلف الورق ويصنعه على شكل الحروف ويقرأها باللمس . فهو اول مخترع للحروف النافرة للعميان لكن طريقته انحصرت في استعماله

أما الطرق الشائعة الآن فهي من مخترعات الافرنج وأول ما خطر لهم في اصطناع الحروف ان يصوروها بعقد يعقدونها في خيوط يدلون بها على الهجاء ويميزون بينها بعدد العقد أو أوضاعها . ثم استنبط لهم الموسيو فالانتين هوي الاحرف النافرة على الورق فيدركها الاعمى باصبعه كما يدركها البصير بعينه . وطبع كتابه الأول بهذا الخزف

سنة ١٧٨٤ وهي السنة التي انشأ بها مدرسته • وكان حرفه عبارة عن الحرف الروماني المائل (ايتاليك) نفسه و بدلاً من طبعه بالحبر ليظهر للعين جعله بارزاً في الصحيفة لتشعر به الانامل . واقتدى به غيره في انكلترا وغيرها ولكنهم خالفوه في اختيار نوع من الحروف الرومانية دون النوع الاخر . ثم خالفوه في بسط اشكال الحروف حتى انتهت الى طرق كثيرة . وأشهر الذين استنبطوا هجاء العميان لوكاس وفرير ومون و برايل وكارتن والستن . وأشهر طرقهم الآن طريقتان الاولى بالخطوط المستقيمة أو المنحنية وهي طريقة مون ولاتزال تعرف باسمه . وعليها اعتمد مستر موط في تصوير الهجاء العربي للعميان في سوريا ـ فالالف عندهم خط عامودي (ا) والباء خط عرضي (ـ) والتاء خط مائل نحو اليمين (/) والثاء خط مائل نحو اليسار (\ ) والجيم قوس تحديبها الى الاعلى (⌒) والحاء قوس تحديبها الى اليسار ( )) والخاء قوس تحديبها الى اليمين (( ) والدال خطان يلتقيان بزاوية في اليمين وقس على ذلك

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه ة و ى

ش ٢ : الاحرف الهجائية للعميان على الطريقة المصرية

والطريقة الثانية عبارة عن نقط نائتة ترسم بهما الخطوط أو المنحنيات على نحو الطريقة الاولى . وقد اعتمدت عليها المدرسة المصرية فاقتبست حروفها العربية منها

وترى في الشكل الثاني أحرف مدرسة العميان المصرية عن كتاب « الطريقة الانسية في تعليم العميان القراءة والكتابة في البلاد الشرقية » تأليف « محمد انسي » وبين يدينا الجزء الرابع من القرآن بهذه النقط أوله « لن تنالوا البرّ . . . »

باب السؤال والاقتراح

لغة الاسبرانتو

(سنغافورة . جزائر الهند) احد المشتركين

ما شأن لغة اسبرانتو انها انتشرت انتشاراً كبيراً في العالم حتى أدخلها اصحابها في موتمر دولي وسكبوا لها أحرفاً وانشأوا مطابع وطبعوا كتباً وأنشأوا جمعيات في اشهر المدن وكثر من يستعملها واوشكت ان يعم التكلم بها بين اكثر اهل البسيطة فنرجو شرح احوالها وادوارها في هذه المدة الوجيزة ولا تحيلوه الى هلال سابق لئلا يفوت المشتركين الحادثين سماع افادتكم عن هذه اللغة الجديدة الغريبة المدهشة

(الهلال) الاسبرانتو لغة عامة الغرض من وضعها تسهيل المخابرات بين الناس على اختلاف الاقطار ولا سيما اهل التجارة والسياسة . ووضع لغة عامة لهذا الغرض خطر لكثيرين من رجال الاعمال وباشره كثيرون وقد بلغ عدد اللغات التي شرعوا في وضعها في أثناء الربع الاخير من القرن الماضي بضع عشرة لغة اقدمها لغة « فولابوك » وضعها شلير الالماني سنة ١٨٨٠ ثم لغة ستاينر سنة ١٨٨٥ وقد سماها كوسموس ولغة الدكتور اسبرانتو وسنعود اليها . وكذلك لغة برنارد وآخر مشروع منها على ما نعلم لغة بولاك . واول ما يتوخاه واضعو اللغات العامة أن تكون قليلة المقاطع سهلة التلفظ بسيطة التركيب . ومن امثلة ما نشروه من لغة فولابوك هذه قولهم « بينوب سو غلاتيك كا اول » Binob so gletik ka ol ومعناها « اني طويل مثلك » . وقد وضعوا للمدن الكبرى والممالك اسماء غير اسمائها فسموا فرنسا مثلاً « فلت » والمانيا « ديت » وانكلترا « نليج » وقس عليه

اما لغة اسبرانتو فواضعها الدكتور زامنوف من اهل بولندا وقد نشرها للمرة



الدكتور زامينوف واضع لغة الاسبرانتو

الاولى على يد الدكتور اسبرانتو سنة ١٨٨٧ باسم لغة دولية ومنه اسمها . والظاهر انها اطول عمراً من رفيقاتها لان اصحابها وانصارها يبذلون المال والجهد في نشرها وقد توخوا اسهل الطرق لتعليمها فجعلوا الفاظها على كيفية تسهل حفظها على أمم أوربا فشقوها على الغالب من أصول لاتينية تكاد تكون عامة في لغات اوربا وخصوصاً في فروع اللغة اللاتينية . وجعلوا تهجئتها بسيطة لا تحتاج الى حذف ولا ابدال . فالحرف الواحد له نطق واحد حيثما جاء وليس في الكلمة حرف لا ينطق به . وعبروا عن الاحرف المركبة في اللغات الافرنجية بحرف واحد فوقه علامة تدل على لفظه وكذلك الاحرف التي يختلف لفظها باختلاف موقعها من الكلمة فالحرف g يختلف التلفظ به باختلاف موقعه قبل u, a, o او e, i فصاحب لغة الاسبرانتو ميز بين النطقين بعلامة كالثمانية توضع فوق الحرف فتدل على انه يلفظ ليناً . فحرف g بدون علامة ينطق قاسياً كالكاف الفارسية وبالعلامة ينطق كالجيم العربية في لغة اهل الشام ومثله حرف h انه يلفظ هاء أو لا يلفظ . وقس على ذلك الحروف المركبة فانهم استخدموا حرف s وفوقه تلك العلامة بدلاً من sh الانكليزية او ch الفرنساوية . واستبدلوا tch بحرف c فوقه العلامة المذكورة واهملوا لفظ c كافاً وعوّضوا عنها بحرف k

وتوخوا تقليل الالفاظ بحيث لا تزيد الاصول اللفظية في هذه اللغة على بضع

مثات يمكن التعبير بها عن كل ما يخطر في البال . والسر في ذلك انهم اصطلحوا على أدوات اذا ألحقت في أول الكلمة أو في آخرها غيرت معناها تغييراً يمكن اطلاقه على مجموع كبير من الالفاظ — مثال ذلك ان الاداة mal اذا ألحقت باول الكلمة جعلتهـا تدل على ضد معناها الاصلي فعندهم مثلاً granda كبير malgranda صغير و afabla محبوب و malafabla مكروه وقس عليه . و eto تزاد في آخر الكلمة للتصغير فمعنى knab عندهم صبي و knabeto صبي صغير اي طفل و stono حجر و stoneto حجر صغير . وعكس ذلك ego فانها للتكبير . و ido بمعنى ابن فيقولون cevalo حصـان و cevalido مهر . و aro للجماعة فيقولون arbo شجرة و arbaro غابة . و ero للتجزء فيقولون greno حنطة و grenero دقيق . و ilo للآلة كقولهم kudro خيط و kudrilo آلة الخياطة أي الابرة . و ge توضع في اول الكلمة لجمع الجنسين فيقولون frato أخ و gefratoj بالجمع أخوة واخوات . غير ما توخوه من امثلة ما في اللغات الاخرى مثل re للتكرار و dis للفصل وغيرهما

على ان أهم ما وضعوه من أسباب التسهيل انما هو في قواعد اللغة فقد التزموا فيها البساطة والاختصار على قدر الامكان وجعلوها قياسية بلا شواذ ولا استثناء . فعندهم للتعريف اداة واحدة la سواء كان الاسم مذكراً أو مؤنثاً مفرداً او جمعاً فهي مثل ال التعريف العربية تماماً . والاسم ينتهي دائماً بالحرف o مذكراً كان او مؤنثاً . والجمع يصاغ بزيادة j في آخر الكلمة . فعندهم patro أب و patroj آباء و patrino أم و patrinoj أمهات . والنعت ينتهي دائماً بحرف a والجمع aj مهما يكن الجنس . وهو يصاغ كذلك من الاسم فعندهم patra أبوي و patrina أمي وكلاهما يجمعان باضافة j في الاخر . والظرف يصاغ بزيادة e بدل a في النعت فيقولون patre ابويا

اما الفاظ هذه اللغة فقد توخوا في اختيارها قربها من أصول الالفاظ في لغات أوربا فجعلوا معظمها من أصل لاتيني كما تقدم وبعضها من اصل جرماني او يوناني واليك امثلة من الفاظها :

(١) امثلة من الاسماء

عائلة	familio	خادم	servisto
جد	avo	جار	najbaro
اب	patro	صديق	amiko
ابن	filo	كلب	hundo
اخ	frato	قطة	kato
حفيد	nepo	حصان	ĉevalo
عم	onklo	بقر	bovo
ابن اخ	nevo	عصفور	birdo
زوج	edzo	زهر	floro
رجل	viro	حجر	stono
انسان	homo	قرية	vilago
سيد	sinjoro	مدينة	urbo
صبي	knabo	وقت	vetero

(٢) امثلة من النعوت

كبير	granda	سعيد	felica
جيد	bona	عزيز	kara
شاب	juna	محبوب	afabla
جميل	bela	وحيد	sola
حر	varma		

(٣) وهذه امثلة من الافعال

الكون	esti	الكتابة	skribi
القدرة	povi	الغناء	kanti
الواجب	devi	اللعب	ludi
العمل	fari	العدو	kuri
الزيادة	kreski	المجيء	veni
القراءة	legi	الطيران	flugi

(٤) ومن امثلة الاحرف وغيرها

الى	al	لكن	sed
في	en	نعم	jes
على	sur	لا	ne
تحت	sub	الآن	nun
من	de	دائما	ciam
مع	kun	ايضاً	ankoraŭ
واو العطف	kaj	هل	cu ?

والضمائر خمسة فقط للمفرد والجمع وهي mi و ni للمتكلم والمتكلمين و vi للمخاطب والمخاطبين و li و ili للغائب والغائبين . وهي تقوم مقام ضمائر الرفع والنصب والجر في

العربية . والاعداد موضوعة على غاية البساطة وهي : kvin kvar, tri, du, unu dekunu : ثم تجمع العشرة مع الآحاد هكذا dek, nau, ok, sep, ses ولاجل العقود تجعل الآحاد قبل العشرات على هـذه الصورة dudek عشرون Tridek ثلاثون وهكذا

وأما الفعل فالمصدر ينتهي دائماً بحرف i وتشتق منه ثلاثة ازمنة الحاضر والماضي والمستقبل بابدال i بحرفي as للحاضر و is للماضي و os للمستقبل . فمن فعل fari العمل مثلاً mi faras أنا اعمل و vi faris أنت عملت و li faros هو سيعمل . ويصاغ الامر بحرف u فيقولون faru اعمل . وهناك قواعد بسيطة للازمنة الشرطية وغيرها

والمجهول يصاغ باضافة فعل الكون esti وليس في لغة الاسبرانتو فعل مساعد سواه فيصرف مع اسم المفعول كما في لغات اوربا ولكن على اسلوب ابسط واخصر

وقس على ما تقـدم اختصارهم في احرف العطف والجر والنداء وصيغ التفضيل واسماء الموصول والاشارة ونحوها . وقواعد النحو بسيطة جداً يقل فيها الالتباس أو الابهام . ويمكن تعليم لغة الاسبرانتو بكتاب لا تزيد صفحاته على مئة صفحة وفيه الصرف والنحو والمفردات والمشتقات وغيرها . وقد لا يحتاج عارف اللغة الفرنساوية أو الانكليزية أو غيرهما من لغات اوربا الى اكثر من عشرة ايام الى عشرين يوماً لتعلمها بحيث يستطيع الكتابة بها بدون غلط . وهذه جمل قصيرة من لغة الاسبرانتو ننشرها على سبيل المثال ويمكن ترجمتهـا استناداً الى ما تقدم :

La onklino legas kaj la nevinoj kuras kun la junaj knaboj en la vilago. — Edzo kaj edzino estas geedzoj. — Cu la filino de la najbaro estas granda ? Jes, sinjoro, sed la filino de la servisto estas malgranda kaj malbela. — Cu la felicaj gefiancoj estas ankaraŭ en la gardeno de la maljuna kuzo ? Ne, sinjorino, la fratlino estas sola, la fianco estas ce la najbaro

وقد ذكرنا في غير هذا المكان اننا لا نرجو بقاء هذه اللغة طويلاً لاننا لم نسمع بلغة وضعت بالتواطوء على هذه الصورة . ولكن اصحاب الاسبرانتو ارادوا ان يثبتوا للعالم امكان ذلك فاجتهدوا في نشرها اجتهاداً عظيماً فالفوا فيها الكتب ونشروا

الصحف والقوا الخطب وانشأوا المكاتب وشكلوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات حتى اوشك الناس ان يغيروا اعتقادهم بقرب زوالها . ومن أهم مؤتمراتهم مؤتمر عقد بكمبريدج سنة ١٩٠٧ حضره مئات من رجال الادب من اربعة اقطار العالم وفي جملتهم مندوبون عن ثلاثين امة وهم يواصلون السعي والانفاق في هذا السبيل. وهي تبقى ما بقي سعيهم وانفاقهم فاذا كفوا يخشى ذهابها . ولا نقول باستحالة بقائها ولكننا نعلم انه مخالف لنواميس الاجتماع .

يا ليل الصبُّ متى غدهُ

﴿ مصر ﴾ محمد افندي مظهر عصمت

قرأت في العدد الثالث من هذه السنة قصيدة لشاعر الامير التي مطلعها « مضناك جفاه مرقده » وقد علمت انه عارض بها الشاعر القائل :

يا ليل الصب متى غده اقيام الساعة موعده

فبحثت عن اسم الشاعر الذي عارضه شاعر الامير حتى اعياني البحث فنرجو ان تفيدونا عنه وتنشروا لنا تلك القصيدة برمتها

﴿ الهلال ﴾ ان صاحب هذه القصيدة هو ابو الحسن بن عبد الغني الحصري الضرير المتوفى سنة ٤٨٨ هـ . اصله من القيروان ثم نزل الاندلس وكان من كبار العلماء فضلاً عن الشعر . واشهر شعره قصيدته المشار اليها وهي :

يا ليل الصب متى غده	اقيام الساعة موعدهُ
رقد السمار وارقهُ	اسفٌ للبين يردده
فبكاهُ النجم ورقَّ لهُ	مما يرعاه ويرصده
نصبت عيناي له شركاً	في النوم فعزَّ تصيده
صاح والخمر جنى فمه	سكران اللحظ معربده
يا من سفكت عيناه دمي	وعلى خديه توردهُ
خداك قد اعترفا بدمي	فعلام جفونك تجحده

بالله هب المشتاق كرى	فلعلّ خيالك يسعده
لم يبق هواك به رمقاً	فلتبك عليه عوده
وغداً يقضي او بعد غد	هل من نظر يتزوده
ما احلى الوصل واعذبه	لولا الايام تنكده
بالبين وبالهجران فيا	افؤادي كيف تجلده

وقد وازنها ايضاً ابو الفضائل القمراوي بابيات من جملتها :

قد ملَّ مريضك عوده	ورثى لاسيرك حسّدهُ
لم يبق جفاك سوى نفس	زفرات الشوق تصعده
هاروت يعنعن فن السحـ	ـر الى عينيك ويسنده
واذا اغمدت اللحظ فتكـ	ـت فكيف وانت تجرده
كم سهل خدك وجه رضا	والحاجب منك يعقده
ما اشرك فيك القلب فلم	في نار الهجر تخلده

المجلات العلمية والالقاب

﴿ الاسكندرية ﴾ سليم افندي اسعد

قرأت في مقتطف يناير الماضي اقتراحاً للدكتور امين المعلوف على المجلات العربية ان تجتنب النعوت التي تلحقها بالاسماء كالفاضل والعالم والكامل ونحوها . وقال انه وجه اقتراحه اولاً الى المقتطف لانه في مقدمة المجلات العلمية ويحسن به ان يكون في مقدمتها في الغاء هذه النعوت . واذكر ان الهلال سار على هذه الخطة والغى النعوت المشار اليها منذ بضع عشرة سنة واقتدت به بعض المجلات والجرائد . فهل أنا مخطئ في ظني ارجو الافصاح عن ذلك خدمة للتاريخ

﴿ الهلال ﴾ ما برحنا منذ أصدرنا الهلال ونحن نستنكف من نعوت التفخيم ونود العدول عنها وكنا نرى في ذلك خروجا عن المألوف عند القراء . على انا كنا نقلل منها على قدر الامكان ثم عزمنا على ابطالها فاعلنا ذلك للمرة الاولى في الهلال الخامس من السنة التاسعة ونشرنا في صدر باب المطبوعات الجديدة هذه الفقرة :

« نرجو ممن تقرظ كتبهم أو جرائدهم في هذا الباب ان يعذرونا على الاكتفاء بذكر اسمائهم والقابهم الرسمية مجردة من نعوت التفخيم ولهم الفضل »

ثم كررنا نشر هذه الفقرة في صدر ذلك الباب في سائر أعداد السنة المذكورة ونحن لا نذكر لقباً ولا نعتاً ولا نزال على ذلك الى الآن . ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ عدنا فاقترحنا على ارباب الصحف اقتراحاً مسهباً نشرناه في الهلال الاول من السنة ١٧ بعنوان « نعوت التفخيم » ونحن ذاكرون أهمه في ما يلي :

« مما لا خلاف فيه ان نعوت التفخيم والقاب التعظيم تظهر في الامة عند تقهقر الدولة وفساد امورها اذ يكثر المتزلفون والمتملقون فيتعودون مخاطبة حكامهم بالتفخيم استرضاء لهم أو تخلصاً من اذاهم فيصفون أميرهم بالفاتح والغازي والباسل وان كان لم يخرج من بيته ولا حضر حرباً . وينعتون قاضيهم بالعادل وان كان ظالماً. ثم يتعودون ذلك في مخاطبة اقرانهم فيلقبونهم بالقاب العلماء أو الكرماء أو الشرفاء حسب الاحوال وان كانوا بعيدين عن مدلولاتها . واصبح بعض النعوت بكثرة الاستعمال لا يراد بها شيء ولا يقصد بها تفخيم ولا تعظيم انما بقيت بالاستمرار كأنها أعضاء أثرية تدل على سابق استعمالها كقولهم « الاجل الامجد المحترم سني الهمم » فهم يصدرون بها خطاباتهم ولا يريدون بها معنى مخصوصاً . مع انها في الاصل القاب لاكبر رجال الدولة فبعضها من القاب القضاة والبعض الآخر من القاب الوزراء أو كبار الحكام أو رؤساء الدولة

« واعتبر ذلك في النعوت العلمية كقولهم « العلامة والفهامة والاديب والنحرير والفاضل واللوذعي والالمعي » فانها تستخدم الآن لغير ما وضعت له . فالاديب وهو من النعوت العلمية عندهم ويلقبون به اصغر المستخدمين وقد كان في اصل وضعه يضاهي لقب حامل شهادة الفلسفة الادبية او الدكتور في الادبيات في اصطلاح علماء اليوم . والفاضل كان لقباً لاكابر العلماء كالقاضي الفاضل الشهير وهم اليوم ينعتون به ايا كان حتى صغار الباعة والصناع

« وقس على ذلك سائر النعوت . وليس غرضنا البحث في اصلها وتاريخ استخدامها وانما اردنا ان نقترح على كتاب الصحف وسائر ارباب الاقلام ان يعدلوا عن هذه النعوت في ما يكتبونه في صحفهم أو مراسلاتهم — نطلب ذلك باسم الدستور الذي

محا آثار الاستبداد في الدوائر السياسية والمالية والقضائية فهو جدير ان يمحوها في الدوائر الادبية والعلمية . لان تلك النعوت الباردة من جملة آثار الظلم ومن ثمار الرياء والتملق . فلا يليق بقاؤها في عصر الحرية الشخصية والمساواة . ونوجه هذا الاقتراح على الخصوص الى كتاب الصحف ليكونوا قدوة لسائر افراد الامة وينقذوا انفسهم من الحيرة التي يكابدونها عند ذكر الناس في اختيار هذا اللقب لزيد او ذاك لعمرو . لانهم اذا وصف احدهم هذا بالفضل مثلا ولم يصف به ذاك غضب وعاتبه وربما رد اليه جريدته . فاذا ابطل النعوت مطلقاً لا يبقى وجه للعتب ولا خوف من الخسارة » اه

ثم التمسنا من ارباب الصحف ان يوافقونا على ذلك . فنكرر ملتمسنا الآن اذ لا يليق بنا ان نرضى في عصر النور بما هو من شؤون العصور المظلمة

الحواة واستخراج الثعابين

(ابوتيج) انطون افندي عبد الله دوادي

﴿ الهلال ﴾ تجدون مقالة وافية عن حيل الحواة في استخراج الثعابين في الهلال التاسع عشر من السنة الثالثة وفي غيره

رسالة عبد المسيح الكندي

(البحرين) سليمان افندي مكي عبد الله

اطلعت على رسالة عبد المسيح بن اسحق الكندي رداً على رسالة عبد الله بن اسماعيل الهاشمي فمن هما هذان المتناظران وما الذي بعثهما على تلك المناظرة وهل هي صحيحة ومتى كان ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ عبد المسيح بن اسحق الكندي رجل من بني كندة لعله من قارب يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب فقد تعاصرا ولكن هذا كان مسلماً

واما عبد المسيح فكان نصرانياً . اما عبد الله بن اسماعيل الهاشمي فانه من امراء بني العباس والغالب انه عبد الله بن اسماعيل بن علي بن المهدي فيكون عبد الله ابن ابن عم المأمون . وكان معاصراً له معروفاً بالنسك والورع والتمسك بالاسلام . وكان الكندي صديقه شديد التمسك بالنصرانية وكان في خدمة الخليفة . فكتب الهاشمي اليه يدعوه الى الاسلام واذن له ان يرد عليه . فاجابه بصراحة لم تعهد في غير ذلك العصر من عصور التمدن الاسلامي . اذ اطلقت للناس حرية الدين وعقدت مجالس المناظرة فيه وفي غيره . أما صحة هذه المناظرة اي وقوعها فعلاً فيدل عليه اسلوبها . وقد جاء ذكرها في كتاب الآثار الباقية لابي الريحان البيروني في آخر القرن الرابع للهجرة في سياق كلامه عن المجوس او الزرادشتية . فاتى بكلام عبد المسيح بن اسحق الكندي على سبيل الاستشهاد وهذا قوله « وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحق الكندي النصراني عنهم (عن الزرادشتية) في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي انهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً الخ » والبيروني من كبار العلماء الثقات

تاريخ التمدن الاسلامي

١ — ترجمته التركية

ذكرنا في الهلال الاول من هذه السنة اشتغال صديقنا زكي بك مغامز الكاتب العربي التركي المشهور في ترجمة كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية ونشره في جريدة اقدام بالاستانة . وهو لا يزال عاملاً في ذلك وقد اوشك الفراغ من الجزء الثالث . لكنه رأى اصدار هذه الترجمة في كتاب على حدة فعني بالاشتراك مع احمد جودت بك صاحب اقدام في نشرها اجزاء مستقلة كالاصل العربي . وقد صدر الجزء الاول منها في ٢٤٠ صفحة كبيرة متقنة الطبع مزينة بالرسوم

ويسرنا ان الصحافة التركية تلقت ذلك الجزء بالاهتمام . وعني كبار الكتاب في امره وكتبوا المقالات في وصفه . وفي مقدمتهم نجيب عاصم بك من اعضاء لجنة التاريخ

العثماني في الباب العالي نشر مقالة في جريدة اقدام وصف بها الكتاب وبين اهمية الموضوع وكيف ينبغي للادباء ان يتلقوه بالاهتمام والبحث والنقد . ثم ظهرت مقالة في نحو هذا المعنى في « ثروت فنون » بقلم احمد رفيق بك وهو ايضاً عضو في لجنة التاريخ العثماني بالباب العالي . فالرجلان من نخبة علماء التاريخ ـ وانما عمدنا الى التنويه بما كتباه اقراراً بفضلهما وشكراً لهما على خدمة التاريخ بالاقتراح على الادباء والعلماء ان يمحصوا هذا العلم وينتقدوه . وكنا نتوقع ذلك من ادباء العربية وطالما تقدمنا اليهم ان يهتموا بهذا الموضوع وينتقدوه وقلّ من فعل ذلك منهم

٢ — ترجمته الفارسية

نشرنا في الهلال الثامن من السنة الماضية استئذان « وقائع نكار الخراساني » في نقل تاريخ التمدن الاسلامي الى الفارسية وقد جاءنا الآن من البرنس عبد الحسين مرزا القاجار ابن عم شاه العجم رسالة بشأن ترجمة هذا الكتاب في الاطلاع عليها كفاية . وقد ذكرنا قبل الآن ان البرنس المشار اليه قد نقل اكثر روايات تاريخ الاسلام الى اللغة الفارسية • اما كتابه الاخير بشأن تاريخ التمدن فهذا نصه بعد الديباجة :

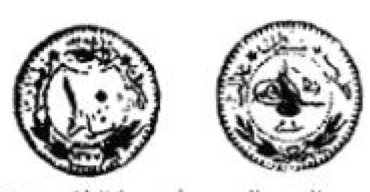
« اني منذ صدر تأليفكم الشريف تاريخ التمدن الاسلامي وطالعته وعرفت اهمية موضوعه وشدة حاجة المسلمين على اختلاف العناصر واللغات الى عرفان مواده ودرس مطالبه كنت مشتاقاً الى ترجمته بلغتنا الفارسية وهي من اقدم اللغات وافصحها ولم يسمح الزمان بفرصة افرغ فيها لهذا المرام . حال دون ذلك انقلاب الاحوال وكثرة القلاقل في المملكة وقد منّ الله على اهل هذه البلاد باستقرار الدستور واستتباب الامن وانعقد المجلس المقدس ثانياً بعد انهدامه وابطاله سنة كاملة وانتخب الشعب نواباً افاضل علماء بصيرين اذ صاروا على بصيرة من المجلس الاول . ومن هؤلاء النواب اعني الوكلاء وكيل بلدة قم التي هي على ثلاث مراحل من عاصمة طهران وبها قبر فاطمة بنت موسى الكاظم . انتخب القميون للوكالة من بينهم لوذعياً عالماً بصيراً ناقداً خبيراً بمصلحة الملك والملة وهو المسمى بميرزا ابراهيم القمي وكيل المجلس . فرأى هذا العالم حاجة الملة الى الاطلاع على هذا الكتاب تعميما للمعارف وشمر عن ساعد الجد في اتمام ذلك المرام وبحث عمن يترجمه على ما ينبغي ولم يكن متعرفاً الى هذا العبد فكاتب الفاضل وقايع نكار الخراساني فترجم له جزءاً منه . ولما اتم الترجمة للمجلد

الاول ورآها الميرزا ابراهيم اعجب بها واستحسنها الا انهُ اراد ان تكون احسن من ذلك . وقد تحمل من المشقة والنفقة في هذا السبيل شيئاً كثيراً — منها انه حفر الاشكال المنقوشة وبذل لذلك ما ليس قليلاً وتكبد مشاق اخرى . وبحث عن المترجمين العالمين باللغتين العربية والفارسية فدلَّ على هذا المحتاج . فترجمتُ له كراساً على سبيل المثال فرآه على مايحب لأني مشتغل بهذا الفن من امد بعيد فصمم على اتمام الترجمة . وقد ترجمت الى الآن المجلد الاول وشرعت في المجلد الثاني ومن الله التوفيق . وكتبت هذا الكتاب الى جنابكم استئذاناً في طبع الترجمة ونشرها . واما ماذكرتم في الهلال من استئذان وقايع نكار فهو ماشرحته لكم . واما ترجمة الآخرين فلا اظن احداً ترجمه كاملاً وان ترجم فهو جزء او فقرات وارجو ان تتم هذه الترجمة وتنشر وتكون كما تشاءون فان الرجل له شوق الى نشر المعارف ورغبة شديدة في هذا الكتاب والله المستعان ودمتم

طهران عبد الحسين القاجار »

﴿ الهلال ﴾ نشكر لكم حسن ظنكم بالكتاب ولا مانع عندنا من نشر الترجمة الفارسية على يدكم لان الغرض انما هو ظهور هذه الترجمة





صور النقود التي سيتعامل بها العثمانيون قريباً

شارلمان وسلطة البابوات

اصلاح — جاء في الهلال الماضي صفحة ٢٦٢ ان شارلمان جعل للبابوات السلطة الرسمية في السياسة سنة ٧٥٥ والصواب سنة ٧٦٨

رثاء بطرس باشا غالي

قصيدة نظمها احمد شوقي بك شاعر الامير تليت في حفلة تأبين اقامتها الامة القبطية تذكاراً لسنة مضت على وفاة المرحوم بطرس باشا غالي . وفيها اشارة الى اتحاد العنصرين المسلم والقبطي قال :

قبر الوزير تحية وسلاما ... الحلم والمعروف فيك اقاما
ومحاسن الاخلاق فيك تغيبت ... عاماً وسوف تغيب الاعواما
قد كنت صومعة فصرت كنيسة ... في ظلها صلى المطيف وصاما
القوم حولك يا ابن غالي خشع ... يقضون حقاً واجباً وذماما
يسعون بالابصار نحو سريره ... كالارض تنشد في السماء غماما
يبكون موئلهم وكهف رجائهم ... والاريحي المفضل المقداما
متسابقين الى ثراك كأنهم ... ناديك في عز الحياة زحاما
ودّوا غداة نقلت بين عيونهم ... لو كان ذلك محشراً وقياما
ماذا لقيت من الرئاسات العلا ... واخذت من نعم الحياة جساما
اليوم يغني عنك لوعة بائس ... وعزاء ارملة وحزن يتامى
والرأي للتاريخ فيك ففي غد ... يزن الرجال وينطق الاحكاما
يقضي عليهم في البرية او لهم ... ويديم حمداً او يؤيد ذاما
انت الحكيم فلا ترعك منية ... اعلمت حياً غير رفدك داما
ان الذي خلق الحياة وضدها ... جعل البقاء لوجهه اكراما
قد عشت تحدث للنصارى الفة ... وتجدُّ بين المسلمين وئاما
واليوم فوق مشيد قبرك مثبتاً ... وجد الموفق للمقال مقاما
الحق ابلج كالصباح لناظر ... لو ان قوماً حكموا الاحلاما
اعهدتنا والقبط الا امة ... للارض واحدة تروم مراما
نعلي تعاليم المسيح لاجلهم ... ويوقرون لاجلنا الاسلاما
الدين للديان جل جلاله ... لو شاء ربك وحد الاقواما
ياقوم بان الرشد فاقصوا ما جرى ... وخذوا الحقيقة وانبذوا الاوهاما
هذي ربوعكم وتلك ربوعنا ... متقابلين نعالج الاياما
هذي قبوركم وتلك قبورنا ... متجاورين جماجماً وعظاما
فبحرمة الموتى وواجب حقهم ... عيشوا كما يقضي الجوار كراما

آخر السنة الثانية . ومن يدفع دينه مقدماً يعمل له خصم ١٢ في المائة

وللمهاجرين الحق في التمتع بالحقوق المدنية ومن يتجنس منهم بالجنسية البرازيلية له الحق بالتمتع بالحقوق السياسية . وبهذا يمكنهم ان يتولوا المناصب السياسية ما عدا منصب رئيس الجمهورية ونائبه

مطبوعات جديدة

١ — الكتب

الاحصاء السنوي العام : اصدرت ادارة عموم الاحصاء الاميرية المصرية الاحصاء السنوي العام للقطر المصري في اللغة العربية لسنة ١٩١٠ في مجلد ضخم وهو يشتمل على احصاء السكان ووسائط النقل والمراسلة والتجارة والزراعة والمالية والارصاد الجوية والصحة العمومية والمدارس والقضاء والسجون والسكة الحديدية والتلغراف والبريد والملاحة والديون العمومية والنقود والمكاييل والمقاييس . وفصول مفيدة في مواضيع اقتصادية . فنشكر لادارة عموم الاحصاء سعيها في وضع هذه الاحصاءات المفيدة . والكتاب يطلب منها في نظارة المالية وثمن النسخة ٢٥ غرشاً

تاريخ كزيده : اهدتنا لجنة تذكار جيب الانكليزية المجلد الاول من « تاريخ كزيده » تأليف حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٣٠ ﻫ وقد طبعته بالتصوير عن نسخة خطية باللغة الفارسية مكتوبة سنة ٨٥٧ﻫ هي في الاصل من ممتلكات معتمد الدولة حاجي فرهاد مرزا . وعني في القيام بالطبع والنشر صديقنا الدكتور براون استاذ اللغة الفارسية في جامعة كمبريدج . والجزء الاول المشار اليه يدخل في ٨٥٣ صفحة منقولة بالفوتوغراف عن النسخة المشار اليها فهي مثلها تماماً . تتضمن متن التاريخ المذكور وفيه بعد المقدمة تاريخ الانبياء قبل الاسلام وطبقات ملوك الفرس الاربع . ثم تاريخ النبي والخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين فالدول الاسلامية الشرقية وهي الصفارية والسامانية والغزنوية والغورية والبويهية والسلجوقية والخوارزمية والاتابكة والاسماعيلية والمغول . وفي ذيله تراجم بعض المشاهير وتاريخ قزوين واهلها واعيانها . والكتاب نظيف الطبع وثمن هذا الجزء ٧٥ غرشاً غير اجرة البريد

مدنيت اسلاميت تاريخي : هي الترجمة التركية لكتابنا تاريخ التمدن الاسلامي بقلم زكي بك مغامز . وقد صدر الجزء الاول منها مطبوعاً في مطبعة اقدام بالاستانة ويطلب منها ومن مكتبتي الهلال والتأليف بمصر وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

دليل السلام . اصدرت ادارة جريدة السلام التي تنشر في بونس ايريس بارجنتين دليلاً تجاريا يحتوي على عنوانات التجار السوريين في الارجنتين والارغواي والبرازيل وشيلي وكثير من الفوائد الاحصائية والمقالات الادبية والتاريخية باللغتين العربية والاسبانية وفي جملة ذلك مقالات عن الجالية السورية والدستور العثماني والمهاجرة ولبنان ونحوها . ويطلب من ادارة السلام

سمير الليالي . صدرت الطبعة الثانية من الجزء الثاني لهذا الكتاب تأليف محمد امين الصوفي السكري وفيه كثير من الحوادث التاريخية الاسلامية ويطلب من طابعه الشيخ عبدالله افندي الرفاعي بطرابلس الشام

مكتبة الجامعة المصرية . اهدتنا الجامعة المصرية قائمة القسم الافرنجي من مكتبتها للسنتين ١٩١٠ و ١٩١١ وفيها اسماء الكتب مرتبة باعداد متسلسلة . وعدد آخر كتاب مذكور فيها ٢٢٨٤ وهي تزداد دائماً بما يأتيها من هدايا المتبرعين فعسى ان تهتم باصدار قائمة لقسمها العربي

كتاب الهمز . هو من كتب اللغة القديمة تأليف ابي زيد سعيد بن اوس الانصاري المتوفى سنة ٢١٤ هـ وقد عني بطبعه الاب لويس شيخو اليسوعي واضاف اليه فهرسين وتصحيحات جزاه الله خيراً على خدمة اللغة وآدابها . ويشتمل الكتاب على تفسير الالفاظ العربية المهموزة

سيرة الفاتح . هي سيرة محمد الثاني العثماني فاتح القسطنطينية تأليف نامق كمال بك الكاتب التركي الشهير وقد نقلها الى العربية عبدالله افندي مخلص ونشرها في حيفا ووقف ريعها على الاسطول العثماني وجعل ثمن النسخة ربع مجيدي وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التأليف

Practical Arabic Course : هو كتاب تعليمي يعلم الانكليز اللغة العربية تأليف ارنست افندي نعمة الله والموسيو شفالي على اسلوب حديث يسهل تعلم هذه اللغة مضبوط بالشكل الكامل مع تمارين وامثلة . وقد عني بنشره المستر فنش احد اساتذة اللغة الانكليزية بالمدارس المصرية وقررت نظارة المعارف العمومية اعتماده في

مدارسها ويطلب من مكتبتي الهلال والتأليف وثمن النسخة عشرون غرشاً

ضحايا البشرية . هو مجموع مقالات اجتماعية انتقادية تأليف نجده افندي نقولا الوف وقد اهداها للسيدة لبيبة هاشم منشئة فتاة الشرق وتباع في المكاتب الشهيرة بمصر والشام وثمن النسخة فرنك

الاقباط في القرن العشرين . هو كتاب تاريخي اجتماعي يبحث في نشوء الامة القبطية واحوالها الاجتماعية والدينية والعلمية والصناعية والاقتصادية تأليف رمزي افندي تادرس محرر في جريدة مصر ويحتوي على فوائد كثيرة يعز وجودها في غيره ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

السفر المفيد في العالم الجديد . هو دليل تجاري لابناء اللغة العربية في العالم وقد وصفناه في الهلال الثالث من هذه السنة وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثون غرشاً والبريد خمسة غروش

مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن : هو كتاب يدل اسمه على موضوعه تأليف جمال الدين افندي القاسمي ويطلب من مطبعة المقتبس في دمشق الشام

الحياة القومية : هو كتاب اجتماعي تهذيبي يشتمل على فصول نشرت تباعاً في « الجريدة » في الحياة القومية لامين افندي حمدي كاتب قلم ضبط مديرية المنوفية ثم جمعت في كتاب على حدة ويطلب من المؤلف في شبين الكوم ومن سائر المكاتب وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف قرش

تاريخ البرازيل وخيراتها : هو كتاب اقتصادي اجتماعي يشتمل على مقالات واحصائيات عن البرازيل وثروتها الزراعية وتجارتها ومعادنها وطرق النقل فيها وماشيتها بالتفصيل فضلاً عن تاريخها ومعه خريطة البرازيل لزيادة الايضاح ويؤخذ من مطالعة هذا الكتاب ان البرازيل كثيرة الخيرات واسعة المساحة مع قلة السكان ويرجى ان يكون لها مستقبل مجيد وشأن عظيم بمن يهاجر اليها من طلاب الرزق والعمل من انحاء العالم والكتاب يطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التأليف

اوربا الغربية وجغرافيو العرب : هي رسالة في اللغة الايطالية لصديقنا الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي الشهير تبحث في ما قاله العرب القدماء عن جغرافية غربي اوربا

Areas Planted in cotton احصاء زراعي وضعته مصلحة المساحة المصرية بالانكليزية عن البقاع المزروعة قطناً بمصر لسنة ١٩١٠ ويطلب منها وثمن النسخة ٥ غروش

الجاذبية وتعليلها : هو رأي جديد في الجاذبية وتعليلها لجميل افندي صدقي الزهاوي الكاتب المشهور يخالف به ما قرره العلم الطبيعي الى الان . فذهب الى ان العامل في ما نسبه الى الجاذبية انما هو قوة الدفع لا قوة الجذب فهو يرى ان سبب سقوط الاجسام الى الارض ليس جاذبية مركزها بل دفع السماء لها . وقد ذكر ادلته في نحو سبعين صحيفة . ولا يزال الراي الشائع اقرب الى الصواب والكتاب يطلب من مطبعة الاداب في بغداد

الحمل خارج الرحم : هو بحث طبي مطول في هذا الموضوع للدكتور محمد افندي عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب

العملية القيصرية : يراد بها عملية شق البطن المشهورة درسها الدكتور المذكور وكتب بها رسالة وافية والكتابان يطلبان منه

الروايات الشهيرة : هي سلسلة روايات يصدرها احمد افندي رفعت وسليم افندي قبعين صدرت الرواية الاولى منها واسمها العالم العاشق تأليف الاورد ليتون وتعريب رفعت افندي تصدر في اجزاء وتطلب من صاحبيها بعنوان صندوق البوسته نمرة ٣٣٨

شهيدة الوفاء والواجب : هي رواية ادبية تهذيبية اجتماعية تاريخية تأليف محمد افندي عبد الرحمن الصباحي وهي تطلب من حضرته بالاسكندرية

٢ — الجرائد والمجلات

سبيل الرشاد : جريدة عربية تركية تصدر في بغداد مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها محمد افندي بهجت بدل اشتراكها في الخارج ثمانية فرنكات

البيان : جريدة ادبية سياسية اخبارية انتقادية تصدر في نيويورك مرة في الاسبوع لصاحبيها سليمان افندي بدور مديرها وعباس افندي ابي شقرا محررها بدل اشتراكها في الخارج اربعة ريالات

الجوهر الساطع : هي جريدة سياسية قضائية علمية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها رزق الله افندي جرجس بشاي بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و١٧ فرنكاً في الخارج

زحلة الفتاة : جريدة سياسية انتقادية اصلاحية تصدر في زحلة لبنان مرة في الاسبوع لصاحبها ابراهيم افندي الراعي ومحررها شكري افندي بخاش ومديرها بشاره افندي قريطم بدل اشتراكها في الخارج نصف ليرة انكليزية

الحق : جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في طنجة بمراكش مرة في الاسبوع

(لم يذكر اسم صاحبها) بدل اشتراكها في الخارج خمسة فرنكات ونصف

الوطنية : جريدة علمية ادبية اجتماعية سياسية تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها محمد افندي القلقيلي بدل اشتراكها في الخارج ستون غرشاً مصرياً

الاجيال : هي جريدة سياسية تصدر في طرابلس الشام مرة في الاسبوع لاصحابها الافندية طربيه وشاغوري وكيروز ويازجي رئيس تحريرها توفيق افندي اليازجي بدل اشتراكها في الخارج نصف ليرة انكليزية

مجلة الصحة : هي مجلة صحية تتضمن فوائد اقرباذينية وطبية تصدر بمصر مرة في الشهر لصاحبها الموسيو هيبر ليون ويحررها نخبة من الاطباء والصيادلة المصريين وغيرهم بدل اشتراكها ٢٤ غرشاً

السمير : مجلة روائية ادبية تاريخية تظهر في الاسكندرية مرتين في الشهر لمنشئها قيصر افندي شميل بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً في مصر و١٥ فرنكا في الخارج

الورقاء : مجلة علمية ادبية صناعية يصدر منها بحلب ستة اجزاء في السنة لمنشئها ومديرها الخوري فسقفوس جرجس شلحت بدل اشتراكها ريال مجيدي بحلب و ٥ فرنكات في الخارج

كوكب البرية : مجلة كاثوليكية شاملة تصدر في بعبدا (لبنان) مرة في الشهر لصاحبها ورئيس تحريرها الاب يوسف الشدياق بدل اشتراكها مجيديان في بلاد الدولة وثلاثة ريالات في الخارج

المعارف : مجلة علمية ادبية صحية اجتماعية تصدر في كيركسفيل ميزوري بامركا مرة في الشهر لاصحابها الخواجات رشيد ويوسف وانيس حنا جريج بدل اشتراكها ريالان في اميركا وريالان ونصف في الخارج

تاريخ مصر الحديث

الطبعة الثانية

ظهر كتابنا تاريخ مصر الحديث منذ نيف وعشرين سنة وقد نفذت نسخه واخذنا في تنقيحه واعادة طبعه وسنضيف اليه ما حدث بعد الطبعة الاولى الى الآن . وسنزينهُ برسوم كثيرة فضلاً عن الرسوم التي في الطبعة الاولى وسيصدر في بضعة اشهر ونعلن عنه عند الفراغ من طبعه

فمن كانت له ملاحظة على الطبعة الاولى فلينبهنا اليها وله الفضل

الهلال

الجزء السابع من السنة التاسعة عشرة

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١١ و ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩

هولاكو التتري

وسقوط بغداد

انتقال التمدن الاسلامي من طور الى طور

بغداد

هي عاصمة الدولة العباسية بناها المنصور سنة ١٤٥ هـ ولا تزال باقية الى اليوم وقد تغير موضعها مراراً . والسبب في بنائها ان السفاح لما بويع بالخلافة وكثر انصاره في العراق وفارس نزل الكوفة ومعه اخوه المنصور . ثم بنى السفاح قرب الانبار مدينة سماها الهاشمية اشارة الى ما يجمع بين العباسيين والعلويين وانتقلا اليها وبها مات السفاح وقبره فيها . واقام المنصور في الهاشمية بضع سنين ثم ثار جماعة الراوندية فكره سكناها وخرج يبحث عن مكان يبني فيه مدينة حصينة فدلوه على مكان بغداد وحسنوه له فبنى فيه مدينة سماها بغداد وعرفت بمدينة المنصور

بناها في الجانب الغربي لدجلة بشكل مستدير وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه . فلما كانت ايام المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي من دجلة

وسمي ذلك المكان عسكر المهدي . ثم انتقل اليه الوجهاء واهل الدولة وبنوا فيه وانتقلت الخلافة الى الجانب المذكور وامتدت ابنية الخلفاء وحدائقها على ضفة النهر . وسمي جانب بغداد الشرقي الرصافة والجانب الغربي الكرخ

وبلغت بغداد معظم عمارتها في ايام المأمون حتى امتدت ابنيتها وبساتينها على بقعة قالوا ان مساحتها ٥٣٧٥٠ جريباً منها ٢٦٧٥٠ جريباً في الجانب الشرقي و٢٧٠٠٠ في الجانب الغربي والجريب ٣٦٠٠ ذراع مربع ونسبته الى الفدان كنسبة ١٠٠ الى ٣٣٣ فتكون مساحة بغداد كلها نحو ١٦٠٠٠ فدان وهو شيء كثير . ولكن يظهر انها كانها عبارة عن مدن متلاصقة — قال الخطيب البغدادي في تاريخه انها اربعون مدينة وان الحمامات بلغ عددها في ايام المأمون ٦٥٠٠٠ حمام . وقد اراد صاحب سير الملوك بيان مقدار عمارة بغداد فقال « وكان عدد الحمامات في ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمام واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر حامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء يكون ذلك ثلاثمائة الف رجل وذكر ان يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد وتقدير ذلك ان اقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان »

ولا ينطبق هذا التخريج على ما نعلمه من احوال هذه الايام فلا نسلم به كما هو ولكنه يدلنا على ما بلغت اليه هذه المدينة من العظمة في عهد ذلك التمدن العجيب . وقد يؤيد ذلك ما رواه الطبري في اثناء كلامه عن الفتنة التي وقعت في بغداد سنة ٢٥٥ هـ قال « وقيل انه عبر الجسرين من العامة في ذلك الوقت ١٠٠٠٠٠ انسان في الزوارق . . » فاذا كان هذا عدد الذين عبروا النهر فا قولك بمن لم يعبر فلا نبالغ اذا جعلنا عدد سكان بغداد في ذلك العهد نحو مليون ونصف او مليونين

وقد وصفها الاصطخري الرحالة كما شاهدها في القرن الرابع للهجرة فقال « وتفترش قصور الخلافة وبساتينها من بغداد الى نهر بين فرسخين على جدار واحد حتى تتصل من نهر بين الى شط دجلة ثم يتصل البناء بدار الخلافة مرتفعاً على دجلة الى الشماسية نحو خمسة اميال وتحاذي الشماسية في الجانب الغربي الحربية فيمتد نازلاً على دجلة الى آخر الكرخ الخ » ثم قال « وبين بغداد والكوفة (او بين دجلة والفرات) سواد مشتبك غير مميز تخترق اليه انهار من الفرات » ثم عدد الانهر التي تمتد من الفرات الى دجلة (انظر الخارطة)



١ قصر الذهب او القبة الخضراء

٢ جامع المنصور

٣ ابنية الحكومة لصالح الدولة

٤ المطبق

٥ باب البصرة

٦ باب الخراسان

٧ باب الشام

٨ باب الكوفة

٩ جامع المسيب

١٠ ديوان الصدقة

١١ سجن باب الشام

١٢ الميدان وبجانبه الاصطبل

١٣ دار القرار (قصر زبيدة)

١٤ دار حميد بن عبد الحميد وباب الشعير

١٥ جامع معروف الكرخي

١٦ مشهد علي

١٧ قصر جعفر البرمكي ثم صار من قصور الخلافة

١٨ قصر التاج

١٩ قصر الفردوس

٢٠ دار عيسى

٢ قصر ابن الخصيب

٢٢ قصر المعتصم

٢٣ دار الروم (البطركخانه)

٢٤ قصور البرامكة

٢٥ باب الطاق

٢٦ قصر المهدي

٢٧ جامع الرصافة

٢٨ باب الشماسية وقصر مؤنس

٢٩ قصر الحريم الطاهري

٣٠ قصر زبيدة

٣١ دار الرقيق

٣٢ قصر الخلد

٣٣ حدائق القصور او البساتين

قصورها

وناهيك بما شادوه في بغداد من القصور واول من فعل ذلك المنصور فبنى القبة الخضراء ليحول اذهان الناس عن الكعبة اليها وبنى الجامع والحصون والقصور في بغداد كقصر الخلد وقصر باب الذهب وغيرهما واخذ الخلفاء بعده في تشييد المصانع واقتدى بهم وزراؤهم وأمراؤهم فقاموا قصوراً فخيمة تعرف غالباً باسماء بانيها كقصور البرامكة في الشماسية وقصر ابن الخصيب وقصر ام حبيب بالجانب الشرقي من بغداد وقصر بني خالد بالبصرة وقصر عيسى بن علي وهو اول قصر بناه الهاشميون في ايام المنصور وقصر وضاح بناه رجل اسمه وضاح المهدي العباسي وقصر الرشيد وقصر الامين وقصر ابن الفرات وقصر ابن مقلة غير ما اطلقوا عليه لفظ الدار كدار الشجرة الآتي ذكرها ودار القرار وهي قصر زبيدة زوج الرشيد وغير ذلك . واخذت رغبتهم في بناء القصور تتزايد كلما تقدموا في المدنية واغرقوا بالترف والرخاء . على ان بعض خلفائهم كانوا يحبون العمارة وينشطونها واولهم المعتصم بالله فقد كان كلفاً بالبناء فبنى سامرا لاتراكه واقطعهم فيها القطائع . والمتوكل على الله كان مغرماً بالعمارة يبذل فيها الاموال الطائلة فاحدث اساليب من الابنية لم تكن معروفة قبله منها نمط الحيري والكمين ذات الاروقة . وبنى ثلاثة ابنية تعرف بالهاروني والجوسق والجعفري بذل في بنائها جميعاً اكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم انفق منها على القصر الجعفري اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ دينار او نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠ درهم ثم صار تشييد المباني عادة جرى عليها الخلفاء فضلاً عن المتنزهات فبنى اسماعيل بن علي متنزهاً انفق فيه ٥٠٠٠٠٠٠٠ درهم

وكان المعتضد بالله محباً للعمارة ايضاً فبنى قصراً في الجانب الشرقي من بغداد سماه « قصر التاج » (انظر الخارطة) لم يتم في ايامه فاتمه ابنه المكتفي . وكان في مكانه قصر بناه جعفر البرمكي ثم سكنه الحسن بن سهل فسمي القصر الحسني . فلما تولى المعتضد سنة ٢٧٩ هـ اضاف اليه ما جاوره فوسعه وكبره وأدار عليه سوراً واتخذ حوله منازل كثيرة ودوراً واقتطع من البرية قطعة عملها ميداناً . واخذ في بناء قصر التاج فاتفق خروجه الى آمد فلما عاد رأى الدخان يرتفع الى الدار فكرهه وابتنى على ميلين منه قصراً سماه « قصر الثريا » طوله ثلاثة فراسخ انفق فيه ٤٠٠٠٠٠ دينار ووصله بالقصر الحسني وابتنى بين القصرين على مسافة ميلين سرداباً تمشي فيه جواريه وحرمه وسراريه وما زال باقياً الى الغرق الاول الذي صار ببغداد

وبنى المقتدر بالله في اول القرن الرابع داراً فسيحة ذات بساتين مونقة عرفت بدار الشجرة لشجرة كانت فيها مصنوعة من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة امام ابوابها وبين شجر بساتينها لها ثمانية عشر غصناً من الذهب والفضة لكل غصن منها فروع كثيرة مكللة بانواع الجوهر على شكل الثمار . وعلى اغصانها انواع الطيور من الذهب والفضة اذا مر الهواء عليها ابانت عن عجائب من ضروب الصفير والهدير . وفي جانب الدار من يمين البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساً . ومثله عن يسار البركة قد البسوا انواع الحرير المدبج مقلدين بالسيوف وفي ايديهم المطارد يتحركون على خط واحد فيظن الناظر اليهم ان كل واحد منهم يقصد صاحبه

وفي دولة آل بويه بنى معز الدولة قصره المعروف بالدار المعزية انفق في بنائه ١٠٠٠٠٠٠ دينار وموه سقفه بالذهب — ذكروا انهم لما ارادوا هدمه نالوا في حك الذهب من سقفه ٨٠٠٠ دينار — غير ما بنوه فيها من المدارس والمارستانات والمراصد والمكاتب مما يفوق الحصر ويطول بنا وصفه

الشقاق بين اهلها كان علة سقوطها

مضت عدة قرون وبغداد هي وحدها ام المدائن وبؤرة التجارة ومجتمع العلماء والشعراء وموئل طلاب الثروة والوجاهة . على انها ما لبثت ان ضعف شأن الخلافة حتى تسربت اليها الدسائس وقامت الفتن بين اهلها واهمها الشقاق بين السنة والشيعة وتكررت في اواخر الدولة فلا تمضي سنة لا يقع فيها بين الطائفتين قتال تتوسط الحكومة في اصلاحه . وبما ان الحكومة سنية فالضغط كان يقع غالباً على الشيعة وكانوا يقيمون معاً في الكرخ والكاظمية وهم صابرون على ما يكابدونه من الاضطهاد والحكومة مع ذلك تولهم مصالحها وتعهد اليهم بتدبير شؤونها . وكان هذا الشقاق سبباً في سقوطها ودخولها في حوزة التتر على يد هولاكو — وذلك طبيعي في تاريخ الدول فاذا تدبرت اسباب الانقلابات السياسية التي تنتقل بها السيادة من دولة الى دولة وجدت السبب غالباً انقسام ابناء البلاد فيما بينهم بالمشاحنات الدينية او الاغراض السياسية حتى يستولي القنوط على الفئة الضعيفة اذا غلبت على امرها فتستنجد قوماً غرباء يأخذون بناصرها ثم لا يزالون يتحينون الفرص حتى تصير الدولة اليهم . ولا تكاد تجد انقلاباً سياسياً في تلك العصور يخرج في سببه عن نحو ما تقدم . والامثلة كثيرة في تاريخ الشرق من اقدم ازمانه الى الآن يكفي القارىء منها ان يراجع تاريخ مصر من الفتح الاسلامي الى الآن .

هولاكو والمستعصم

هولاكو من سلالة جنكزخان القائد المغولي الشهير وكانت مملكة جنكزخان قد انقسمت بين اولاده وفي جملتهم طلوي تولى بلاد المغول سنة ٦٥٤ هـ وابنه هولاكو هو فاتح بغداد وقد اسس دولة عرفت بدولة ايلخان أو مغول الفرس. فلما استقر له الامر في فارس حمل على بغداد وخليفتها يومئذ المستعصم العباسي وقد انحصرت سيادته وضاق نطاق مملكته بعد استبداد اهل النواحي بإماراتهم وتكاثرت الدسائس في بلاطه حتى آلت الى ذهاب دولته

والمستعصم اسمه عبدالله بن منصور ولد سنة ٦٠٩ هـ وتولى الخلافة سنة ٦٤٠ وهو في الحادية والثلاثين من عمره وكان متديناً شديد التمسك بمذهب اهل السنة والجماعة وكانت عادة الخلفاء قبله ان يحبسوا اولادهم واقاربهم وما زالت تلك سنتهم حتى تولى المستعصم فاطلق اولاده فكان اطلاقهم من بواعث الاذى. لان احدهم ابا بكر كان من اكبر اسباب الفتنة. وكان المستعصم طيب السريرة مخلص الطوية لكنه كان ضعيف الرأي قليل التبصر في عواقب الامور. واشتدت الفتنة في ايامه بين السنة والشيعة وبين الحنابلة وغيرهم من اهل المذاهب الاخرى وبين العيارين والدعار — وكان هؤلاء الرعاع لا تحدث فتنة بين الملوك أو الامراء وأهل الدولة الا ويحدث بين هؤلاء منازعات وحروب واهمها بين السنة والشيعة . وكانت الشيعة هي الفئة الضعيفة المغلوبة فالخطر من استنصار الغرباء انما يكون من جانبها . ووافق ذلك ان تولى الوزارة واحد منها اسمه ابن العلقمي سبيل ذلك الخروج عليها

ابن العلقمي الوزير

هو مؤيد الدين بن العلقمي ولاه المستعصم الوزارة من اوائل خلافته فقضى فيها بضع عشرة سنة وكان من اهل الكفاءة والدهاء وكان من غلاة الشيعة لكنه كان نصوحاً في خدمة الدولة فاصبحت الامور كلها اليه ولم يبق للخليفة غير الاسم لكنه حُمل على خيانة الدولة انتقاماً من ابي بكر ابن الخليفة اذ وقعت فتنة بين السنة والشيعة على جاري العادة وكان ابو بكر المذكور شديد العصبية على الشيعة وهم يقيمون غربي

بغداد وا كثرهم في الكرخ والكاظمية كما تقدم فاستعان بالله وادار قائد الجند وامر العسكر ان يفتكوا بالشيعة فهجموا على الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش . فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي وكان هولاكو قد اخذ في تهديد بغداد فعزم على نصرته وخابره سرًّا . وذكروا من وسائل تلك المخابرة السرية وسيلة شيطانية — ذلك انه أخذ رجلاً وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب ما اراد عليه بالابر ونفض عليه الكحل وتركه عنده الى ان طلع شعره وغطى ما كتب فجهزه وقال « اذا وصلت مُرْهم بحلق رأسك ودعهم يقرأون ما فيه » وكان في آخر ما كتبه هناك « قطّعوا الورقة » فضربت عنقه

اسباب الفتح

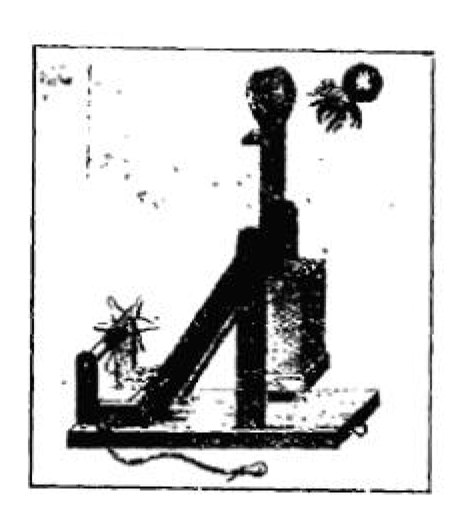
وكان بدء المنازعة بين هولاكو والخليفة المستعصم بالله ان هولاكو كان يحارب الاسماعيلية في فارس ويحاصر قلاعهم فكتب الى المستعصم يستنجده فاراد ان ينجده فمنعه امراؤه من ذلك مخافة ان يكون قصد هولاكو الخديعة لتخلو بغداد من الرجال فيملكها بسهولة . ثم فتح هولاكو تلك القلاع وبعث الى المستعصم يعاتبه فاشار عليه الوزير ابن العلقمي أن يسترضيه بالهدايا والاموال فاطاعه واخذ في تجهيز هدية من الجواهر والمماليك والبنات فاعترض الدوادار وطعن في نية الوزير وقال « انه يروم تسليم الدولة الى التتر » فكف الخليفة وارسل هدية يسيرة فغضب هولاكو وبعث الى الخليفة انه لا يرضيه الا اذا اتى هو بنفسه للاعتذار او ان ينيب عنه الوزير أو الدوادار فلم يطاوعه فسير اناساً لم يقبل هولاكو نيابتهم واتخذ ذلك ذريعة للحملة على بغداد

ووافق ذلك فراغ الخزينة من الاموال فقضت سياسة المستعصم أن يقتصد من أعطيات الجند — أشار عليه وزيره ابن العلقمي بذلك وحجته انه اذا توفر لديه المال ارضى به التتر فيعودون بلا حرب . وكان عسكر بغداد مئة الف فارس فاخرج منهم ثمانين الفاً واستبقى عشرين فزادت نقمة الناس على الخليفة ووزيره وزاد هذا حاجة للخيانة دفاعاً عن نفسه

أما هولاكو فسار بجنده من خراسان حتى أتى حلوان فقسمهُ فرقتين ارسل فرقة بقيادة باجو تقطع دجلة عند تكريت لتنزل من هناك حتى تفتح الانبار على الفرات ثم تتقدم على بغداد من غربيها . وحمل هولاكو بحملة اخرى يقصد بغداد من شرقيها

الفتح

فسارت الحملة الغربية بقيادة باجو فعبرت دجلة عند تكريت ونزلت تطلب بغداد من الغرب . فاجفل أهل الضواحي عند دجيل وعند نهر الاسحاقي ونهر عيسى وهربوا الى المدينة باولادهم ونسائهم مذعورين حتى كان الرجل او المرأة يقذف بنفسه في الماء. وكان الملاح اذا عبّر احداً في سفينة من جانب الى جانب يأخذ اجرته سواراً من ذهب أو طرازاً من زركش أو عدة من الدنانير . فلما وصل عسكر التتر الى دجيل وهو يزيد على ثلاثين الف فارس خرج اليه عسكر الخليفة ومعهم مقدم الجيوش مجاهد الدين أيبك الدوادار . وكان عسكراً في غاية القلة فالتقوا بالجانب الغربي من بغداد قريباً من البلد . فكانت الغلبة في اول الامر لعسكر الخليفة . ثم كان النصر للعسكر التتري فابادوهم قتلاً وأسراً . واعانهم على ذلك نهر فتحوه في طول الليل فكثرت الوحول في طريق المنهزمين فلم ينج منهم الا من رمى نفسه في الماء او من دخل البرية ومضى على وجهه الى الشام . ونجا الدوادار في جماعة من عسكره ووصل الى بغداد . وساق باجو حتى دخل البلد في جانبه الغربي ووقف بعساكره محاذي التاج في محل يقال له المبقلة وعسكر قسم منهم في محل آخر قرب المارستان العضدي بالشمال (انظر الخارطة الثانية)



المجانيق لرمي النفط المشتعل في اثناء الحصار

أما رجال هولاكو فانهم أشرفوا على شرقي بغداد في اواسط المحرم سنة ٦٥٦ هـ

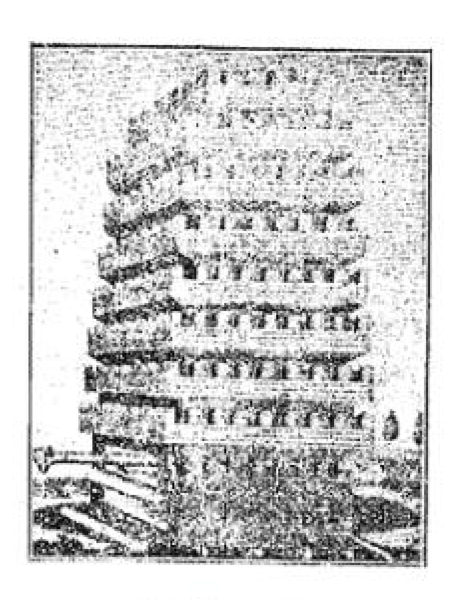
وعسكروا خارجها و بنوا سوراً عالياً نصبوا عليه المجانيق وآلات النفط وآلات رمي السهام وكان بدء القتال في ٢٢ محرم وكانوا قد تخابروا مع اهل الشيعة المقيمين في الكاظمية والكرخ وسهلوا عليهم المرور والثبات ولكن قوة الدولة الحقيقية في شرقي بغداد وفيها قصور الخليفة واعوانه وحولها سور عليه الابراج والابواب



آلات لرمي النبال على الأسوار

فألح هولاكو في حصار بغداد وهاجمها مراراً فخاف الخليفة وتحقق وقوع الخطر فانفذ وزيره ابن العلقمي لمخابرته بحجة أن هولاكو كان قد طلب ارساله او ارسال الدوادار وها هوقد ارسل الوزير. فاجابه هولاكو «اني طلبت ذلك لما كنت في همذان» ولا ندري ما دار بينه و بين الوزير ثم عاد الوزير وعاد هولاكو الى التضييق وأمر رجاله ان يكتبوا على السهام التي يرمونها على بغداد بالعربية «ان الرؤساء العلويين (الشيعة) وكل من لا يقاتلنا فهو آمن على نفسه وحريمه وأمواله»

وفي ٢٦ محرم هجم التتر على أسوار بغداد في الشرق من جهة برج العجمي جنوبي باب الحلبة واستولوا عليه ثم فتحوا غيره وملكوا الاسوار. وكانوا قد بعثوا من يحرس الشاطىء لئلا يخرج أحد. ولم ير الخليفة بدا من الخروج الى هولاكو بنفسه. ويقال انه فعل ذلك باشارة الوزير ابن العلقمي وكان قد خرج الى هولاكو واستأمن لنفسه وزعم انه أتى بالامان للخليفة وان هولاكو يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم. وانه يريد

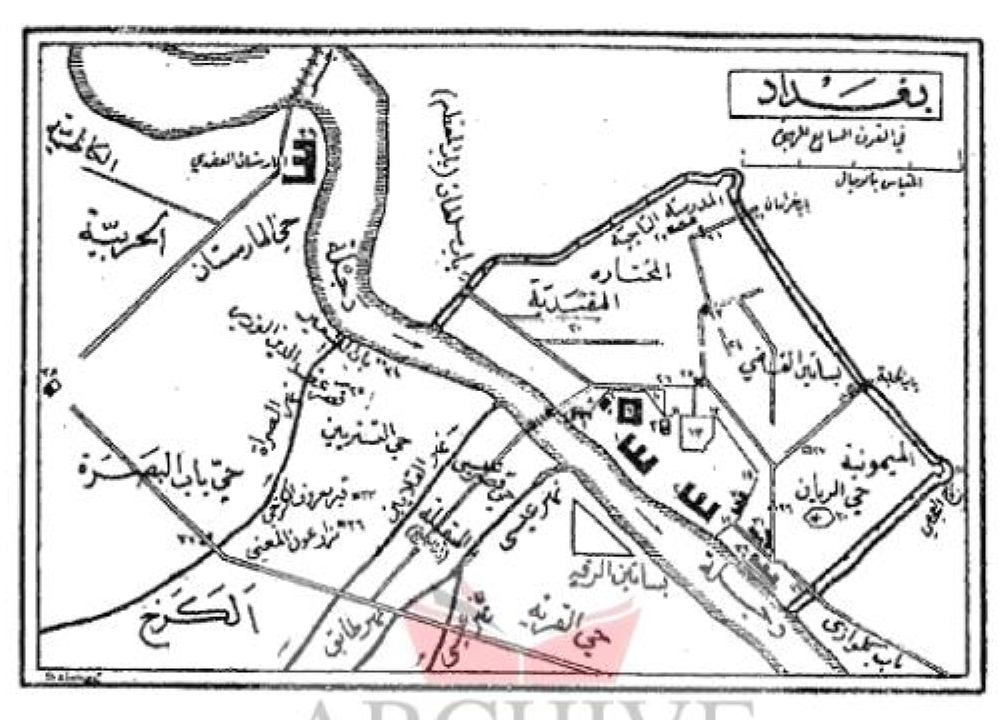


دبابة لنقب الاسوار

ان يزوج ابنته من ابنه ابي بكر. وحسن له الخروج فخرج المستعصم الى هولاكو ومع رجال خاصته فامر بانزاله في فسطاط عند باب كلواذى المحاذي للشاطيء (انظر الخارطة الثانية) ودخل هولاكو بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وتقدم باحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً معباة في اطباق ففرق هولاكو جميعها على الامراء . وعند المساء خرج الى منزله وامر الخليفة ان يفرز جميع النساء اللواتي باشرهن هو وبنوه ويعزلهن عن غيرهن ففعل فكنّ سبعمائة امرأة فاخرجهن ومعهن ثلثمائة خادم خصي

ثم ان الوزير استدعى الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محيي الدين بن الجوزي واولاده وكذلك ظل يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا على دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيراً فاخذ اسيراً . ودام القتل والنهب في بغداد نحو اربعين يوماً ثم نودي بالامان . واما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله أعلم

واختلفوا في عدد من قتل في ذلك الفتح فقيل ١٦٠٠٠٠٠ نفس وقيل ٢٠٠٠٠٠٠



بغداد لما فتحها هولاكو في اواسط القرن السابع للهجرة

١ القصر الحسني	١٤ باب البستان	٢٧ قبر عبد القادر الجيلاني
٢ قصر التاج	١٥ باب الدرجات	٢٨ برج العجمي
٣ قصر الخليفة	١٦ باب السلطان (باب المعظم)	٢٩ باب الازج
٤ المدرسة المستنصرية	١٧ باب خراسان	٣٠ دير زندورد
٥ قصر الامراء	١٨ باب الحلبة	٣١ مارستان البهائية
٦ قصر الريحانية	١٩ باب كلواذى	٣٢ المدرسة النظامية
٧ قصر ميدان خالص	٢٠ سوق القرميد ودرب المنيره	٢٣ قبر معروف الكرخي
٨ باب الصفصافة	٢١ الوردية	٣٤ باب الشعير
٩ باب سوق الباح	٢٢ المدرسة التاجية	٣٥ قصر عضد الدين الوزير
١٠ باب بدر	٢٣ قنطرة الصيقليين	٣٦ مزار عون المعين
١١ باب النوبي	٢٤ سوق الترعة	٣٧ باب البصرة
١٢ باب العامة	٢٥ قنطرة الصناع	٣٨ جامع المنصور
١٣ حدود القصر الخارجية	٢٦ سوق العطارين	٣٩ المارستان العضدي

وقيل غير ذلك والاغلب انها تزيد على مليون واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط . والقوا كتب العلم التي كانت في الخزائن جميعها في دجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه - زعموا انهم فعلوا ذلك انتقاماً لما فعله المسلمون لاول الفتح بكتب الفرس وعلومهم . وقال آخرون ان هولاكو بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن الطين وذكروا ان هولاكو اقترح اضرام بيوت بغداد فلم يوافقه اصحابه على ذلك

نصير الدين الطوسي

فيظهر هولاكو للقارىء بما تقدم من اعماله كانه وحش كاسر انما جاء للقتل والخراب وابادة العلم واهله . ولكننا لا نلبث اذا درسنا ما فعله بعد ذلك الفتح ان نرى له يداً في احياء العلوم وتنشيطها . ولم يكن غرضه من اغراق كتب المسلمين الا محو آثارهم لا محو العلم . وكان ذلك من جملة القواعد السياسية في تأسيس الدول فتبيد الدولة آثار ما كان قبلها ثم تبني من نفسها - كذلك فعل العرب وغيرهم . وهذا هولاكو فانه لم يكد يفرغ من النهب والقتل واغراق الكتب في بغداد حتى امر نصير الدين الطوسي العالم الشهير ببناء المراصد وانشاء المكاتب ووضع الاموال تحت تصرفه بما يريده من ترقية العلم فابتنى مرصداً في مراغة انشأ فيه مكتبة عظيمة فسيحة الارجاء ملأها بالكتب التي بقيت من منهوبات بغداد والشام والجزيرة فزادت على ٤٠٠٠٠٠ مجلد . وعين المنجمين للرصد وجمع اليه الفلاسفة وجعل لهم الارزاق الموقوفة واكثر من آلات الرصد مما كانوا قد وصلوا اليه في عصره . وقد وصف المرصد رحالة زاره في ذلك العهد فقال « رأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس الاولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الارض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية التي يعرف بها سمت الكواكب الخ »

وجملة القول أن سقوط بغداد سببه انقسام أهلها وتعصبهم الديني بعضهم على بعض وانحياز الفئة الضعيفة للفاتح الغريب . وان هولاكو مع مايظهر من مقاومته العلم انما كان يفعل ذلك من وجهة سياسية ليذهب بآثار أعدائه وينشىء تمدناً لنفسه يفتخر به

هند الصغيرة

كيف ينبغي ان تكون

صغيرةُ السنِّ طاب مولدها ... يكاد قلب الخليِّ يعبدها
يرى لها طلعة اذا غربت ... فراقدٌ لا يغيب فرقدها
وعين رئم تظل ساجيةً ... ابيضها خالصٌ واسودها
ترنو بها لا رنوّ عاشقة ... بل لمُنىً في الصغار نعهدها
وشامة فوق خدها تركت ... انسان عين الحسناء يحسدها
والعندليب استعار نغمتها ... في الصبح انشودةً يردّدها
واعتادت الشمس لثم وجنتها ... فكان من حرها تورُّدها

***

طوراً لها ضحكة تكررها ... وتارة زفرة تصعّدها
وليس من غاية تبسمها ... وليس من لوعة تنهدها
اذا رأت زائراً تهش له ... وما احتفاء بالضيف تقصدها
وان دنت جمّة الصغار بها ... اليه جاء الحياء يُبعدها
ومن الاعيبها بها فكَرٌ ... تقيمها تارة وتقعدها
ان لم تجد منجداً على حنق ... فدمعها عند ذاك ينجدها
وامها تارة تقبلها ... وتارة (بالقضيب) توعدها

***

توقظها نسمة الصباح وان ... سرى نسيم العشيّ يرقدها
تبسم في المهد وهي نائمةً ... عن درر ربها منضدها
تخال في الحلم انها انقلبت ... عصفورة لا شقاء يجهدها
او نجمة في السماء لامعة ... وامها في الظلام ترصدها
او قطعة (الراديوم) ناظرها ... يبهرهُ في الدجى توقدها
أو قطرة من ندى كلؤلؤة ... تمنت الغيد لو تقلدها
أو دمعة فوق خد عاشقة ... معشوقها بالجفا يهددها

أو نفحة من اريج نرجسة تصدرها الريح ثمَّ توردها
أو وردةً فوق صدر فاتنة يفضح غصن النقا تأوُّدُها
بمثل ذا تحلم الصغيرة إن ميزها بالجمال مُوجدُها

***

يا هندُ عيشي الى زمان نرى هنداً واعمالها تسوِّدُها
كوني الفتاة التي اذا ذُكرت مضى محبُّ العفاف ينشدها
ولا تكوني التي اذا صلحت بحسنها فالفعال تفسدها
ولا التي تكتفي بزينتها عن عمل ان اتتهُ يسعدها
بجمعُ بعضَ النقود والدها وهي على نفسها تبدِّدُها
وتلبسُ الوشيَ وهي عاريةٌ من ادب النفس منذ مولدها
حاليةُ الجيد وهي في عطَلٍ من شيم في الورى تمجدها
كأنما وجها تبيِّضُهُ صفحة تاريخها تسوِّدها
سديدة القدِّ غير ان لها خلائقاً ضاع من يسدِّدُها
لم يبدُ في وجها الحياء ولا مدَّت الى غير عاشق يدُها
لا وعدُها مثبتٌ اذا وعدت يوماً ولا صادقٌ تودُّدُها
يمدحها المرء قبل تجربة وان بلاها انثنى يفنِّدُها
ولم مضى قلبه ليدعوها اليهِ جاء الاباء يطردها
كزهرة شكلها يسر ولو شممتها لا أراك تحمدها
أو قطعة في النقود زائفة يرفضها المرء حين ينقدها

***

كوني الفتاة التي محاقبها تدلقها والتقى تقيِّدها
كوني الفتاة التي يؤدبها عفافها والكمال يرشدها
ألحسن انواعه قد اختلفت لكنَّ حسن الخصال اجودها

(لبنان) امين ناصر الدين

التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

كان موضوع التربية والتعليم عند اجدادنا القدماء من اهم المواضيع التي اعاروها جانب الالتفات بدليل تلك العبارة التي قالها الحكيم المصري الكبير دووف بن خرتي لابنه ببي عندما الحقه بمدرسة العلوم والآداب بالقصر الملكي وهي « يا بني استسلم للتعليم وتمسك به كما تتمسك بوالدتك . لا شيء في الوجود ثمين كالعلم »

وهذه العبارة التي يستدل منها على عناية المصريين بأمر التعليم مثال بسيط لما نجده في آدابهم وتعاليمهم من عبارات الحث على الدرس والتعليم لا يمكننا سردها في هذا المقام

وقد بين لنا دووف المذكور سبب عناية المصريين القدماء بامر التعليم ببيتين من الشعر كانا دائمين على السنة الكتاب في العصور الحوالي هذا مغزاهما :

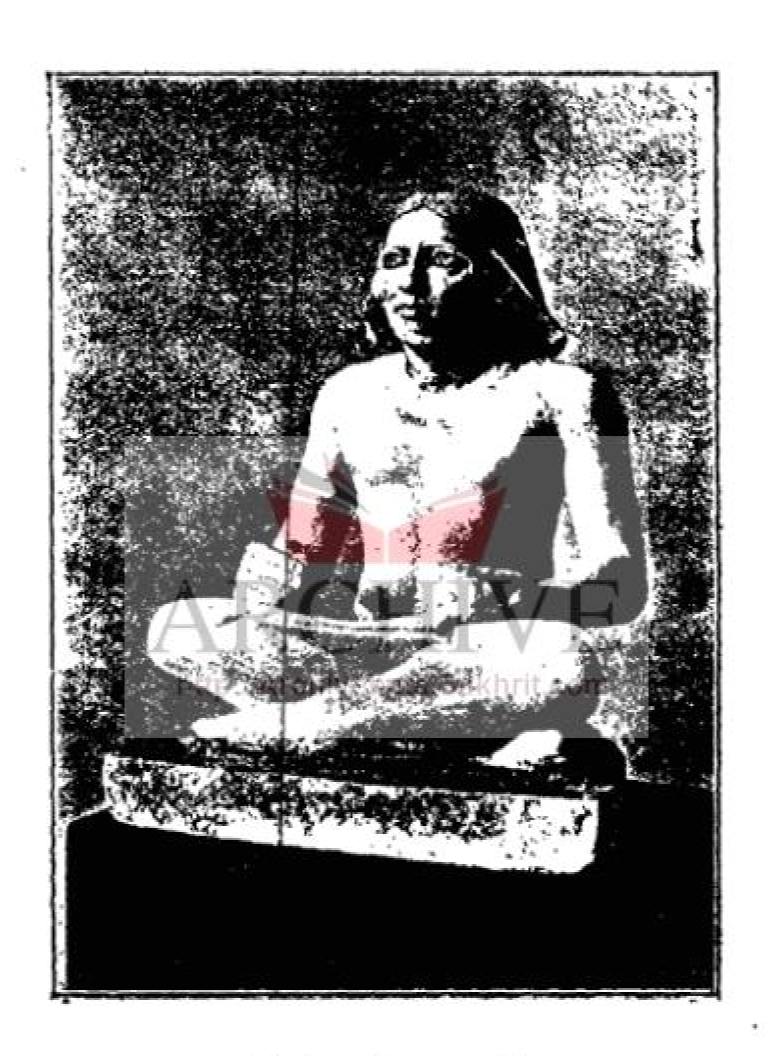
« كل صاحب مهنة مرؤوس

الا العالم فانه رئيس نفسه »

وكان المصريون يجلون المتعلمين فلا يقلدون مناصب الحكومة الكبرى الا لاهل العلم . وبالعلم وحده كان الانسان يترقى من الطبقة السفلى الى الطبقتين الوسطى والعليا ويريح نفسه من مشاق الاعمال التي يقوم ارباب الحرف والصنائع بتأديتها . وكانوا يقولون في الامثال « الفقير الجاهل المجهول الاسم كالحمار المثقل ظهره بالاحمال يسوقه الكاتب بعصاه أما الرجل السعيد العاكف على الدرس والمطالعة فلا يثقل ظهره بالاحمال ويقدر ان يكون اميراً عظيماً » ولذلك كانوا ينصحون الاولاد دائما بقولهم « اشتغلوا وتعلموا لتصيروا قادة للناس واعلموا ان الكتابة مهنة شريفة وادوات الكاتب وكتبه تجلب له السعادة والغنى »

وكان الكاتب لا يخشى الفاقة ابداً لانه ينال ما يحتاج اليه من الخزينة الملوكية وفي ذلك قال المصريون القدماء انفسهم « للعالم من الغذاء ما يكفيه بالنسبة الى عمله وادبه . والكاتب الذي يتيقظ لاشغاله ويعمل على الدروس يصير اميرا أو يلحق

بالمحكمة العليا أو يرتقي الى القصر الملكي ليؤدي مهام الحكومة السياسية والادارية فعليه أن لا يهمل الدرس لئلا ترذله الآهة السعادة والغنى »



كاتب مصري على زمن الفراعنة

ولهذا السبب كان العاقل منهم يتوسل دائماً لتوت اله الكتابة والحكمة بان يمنحه فهماً وقوة ونشاطاً لانه عندهم كاتب الوحي ولا ينسى زملاءه اذا استنجدوه اوخاطبوه بقولهم « تعال اليَّ وارشدني واجعلني اسير في صراطك المستقيم . ان صناعتك حسن الصانع . تعال وارشدني . انا خادم في بيتك . دع الناس كلهم ينطقوا بمجدك

ويقولوا : خيراً فعل توت . دعهم يأتوا بأولادهم ليتعلموا ويصيروا كتبة . صناعتك جيلة وانت شجاع اريحي تجير من يحتمي بك . صناعتك تشرح صدور المشتغلين بها »

وكان الولد المراد تعليمه العلوم والآداب يرسل وهو صغير الى بيت التعليم اي المدرسة حيث يتعلم مع اولاد الامراء ويتمرن على هذه الصناعة الشريفة

وكانت المدارس في الطبقة الدولية القديمة من ملحقات القصر الملكي ثم الحقت باعمال الحكومة في عهد الطبقة المادية

وقد علمنا من الآثار القديمة ان الاساتذة كانوا ينتخبون من ارباب المناصب العليا في المملكة وأن التلامذة كانوا يحترمونهم كل الاحترام وقد كتب أحد التلامذة مرة الى استاذه كتاباً عثرنا عليه في مجموعة ادراج بردية ثمينة قال فيه « كنت معك منذ صباي وانت تضربني على ظهري بالسوط وقد أطبعت ارشاداتك في ذهني »

والظاهر ان الطالب كان يتردد في اثناء توظفه على المعاهد العلمية الكبرى لدرس العلوم العالية لا يمنع من الاشتغال بوظيفة غير التي رشح نفسه لها وهو في المدرسة . وقد جاء في بعض القراطيس أن رئيس كهنة امون الحق في الخامسة من عمره بالاصطبل الملكي اي مدرسة الفروسية وبقي فيه الى السادسة عشرة ثم الحق بمعبد امون . والفرق بين الوظيفتين واضح كالشمس

وكان قانون النظام المدرسي صارماً فلا يؤذن للتلميذ في ان ينام الا ساعات قليلة في الليل وكان الاستاذ يطوف على الطلبة وينبههم قائلاً « قم ايها الكسلان ان زملاءك قد فتحوا الكتب فالبس ملابسك واشدد نعالك »

وكان التلاميذ يلازمون المدرسة من الصباح الى الظهر فقط ثم ينصرفون فرحين لتناول الغداء الذي تحضره اليهم امهاتهم في سلال صغيرة مع اقداح من الجعة . وكان التلاميذ يضربون بالسياط وكان اساس التعليم هذه العبارة « للتلميذ أذن في ظهره فيلتفت عندما يضرب عليها »

وكان الاساتذة يقولون لتبرير هذا العمل الذي لا اوافق عليه « انه لما كان في الامكان تربية الحيوانات بالضرب فكذلك يربى الاولاد به »

ومن احسن اقوالهم الحكمية المشهورة « لا تك ايها الكاتب كسلاناً فتبحث

الضرب . لا تصرف وقتك في التمني والأ كانت عاقبتك من أوخم العواقب . اقرأ الكتاب الذي في يدك وانتصح ممن هم اعلم منك تأهب لتصير اميراً عندما تكبر . ما اسعد الكاتب المتمرن على عمله . لا تضع يوماً من ايامك في اللهو واللعب والأ جلدت لان اذان الصغار في ظهورهم لا يسمعون الا اذا جلدوا . التفت الى ما اقول لان التفاتك يعود عليك بالسعادة والهناء » ولما يتقن التلميذ الكتابة يعطيه المعلم قطعاً ادبية ليكتبها فيتمرن على اسلوب الكاتب في كتابته . وقد يعطيه قصة أو قصيدة او نصيحة ثمينة لينسخها — بذلك كان يتعلم التلميذ الانشاء

وقد عثرنا على كراريس بعض التلاميذ وهي غريبة في شكلها كثيرة العرض قصيرة الطول قليلة السطور طويلتها وفيها هوامش وتواريخ وتصحيحات بخطوط الاساتذة وكانوا يكتبون المذكرات المهمة على ظهر الورق

هذه هي طريقة التعليم الابتدائي في مدارس المصريين القدماء وقد نبغوا كما تعلم في علوم كثيرة اهمها الفلك تشهد بذلك الخرائط البديعة التي وجدناها مرسومة باعتناء على جدران مقابر الطبقة الحديثة . وناهيك بخريطة منطقة البروج المشهورة فانها من اتقن ما صنعته ايدي الفلكيين في العالم كله . ونبغوا ايضاً في علوم السحر والتنويم المغنطيسي وقد بقيت آثار هذين العلمين الغريبين في الادراج البردية والآثار المبنية

اما الطب الذي استمد منه الطب الحديث حروف هجائه فقد فاقوا في معرفته الاولين والآخرين ولا ننسى قرطاس برلين الطبي المشهور . ومن علومهم الرياضيات فقد انارت افكار واضعي العلوم العالية الرياضية . وعلم رفع الاثقال والبناء وفن الحرب الذي دوخوا به ممالك الشمال والجنوب . أجل هل يعرف القراء ان المملكة المصرية كانت في وقت من الاوقات ممتدة من شمال ما بين النهرين الى جنوب بلاد الحبشة وان هذه البلاد التي لا علاقة لنا بها الآن كانت تدفع لمصر الخراج السنوي ؟ فضلاً عن الفنون الجميلة التي نبغ فيها اجدادنا وبها ارتقت مصر ونالت الحرية التامة

(مصر) شكري صادق

هل للحيوان عقل
او
مقابلة الظواهر النفسية في الانسان والحيوان

تمهيد

عاش الانسان في بادىء امره القرون العديدة بين الحيوانات يستخدم ضعيفها ويخشى قويها بمقتضى سنة تنازع البقاء . وقد كان التنازع مستمراً بينه وبينها وتنشد لقربه منها وهمجيته . ولا نظن الانسان في تلك الايام كان ينظر الى نفسه مستقلاً عن سائر الحيوانات او يعتبر جسده من جبلة غير جبلاتها لما كان يشاهده من التشابه بينه وبينها في طلب حاجيات الحياة من قوت ونوم ومأوى وغير ذلك ولرضوخها لقوى الطبيعة ولما بينه وبينها من العلائق على اختلاف انواعها

غير ان الانسان نشأ وارتقى فشرع يحرث الارض ويبني البيوت ويعمر المدن ويخترع الآلات ويزيح اللثام شيئاً فشيئاً عن اسرار الكون وقوى الطبيعة فيستخدمها ويستخدم بها سائر المخلوقات . شعر بقوته ومدنيته فنسي ان انسان اليوم هو نسل ذلك المخلوق الضعيف بالامس الذي كان عرضة للهلاك لا يأمن على حياته بين الساعة والاخرى من الوحوش المفترسة والطوارىء الطبيعية — ذلك الحيوان الذي كان يعيش ليومه ولا ينظر الى غده . فأبى الا الادعاء انه سيد المخلوقات وملك الكون وان كل ما في الطبيعة وجد لاجله فهو غاية الوجود القصوى ومرجع كل دقيقة من دقائق العالم . ولا غرو ان هذه الصفات والنعوت تشبع عاطفتي الكبرياء وحب الذات والذلك فقد ظل العالم القرون الطوال والفكر سائد ان الانسان مركز الكون . ولقد صعب على العلم الحديث ان ينزع تلك الآراء من العقول حتى اننا نراها الى يومنا هذا منتشرة كل الانتشار وخصوصاً في الشرق

قام العلم الحديث لا سيما في القرن الماضي وغايته الوقوف على الحقيقة المجردة عن كل تأثير يتسلط عليها او يشينها من مبادىء متوارثة وتقاليد قديمة وعواطف شخصية الى غير ما هنالك من الحوائل دون الحقيقة . ومن اهم العلوم التي تقدمت تقدماً عظيماً علم الحياة بفضل زعمائه لامارك وداروين وهكسلي وسبنسر وهيكل وغيرهم من العلماء

الذين قضوا السنين الطوال في البحث والتنقيب والمشاهدة والتجربة لا شعار لهم غير الاخلاص ومنفعة العلم والعالم . فوضعوا ثم شرحوا مذهب النشوء والارتقاء - ذلك الناموس الطبيعي المعقول الذي يفسر لنا ما غمض على اجدادنا بطريقة بسيطة قريبة المنال

وقد وضعت الشروح المختلفة لهذا الناموس في اللغة العربية الا من الوجهة العقلية . وها نحن ننظر في مقابلة الظواهر النفسية او العقلية بين الانسان والحيوان تتمة لما كتب في هذا الموضوع فنقول :

الجهاز العصبي في الانسان والحيوان

الجهاز العصبي هو مصدر الظواهر النفسية ومرجعها . فكل فكر او شعور من الم او سرور الى غير ذلك من اعمال النفس تقابله حركة في الجهاز العصبي . ولذلك فنبدأ بدرسه :

ابسط صورة للجهاز العصبي عقدة مركزية من الاعصاب يأتي اليها الاحساس من الخارج بواسطة الياف عصبية فتصدر عنها الحركة من الداخل بواسطة الياف اخرى . فهنا مثال لجميع انواع الاجهزة العصبية على اختلاف اشكالها من ادناها الى ارقاها

والحيوانات على الاجمال قسمان : ذوات الفقرات وعديمها او الحيوانات الفقرية واللافقرية . وذوات الفقرات خمسة اقسام ، هذه هي بحسب درجة ارتقائها : (١) الاسماك (٢) الحيوانات التي تعيش في البحر والبر (٣) الزحافات (٤) الطيور (٥) ذوات الثدي ومنها الانسان . ومركز الجهاز العصبي في ذوات الفقرات الدماغ وهو يختلف في اقسامها الخمسة ويرتقي فيها الى ان يبلغ اكمله في ذوات الثدي لا سيما في نوع القرود والانسان

قال فولبيرد « ان الفرق بين دماغ الانسان ودماغ ارقى انواع القرود طفيف جداً . وان دماغ الانسان اقرب الى دماغ ارقى القردة من قرب دماغ هذا الاخير الى ادمغة سائر ذوات الثدي بل الى انواع القرود المنحطة »

ومن الآراء الشائعة ان نسبة الدماغ الى الجسم في الانسان اكبر مما في غيره من الحيوانات - وهذا خطأ . لاننا اذا قابلنا نسبة الدماغ الى ثقل الجسم اولاً ثم الى حجمه ثانياً نجد ان النسبة الاولى في بعض الحيوانات الصغيرة كالعصافير اكبر مما في الانسان والنسبة الثانية في الحيوانات الضخمة كالفيلة اكبر مما فيه ايضاً

غير ان نسبة الدماغ الى الحبل الشوكي في الانسان اكبر مما في سائر الحيوانات فهو من هذا القبيل يمتاز عنها ويفوقها بمراحل . وهذه النسبة هي :

في الانسان كنسبة ٥٠ : ١
في الغوريلا « ٢٠ : ١
في سائر ذوات الثدي « من ٥ – ٢ : ١

ويقول اكثر العلماء ان حجم الدماغ تابع للمدنية فيكبر بارتقائها ويصغر بانحطاطها. وقد فحص بروكا جماجم باريسي القرن الثالث عشر وقابلها بجماجم باريسي القرن التاسع عشر فوجد هذه الاخيرة اكبر حجماً . وفحص شيدت جماجم بعض الامم القديمة ايام تمدنها وقابلها بجماجم بقايا هذه الامم اليوم فرأى ان الاولى اكبر من الثانية والسبب انحطاط تلك الامم وزوال مدنيتها

ويؤيد ذلك انا اذا قابلنا معدل ما يزن الدماغ في قارات العالم اليوم نجده اثقل وزناً في ارقاها ثم يخف تدريجاً على هذه النسبة :

في اوروبا دماغ الرجل يزن ١٣٦٧ غراماً ومادغ المراة يزن ١٢٠٤ غرامات
« اميركا « « « ١٣٠٨ غرامات « « « « ١١٨٧ غراماً
« اسيا « « « ١٣٠٤ « « « « ١١٩٤ «
« افريقيا « « « ١٢٩٣ غراماً « « « « ١٢١١ «
« استراليا « « « ١٢١٤ « « « « ١١١١ «

ويتضح من هذا الجدول ان معدل وزن دماغ الرجل يزيد على معدل دماغ المراة تسعة في المئة . وهناك امر تتفق فيه جميع الحيوانات وهو ان اعضاء الحواس فيها كلها مستقرة في الغلاف الخارجي للجسم

اين مقر النفس ؟

هذا هو السؤال الذي حار الكون فيه منذ وجد الانسان . وقد اختلف الاقدمون في الجواب عليه ولا بأس من ايراد بعض آرائهم : وضع امبيدكلس النفس في الدم وديوجينس في القلب وبارمنيدس في المعدة وبورهاف في الحبل الشوكي وكثيرون كانوا يتصورون النفس حائمة حول الجسد ونحو ذلك مما يطول بنا شرحه فلننتقل الى الآراء الحديثة

من الحقائق الثابتة ان كل ظاهرة من ظواهر النفس لها مقابل في الجهاز العصبي . لكن العلماء اختلفوا في تعليلها وآراؤهم متباينة من هذا القبيل ولكنها تنحصر في ثلاثة اقسام كبرى :

اولاً – استدل بعضهم من هذه الحقيقة على وحدة النفس والجسد وارتباطهما الكلي

فقالوا ليس العقل على اختلاف مظاهره الا من عمل العضو المسمى دماغاً كما ان الهضم من عمل المعدة وتطهير الدم من عمل الرئتين ونحو ذلك . وهؤلاء هم الماديون

ثانياً — قال البعض الآخر — ورايهم اكثر انتشاراً — ان علاقة العقل بالدماغ وتوقفه عليه لا يمنع وجود نفس مستقلة وان كانت هذه النفس لا تعمل الا بواسطة الدماغ . فالدماغ الا آلة تنتهي وظيفتها باضمحلال الجسم فتبقى النفس وحدها خالدة وهؤلاء هم الروحيون

ثالثاً — هناك فئة من العلماء يقفون امام هذا السر قائلين «لا ندري» وهم اللاأدريون (Agnostics)

ما هي نسبة عقل الانسان الى عقل الحيوان ؟

وهذا السؤال يشارك الاول في الاهمية وهو تابع له . وكان الفلاسفة القدماء لا يرون فرقاً نوعياً بين الانسان والحيوان من هذا القبيل وانما الفرق عندهم نسبي فقط . ثم جاءت الديانة المسيحية واقامت حائطاً فاصلاً بين نفس الانسان الخالدة ونفس الحيوان الفانية . وظل علم الفلسفة العقلية الى القرن الماضي منحصراً في الانسان لا يتجاوزه الى غيره من الحيوانات . فكان لداروين الفضل في كشف النقاب عن حقيقة نسبة الانسان الى الحيوان ليس فقط من حيث تركيب جسمه واعضائه بل من الوجهة العقلية ايضاً

ويقول الاستاذ كلانش من جامعة هيدلبرج في المانيا « انه يمكننا ان نرسم شجرة تمثل نشوء العقل وتفرعه في عالم الحيوان كما يمكننا ان نرسم شجرة الحيوانات بالنظر الى تركيبها الجسدي » وهو يقسم المملكة الحيوانية من هذا القبيل الى ثلاثة اقسام كبرى :

(١) الحيوانات الميكروسكوبية المؤلفة من خلية واحدة تستغني بها عن الجهاز العصبي لانها تقوم بكل الوظائف الحيوية

(٢) الحيوانات التي ليس لها دماغ . ومنها

اولاً ماليس له جهاز عصبي مركزي كذوي الارجل (polyp.)

وثانياً ما يحوي جهازاً عصبياً مركزياً يقوم مقام الدماغ . كالحشرات

(٣) ذوات الدماغ وهي ذوات الفقرات

ومن الحقائق الثابتة انا اذا قابلنا طفلاً باحد صغار الحيوانات الراقية رأينا هذا الاخير ارقى كثيراً من الحيثية العقلية

فيظهر مما تقدم ان انتصار الانسان على سائر الحيوانات ليس نتيجة فرق جوهري

بينه وبينها وانما هو نتيجة تفوق مداركه وذكائه فان كثيراً من الحيوانات بلغت الدرجة الثالثة التي منها الانسان

وهذه النظريات تؤيدها الحقائق الثابتة والابحاث الطويلة التي اجراها علماء الحيوان. ونحن وان كنا لا نرى العبرة بصدور بعض الآراء عن فلان من الناس او فلان آخر فلا نرى بدًّا من القول هنا : انه اذا قال لنا علماء مختصون مثل داروين ولورد افبري وبرم وهيكل بعد ابحاثهم الطويلة المبنية على مشاهدة الحيوانات ودرسها طول حياتهم ان لا فرقاً جنسياً بينها وبين الانسان كنا اقرب الى تصديقهم وان خالفوا المتعارف بين الناس من اقوال الذين لا يتنازلون عن افكار آبائهم واجدادهم ولو حالت دونهم قوات الارض والسماء

القوى العقلية في الانسان والحيوان

ولننتقل الان الى مقابلة القوى العقلية المختلفة بالتفصيل فنقول :

(التصور والتفكير) : جميع الحيوانات فيها قوة الشعور اي قبول التأثير الخارجي وفي المرتقية منها ايضاً قوة التفكير والتصور، اي ان التأثير الخارجي عند ما يصل الى الدماغ يتحول الى صورة عقلية . وقد جرت المناقشات في ما مضى بشأن وجود هذه القوة في الحيوانات . ولكن العلماء اليوم مجمعون على ان الحيوانات المرتقية فيها قوة التصور العقلي مثل الانسان والادلة على ذلك كثيرة . فالكلب مثلاً يعرف صاحبه عن بعد وذلك يستلزم وجود صورة في مخيلة الكلب لصاحبه ومثله الطيور التي تترك اوكارها لاسفار طويلة ثم تعود اليها ولا بدَّ لها ايضاً من صورة ترشدها الى وكرها

(الحافظة والذاكرة) : وهما قوتا حفظ الحوادث في العقل وذكرها عند الاقتضاء . والقوة الذاكرة من مميزات الانسان عن سائر الحيوانات . والقوة الحافظة نوعان :

١ الحافظة غير المدركة وهي واحدة في جميع الحيوانات وبواسطتها يحفظ الشكل والصفات في النسل . قال هيكل « ان الوراثة هي القوة الحافظة في الخليات التي بها يتناسل الحيوان وتنتقل بها صفاته »

٢ الحافظة المدركة وهي موجودة في الحيوانات الراقية بدرجات متفاوتة . وهي عبارة عن حفظ الصورة العقلية الآتية من الخارج

(مقارنة الافكار) : قلنا ان الحيوانات تقدر على ايجاد صور عقلية والآن نزيد انها ايضاً تصحب الافكار بعضها ببعض اي ان وجود صورة يسبب وجود صورة اخرى

لها علاقة بالاولى مثال ذلك . الفرس عندما يأخذه صاحبه الى البيطار يرجع القهقرى لانه تعلم ان يقرن صورة البيطار بسوء معاملته له

(القوة المميزة والقوة الحاكمة) : قلنا ان الحيوانات يمكنها مقارنة الافكار ونزيد ان الحيوانات الراقية يمكنها ان تحصر قواها العقلية ضمن دائرة محدودة من الافكار المتقاربة او بعبارة اخرى يمكنها ان تميز - مثال ذلك : النملة اذا تعذر عليها حمل قطعة من القوت تذهب فتأتي ببعض رفيقاتها اساعدتها على حملها . وهذا دليل على ان النملة ميزت وحكمت

غير ان الانسان يمتاز على سائر الحيوانات بانه يتجاوز دائرة المحسوسات الى العقليات . وهذا هو الفارق الكبير بينه وبينها فان قوته العاقلة يمكنها ان تبحث عن امور عقلية مثل الوجود والموت ومبدأ الكون وغيرها مما لا علاقة له بالحواس

(حب الاطلاع) : ويسميه الافرنج Curiosity ويعنون به القوة التي تدفع بالحيوان الى استطلاع ما يغمض عليه فهي السبب في زيادة معارفه واختباره لما يحيط به . وهذه الصفة لا تنحصر في الانسان بل توجد في غيره كالقرود . وقد وضع داروين حية في كيس من ورق امام قرد فظل القرد يحوم حول الكيس ويتجسسه ليعرف ما فيه

(العد والقياس والوزن) : قيل ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يعد ولكن العلماء برهنوا ان هذه الصفة يشاركه فيها سواه وان كانت فيه ارقى منها في غيره — مثال ذلك :

١ — ان بعض انواع الزنابير تجمع في وكرها عدداً معيناً من الدود لمؤونتها وتظل تفتش وتبحث حتى يتم العدد المطلوب ومتى تم اكتفت ولم تزد عليه

٢ - وضع جارنر ثلاث كرات في علبة وجعل قرداً يخرجها الواحدة بعد الاخرى ثم وضع كرتين فقط فاخرجهما القرد وظل يفتش عن الثالثة . وهذا دليل على وجود صورة للعدد ٣ في مخيلته - وزد على ذلك ان بعض القبائل المتوحشة في يومنا هذا لا تتجاوز في عدها اصابع اليد الواحدة

الا ان الانسان يمتاز بقدرته على اعمال الفكرة في الاعداد كالطرح والضرب وغير ذلك ويمتاز ايضاً بأنه الحيوان الوحيد الذي يزن . اما القياس فيشترك معه فيه بعض الحيوانات الناسجة كالعناكب مثلاً فانها تقيس الخيوط التي تنسجها وتساوي المسافة بين الواحد والآخر

(التعبير عن الشعور . اللغة) : ان علماء الطبيعة متفقون في ان للحيوانات لغات

(واللغة واسطة التفاهم) يعبرون بها عن شعورهم ويظهرون ما يكنه داخلهم. والاستاذ هيكل يقول ان بعض الحيوانات تستخدم الاشارات والحركات الصماء لاظهار ما يخامر فكرها. ولا شك ان لدى الحيوانات اختبارات مفيدة عديدة اكتسبتها وتوارثتها مع الايام وياليت الانسان يدرس لغاتها فيستفيد منها!

(الارادة): الارادة بمعناها الواسع البسيكولوجي هي القوة التي تجعلنا نقاوم التأثيرات الخارجية ونؤثر على ما يحيط بنا. ويمكننا ان نقسمها فيسيولوجيا حسب ارتقاء الحيوانات الى اربعة اقسام:

(١) ابسطها مقاومة التأثيرات الخارجية في الحيوانات ذوات الخلية الواحدة (protozoa) وهي عبارة عن حركة بروتوبلاسم الخلية كله

(٢) ثم تأتي بعض الحيوانات التي تظهر فيها خليتان مخصوصتان واحدة لقبول التأثير وواحدة لمقاومته او رده

(٣) الحيوانات التي فيها زيادة عن الخليتين المذكورتين خلية ثالثة مركزية تصل بين الاثنتين. كما هو الحال في الحيوانات اللافقرية

(٤) اخيراً ارقى نوع في الحيوانات وفيها ما عدا الخليتين السابق ذكرهما خليتان اخريان للاتصال وهذا الشكل موجود في ذوات الفقرات

وللارادة ثلاثة مظاهر:

١ الدوافع التي تظهر مع الولادة. وهي عمياء لا يقارنها تفكير عقلي مثل الطفل يفتش عن ثدي امه

٢ الغرائز: وهي نوعان:

اولاً الغرائز الاولية التي يتوارثها الافراد وهي عبارة عن مجموع اختبارات الجنس والقصد منها حفظ النوع

ثانياً الغرائز الثانوية التي كانت في الاصل اختيارية ثم تحولت الى عادات يقوم بها الشخص بدون ان يشعر كالمشي

٣ المظهر الثالث من مظاهر الارادة وهو الاعمال الاختيارية وهي ارقاها

وعلماء الحيوان منقسمون الى قسمين من حيث آرائهم في الفرق بين ارادة الانسان وارادة الحيوان:

القسم الاول ينكرون على الانسان الارادة الحرة ويقولون انه من هذا القبيل مثل سائر الحيوانات يسير بمقتضى السنن الطبيعية مسوقاً لا مخيراً

والقسم الآخر وهم الاكثرية يقولون ان ميزة الانسان الكبرى على سائر الحيوانات هي الارادة الحرة

النتيجة

قد راينا اوجه الشبه بين عقل الانسان وعقل الحيوان وآن لنا ان نستنتج فنقول اننا لانجد فرقاً نوعياً بين الانسان والحيوان وانما الفرق نسبي فهما يتفقان في جميع الامور الاساسية وان كانت في الانسان ارقى واكمل منها في الحيوان . فالفرق بين الانسان واقرب الحيوانات اليه اقل من الفرق بين هذه الاخيرة وغيرها . فالعقل مثل الوظائف الحيوية نشأ وارتقى بالتدريج في عالم الحيوان حتى بلغ اكمله في الانسان. وسوف يأتي يوم يصعد العالم درجة اخرى فيترك الانسان حالته الحاضرة الى ما فوق الانسان وهلم جرًّا ـ سنة الله في خلقه .

الكلية السورية . بيروت — اميل زيدان



لينان باشا مهندس القناطر الخيرية

نقلاً عن الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث



رجال الغد

والتربية المدرسية

الدكتور شبلي شميل

الأم

اذا شئت ان تعرف مستقبل امة فابحث عنه في اطفالها فهم تاج الماضي وعنوان المستقبل ابحث عنه في صحتهم وفي تربيتهم وفي تعليمهم من يوم يحبل بهم اجنة الى يوم يولدون ويربون في حجر امهم الى يوم يخرجون من المدارس وينضمون الى الهيئة الاجتماعية اعضاء عاملين . فعلى صحتهم وكثرتهم يتوقف نمو الامة وعلى حسن تربيتهم وتعليمهم يتوقف نجاحها . فالام اول عامل يؤثر في الطفل واهمه . وتأثيرها فيه اشد من تأثير الاب فهي تغذيه من دمها اشهراً وتسقيه لبنها اشهراً وتربيه في حجرها سنين وما يكتسبه الطفل من امه بالاعداد الطبيعي والتربية الادبية والتعليم العقلي قد لا تقوى عليه المؤثرات اللاحقة ومهما قويت فلا تزيل اثره . تصور اماً حمقاء لا تعرف من قوانين الصحة الا الاكل حتى على الشبع ومن آداب التمدن الا البهرجة والتزين بالحلى العاطلة وهي عاطلة من حلى الآداب الحقيقية . ومن العلوم غير ما تقوى به الاوهام وتفسد معه الاحكام دقتها اوسخ من بدنها تدفع العين عن طفلها بالقذارة وتمنعه عن اتيان ما لا يجوز بتخويفه بالغول والبعبع بعد الاب والطبيب . وتدفع به بعد ان تغذيه بدم الجهل وتسقيه لبن الحمق الى مرضع لا تفضلها في شيء من هذا القبيل وتنقص عنها في فقدان الحنو الوالدي الذي هو العواطف التي تؤثر في اللبن تأثيراً عصبيا وتكيفه تكيفاً حسناً يستمريء به الرضيع . فماذا تكون حالة هذا الطفل المسكين صحياً وادبياً وعقلياً . لاشك انها تكون رديئة جداً . ثم قابل هذا الطفل بطفل أمه على نقيض ما تقدم عاقلة متهذبة متعلمة متحلية بالآداب الصحيحة عالمة ان نبلها قائم ببساطتها في معيشتها لا ببهرجتها وان جمالها قائم بترتيبها ونظافتها لا بطلي وجهها . ليس للاوهام عليها سلطان يدفعها الى الاستمساك بالخرافات وزرعها في رأس طفلها حتى

يشب على الاعتقادات الفاسدة والاحكام البادرة بل تربيه تربية تجعل عقله حرًا غير مقيد بقيود الجهل والاوهام تحافظ على صحته بالمبالغة بنظافة جسده وملابسه والاعتناء بطعامه وشرابه ونقاوة هواء غرفته . متحاشية التأنق الذي يجر الى الرفاهة المرهلة للابدان حافظة له شيئاً من الخشونة الجائزة المقوية للاجسام والاخلاق — فان مثل هذا الطفل يشب صحيحاً اديباً عاقلاً ليس فيه شيء من ميوعة المترهلين او خشونة الجافين متحلياً بالرجولة التي هي من صفات الحازمين مقداما ولو زلت قدمه . جليداً ولو خارت هممه . سخياً ولو نضبت كفه كريم الاخلاق يملكه المعروف ولا يلتئم للمتلوف يعذر حيث يجب العذل . فالجهل عذر لا يفوت ذوي الفضل

كريم يقيم العذر في موضع العذل فالجهل عذر لا يفوت ذوي الفضل
اذا ما رأى المعروف في بذل نفسه جفاها ولم يقبل فداه سوى البذل

والحكم بين الطفلين كالحكم بين الأمين لا يقبل التردد وهذه النسبة تختلف بين اطفال امة واحدة لاختلاف الامهات والغلبة حينئذ للاكثرية . كما انها تختلف بين اطفال امة وامة والغلبة هنا للامة المتمدنة فاذا خرج الطفل من حجر امه الى المدارس صادف هنالك عقبات كثيرة كثيراً ما تهدم جسمه وتطفيء نور دماغه من سوء المعاملة في التربية وفساد التعليم وهذه المسألة المهمة جداً في مستقبل الاطفال ومستقبل كل أمة تحتمل بسطاً واسعاً اذا اردنا الالمام بكل اطرافها والمقام لا يحتمل ذلك . فنقتصر فيها على كلام اجمالي يكون تمهيداً للتوسع في هذا البحث لمن اراد ولا نطيل الوقوف على المدارس الصغرى فان عدمها افضل من وجود كثير منها . ونحصر كلامنا في المدارس الكبرى فنقول

المدارس

ان التعليم على ما هو شائع وخصوصاً في مدارس المشرق ناقص جدًا فنظام المدارس في التعليم والتربية قديم لا ينطبق في جملته على احتياجات العصر ومقبولات العقل وسنن الارتقاء فالاسباب الصحية مهملة في اكثرها للغاية من حيث نظافة الهواء والماء والمأكل والملبس فان القائمين بهذه التربية اكثرهم لا يعتنون بذلك وربما عدَّه بعضهم من الامور المخالفة للمبادىء القائمين بتأييدها فعدوا القذارة نوعاً من التقشف المفضلة والنظافة افراطا في الترهل الذميم وكثيراً ما يكون ذلك سبباً لامراض تؤدي الى الموت

بعد الاعتدال . خذ مثلاً لذلك من امثلة كثيرة وهو مثل السكين والملعقة والشوكة التي يستعملها التلامذة في طعامهم فان كثيراً من المدارس حتى اليوم لا يسمح بغسل هذه الاواني الا مرة في كل اسبوع . والتربية ناقصة كذلك واكثر القائمين بها امامر يجهلونها فيعدون العقاب ومعاملة التلامذة بالخشونة والقساوة من القواعد الاساسية ويساوون فيها بين العموم لا يفرقون بين تلميذ وآخر جاهلين الحكمة من قول الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى　　مضر كوضع السيف في موضع الندى

اي ان استعمال العصا حيث يمكن الاكتفاء بالتوبيخ اللطيف مضر كاستعمال هذا في موضع ذاك والامثلة على ذلك كثيرة . وكل واحد منا في وسعه أن يذكر كثيراً منها واروي لك مثالين وقعا لي في مدرستين متباينتين في التربية و بينهما فترة طويلة أحدهما اني كنت ذات ليلة قبل ميعاد النوم واقفاً مع صفي في مكان مكشوف للهواء وفي ايام الشتاء فخانني الصبر من طول الانتظار وقرصني البرد فتأففت من ذلك طالبا العجلة فلم يرق ذلك في عيني الملاحظ علينا وكان رجلاً احمق احق به مستشفى المجاذيب من مدرسة يتولى تربية الصغار فيها فعاقبني للحال عقاباً اوسخ من عقله فاعترضت فشدد العقاب فرضخت للظلم لصغر سني وضعفي وحفظت الالم في قلبي حتى اليوم . ولو كان لي حينئذ قوة تمكنني من الدفاع عن نفسي لنتفت ذقنه شعرة شعرة ثم وقع لي بعد ذلك بسنين في مدرسة اخرى ما اخجل انا نفسي من ذكره فاني طلبت يوماً ما وانا على المائدة طعاماً غير موجود وكان ذلك جائزا لنا فاباه العشي عليّ فغضبت لذلك جدًا وقمت عن المائدة واندفعت الى المطبخ كالآلة العمياء وتناولت الشيء الذي طلبته ثم رميت به الى الارض ودسته تحت قدمي . ثم رجعت الى مكاني وانا انتظر العقاب على ذلك واقله الطرد . وكان للمدرسة رئيس من افاضل الرجال عاقل حكيم هو الدكتور بلس اطال الله بقاءه فابلغوه الامر فكانه نظر الى سوابقي الحسنة وربما راعى اجتهادي في الدرس كذلك فامهلني يومين ولم يقابلني وانا انتظر من دقيقة الى اخرى ان يطلبني . فلما كان اليوم الثالث كنت في ساحة المدرسة وحدي فرأيته مقبلاً عليّ وبيده كتاب فجمدت في مكاني وعلاني اصفرار الوجل وخفق قلبي فلما دنا مني تبسم ومال الى اذني كانه يريد ان يسر اليَّ امرا وقال لي

بصوت منخفض « إذا غضبت مرة اخرى فلا ترتب على غضبك عملاً الا بعد اربع وعشرين ساعة » وتركني . فبقيت جامداً في مكاني لا اتحرك وعلاني احمرار الخجل واستولى علي الدوار ولا اعلم كم بقيت في هذه الحالة لا انتقل من مكاني وانما الذي اعلمه انني اعتبرت بهذا العقاب كثيراً وحسبته اشد من الضرب والطرد وادعى الى الاصلاح

واي قساوة وحشية تفوق ما ارويه لك من معاملة المعلمين للتلامذة في بعض هذه المدارس الكبرى فاني يوم كنت تلميذاً وسني بين ١١ و ١٢ سنة كان ملاحظ غرفة منامتنا كلما رأى تلميذاً مكشوفاً وهو نائم يوقظه بضربه بعصا رفيعة على رجليه عوضاً عن ان يغطيه كما كان يفعل ابوه او امه مع ان عمل الضرب لا يوجب على حضرته صرف قوة اقل مما يوجب عمل التغطية . فماذا يفعل هذا الطفل المسكين القاصر عن معرفة الجائز وغير الجائز وعن معرفة متى يكون مسئولاً ومتى لا يكون اذ يرى مثل هذا الوحش المتولي امر تربيته يفعل ذلك سوى ان يقوم في اعتقاده أن تكشفه في نومه ذنب لايغتفر ولكنه ذنب ليس في طاقته ان يجتنبه فتقل ثقته بنفسه ويقع في رعب قد يؤدي به الى الخمول . واذكر اني كي اتقي هذه المعاملة الوحشية عمدت الى اللحاف وثبته في السرير ثم فتحت ملحفته وصرت ادخل جسمي بين اللحاف والملحفة كأني في كيس ولكني كنت حينئذ كالمستجير من الرمضاء بالنار فقد اتقيت بهذه الحيلة عصا الرقيب ولكني وقعت بين انياب البق لان مسامير اللحاف كما يسمونها كانت ملآنة بقاً

ولذلك ينبغي ان يكون المعلمون من الذين تربوا جيداً وبرعوا في علم الاخلاق حتى يدرسوا طبائع كل تلميذ ويعاملوه بحسب طبيعته وينبغي ان يكونوا كذلك من النبهاء ليلاحظوا ميل كل تلميذ وقابلية عقله ليردعوه عن المفاسد وينشطوه في الاستعداد الحسن والاكثرون لا يفهمون مقدار الضرر الناشيء عن عدم مراعاة ذلك فان عقولاً كثيرة من اذكى العقول ينطفيء نورها كل سنة في المدارس من سوء المعاملة ومقاومة اميال العقل ولا ريب عندنا ان المستقبل سيجعل فن سياسة الاطفال فناً قائماً بنفسه تؤلف فيه المؤلفات ويتلقنه المعلمون في مدارس خصوصية تجيز لهم التعليم كما يفعل اليوم للاطباء والمتشرعين

اما التعليم في المدارس فقسمان العلوم الادبية والطبيعية اما العلوم الطبيعية ويدخل

تحتها العلوم الرياضية فلا يعترض عليها لانها واحدة في كل المدارس وهي من اصدق العلوم وتأثيرها في العقل جيد جدًّا اذ تربيه على القياس الصحيح

العلوم الطبيعية والعلوم الادبية

اما العلوم الادبية فواسعة جداً ويدخل تحتها علوم اللغة لا من حيث وضعها ونشوئها فان ذلك من المباحث الطبيعية الحسنة والمهملة في المدارس بل من حيث تعليلها والمنطق والفلسفة العقلية وعلم الاداب والسياسة واللاهوت الى غير ذلك من اجتهادات العقل واوضاعه ففيها كثير من المبادئ التي يدخلونها في رؤوس التلامذة قسراً كأنها قضايا مسلمة وكثير منها يكون مغلوطاً ويربون العقل عليها حتى يفقد ما له من القوى الذاتية ويصبح كانه مصنوع على قالب معلوم . وناهيك بهذا المصنوع المبني على المغلوط . وبعد ان يصنعوه على هذه الصورة يفرغون فيه العلوم حيث تبقى فيه عقيمة او تظهر بمظاهر متناقضة ولذلك كان اكثر الذين يقيمون في هذه المدارس طويلاً ويدرسون دروسها القانونية يخرجون منها متعلمين كثيراً ولكن فاقدين كل امتياز ذاتي في عقولهم واكثر الناس الذين امتازوا بخاصة ذاتية في عقولهم هم من الذين لم تسمح لهم الاحوال اما لمرض واما لسبب آخر باتباع هذه الدروس القانونية على النسق المعوَّل عليه في اكثر المدارس ونجوا بذلك من الوقوع تحت سلطان هذه التربية العقلية

فالمدارس لا يجوز لها ان تضغط على العقول لتصنعها على قالب معلوم وتضيق عليها المذاهب بل يلزم لها ان تعدها اعداداً عاماً وتوسع لها المنافذ حتى يسهل عليها التصرف في العلوم التي تعلمها والبحث في جميع الاشياء التي تعرض لها . وبين المدارس الموجودة بيننا فرق عظيم في ذلك وافضلها ما هجرت الخطة الاولى وكانت اقرب الى الخطة الثانية والفرق بين تلامذة المدرستين واضح وارجحية الجانب الواحد لا تحتاج الى بيان . ولوكانت حكومات المشرق من الحكومات المرتقية لاهتمت بهذا الامر جدًّا على الاسلوب الذي ألمعنا اليه والذي يحتاج بسطه الى تفصيل طويل

ولوكنت ناظراً للمعارف — لاكثرت التردد على المدارس للوقوف على احوال التلامذة في ادق امورهم — في مائهم وهوائهم وغذائهم ونطاقهم ومطبخهم واسرتهم

وملابسهم فضلا عن طريقة تعليمهم . بل للوقوف على حال المعلمين من ذلك ايضاً فاني اذكر ان معلماً من معلمي المدارس الكبرى حضر مرة للتداوي عندي فلما كشفت لباسه الاسود كدت اتقيأ ما في معدتي من شدة سواد قميصه لكثرة قذارته فكيف يرجى ممن هو بهذه القذارة في جسمه ان يكون انظف من ذلك في عقله . وان يكون مرشداً لهؤلاء الاطفال الى ما يصح به جسمهم ويذكو عقلهم وتسمو آدابهم

ولا ريب ان بعض المدارس اصلح من البعض الآخر في هذه الامور وان كثيراً منها اصطلح جداً عما كان عليه من عشرين سنة خصوصاً في اوربا الا ان البعض الاخر لم يزل كما كان عليه من عهد اربعين او خمسين سنة خصوصاً في سوريا ومصر من البلاد التي يهمنا التعليم فيها . والاصلاح الذي حصل في المدارس في النصف الثاني من القرن الماضي هو في جملته دون الممكن ودون المطلوب خصوصاً اذا قسناه بالاصلاح الذي حصل في المستشفيات والفنادق ولا ندري كيف تصبر الهيئة الاجتماعية والحكومات المتمدنة على ذلك مع علمنا ان هؤلاء الاطفال هم رجال الغد فعلى صحة ابدانهم يتوقف نماء الامة وعلى صحة عقولهم يتوقف نجاحها

(نقلاً عن المجموعة)

احصاء السوريين في اميركا

ملخصاً عن السفر المفيد في العالم الجديد

في اميركا الشمالية والوسطى

١٠٠٠٠	كندا
١٠٠٠	نيوفوند لند
١٥٠٠٠	المكسيك
١٢٢٠٠٠	الولايات المتحدة
٤٣٥١	اميركا الوسطى
١٥٢٣٥١	(المجموع)

في اميركا الجنوبية

٦٠٠٠٠	الارجنتين
٩٠٠٠٠	البرازيل
١٤٠٠	تشيلي وا كواتور
٢٥٠٠	كولومبيا
٢٥٠٠	اورغواي
٢٣٠٠	فنذويلا
٦٠٠	جزائر الهند الغربية
١٥٩٣٠٠	(المجموع)

مصير التمدن الحديث

وكيف يرتقي الشرق

لمفكري القرن التاسع عشر وما بعده رايان في مصير هذا العمران . فنهم من يقول انه سائر الى الخراب والاضمحلال وسوس الفساد ينخر عظمه وسوف يتعاظم الخطب وتنغمس شعوب اوربا في الملذات والشهوات ويستسلمون للكسل والخمول فيصيرون الى الضعف والوهن ويحل بمدنيتهم ما حل بمدنية اليونان والرومان قبلهم . فعندهم ان العوامل التي قضت على تمدن القرون الاولى ستقضي على مدنية اليوم . وكما قام البرابرة في الماضي فثلوا العروش وازلوا الملوك واخربوا البلدان ستقوم في الآتي فئة من الناس اشد بطشاً واقوى مراساً من اولئك البرابرة فيجولون في اوربا ويهدمون عمرانها ومدنيتها . ويعنون بهذه الفئة جيش العمال الذي يسير الى الفقر والانحطاط من استبداد مستأجريهم القائمين بجمع الاموال وحشدها . وقد بالغ بعضهم في ذلك فقال لورد ما كولي « ان اهالي زيلاند سيقفون على جسر لندن ويراجعون التاريخ ليعرفوا من بناه » وقال غيره « ان طبيعة العمران نفسها تقضي بقيام الممالك وسقوطها ولذلك فسيقضى على مدنية اوربا ويعود العمران الى الشرق من حيث اتى

وقد وقف سائح على اطلال بعلبك وبكى ولما سئل عن ذلك قال « من يدري انه لا يأتي يوم يقف به ابن المشرق على خرائب لندن وباريس وبرلين كما اقف انا الآن على خرائب العمران القديم

فعلينا نحن معشر الشرقيين ان لا نغتر برنة هذه الالفاظ فان هي الا تخيلات شعرية لان الراي الصائب في مصير التمدن الحديث هو راي اكبر الثقات المعول عليهم وهؤلاء يقولون ان تمدن اليوم مبني على اساس علمي حقيقي وقائم بعوامل ثابتة قابلة للتقدم والاصلاح . وغير ممكن ان يحدث لمدنية اليوم ما حدث لمدنيات الامم الماضية لان الاسباب التي ازالت العمران القديم لا يمكنها ان تزيل العمران الحديث لان الفرق كبير بين المدنيتين

فالمصريون وصلوا بصناعة البناء والهندسة الى ارفع مقام في التاريخ ولكنهم لم يفوقوا في سواهما فلم تثبت مدنيتهم . واليونان سبقوا امم الارض في الفلسفة والفنون والآداب

لكنهم كانوا على جهل تام بالعلوم الطبيعية التي تحفظ مدنية اليوم من السقوط . والرومان توسعوا في النظامات العسكرية والسياسية والدينية واهملوا سائر العلوم . وعلى الاجمال فعمران الامم البائدة قام بالفنون والاداب والفلسفة ولم يكن فيه للعلوم الطبيعية اثر يذكر . اما مدنية اليوم فانها قائمة بهذه وبالعلوم الطبيعية ايضاً

قال سبنسر : ان الشعب جسم حي نام يقوم بالنظامات التي تديره كالنظامات السياسية والدينية والتجارية . اما وظائفه فعلومه وافكاره وشعوره وهو خاضع لناموس الانتخاب الطبيعي وتأثير الزمان والمكان . ومدنية اليوم تعمل على ترقية هذه النظامات لتحفظ نمو الشعب وكيانه وتجعل ارتقاءه موافقاً لمحيطه وزمانه ولذلك فعمران اليوم لن يقف ولن يبطل بل يظل آخذاً في الرقي والتقدم

فالاقرب للصواب ان مدنية اليوم ثابتة صائرة نحو الكمال وان ذهب عكس ذلك بعض الغلاة من الغربيين . واوربا لن تعود القهقري مرة اخرى الا بعامل طبيعي كعود الدور الجليدي اليها وذلك ما لا يخطر للعقل . ولا يمكن ان يزول عمرانها او ان ينتقل منها الى الشرق كما انتقل من الشرق اليها . والطريقة الوحيدة لعمران الشرق هي ان ينهض لمجاراة اوربا في مدنيتها والا ذهب فريسة لمطامع دولها . وها نحن موردون كيف يكون ذلك

اليابان والشرق الاقصى

لا نصيح بشعوب الشرق ولا نستنهض هممهم لينتبهوا من غفلتهم ويحذوا حذو الاوربيين بل ندلهم على دولة في اطراف هذا الشرق كانت من اكثر شعوبه جهلاً استفاقت من رقادها وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وزاحمت اهم الممالك الاوربية في التجارة والاستعمار واصبحت معدودة بين الدول المتمدنة — نشير الى الشرقيين ليدرسوا احوال تلك الامة ويعرفوا اسباب ارتقائها ويبحثوا عن عمرانها ويسيروا في الطريق التي سارت هي عليها . فان ما بلغته اليابان بالسنين القليلة لم تبلغه دولة اوروبية الا بشق النفس ومرور الاجيال الكثيرة . ومن يطالع ما كتبه المرسلون والسياح منذ اربعين سنة عن بلاد اليابان يجد انها كانت احط من بلاد الصين اليوم . فتمكنت في ثلث قرن من مضاهاة دول اوربا وارغمتها لتفسح لها مجالاً بينها . ونحن نرى اليوم حركة دستورية في الصين ومن يدري ان ثلاثين سنة اخرى لاتكفي لرفع الصينيين الى مركز جيرانهم . اما العوامل في ارتقاء اليابان فاهمها حب الملك للرعية وحب الرعية للملك

فالشعب الياباني بعد دخول الاجانب بلاده هب يطلب الاصلاح وتنازل امراؤه واغنياؤه عن اكثر املاكهم للحكومة — وكان امتلاك الارض عندهم اشبه بالنظام الاقطاعي في العصور المظلمة التي مرت على اوربا. وتنازل الملك فمنح دستوراً لرعيته عن اختيار وطيبة خاطر. ولم تكتف اليابان بنفسها وشدة اتحادها بل رات من الواجب اقتباس الحسن من الاجانب واجتناب القبيح ففعلت. وارادت تنظيم حكومتها وجيشها فارسلت البعثات العلمية الى اوربا لتطوف عواصمها وتدرس عوامل ارتقائها واحوالها. واقتصدت في مداخيلها وسدت عجز ماليتها فاستغنت بذلك عن اموال اوربا وحفظت نفسها سالمة من شراكها الى ان الزمتها حربها الاخيرة مع روسيا ولا ارى ما يمنع اية دولة شرقية عن مجاراة اليابان في تقدمها اذا نسجت على منوالها

الدولة العثمانية والشرق الادنى

ان في ارتقاء الدولة العثمانية ارتقاء الشرق الادنى وفي تأخرها وانحطاطها يتأخر وينحط والتاريخ الحديث اصدق شاهد على ذلك

والدولة العثمانية تظل دولة شرقية في عيون الاجانب ولوملكت نصف اوروبا. وهي قابضة على اهم مركز اعني الاستانة المعقل الحصين وهمزة الوصل بين الشرق والغرب. ولو وفقت من قبل الى حكومة حسنة لكانت اليوم حوضاً تصب اليه الدنيا صناعتها وتجارتها ليتفرق منها على الجانبين. وقد يظن الكثيرون من الغربيين والشرقيين ان قرب الدولة العلية من اوربا نافع لها والحقيقة ان الضرر الاكبر ناتج عن ذلك القرب. ولولم تكن اليابان على هذا البعد الشاسع عن اوربا لتعذر ارتقاؤها بهذه السرعة الغريبة. وكيف يمكن للدولة العثمانية ان ترتقي واوربا لها بالمرصاد لاتتركها تستريح من المشاكل والاتعاب يوماً واحداً. وقد استدانت الملايين منها بالامس فلم تتمكن من انفاق شيء في سبيل تحسين احوالها بل التزمت ان تنفقها في تصليح اسطولها وتعبئة جيوشها خشية من اوربا وما تثيره عليها من الفتن والدسائس

فدول الشرق كلها تستدين الاموال من اوربا اليوم فتلتزم غداً ان ترجع لسيطرتها وتقبل بالامتيازات التي تطلبها منها

فكم هو حري بالدولة العثمانية ان تقتدي بالامة اليابانية في اوائل حياتها الجديدة فترسل رجالاً امناء مخلصين الى اليابان واميركا واوربا ليدرسوا عوامل ارتقاء تلك الامم واسباب مدنيتها درساً مدققاً ويعودوا الى اوطانهم بما يكتسبونه من المنافع والافادات والعادات ويكونون قد خدموا الشرق بذلك خدمة تذكر

اما وسائل الثروة وموار دها فكثيرة جدًّا في كل بقاع المشرق نختص بالذكر منها العراق وما بين النهرين . فلو قامت الدولة العلية وحدها أو بمشاركة دولة اجنبية معها بمد خط بغداد الحديدي وانفقت في سبيله نصف القرض الذي استدانته من اوروبا بالامس لعادت على نفسها ورعيتها بالجاه والغنى والمال الكثير . تلك البلاد التي وقف فيها هيردوتس ابو التاريخ منذهلا من خصبها ولم يتجاسر ان يفيها حقها من الوصف لئلا ينسبوا له المبالغة . وقدَّر السير وليم ولكوكس النفقات لاصلاح تلك البلاد وريها بما يأتي

نفقات الفرات

النفقات الاولية مليون و٣٤ الف ليرة عثمانية

النفقات الثانوية ٨٢٢ الف و٧٠٠ ليرة عثمانية

نفقات دجلة

النفقات الاولية مليون و١١٠٤٨٠ ليرة عثمانية

النفقات الثانوية ٧١٠ آلاف ليرة عثمانية

قال السير لكوكس «وتنتهي هذه الاصلاحات بعد ثمانية اعوام فتعود تلك البلاد الى ما كانت عليه فتصبح تغل في السنة الواحدة مليونا و٢٥ الف كيلوغرام من الحنطة ومئة مليون و٥٠٠ الف كيلو غرام من القطن» — فتامل

اذاً فالثروة تعود الى تلك البلاد اذا عرفت كيف تنتفع بها الدولة العثمانية . وتتفجر منها الى سائر اقطار المشرق . ولا اظن خط بغداد باكثر نفقة من خط الحجاز وقد تمكنت الدولة من اتمامه . ولا بأس من اشتراكها مع بعض الاجانب في امثال هذه المشاريع لا ان تكون كلها للاجانب

بيروت . المدرسة الكلية توفيق مفرّج

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية — ٢ و٣ و٥ و٦ من السنة ١٨ و١ و٢ و٣ و٦ و٧ و٩ من السنة ١٧ و٦ و٨ و٩ من السنة ١٦ و٥ و٧ من السنة ١٥ و٣ من السنة ١٤ و٥ من السنة ١٣ و١ و٣ و١٣ و١٤ من السنة ١٢ و١ و٢ و٥ و٦ و٩ من السنة ١١ و١ و٢ و٩ و١٢ من السنة ١٠ و١ من السنة ٢ و١٢ من السنة ٥ و٤ و٢٠ من السنة ٦ و٧ من السنة ٧ و١٦ و١٩ و٢٠ من السنة ٨ و١ من السنة ٢

الحركة العلمية بمصر

مرَّ على مصر عدة سنين وهي في حركة علمية وقد اتجهت الافكار الى احياء العلم وتنشيطه ونشره — اشتركت في ذلك الحكومة والامة . اما الحكومة فانها الفاعل الرئيسي في التعليم بمصر من زمن محمد علي . وكانت تقوم بذلك وحدها — الا افراداً وقفوا الاموال على بعض المدارس . أما الامة فلم تنهض للاشتراك في هذا العمل الا في هذا العصر على اثر النهضة الاخيرة التي هب فيها الشعور الوطني فاقدم بعض الموسرين ورجال العمل على انشاء المعاهد العلمية بالاكتتاب ونحوه . واهم هذه المعاهد الجامعة المصرية . واتخذت الحكومة سبيلاً آخر لتنشيط العلم غير المدارس فاخذت على عاتقها مشروعاً جديداً سمته احياء آداب اللغة العربية ذكرناه في غير هذا المكان . وهي الآن تفكر في ما هو اهم من ذلك كله نعني « التعليم الالزامي المجاني » فرأينا ان نقول كلمة في هذه الحركة المباركة

اولاً — الجامعة المصرية

علومها ونظامها

يعلم القراء غيرتنا على هذا المعهد العلمي لاننا اول من دعا الى انشائه ولاعتقادنا انه ينقل مصر من طور الى طور . وخصوصاً لان التعليم فيه باللغة العربية فتحيا به آداب هذه اللغة بعد ان كادت تندرس بتحويل سائر المدارس المصرية على التعليم باللغات الاجنبية . ولذلك فقد سرنا اقبال اغنياء الامة على الاكتتاب في انشاء الجامعة . ولما فتحت للمرة الاولى واخذت في العمل رأينا في بروغرام دروسها ما يحتاج الى تعديل فكتبنا في ذلك مقالة ضافية في الهلال ٥ سنة ١٧ بينا فيها حاجة الامة الى العلوم الطبيعية والرياضية ورجونا ان تكون هذه العلوم في جملة دروسها . وانتقدنا خطة القاء الدروس خطباً يسمعها الطلبة وينصرفون . فاجابت الجامعة ملتمسنا وادخلت اهم تلك العلوم في بروغرامها وارسلت شباناً يتلقونها عن اربابها في اوربا ليعودوا ويعلموها . فدلنا ذلك على اخلاص مجلس ادارتها في مصلحة الامة . ثم اخذت الجامعة تفكر في خطة التدريس فانشأت في العام الماضي كلية للآداب جعلت للتعليم فيها حدوداً وقيوداً . ويؤخذ من

تقريرها للعام الماضي انها تنوي تنظيم التدريس وزيادة الدروس بالتدريج على ما يتراءى لها من حاجة الامة ورغبة ابنائها وهاك قولها في التقرير المذكور :

« لا يخفى ان التدريس في الجامعة كان في اول الامر عبارة عن سلسلة محاضرات تلقى في مواضيع مختلفة . وكان الغرض من ذلك تعويد الشبان وطلبة العلم على حضور العلوم العالية وترغيبهم في ترقية مداركهم ومعرفة العلوم التي يميلون بطبيعتهم لتحصيلها وذلك قبل البدء في سن نظام نهائي للتدريس

« ولما آنست الجامعة في طلابها انهم اكثر اقبالاً على سماع العلوم الادبية منهم على سماع غيرها رات انه قد حان الوقت لانشاء كلية للاداب والفلسفة على طراز حديث تراعي فيه حاجات ابناء هذا القطر . وقد تم لها تحقيق هذه الامنية وجعلت اساس التعليم اللغة العربية وبذلك دخلت جامعتنا في طور جديد من حياتها الحقيقية لانه يجب ان لا نعير اي التفات الى نظام الدروس في العامين الفائتين الذي لم يقصد منه سوى معرفة اميال شباننا الغريزية كما قدمنا » اه

اما الدروس التي قررت القاءها في هذه الكلية فهي آداب اللغة العربية وتاريخ ادابها وعلم مقارنة اللغات السامية وتاريخ الشرق القديم وتاريخ الامم الاسلامية والفلسفة العربية والاخلاق وتاريخ التعاليم الفلسفية والجغرافية وعلم الشعوب وتاريخ اداب اللغتين الانكليزية والفرنساوية . وكلها تلقى باللغة العربية الا آداب هاتين اللغتين . وقد جعلت مدة الدراسة ٤ سنوات ينال الفائز في آخرها الشهادة الناطقة بجوازه الامتحان . وهذه خطوة مهمة في خطة التدريس . وهناك خطوة اخرى ذات شأن في تاريخ الجامعة نعني تعليم السيدات فانشأت قسماً خاصاً بهن تلقى فيه الدروس اللازمة للمرأة كعلم التربية وعلم النفس والاخلاق ومبادىء صحية وطبية وقد نجحت في هذا القسم نجاحاً حسناً . واخذت في خطوة اخرى نحو الغرض المطلوب منها فوعدت بانشاء قسم لتعليم الفنون الاقتصادية والاجتماعية

وعلى كل حال لا يتم نظام الدروس وتكيف خطة التدريس قبل رجوع التلامذة الذين ارسلتهم الى اوربا ليتلقوا العلم ويعودوا للتعليم كما تقدم

احوالها المالية

ومما يبشرنا بنجاح هذا المشروع الجليل اولاً تجرد اعضاء ادارته من كل غرض غير خدمة الامة وترقية ابنائها ببذل الوقت والمال وتفاني دولة الرئيس في هذا السبيل كما هو مشهور . ثانياً سخاء اهل اليسار في وقف الاطيان . ثالثاً مساعدة الحكومة بمال معين

تدفعه كل سنة يكفي وحده للقيام بالنفقات بحيث يبقى راس المال على حدة يزداد كل عام بالاستثمار وبما يضاف اليه من الاعانات والاكتتابات . ويؤخذ من تقريرها المتقدم ذكره ان المال المجموع باسم الجامعة بلغ ٥٣٥ ٣٣ جنيهاً منها ٦٤٧ ٢٠ جنيهاً نقداً في البنك و٥٩٦ ١٠ جنيهاً قيمة اطيان موقوفة عليها ونحو ٢٠٠٠ جنيه قيمة الاثاث والمفروشات والباقي نثريات

ومما يؤكد ثبات هذا المشروع ان ولاة امره جعلوا من اهم شروط الاتفاق ان لا يمس راس المال وانما ينفق من الايرادات الثابتة اي المرتبات التي تدفعها الحكومة وغيرها كل عام . وما يزيد منها عن النفقة اوير د في اثناء ذلك من الهبات يضاف الى راس المال . وهاك خلاصة ميزانية الجامعة للعام الماضي سنة ١٩١٩ ومنها يتضح ما تقدم :

مليم	جنيه	الايرادات
٠٠	٥٠٠٠	اعانة ديوان الاوقاف
٠٠	٤٨٢	اعانات متنوعة
٩٥٠	٦٤	رسوم الطلبة
١٧٦	٦١٦	ارباح استثمار النقود
٠٠	٢٥٠٠	الوارد من الاكتتابات
٢١٠	٧٥	ايرادات مختلفة
٣٣٦	٨٧٣٨	

مليم	جنيه	النفقات
٤٤٤	١٤٢٦	نفقات الادارة
٨٥١	٢٠١٨	« التعليم للاساتذة
٢٠٧	٢٥٥٦	« الارسالية الى اوربا
٨٦٢	٦٦٠	المصاري وغيرها
٨٢٣	٣٢٤	نفقات نثرية
٢١٧	٦٩٨٧	

والذي زاد من الايراد في هذه الميزانية اضيف الى راس المال . وسيزيد الايراد في السنة القادمة مبلغ ٢٠٠٠ جنيه قررت الحكومة دفعه اعانة للجامعة . وعرضت عليها قطعة ارض فسيحة في الجهة القبلية من قصر العيني مساحتها ١٥٠٠٠ متر مربع لم تستلمها الجامعة بعد لان على ملكية الحكومة لها نزاعاً لم يفصل بعد فاذا ثبتت ملكيتها صارت الى الجامعة وهي قطعة ثمينة تبنى فيها البناء اللازم . ووقف البرنس يوسف كمال باشا ١٢٥ فداناً للجامعة وعرض عليها قبول ادارة مدرسة الفنون الجميلة وتولي شؤونها المالية والدراسية ولها وقف خاص . وبالجملة ان طلائع الجامعة تبشر بمستقبل مجيد

مدرسة كلية داخلية

لكن الامة المصرية بانشاء هذه الجامعة لم تقم بكل ما عليها بل هي في نظرنا قد اغفلت امراً عظيم الاهمية — ان التعليم في الجامعة المصرية انما يراد به نشر العلوم العالية في

الطبقة الراقية الذين أتموا دروسهم في الكليات العلمية فيتفقهون في الجامعة بالابحاث العالية في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع ونحوها . وليس في مصر كلية علمية عالية تهيء الطلبة للجامعة . وارقى درجات التعليم في المدارس المصرية البكالوريا وهي في هذه المدارس اقل منها في سائر الكليات . وقد بينا ذلك مفصلاً في الهلال الثاني من سنة ١٥ بالمقابلة بين علوم المدارس المصرية وعلوم سائر الكليات وخصوصاً المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهذا جدول بيان ذلك :

المدرسة الاستعدادية في الكلية	المدرسة الابتدائية الاميرية بمصر
تعليم ديني	القرآن والاسلام
اللغة العربية	اللغة العربية
الانكليزية	الترجمة
الفرنساوية	الخط
الحساب	الحساب
الخط	الهندسة (مبادىء قليلة)
مبادىء الفلسفة الادبية	الانكليزية (او الفرنساوية)
دروس الاشياء	دروس الاشياء
الجغرافيا	الجغرافيا والرسم
التاريخ	التاريخ (مبادىء قليلة)

القسم العلمي في الكلية		المدرسة الثانوية الاميرية بمصر
العربية	النبات	اللغة العربية
الانكليزية	المنطق	« الانكليزية او الفرنساوية
الرياضيات	الاقتصاد السياسي	الرياضيات
التاريخ	الفلسفة العقلية	الجغرافيا
الفيسيولوجيا	الفلك	التاريخ
الفلسفة الطبيعية	الجيولوجيا	الطبيعيات
« الادبية	الرسم	الكيمياء
الكيمياء	التمرين العضلي	الرسم
الحيوان		الترجمة والتمرين العضلي

فترى علوم المدرسة الاميرية الثانوية بمصر وهي تمنح البكالوريا لا تزيد على علوم المدرسة الاستعدادية في كلية بيروت الا قليلاً

وليست العلوم هي الغرض الوحيد من هذه الكليات . وانما الغرض التربية الصحيحة وهي لا تتيسر لنا الا في المدارس الداخلية التي يقيم فيها التلامذة يتعلمون ويتثقفون ويتربون بطريقة يحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً وينشأ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الآداب الصحيحة والاخلاق السامية فضلاً عن العلم . فتكون المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الرقي ويطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج مثقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل الفكر هماماً يحب وطنه ويتفانى في خدمته . وهذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المحامد تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة آناء الليل واطراف النهار. وبالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده على ايدي اساتذة عقلاء فضلاء يستفيد من اخلاقهم ومناقبهم

نحتاج الى مدرسة اذا فرغ تلامذتها من دروسهم لا يخرجون الى القهوات والبارات واماكن اللهو كما يفعل اكثر الذين يحضرون الدروس الاختيارية بمصر . بل يلازمون اساتذتهم او رفاقهم يباحثونهم في الادب او الفلسفة او الاخلاق ويتنافسون في المسابقة الى الفضيلة او يعقدون الاجتماعات للخطب الادبية او الاجتماعية ويتمرسون بالخطابة على المنابر او المناظرة في المواضيع المفيدة كما يفعل تلامذة المدرسة الكلية السورية وامثالها من الكليات الكبرى التي يشعر اساتذتها انهم مسئولون عن تربية التلامذة مثل مسئوليتهم عن تعليمهم . وليس كما يشاهد بالمدارس الاميرية بمصر لهذا العهد فان الاساتذة يلقون الدروس وينصرفون الى شؤونهم لا يهمهم ما يكون بعد خروجهم . وربما التقى التلميذ ومعلمه في قهوة واحدة يشربان ويتمازجان . فيشب التلامذة لا يخافون المسكر ولا ينفرون من اماكن اللهو . وهذه مفسدة تقف في سبيل ما نرجوه من الرقي لابنائنا في عوامل هذه المدنية . وذلك طبيعي في المصالح الاميرية ان العامل فيها انما يهمه الراتب الذي يقبضه على عمل لا يلذ له ولا يصدق انه فرغ منه حتى يمضي الى شؤونه

هذا ما نحن في حاجة اليه وهو الذي اردناه لما اقترحنا انشاء الكلية منذ بضع عشرة سنة . ونحن نعيد الكرة الآن ونطالب ذلك ممن يهمهم امر الناشئة المصرية وترقية شؤونها

ثانياً - التعليم الالزامي والمجاني

بشرتنا الصحف ان الحكومة تفكر في جعل التعليم بمصر الزامياً مجانيا وهي خطوة اذا خطتها الحكومة نلنا بها ما نرجوه من الرقي وكان به تتمة مبرانها . والمراد بالتعليم الالزامي ان تجعل الحكومة تعليم الابناء فرضاً على آبائهم يسألون عن التقصير فيه . وكما يطالب الوالد بطبيعة الوجود بحفظ الولد وحياطته وتربية بدنه بالغذاء والكساء ريثما يشتدُّ ساعده ويستقل بنفسه فهو ايضاً مطالب بتربية عقله وتهذيب نفسه ليقوى على معاركة الحياة . ولكننا نرى الآباء غير عاملين بهذه القاعدة والحكومة انما اقيمت لحماية العاجز ونصرة الضعيف والاقتصاص للمظلوم من الظالم . فكما تطالب الوالد اذا قصر في تغذية ولده وكسائه وتحمله على القيام بهذا الواجب فهي مسئولة عن تقصيره في الواجب الآخر اذا رأته مقصراً به ولم تجبره عليه . ولذلك كان للحكومة ان تجبر الوالدين على تعليم اولادهم

كذلك فعلت الامم الراقية ولا يزال التعليم اجبارياً في الممالك المتمدنة حتى الآن فلماذا لا يكون كذلك بمصر بعد ان رأينا تقاعدنا عن انشاء المدارس من عند انفسنا مع قلة المتعلمين بيننا ؟ فان الامم المتمدنة لم يكثر عدد القارئين فيها الا بالتعليم الاجباري . كان عدد الاميين في الشعب الانكليزي سنة ١٨٤٣ نحو ٣٣ في المئة من الرجال و ٤٩ من النساء فاصبح الان واحد في المئة من الرجال واثنين من النساء . وعدد الاميين في الولايات المتحدة اكثر منه في غيرها نظراً لكثرة المهاجرين اليها واكثرهم لا يقرأون . ومع ذلك فقد كان عدد الاميين فيها سنة ١٨٨٠ نحو ١٧ في المئة فاصبح الآن عشرة في المئة فقط مع انها اكثر الامم انفاقاً في سبيل التعليم . وفي المانيا يختلف عدد الاميين باختلاف المقاطعات ولكنهم قليلون جداً ففي بعضها لا تجد في المقاطعة كلها صبيا او شاباً او شابة او كهلاً او شيخاً لا يعرف القراءة والكتابة واكثر الاميين في مقاطعة شرقي بروسيا وهم هناك واحد من سبعمئة . وقس على ذلك سائر ممالك العالم المتمدن الكبرى والصغرى . ولا خلاف في ان زيادة عدد القارئين في الامة يدل على ارتقائها

اما مصر فيسوءنا ان الاميين فيها لا يزال عددهم اضعاف عدد القارئين وقد بلغ عدد الذين يعرفون القراءة من سكان القطر المصري بالاحصاء الاخير نحو ٦ في المئة وذلك قليل جداً بالنظر الى الامم المتمدنة . فهل نستطيع ادراك منزلة تلك الامم بغير التعليم

الاجباري - ربما ادركناها بدونه ولكن بعد اجيال متوالية فنبقى في اخريات المتمدنين الى ما شاء الله

والتعليم اجباري متبع في انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والدنمارك واسوج والبلجيك وهولندا واليونان وفي الولايات المتحدة والمكسيك والارجنتين وفنزويلا وسلفادور وسانتو دومنكو واورغواي وسائر جمهوريات اميركا الجنوبية وفي اليابان وغيرها حتى الصرب والجبل الاسود ورومانيا . وهو اسمي في تركيا لاينقصه الا التنفيذ

فالدول المتمدنة تجبر شعوبها على تعليم ابنائهم وتعين المدة التي يجب ان يلازموا بها المدارس . وهي تختلف في ذلك باختلاف الامم واطولها في انكلترا فان الاب فيها مكلف ان يدخل ابنه المدرسة من اوائل طفولته الى السنة السادسة عشرة من عمره . ومدة التدريس عند الفرنساويين سبع سنين اي من السنة السادسة من عمر الولد الى الثالثة عشرة . وعند النمساويين من السادسة الى الرابعة عشرة وكذلك عند اليابانيين وقس عليها سائر الامم المرتقية . وقد سهلت حكوماتهم على الاهالي تعليم ابنائهم بجعل المدارس عامة في البلاد والقرى يزيد عددها بزيادة عدد السكان . ومن قوانين فرنسا من هذا القبيل ان كل قرية بلغ عدد سكانها خمسمئة نفس يجب ان يكون فيها مدرسة ابتدائية

فاذا كانت دول العالم كبارها وصغارها جعلت التعليم فيها اجباريا والناس هناك ينشئون المدارس من عند انفسهم لان الايام علمتهم شدة افتقار الناشئة الى العلم فكيف ونحن كما تقدم ؟ فكما تراقب الحكومة الصحة العمومية وتجبر الوالدين على تلقيح اولادهم بلقاح الجدري تخفيفاً لويلات هذا الوباء عنهم وعن سائر اهل القطر فهي مطالبة باجبارهم على تعليم ابنائهم لتخفيف ويلات الجهل - وهو اشد نكاية واسوأ مصيراً من الاوبئة الجارفة . وهي تنشيء المحاكم والسجون وتقيم الارصاد على الافاقين واهل البطالة وتنفق الاموال في حفظ الامن العام فاذا اجبرت الناس على تعليم ابنائهم خففت كثيراً من هذه المصائب عنها وعن الامة لان التعليم الصحيح يقلل اسباب الفساد . وكما يذعن الناس للحكومة بما تأمرهم به من وقاية ابدانهم وصيانة حقوقهم فهم يذعنون لها في تربية ابنائهم

التعليم المجاني

واذا سنت الحكومة قانوناً يقضي بالتعليم الالزامي واذعن الناس لاوامرها فهل يستطيع كل منهم الانفاق على تعليم اولاده ؟ كلا . لان معظم الشعب من الفلاحين الذين لايقدرون على نفقات التعليم فيرجع ذلك الى الحكومة المصرية وهي المطالبة بالانفاق وقد بلغنا ان الحكومة تحتج في عجزها عن التعليم المجاني بكثرة النفقات وهي في

تقدير سعادة ناظر المعارف نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات . فربما اكتفت لذلك بعصر المجانية في الكتاتيب ثم تتدرج في الزيادة مع الزمان . على انها لو انفقت المبلغ المشار اليه من الآن لا تكون قد اسرفت بالقياس على ما تنفقه سائر الدول في هذا السبيل . وهاك جدولاً لما تنفقه الامم المتمدنة على التعليم المجاني مع ذكر مقدار دخلها وعدد سكانها ليتبين لك ان المليون ونصف المليون ليس كثيراً على مصر :

نفقات الامم المتمدنة على التعليم المجاني

اسم المملكة	نوع التعليم فيها	عدد سكانها	دخلها بالجنيه	نفقات المعارف
انكلترا	الزامي	٤١ ٩٧٦ ٠٠٠	١٤٣ ٧٤٣ ٤٢٣	١٦ ٩٢٨ ٩٢٢
فرنسا	«	٣٩ ٢٠٠ ٠٠٠	١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٠ ٤٠٠ ٠٠٠
المانيا	«	٦٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢١ ٠٠٠ ٠٠٠
النمسا	«	٢٦ ١٥٠ ٠٠٠	٧٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠
روسيا	اختياري	١٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٢١ ٠٠٠ ٠٠٠	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
اسبانيا	«	١٨ ٦٠٠ ٠٠٠	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠
الولايات المتحدة	الزامي	٧٦ ٣٠٣ ٠٠٠	١٦٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
دنمارك	«	٢ ٦٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦ ٠٠٠
اسوج	«	٥ ٢٩٤ ٠٠٠	٧ ٣٠٠ ٠٠٠	١ ١٠٠ ٠٠٠
سويسرا	«	٣ ٤٦٣ ٠٠٠	٥ ٢٠٠ ٠٠٠	١ ١٠٠ ٠٠٠
بلجيكا	«	٧ ٢٠٠ ٠٠٠	٢٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
هولاندا	«	٥ ٥٠٠ ٠٠٠	١٤ ٢٠٠ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠
اليونان	«	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٥ ٠٠٠ ٠٠٠	١٤٠ ٠٠٠
ارجنتين	«	٥ ٦٠٠ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢ ٦٠٠ ٠٠٠
بوليفيا	«	٢ ٢٦٧ ٠٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٥٠ ٠٠٠
اليابان	«	٤٧ ٩٠٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥ ٥٠٠ ٠٠٠
المكسيك	«	١٣ ٦٠٠ ٠٠٠	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٦٠٠ ٠٠٠
مصر	اختياري	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠

واذا امعنت النظر في هذا الجدول يتضح لك ان مصر اقل الامم انفاقاً على التعليم . لا نقيسها باميركا التي تنفق ٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه على المعارف ولا بالمانيا او

انكلترا او فرنسا لان هذه الامم اكثر سكاناً ودخلاً وانما نقيسها بالدول التي تقاربها في ذلك . فاسوج سكانها ودخلها نصف ما لمصر ومع ذلك فانها تنفق مليون جنيه وبعض المليون وسويسرا اكثر من ذلك . وارجنتين دخلها عشرة ملايين تنفق ربعها على المعارف وقس على ذلك . واذا كانت نفقات بعض الدول على التعليم قليلة فلان اهلها ينفقون عليه كثيراً

على اننا اذا نظرنا في مصر نظراً تاريخياً من حيث التعليم الالزامي والمجاني رايناها سائرة القهقرى فيهما . فقد كانت المدارس في زمن محمد علي تشبه ان تكون اجبارية لانه كان يحمل الاهالي على تلقي العلوم العصرية جبراً . وكانت ايضاً مجانية ولم يقتصر محمد علي على التعليم مجاناً بل كان يطعم التلامذة ويكسيهم ويقوم بسائر لوازم حياتهم وقد بطل الاجبار في اواخر حكمه . واما المجانية فظلت متبعة على الكيفية التي ذكرناها الى اواخر ايام اسماعيل فكان الطلبة الفقراء يقيمون في المدرسة يتعلمون ويأكلون ويشربون وينامون ويكتسون على نفقة الحكومة . وفي سنة ١٨٧٤ ارادت الحكومة ان تجري على سنة سائر الامم فتفرض على التعليم جعلاً تأخذه من الاغنياء ولكنها تمادت حتى منعت الفقراء من التعليم لانها ابطلت المجانية بالتدريج . وبلغ عدد الدافعين من تلامذة مدارسها منذ بضعة اعوام ٩٢ في المئة وكانوا سنة ١٨٨١ اقل من ٣٠ في المئة وكانت واردات المدارس الاميرية تلك السنة ٢٣٣٣ جنيهاً فاصبحت اضعاف ذلك

العظماء من اكواخ الفقراء

فالحكومة بابطال المجانية من مدارسها قد اساءت الى الامة لانها حالت بين الفقراء واسباب الارتقاء فمنعت عن الوطن جنداً من ارباب العقول ينبغ من اكواخ الفلاحين وفيه نشاط الخلاء وصحة الابدان لا يحول بينهم وبين العلم غير الفقر فاذا صار التعليم مجانيا ظهر جماعة من رجال العلم والعمل يخدمون الامة بعلمهم ونشاطهم . ولو تدبرت تاريخ هذه النهضة لرأيت اكثر الذين ظهروا في اولها وايدوها بمؤلفاتهم او اداراتهم او حكمتهم انما نبغوا من ابناء الفقراء الذين علمتهم الحكومة على نفقتها . ولو لم يكن التعليم مجانيا لظلوا في زوايا النسيان

وكم في اهل الغيط من صحيح الجسم والعقل يقضي نهاره عارياً يركض في اثر جاموسة يرعاها او غنمة يحتلبها فتذهب ايامه ضياعاً ولو تعلم لصار رجلاً عظيما . وكم من رجل عظيم نبغ من الاكواخ والشواهد على ذلك كثيرة بين اظهرنا في مصر والشام — فما اجدر الحكومة ان تعود الى سابق فضلها في التعليم المجاني

باب السؤال والاقتراح

مذهب النشوء والعرب

(القاهرة) محمد افندي حسن العامري

رأيت بعض الكتاب ينسبون الى العرب الفضل في مذهب النشوء والارتقاء وانهم كانوا على بينة من قواعده قبل ظهور مذهب داروين بمئات من السنين فهل ذلك صحيح ؟

(الهلال) اذا اريد بمذهب النشوء الذهاب الى تفرع العوالم بعضها من بعض والاشارة الى وحدة اصلها فهو من الآراء القديمة التي خطرت لفلاسفة اليونان وقد تناولها العرب وتوسعوا فيها كما توسعوا في سائر فروع الفلسفة والطبيعيات . ومن احسن الامثلة على ذلك قول ابي علي ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ في كتابه الفوز الاصغر من فصل في مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض فانه ذكر اتصال الموجودات ثم تكلم عن العوالم الحية فقال :

« ان اول اثر ظهر في عالمنا هذا من نحو المركز بعد امتزاج العناصر الاولى اثر حركة النفس في النبات . وذلك أنه تميز عن الجماد بالحركة والاغتذاء . وللنبات في قبول الأثر مراتب مختلفة لا تحصى الا انا نقسمه الى ثلاث مراتب : الاولى والوسطى والأخيرة ليكون الكلام عليه اظهر وان لكل مرتبة من هذه المراتب غرض كثير وبين المرتبة الاولى والوسطى مراتب كثيرة وبهذا الترتيب يمكننا ان نشرح ما قصدنا اليه من اظهار هذا المعنى اللطيف

« فنقول ان مرتبة النبات الأولى في قبول هذا الأثر الشريف هو لما نجم من الارض ولم يحتج الى بذر ولم يحفظ نوعه ببذر كانواع الحشائش . وذلك انه في افق الجماد والفرق بينهما هو هذا القدر اليسير من الحركة الضعيفة في قبول اثر النفس. ولايزال هذا

الاثر يقوى في نبات آخر يليه في الشرف والمرتبة الى ان يصير له من القوة في الحركة بحيث يتفرع ويتبسط ويتشعب ويحفظ نوعه بالبذر ويظهر فيه من اثر الحكمة اكثر مما يظهر في الاول . ولا يزال هذا المعنى يزداد في شيء بعد شيء ظهوراً الى ان يصير الى الشجر الذي له ساق وورق وثمر يحفظ به نوعه وغراس يصونه بها بحسب حاجته اليها . وهذا هو الوسط من المنازل الثلاثة . الا ان اول هذه المرتبة متصل بما قبله واقع في افقه وهو ما كان من الشجر على الجبال وفي البراري المنقطعة وفي الغياض وجزائر البحار لا يحتاج الى غرس بل ينبت لذاته وان كان يحفظ نوعه بالبزر وهو ثقيل الحركة بطيء النشوء . ثم يتدرج من هذه المرتبة ويقوى هذا الاثر فيه ويظهر شرفه على ما دونه حتى ينتهي الى الاشجار الكريمة التي تحتاج الى عناية من استطابة التربة واستعذاب الماء والهواء لاعتدال مزاجها والى صيانة ثمرتها التي تحفظ بها نوعها كالزيتون والرمان والسفرجل والتفاح والتين واشباهها . ويتدرج ايضاً في قبول هذا الاثر من ظهور الشرف الى ان ينتهي الى رتبة الكرم والنخل

« فاذا انتهى الى ذلك صار في الافق الاعلى من النبات وصار بحيث ان زاد قبوله لهذا الاثر لم يبق له صورة النبات وقبل حينئذ صورة الحيوان — وذلك ان النخل قد بلغ من شرفه على النبات حتى حصل فيه نسبة قوية الى الحيوان ومشابهات كثيرة منه . اولها ان الذكر منه متميز عن الانثى وانه يحتاج الى التلقيح ليتم حمله وهو كالسفاد في الحيوان . وله مع ذلك مبدأ آخر غير عروقه واصله اعني الجمار الذي هو كالدماغ من الحيوان .. فان عرضت له آفة تلف . وليس كذلك سائر الاشجار لان لتلك مبدأ واحداً وهو الاصل الثابت في الارض . فما دام ذلك ثابتاً على حاله لم تعرض له آفة فهو باقي الحياة . وبزر النخل الذي يسمى طلعاً وبه تلقح النخلة شبيه الرائحة ببزر الحيوان . وقد احصيت للنخل طبائع كثيرة تشابه ما للحيوان ليس هذا موضع احصائها . والى هذا المعنى يتوجه قول النبي صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام

« فقد تبين بلوغ غاية ما وضع للنبات ان يبلغه في افق الحيوان . وهذه الرتبة الاخيرة من النبات وان كانت في شرفه فانها اول افق الحيوان وهي ادون مرتبة فيه واخسها . واول ما يرقى النبات من منزلته الاخيرة ويتميز به من مراتبه الاولى هو ان ينقلع من الارض ولا يحتاج الى اثبات العروق فيها بما يحصل له من التصرف بالحركة الاختيارية . وهذه الرتبة الاولى من الحيوانية ضعيفة لضعف اثر الحس فيها .

وانما تظهر بجهة واحدة اعني حساً واحداً وهو الحس العام الذي يقال له حس اللمس كما في الصدف وانواع الحلزون الذي يوجد في شواطيء الانهار وسواحل البحار. وانما تعرف حيوانيته ويعلم انه ذو حس واحد من اجل انه اذا اقتلع من موضعه بسرعة وعلى عجل وخفة فارق موضعه واستجاب للاخذ. وان اخذ بابطاء وعلى ترتيب لزم موضعه وتمسك به. وذلك لانه يحس ان لا يريد اخذه فيصعب حينئذ جذبه وتناوله من مكانه لتشبثه به وهو يضعف عن التنقل وان كان قد اقتلع من الارض وصارت له حياة لانه في الافق القريب من النبات وفيه مناسبة منه

« ثم يرتقي عن هذه الرتبة الى ان ينتقل ويتحرك وتقوى فيه قوة الحس كالدود وكثير من الفراش والدبيب. ثم يرتقي عن هذه المرتبة ايضاً وتقوى اثر النفس فيه حتى يصير منه الحيوان الذي له اربع حواس كالخلد وما اشبهه. ثم يرتقي من ذلك الى ان يصير له من حس البصر اثر ضعيف كالنمل والنحل والحيوان الذي عيونه شبه الخرز ليس لها اجفان ولا ما يستر احداقها. ثم يقوى ذلك الى ان يصير منه الحيوان الكامل في الحواس الخمس. وهي مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة الجافية الحواس ومنها الذكية اللطيفة الحواس التي تستجيب للتأديب وتقبل الامر والنهي وتستعد لقبول اثر النطق والتمييز كالفرس من البهائم والبازي من الطير

« ثم يقرب من آخر مراتب البهائم ويصير في افقها الاعلى وفي مرتبة الانسان. وهذه المرتبة وان كانت شريفة فهي خسيسة دنيئة بعيدة من مرتبة الانسان. وهي مراتب القرود واشباهها من الحيوان الذي قارب الانسان في خلقة الانسانية وليس بينهما الا اليسير الذي اذا تجاوزه صار انساناً. فاذا بلغه انتصبت قامته وظهر فيه من قوة تمييز الشيء اليسير فضل تمييز واهتداء الى المعارف ويقوى فيه اثر النفس ويقبل التأديب بالفهم والتمييز. وهذا الاثر وان كان شريفاً بالاضافة الى مادونه من رتب البهائم فهو خسيس دنيء جداً بالاضافة الى الانسان الكامل النطق. وهذه المرتبة القريبة من مرتبة الانسان هي في افق البهيمية وفي اقصى المعمور من الارض وفي اطرافها من الشمال والجنوب كاواخر الزنج وغيرهم. فان هؤلاء ليس بينهم وبين الرتبة الاخيرة من البهائم التي ذكرناها فرق كثير بالتمييز الى كثير شيء من المنافع لهم. وليس تؤثر فيهم حكمة ولا يقبلونها من الامم التي تجاورهم. فلذلك ساءت احوالهم وقل نفعهم وحصلوا غير مغبوطين ولا صالحين لغير العبودية والاستخدام فيما تستخدم فيه البهيمية

« ثم لا يزال اثر النطق يزيد الى ان يصير في وسط المعمورة في الاقليم الثالث

والرابع والخامس فحينئذ يكمل هذا الاتروبصير بحيث تراه من الذكاء والفهم والتيقظ للامور والكيس من الصناعات واستخراج غوامض العلوم والاتساع في المعارف . ثم يقع التفاوت في هذه الرتبة منها الى حيث يومى الى الواحد بعد الواحد في سرعة الهاجس وقوته واستقامة النظر وصحة الفكر وجودة الحكم على الامور الكائنة والاخبار بالاحوال المستقبلة حتى يقال فلان الملمعي وفلان محدس وكأنما ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق . فاذا بلغ الانسان هذه الرتبة فقد قارب البلوغ الى افقه الذي يتصل منه الى افق الملائكة اعني الوجود الذي هو اعلى من الوجود الانساني . ولم يبق بينه وبين مرتبة عليين الا درجات يسيرة يدركها . واذ رتبنا قوى العالم الصغير وشرحنا اتصال قواه بعضها ببعض وكيف ترتقي قوة الحواس منه الى ما هو اعلى منها ومنها الى ما بعدها حتى يجاور الملك ويناسبه ويستمدمنه فهناك يتبين غاية افق الانسانية ونهاية شرفه وكيفية مرتبته واتصال الروح المسمى في القرآن الروح القدس فيطلع الناظر في هذه المراتب على صور الموجود ويفهمه ويعرف شرف الرسالة وعلو درجة النبوة » اه

الخيانة والوشاية

وتذاكر الترامواي

(مصر) حبيب افندي سلامة بشارع باب الحديد

عاملان يشتغلان في محل واحد احدهما امين والآخر خائن فسأل الخائن رفيقه الامين ان يشاركه في سرقة ذلك المحل فلم يرض فهل يجوز لهذا ان يخبر صاحب المحل بما عزم عليه رفيقه — قال البعض ان تبليغه يعدُّ فتنة وسكوته يعدُّ مشاركة له في الخيانة فما هو رأيكم

(الهلال) لا نقول انه يجوز للامين ابلاغ عزم رفيقه بل نقول انه يجب عليه ذلك والا فهو شريك في الخيانة . وقد يجوز له السكوت اذا نصحه فانتصح وعدل عن عزمه . والا فهو مسئول معه . على ان اشتغاله في ذلك المحل يدل ضمناً على انه مؤمن على ما فيه وهو مطالب بالسهر على صيانته . ويذكرنا ذلك بما يرتكبه الكثيرون من الاشتراك في الخيانة كل يوم وهم لا ينتبهون . نعني مسألة تذاكر الترامواي فان بعض باعة

الاحساس عن بعد

﴿ ومنه ﴾
كثيراً ما يتفق لي وانا جالس الى طاولتي افكر في عمل فاحتاج الى والدي في شيء فاهم ان اخاطبه به فاذا هو يخاطبني في نفس ذلك الموضوع . فهل هذا ما يعبرون عنه بالاحساس عن بعد (التليباثي)

﴿ الهلال ﴾ نعم

علم الذاكرة

(الاسكندرية) حسين افندي صالح

بلغني ان في بعض عواصم أوروبا معاهد علمية الغرض منها اعطاء دروس في « علم الذاكرة » وهو ما يسمونه بالانجليزية « Mnemonics » ويقال انه باتباع تلك الدروس تقوى ذاكرة المرء وتتحسن . فهل هذا العلم حقيقي وما هي الطرق والدروس المتبعة في تلك المعاهد

﴿ الهلال ﴾ ان الاساس الذي يبنون عليه تقوية الذاكرة انما هو التمرين بالاستعمال ويختلفون في طرق ذلك اختلافاً كثيراً وقد تأتي هذه الطرق بفائدة قليلة او كثيرة حسب استعداد الشخص وسنه ومزاجه

الاصابة بالعين

﴿ كاتمركا . ارجنتين ﴾ مخائيل افندي ليوس

﴿ الهلال ﴾ ان ما ذكرتموه من حوادث الاصابة بالعين مبني على الوهم والشعوذة ويخالف المعلوم من النواميس الطبيعية وهو معدود عند اهل العلم من الخرافات

النبات المفترس

(الزقازيق) سليم افندي ابراهيم معلولي

لي صديق اثق بقوله اخبرني ان بضواحي اميركا بالجبال شجرة كبيرة الحجم ورقها عريض اخضر يقال ان من يصعد اليها يلتف عليه الورق ويعصره عصراً شديداً فهل ذلك صحيح

(الهلال) قد اجبنا على مثل هذا السؤال عن شجرة قيل انها في مداغسكر يعبدها اهل تلك الجزيرة قال السائل « ويقدمون لها كل سنة عذراء من اجمل بناتهم ضحية . يضعون الضحية على قرص الشجرة وبعد بضع دقائق تتجه اغصانها نحو الضحية وتلتف بعضها على بعض وتضغط على الفتاة ضغطاً لا يبقي منها الا العظام »

وقد اجبنا على ذلك السؤال في السنة ١١ من الهلال وجوابنا على سؤال حضرتكم هو نفس جوابنا على ذاك . فان بين انواع النبات طائفة كبيرة تعرف بالنباتات الحساسة وهي تزيد على ٤٠٠ نبات أشهرها العشبة المستحية فانك تراها مفتحة الورق منبسطة الاغصان فلا تكاد تلمسها حتى تراها تطبقت بعضها على بعض وذبلت اغصانها فيخيل لك انها تتألم او انها شاخت بصاعقة او ماتت بسم زعاف . وقد حاول علماء النبات تعليل هذه الحساسة بالنواميس الميكانيكية او الكيماوية فلم يروا ما يعللها فلم يبق الا انها حاسة حيوية . لانها تحس ليس فقط باللمس ولكنها تذبل وتنكمش بكل ما يهيج الانسجة الحيوانية كالحوامض القوية او النار . وذكر فون مارتيوس انه لما قطع نهر سافانا في الولايات المتحدة الاميركية لاحظ ان وقع حوافر جواده في السهول المجاورة



مصيدة الذباب او الدبنة

اثر في النباتات الحساسة هناك فتكمشت وتلملمت كانها ارتاعت من ذلك الصوت . وقال ديفونشين في بعض اسفاره انه حمل سنطاً في مركبة فلاحظ انه كلما وقفت المركبة تكمش السنط وتجمع كالحيوان اذا اجفل لصدمة اونحوها . فلما طال به السفر وتكررت تلك الصدمات أمن البغتة فبسط اوراقه ولم يعد يلمها سواء وقفت المركبة او سارت

ومن النباتات الحساسة نبات اميركي يسمى مصيدة الذباب ذكره الدكتور بوسط وسماه مذنبية . اوراقه شراك خفية او هي مصايد حية تنتهي كل ورقة بكاس منبسطة ذات اهداب حادة يصل بينها مصراع طولي في وسط كل من هذه الكؤوس ثلاث اشواك حولها غدد تفرز عصارة سكرية . فاذا ساقت الاقدار ذبابة او نحوها من الهوام تلمس تلك العصارة ووقفت على الورقة هاجت الكاس واطبقت اهدابها عليها كما يطبق الكتاب ولسعتها باشواكها . واذا حاولت الذبابة الفرار زادتها الكاس ضغطاً حتى تخمد انفاسها كما ترى في الشكل . واذا اردت فتح الكاس بيدك عنوة تمزقت ولم تنفتح لكنها تنفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

فالظاهر ان الشجرة التي اخبركم بها صديقكم من النباتات الحساسة نحو مصيدة الذباب لكنها اقوى منها كثيراً

رواية الانقلاب العثماني

ترجمتها الى الفارسية

حضرة صاحب الهلال

حداني الشغف بروايتكم « الانقلاب العثماني » حتى شرعت من السنة (١٩) في ترجمتها الى اللغة الفارسية لعل ابناء وطني ينتفعون بها ولكنني رايت من الواجب ان استميحكم الاذن بنشرها خلافاً لبعض الايرانيين الذين ترجموا بعض مؤلفاتكم بدون اذنكم ونسوا او تناسوا ان يذكروا اسمكم عليها . واملي وطيد انكم ستجيبونني في الهلال القادم بيروت ع . قويم السلطنة

✻ الهلال ✻ نشكر لكم حسن ظنكم بمؤلفاتنا ولا مانع عندنا من نقل هذه الرواية الى الفارسية لكن الاذن بالترجمة يشترط معه ظهور الترجمة مطبوعة في وقت معين والا جاز الاذن لسواكم

الهلال

الجزء الثامن من السنة التاسعة عشرة

اول مايو (ايار) سنة ١٩١١ و٢ جماد اول سنة ١٣٢٩

البانيا



جغرافيتها وتاريخها وسائر احوالها

نظراً للقلاقل التي توالت على البانيا في هذه الاثناء بنهوض اهلها للثورة في ولاية اشقودرا رأينا أن نبين جغرافية تلك البلاد وخلاصة تاريخها ليكون المطلعون على اخبارها السياسية على بينة من احوالها فنقول :

اولاً — جغرافيتها

حدودها واقسامها

تعرف البانيا في اصطلاح العامة ببلاد الارنؤط . يحدها الجبل الاسود والبوسنه من الشمال وبلاد اليونان من الجنوب ومكدونية والسرب من الشرق والبحر الادرياتيكي من الغرب وتقسم الى ثلاثة اقسام يسمى كل منها ايالة وهي :

١ ايالة اشقودرا في الشمال وقصبتها مدينة اشقودرا

٢ ايالة يانيا في الجنوب وقصبتها مدينة يانيا و بلاد ابيروس داخلة في حكمها

٣ ايالة موناستير في الوسط والشرق وقصبتها موناستير

ويقسم الالبانيون باعتبار اصلهم الى ثلاث قبائل :

١ قبيلة نجيج أو الغيج ويقطنون في اشقودرا وما جاورها

٢ « التوسك ويسكنون اواسط البانيا في برات والبسان غربي موناستير

٣ « الليار وهم احقر سكان البانيا ويقطنون الجبال بين التوسك وحدود ابيروس . واليك وصف كل ايالة على حدة :

﴿ اشقودرا ﴾ في الشمال وتعرف بالبانيا الشمالية وهي اكثر تلك الايالات تعرضاً للقلاقل لمجاورتها الجبل الاسود وتقسم الى سنجقيتين تحتها ثمانية اقضية في كل سنجق أو قضاء نواحٍ وقرى هذه خلاصتها :

اسم القضاء	عدد النواحي	عدد القرى	اسم القضاء	عدد النواحي	عدد القرى
سنجق اشقودرا	٥	٨٨	سنجق دراج	٠	٥
قضاء ليش	٢	٣٩	قضاء تيران	٠	١٠١
« اق حصار	١	٤٩	« قوايه	٠	٥٧
« طوزي	٠	٢٤	« شباق	٢	٥٦
« بوقه	٠	٤٦		١٠	٤٧٠
« مريديتا	٠	٥			

وأشهر بلاد هذه الايالة اشقودرا المدينة وهي قصبتها واقعة على الطرف الجنوبي من بحيرة اشقودرا عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠ نفس اكثرهم مسلمون . اكثر اسواقها قديمة معوجة يندر فيها الشوارع المستقيمة . والمدينة مبنية في سهل منبسط يمرُّ بها نهر بوجانا تجري فيه مياه البحيرة الى البحر الادرياتيكي ونهرٌ يصب ماءه في البحيرة بعد ان يقطع السهل الواقع بين اشقودرا وجبال بسكاسي . ويغلب ان يفيض النهر الاول في الشتاء فيطوف على المدينة : وفي اشقودرا عدد غير قليل من الجوامع والكنائس . وهي تجارية المركز لاتصالها بالبحر الادرياتيكي بنهر بوجانا المذكور فتنقل السفن فيه من ذلك البحر تحمل الحاصلات القادمة من نهر درين وتباع لاهل الجبال ويؤخذ بدلها الاصواف والحنطة والاصباغ والاخشاب . وفي اشقودرا عدة معامل لصنع الاسلحة ونسج القطن وهي قديمة في التاريخ واسمها سلافي الاصل فهو في اللغة الروسية «سكادار»

وقد اتخذها جنثيوس ملك الايليريين عاصمة لمملكته في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد وفيها حاصره الرومانيون وغلبوه على ملكه وساقوه الى رومية سنة ١٦٨ ق م . ووقعت اشقودرا في قبضة السربيين في القرن السابع للميلاد . ثم دخلت في حوزة البندقيين حتى استولى عليها الاتراك العثمانيون سنة ١٤٧٩ ولا تزال

﴿ يانيا ﴾ وهي واقعة في جنوبي البانيا وتقسم الى اربعة سناجق و ١٥ قضاء فيها ١٢ ناحية و ١٦٠٦ قرى على هذا الترتيب :

اسم القضاء او السنجق	النواحي	القرى	اسم القضاء او السنجق	النواحي	القرى
سنجق يانيا	٤	٢٢٩	قضاء تبه دلن	٠	٦٣
قضاء لسقوبك	٠	٤٩	« قورولش	١	٢٢
« فونيجه	٠	٣٦	سنجق بروزه	٠	٣٨
« ايدونات	٠	٦١	قضاء لوروس	١	٦٨
« فيلات	٠	٦٨	« مارغايج	٢	٧٣
« مجوه	٠	٣	سنجق برات	١	٢١٨
سنجق اركري	٠	٦٤	قضاء اولونيه	٠	٧١
قضاء دلونيه	١	٩٣	« لوشنه	١	٢١٥
« بارامينا	١	٩٩	« غوسنجقه	٠	١٠١
« بوغون	٠	٣٨	(الجملة)	١٢	١٦٠٦

أهم هذه البلاد مدينة يانيا وهي قصبة الايالة منظرها بديع لوقوعها على سفح جبل متزيكلي وعلوه عن سطح البحر ١٥٠٠ قدم . واشتهرت هذه المدينة في اوائل القرن الماضي على أثر ظهور علي باشا تبه دلنلي الآتي ذكره في تاريخ البانيا. لانه اتخذها كرسيا لحكومته . عدد سكانها ٥٠٠٠٠ نفس اكثرهم مسيحيون وفيها حصن منيع اسمه « دميركولي » أي قلعة الحديد على تل كان قد اهمل . وفي يانيا بضعة عشر جامعاً و٧ كنائس ومعبدان لليهود ومدرسة كلية يونانية ومكتبة ومستشفى ولها فرضتان تحمل اليها التجارة منهما وهما سيادس تجاه كورفو وآرتا في الجنوب وفيها حركة تجارية اكثرها في ايدي اليونان ولها شهرة خاصة بالتطريز الذهبي والفضي . وسيأتي ذكرها مراراً في ترجمة علي باشا

﴿ موناستير ﴾ هي أقرب ايالات البانيا الى سلانيك وتعدُّ من مكدونية وهي مؤلفة من خمسة سناجق و٢٢ قضاء و ٢٤ ناحية و ١٩٠٣ قرى على هذه الصورة :

اسم السنجق او القضاء	النواحي	القرى	اسم السنجق او القضاء	النواحي	القرى
سنجق موناستير	٤	٢٤١	سنجق دبره	٠	١١١
قضاء برلبه	١	١٣١	قضاء ماط	٠	٣٢
« فيلورينا	٢	٧٦	« دبره زير	٠	٣٧
« قرچوه	٠	١١٣	« رقه لر	٠	٤٤
« اوخري او اوخريده	٢	١٠٣	سنجق البسان	٠	١٥٥
سنجق سرفيجه	١	٢٩	قضاء غرافش	٠	٦٦
قضاء قوزانه	١	٨١	« بكاين	٠	٥٣
« كاليار	٢	٥٤	سنجق كوريتزا	٢	١٦٠
« ناسليج	٢	٩٣	قضاء كسريه	٣	١٢٠
« كده بنه	٠	٧٨	« كستوريا	١	١٠٠
« الاصونيه	٣	٧٢	« قولونيه	٠	٥٤

قصبة هذه الايالة مدينة موناستير واقعة على مكان يعلو ١٨٨٠ قدماً عن سطح البحر . يحيط به بقاع خصبة مساحتها نحو عشرة اميال في ٤٠ ميلاً . ولها اهمية عسكرية لوقوعها في ملتقى الطرق بين سلانيك ودوراتزو واسكوب وادرنه. ولذلك جعلها العثمانيون سنة ١٨٣٠ مركزاً عسكرياً فزادت اهميتها من ذلك الحين . عدد سكانها نحو ٥٠٠٠٠ نفس وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى دير هناك واسم الدير في الافرنجية « موناستير » ومن بلدة رسنة في ايالة سلانيك ظهر نيازي بك بطل الدستور

ومن اشهر مدن البانيا بريسرين في الشمال الشرقي وقد اشتهرت بعمل الاسلحة من البنادق والنصال عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠ ومنها مدن نيرانا واوخري والبسان ودلفينو ومتزيفو . واشهر المدن البحرية دولشينو ودوراتزو و بارجا و بريفيسا وآرتا

سكانها

يعرف سكان البانيا الاصليون باسم ارناوط وهم جنس خاص معروفون بقوة الابدان ويضرب المثل بشدة بطشهم ولكنهم لم يستطيعوا انشاء الدول لكثرة انقسامهم وتنازعهم فيما بينهم فلم تتحد كلمتهم ولا تمكنوا من تأسيس الدول ومع استعدادهم الطبيعي

بدناً وعقلاً ما برحوا عرضة لمطامع الفاتحين من اقدم ازمنة التاريخ . على ان هذه البلاد ما برحت منذ القدم منبتاً للفاتحين وعظماء الرجال من اسكندر الاكبر الى اسكندر بك وعلي باشا تبه دلنلي الآتي ذكرهما ومنها محمد علي باشا مؤسس الدولة الخديوية وجماعة كبيرة من حماة الدستور العثماني . واختلط بالارناوط في اثناء التاريخ طوائف شتى من اليونان والاتراك وغيرهم . ويقدرون الان بنحو مليون ونصف اومليونين نحو نصفهم من المسلمين . والنصف الاخر نحو ثلثيه من الروم الارثوذكس والثلث الباقي من الكاثوليك



الالباني بلباسه الوطني

والالباني طويل القامة ممتلىء البدن . هيبته وجلال طلعته يستلفتان النظر وفيه ميل الى السرور والاعجاب بنفسه وقضت عليه عادات بلاده ان يتقلد الاسلحة من الخناجر والقرابينه . والبستهم تشبه البسة اليونانيين لكنهم يمتازون برداء كالفستان او التنورة القصيرة الى الركب نحو ما يفعل اهل اسكتلانده وان اختلفت الوان تلك التنانير في الامتين . ويتمنطق الالبان حول اوساطهم بمناطق عريضة مرخية يغرسون فيها اسلحتهم كالياتقان والطبنجة والخنجر . ويلفون سوقهم بالطاقات الملونة ويكسون رؤوسهم بالطربوش الاحمر الطويل يثنونه الى الوراء ذلك هو لباسهم الوطني الاصلي لكن المتعلمين من اهل هذا الجيل يلبسون على الزي الافرنجي كما يفعل شبان مصر والشام لهذا العهد ونظراً لاشتهارهم بالقوة والشجاعة كثيراً ما استخدمتهم الدولة العثمانية للجندية وآخر من فعل ذلك عبد الحميد السلطان المخلوع فقد اتخذ منهم حرساً و بطانة

ثانياً — تاريخها

قد علمت ما في الالبان من الميل الى الانقسام والتنازع ولذلك فهم قلما انشأوا



الالبان حرس عبد الحميد بلباس الجند

دولة مستقلة وما برحوا خاضعين للدول المجاورة بعد الدفاع عن اوطانهم دفاع الابطال لانهم كالاسود قوة وبطشاً لا يتعصبهم غير الاتحاد فلم يكونوا يرضخون لسيادة الفاتحين الا بعد شق الانفس . واقدم ملوكهم العظام بيروس ملك ابيروس (من ٢٩٦ - ٢٧٢ ق م) وهو معدود من اعظم قواد العالم . جمع كلمة الالبانيين وجعلهم كالدولة لكنه لم يكد يموت حتى عادوا فانقسموا الى احزاب فتفرقت كلمتهم وتشتتت قوتهم فلم يعد في امكانهم مقاومة الفاتح الغريب فدخلت البانيا في سيادة مكدونية وما زالوا في سيطرتها حتى غلبهم الرومان سنة ١٦٧ ق م ولما تضعضع شأن الدولة الرومانية وقوي البلغاريون دخلت بعض البانيا في حوزتهم ولم يستطيعوا اخضاعها كلها

اسكندر بك

فلما وطئ الاتراك العثمانيون اوربا واخذوا في فتح البلقان ارادوا فتح البانيا فقاومهم الالبان اشد المقاومة بقيادة بطلهم جورج كستريوت بن حنا كستريوت احد امراء البانيا . ولد جورج المذكور سنة ١٤٠٤م وارسل من صباه الى البلاط العثماني

فربي فيه واعتنق الاسلام . ولما اشتد ساعده دخل في خدمة الجند العثماني وصار من قواده وسموه اسكندر بك



اسكندر بك

واشتهر بالقوة والشجاعة في زمن السلطان مراد الثاني وانفذ السلطان المذكور سنة ١٤٤٣ حملة لاخضاع المجر جعلها بقيادة اسكندر بك فخرج اليها بجنده . وهو هناك سمع بموت ابيه فتاقت نفسه الى الحرية والاستقلال وكان جون هونيادس قائد الجند ضد الاتراك قد فاز في واقعة نيش وتقهقر الاتراك فاغتنم اسكندر بك تلك الفرصة واغرى باشكاتب السلطان وهو معه ان يعطيه فرماناً بتوليته على كرويا مسقط رأسه وغادر الجند العثماني ومعه ٣٠٠ فارس الباني وارتد عن الاسلام واعلن استقلاله في البانيا . فاعترف الالبانيون بسيادته واجتمعوا تحت رايته . وبلغ خبره الى السلطان فانفذ الجند لاخضاعه عبثاً واخيراً حمل عليه السلطان مراد نفسه فحاصره سنة ١٤٥٠ ولم ينل منه وطراً ثم افضى العرش الى محمد الثاني الفاتح العظيم فلم يرَ بدًّا من مصالحة ذلك القائد الالباني فعقد معه معاهدة صلح سنة ١٤٦١ م

ثم جدد اسكندر بك العداوة باغراء البابا بيوس الثاني وجمهورية البندقية فشهر الحرب على العثمانيين سنة ١٤٦٤ فرد الجنود العثمانية عن بلاده . وتوفي اسكندر بك

سنة ١٤٦٧ وخلف طفلاً اسمه حنا ولم ينفك الاتراك عن البانيا حتى اتموا فتحها سنة ١٤٧٩ بعد حصار اشقودرا . على ان خضوعها لم يكن تاماً لميل اهلها الى المنازعات والثورات . فلما ضعفت شوكة العثمانيين في الاجيال الاخيرة اشتد ساعد الالبان على الاستقلال وقد فازوا به في اوائل القرن التاسع عشر بقيادة علي باشا تبه دلنلي بطل البانيا الشهير

علي باشا تبه دلنلي

ولد هذا الرجل في تبه دلن ويسميها الافرنج دبليني في ولاية موناستير واصله من التوسك وكان اسلافه من اشرافها ويلقبون باشراف دبليني . ولما حاصر البندقيون جزيرة كورفو سنة ١٧١٦ كان جد علي باشا في جملة المدافعين فقتل هناك فورث ابنه (والد علي باشا) ذلك اللقب . لكنه كان ضعيفاً فسلبه جيرانه املاكه فنشأ ابنه علي ووالدته تقص عليه ما كان من تعدي جيرانهم على املاك ابيه وربته على الخشونة وحب الانتقام . فشبَّ على النهب والسطو والغزو شأن اكثر شبان البانيا فقضى شبابهُ في الجبال مع زمرة من اصحابه يصادرون المارة ويسطون على اعداء والده ويحاربونهم حتى تمكن من استرجاع بعض املاكه في دبليني . ويقال انه قتل اخاه وسجن والدته وان والدته لم تعش بعد سجنها الا مدة قصيرة

فلما استرجع املاكه وصار بيكاً تاقت نفسه الى السلطة بتوسيع دائرة سلطانه واتفق ان والي اشقودرا اذ ذاك كان تمرَّد على الدولة فعرض علي على الباب العالي ان يخرج هو لتسكين الثورة فاذن له بذلك فحمل عليه وقتله فكافأته الدولة بحق التمتع بكل املاكه وعينته معاوناً لدروبندا باشا الروملي وهو لقب يسمى به حامي الطرق ومانع اللصوصية في الجبال

ولكنه طمع بالمال وحاد عن واجباته فكان يشارك اللصوص بسرقاتهم ويطلق سراحهم فعلمت الحكومة بذلك فاتهمت رئيسه بالامر وحاكمته وحكمت عليه بالاعدام اما علي فنجا بمساع خصوصية استخدم فيها الاصفر الرنان

ثم كانت الحرب بين العثمانيين والروس سنة ١٧٨٧ وكان علي باشا في جملة القواد فاظهر بسالة شديدة نال عليها انعاماً عظيماً فتعين والياً على تريكالا من تساليا (اليونان)

وهي لم تستقل بعد ودروبند الروملي في وقت واحد مع لقب باشا . فلم يمض زمن قصير حتى طهر البلاد من اللصوص بترغيبهم في الخدمة العسكرية فادخل في خدمته جماعة منهم فالف تحت لوائه جنداً كبيراً . وكانت يانيا متمردة على الدولة فخرج عليها بجنده فاخضعها سنة ١٧٨٧ واصلح احوالها فلما رات الدولة منه ذلك ثبتته على كرسيها وسمي من ذلك الحين « والي يانيا » وهو اللقب الذي ما زال يعرف به الى اليوم

فلما رأى نفسه حاكماً وانه توصل الى الحكومـة بعدته ورجاله حدثته نفسه ان يوسع دائرة سلطانه فجعل يتحل اسباباً يسطو بها على جيرانه كما فعل محمد علي باشا لما تولى مصر . وقد يرى القاري مشابهة في ترجمة حياة هذين الرجلين من بعض الوجوه



علي باشا تبه دلي في اواخر ايامه

فسطا علي باشا على حدود اليونان ففتح غربي شماليها وهي المقاطعة التي كانت تسمى ايفاديا . وطمع في جبال سوليوتس في الجنوب الغربي من ابيروس وحاربهم فضيق عليهم الى سنة ١٨٠٣ فقبلوا باخلاء جبالهم والمهاجرة الى جزيرة كورفو فعاهدهم على ذلك ولكنهم لم يكادوا يخرجون حتى لقيهم رجاله وذبحوهم غدراً

وعلم علي باشا ان مطامعه هذه لا تسلم من عقاب الدولة الا اذا تحصن واكثر من العدة فاتفق سنة ١٧٩٧ ان الفرنساويين استولوا على البندقية وكان كلما سمع بسالتهم

ونهضتهم اظهر اعجابه ولمح انه يريد المسير على خطواتهم ولكنه يحتاج الى الحصون والمعاقل فخابر بونابرت اذ ذاك بالامر فبعث اليه مهندسين بنوا له حصوناً في يانيا لا تزال باقية الى هذه الغاية فضلاً عن حصونها الطبيعية وكان عدد سكان تلك المدينة اذ ذاك ٣٥٠٠٠ بين مسيحيين ومسلمين وبوهيميين

ولم يمض قليل حتى فشل نابوليون في مصر فاغتنم علي باشا تلك الفرصة واستخرج بريفيسا عند خليج آرتا من ايدي الفرنساويين ثم نال مصادقة السلطان على ما فتحه من البلاد فاصبحت مملكته شاملة كل البانيا من الجبل الاسود الى ابيروس ولم تأت سنة ١٨١٧ حتى ضم اليها ابيروس و بعض تساليا والجزء الغربي من شمالي اليونان . وتولى احد اولاده حكومة المورة فاصبح سلطانه واسعاً واتضحت مطامعه لدى الباب العالى فلم ترَ الدولة الطمأنينة الا بقتله وكان قد بلغ الثمانين من عمره فلم تجد سبيلاً الى ذلك وهو يتظاهر بموالاتها مع الاستعداد للدفاع فلم تسمح العناية ببقاء دولته كما سمحت ببقاء دولة محمد علي في وادي النيل . فاتفق ان ضابطاً من جنده انتظم في جند الاستانة فغضب علي باشا وبعث اليه من يقتله سنة ١٨٢٠ فشق ذلك على الباب العالي فبعث الى سائر ولاة الدولة في تركيا اوربا ان يزحفوا عليه فلم ينالوا منه مأرباً لمناعة يانيا بالحصون فلم يرَ الباب العالي بدًّا من العدول الى السياسة فبعث اليه خورشد باشا اول سنة ١٨٢٢ ان يسلم فينال العفو السلطاني فاذعن الشيخ تخلصاً من الحروب . وفي ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ دعا خورشد باشا علياً اليه ليسلمه الخط الشريف الناطق بالعفو عنه فجاء وهو لا يدري ما نصب له فدخل عليه وجلس برهة يتحادثان ثم مد خورشد يده فاستخرج الفرمان المؤذن بقتله ودفعه اليه . فلما رآه عليٌّ اجفل واعترض ودافع عن نفسه دفاعاً شديداً ولكن الكثرة غلبته فقتلوه وارسلوا رأسه الى الاستانة وانقضت دولته بعد حكومة بضع وثلاثين سنة

تاريخها الاخير

عادت البانيا الى كنف الدولة العلية وعادت الى القلاقل تلتمس الاستقلال فتنشيء العصابات لمعاكسة حكامها الاتراك مما يطول شرحه . واهم تلك القلاقل حدثت بعد معاهدة برلين . لان تلك المعاهدة قضت بسلخ بعض بلاد الالبان وادخالها في حوزة

الجبل الاسود في الشمال او في حوزة اليونان في الجنوب. اما في الشمال فكانت الدول قد وافقت ان تقتطع بلافا وجوسيني وسبوز و بودغوريسا من بلاد الالبان وتضاف الى امارة الجبل الاسود . فاغتنم الالبانيون انسحاب الجيوش التركية منها سنة ١٨٧٩ واحتلوها وابوا تسليمها . فعرضت الدول ان يعطى الى الجبل الاسود بدلاً عنها قضاء طوزي فعارض الالبان في ذلك ايضاً فطلبت الدول ان يعطى بدله فرضة دولشينو على شاطىء الادرياتيكي فابى السلطان . واحتل الالبانيون تلك الفرضة فعادت المخابرات مع الدول بشأن ذلك واخيراً تصدت انكلترا وهددت الباب العالي باحتلال ازمير اذا كان لا يحمل الالبان على اخلاء دولشينو . فاخلوها وصارت الى امارة الجبل الاسود في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٧٩ فهاجر من كان فيها من الالبان

وكانت هذه الحادثة سبباً لتنبيه الشعور الوطني في البانيا الشمالية فاتحد الكاثوليك وهم المردة ومعهم المسلمون هناك لمقاومة الحكومة اذا ارادت ضم شيء من بلادهم الى السلاف اهل الكنيسة الارثوذكسية فاجتمع منهم في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٠ جمع كبير في اشقودرا برئاسة كبير اساقفة الكاثوليك وتفاوضوا في معنى الاتحاد لدفع من ينوي سلب بلادهم خصوصاً للمحافظة على طوزي وهي على الحدود بين البانيا والجبل الاسود فالفوا لذلك مجلساً وطنياً مركزه في بريسرند وعهدوا اليه جمع الضرائب لخزينة الامة هناك والقضاء بين الناس . وفي ١٨ مايو رفعوا احتجاجهم الى الدول على تسليم طوزي للجبل الاسود وانهم لا يريدون ان يدخل احدٌ من بلادهم في حكم السلافيين . فاهتمت الدولة في اخماد تلك الثورة فانتهت بالقبض على بعض الزعماء وحملهم الى الاستانة في دسمبر سنة ١٨٨٠ وفي جملتهم البرنس درنك دودا احد كبار المردة

على ان ذلك لم يحل رابطة ذلك الاتحاد فلبث القوم يتحينون فرصة بقيام الحرب بين تركيا واليونان ليعلنوا استقلالهم . واجتمع مثل هذا المجلس لمثل هذا الغرض في اشقودرا بمصادقة الباب العالي واعضاؤه من المسلمين والكاثوليك لكنه اسفر عن الخيبة بسبب ما قدمناه من تمكن الانقسام من طبيعة الالبانيين . وبعثت الدولة درويش باشا بحملة قضت على بقية آمال الالبانيين فحاربتهم في فرشيرويش ثم حاصرت بريسرند وفتحتها عنوة وانحل عقد مجلسها . وفي اثناء ذلك كان البان الشرق قد اتفقوا حول

زعيم اسمه علي باشا الكوسنجي ارادوا ان يولوه ملكاً عليهم فحاربتهم الدولة وتشتت شملهم وحدثت مثل هذه الثورة في شمالي البانيا

اما في الجنوب فكانت معاهدة برلين تقضي بضم يانيا ومتسونا ولاريسا و بريفيسا وآرتا الى اليونان ولا شأن للالبان في تساليا لكنهم قاوموا في ضم سائر البلاد الداخلة في ايالة يانيا وساعدهم الباب العالي على ذلك . فانعقد موتمر وطني في يانيا وانتهى الخلاف باستبقاء يانيا للالبان . وخلاصة القول ان تغيير هذه الحدود بمعاهدة برلين انقص مساحة البانيا ٩٦٧ ميلاً مربعاً في الجنوب و٢٦٥ ميلاً في الشمال . وما زالوا من ذلك الحين وفي قلوبهم غلٌّ حتى اعلن الدستور فتغيرت القلوب ثم تحركت الخواطر موخراً وحدثت بعض المناوشات في طوزي واشقودرا . ولم يعلم السبب تماماً وسنرى ما يكون

قصيدة حافظ

رعاية الاطفال

نظم حافظ افندي ابراهيم شاعر مصر قصيدة في احتفال جمعية رعاية الاطفال بالقاهرة وصف فيها القطار الحديدي احسن وصف وحثّ مبرة رعاية الاطفال واليك هي:

صفحة البرق اومضت في الغمام ... ام شهاب يشقُّ جوف الظلام
ام سابل البخار طار الى القصـ ... ـد قاعيا سوابق الاوهام
مرَّ كالامح لم تكد تقف العـ ... ـين على ظل جرمه المترامي
او كشرخ الشباب لم يدر كا ... سبه تولى في يقظة او منام
لايبالي السرى اذا اعتكر اللـ ... ـل وخانت مواقع الاقدام
يقطع البيد والفيافي وحيداً ... لم تضعضعه وحشة الاظلام
ليس يثنيه مايذيب دماغ الضـ ... ـب يوم الهجير بين الموامي
لا ولا يعتريه ما يخرس السا ... بح في الزمهرير بين الخيام
هائم كالظليم ازعجه الصيـ ... ـد وراعته طائشات السهام
فهو يشتد في النجاء ويهوي ... حيث ترمي بجانبيه المرامي

ياحديداً ينساب فوق حديد	كانسياب الرقطاء فوق الرغام
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً	بذراعي مشمر مقدام
بين جنبيك ما بجنبيَّ لكن	ما بجنبيَّ مستديم الضرام
انت لاتعرف الغرام وان كنـ	ـت تريتنا زفير اهل الغرام
انت لاتعرف الحنين الى الا	الف فما هذه الدموع الهوامي
انت قاسي الفؤاد جلد على ال	ابن شديد القوى شديد الغرام
لاتبـالى ارعت بالبين احبا	باً واسرفت في اذى المستهام
ام جمعت الاعداء فوق صعيد	وخلطت الاسود بالآرام

***

انني قد شهدت فيك عجيباً	ضاق عن وصفه نطاق الكلام
جزت يوماً بنا ونحن على الجسـ	ـر قيام والليل ليل التمام
واذا راكب الى الجسر يهوي	بين صفين من عمات زؤام
مرَّ كالسهم بين تلك الحنايا	قد رماه من المقادير رامي
فتردى في الماء والماء غمر	يتقيه الفضاء والنهر طامي
واذا سابح قد انقض في الما	ء انقضاض العقاب فوق الحمام
غاص في لجة الحتوف بعزم	لم يعوِّد مواقف الاحجام
غاب فيها وعاد يحمل جسمها	سله من يد الهلاك اللزام
كافح الموج صارع الهول ابلى	كبلاء المهند الصمصام
وانثنى راجعاً الى شاطئ النهـ	ـر رجوع الكمي غب اغتنام

***

وقف الناس ذاهلين وصاحوا	تلك احدى عجائب الايام
انجاة من القطار؟ من الجسر من	النهر ؟ جلَّ رب الانام
واذا صيحة علت من فتاة	برزت من صفوف ذاك الزحام
وقفت موقف الخطيب ونادت	تلك عقبى رعاية الايتام
ان نجوى الطفل الرضيع ودعو	ى المستغيثات وابتهال الغلام
بسطت تحته اكفاً تاقة	ه وحاطته رغم انف الحمام
دعوة البائس المعذب سور	يدفع الشر عن حياض الكرام
وهي حرب على البخيل وذي البغـ	ـي ـ وسيف على رقاب اللئام

ان هذا الكريم قد صان عرضي وحماني من عاديات السقام
عال طفلي وعالني وحباني بكساء وبدرة وطعام
وهو من معشر اغاثوا ذوي البؤ س وقاموا في الله حق القيام
واقاموا للبر داراً فكانت خير ورد يؤمه كل ظامي
ماثت رحمة وفاضت حناناً فهي للبائسات دار السلام
زرتها والشقاء يجري ورائي وشعاع الرجاء يسري امامي
لم يقولوا - من الفتاة ؟ ولكن سألوني هناك عن آلامي
ثم ادوت على الغريق تواسيـ ـه باحلى من منعشات المدام
قبلت واحتيه شكراً وصاحت قد نجا صاحب الايادي العظام
قد نجا المنعم الجواد من الو ت بفضل الزكاة والانعام
فاطفنا بها وقد ملك الانـ ـس منا جلال ذاك المقام
وشهدنا ثغر الوفاء تجلى اذ تجلى في ثغرها البسام
ورأينا شخص المروءة والبر تبدى في شخص ذاك الهمام
وعلمنا ان الزكاة سبيل الله قبل الصلاة وقبل الصيام
خصها الله في الكتاب بذكر فهي ركن الاركان في الاسلام
بدأت مبدأ اليقين وظلت لحياة الشعوب خير قوام
لو وفى بالزكاة من جمع الدنـ ـيا واهوى على اقتناء الحطام
ما شكا الجوع معدم او تصدّ ى لركوب الشرور والآثام
وأكباً رأسه طريداً شريداً لايبالي بشرعة او ذمام
سائلا عن وصية الله فيه آخذاً قوته بحد الحسام
لم اقف موقفي لانشد شعراً صب في قالب بديع النظام
انما قمت فيه والنفس نشوى من كؤوس الهموم والقلب دامي
ذقت طعم الاسى وكابدت عيشاً دون شربي قذاه شرب الحمام
قد تقلبت في الشقاء زماناً وتنقلت في الخطوب الجسام
فمشى الهم ثاقباً في فؤادي ومشى الحزن ناخراً في عظامي
فلهذا وقفت استعطف النا س على البائسين في كل عام

علم الحياة

ومذهب النشوء والارتقاء

تمهيد

لو عقل الناس وفكروا فيما يقولون ويفعلون لزالت من العالم اكثر المشاحنات والمجادلات التي نراها ونسمع بها كل يوم

ومن العجب ان ما تقوم له قيامة ابناء القرن السادس عشر مثلاً يجلّه ابناء القرن التاسع عشر محل الاعجاب والفخر وما يحتقره القرن التاسع عشر يكرمه ويعلي شأنه القرن العشرون وما بعده . فان الذين اقاموا تمثالاً لغاليلو ليرفعوا قدره ويعظموا مقامه انما هم ابناء اولئك الذين قادوه ليركع امام ديوان التفتيش ويقول : « انا غاليلو البالغ ثمانين سنة من العمر اكفر عن خطيئتي واتوب الى الله عن البدعة الجديدة التي قلت بها واعترف ان الارض ثابتة والشمس تدور حولها »

وهكذا لو نظرنا الى التاريخ نظرة اجمالية لظهر لنا ان اكثر المبادىء والحقائق التي هي عنوان التقدم الحقيقي في هذا القرن لم تصل الينا الابعد جهاد اصحابها في سبيل معارضة العامة لها وسوء فهمهم اياها . ومن هذا القبيل ان اكثر اضداد مذهب النشوء في يومنا هذا يحسبون وجوده ينافي وجود الخالق ويفسد التعاليم الدينية والغلط في عدم فهمهم اياه اذ يسمونه فيؤولونهُ على غير ما هو ويظنونه فكرة رجل واحد وهو نتيجة البحث الطويل في قرون مرت بين ارسطو وداروين . ولهذا احببت ان اكتب باختصار تاريخ نشوء علم الحياة وكيف وصل الى حالته الحاضرة مع بيان ما هو النشوء والارتقاء وما يقصد به قائلوه

علم الحياة

يتألف علم الحياة من علمين كبيرين هما علم الحيوان وعلم النبات . اما الثاني فليس له من العلاقة في موضوعنا ما للاول لان تاريخ علم الحيوان هو تاريخ ناموس الحياة ونشوء الاحياء بالانتخاب الطبيعي الذي يرافق الانواع في جهادها لاجل البقاء

ويمكننا ان نقول ان العلوم على اختلاف انواعها نشأت من الملاحظة بادىء بدء. فالذي يرى حيواناً يمرح أو نباتاً ينمو لا بدَّ لهُ أن يفكر في شيء عنهما . أما في بحثنا هذا فلا نرجع الى ما وراء الدولة اليونانية . وفيها نشأ علم الحيوان الحديث وبلغ الى اعلى درجاته في ايام الفيلسوف ارسطو (٣٢٢ — ٣٨٤ ق . م) وقد سعى علماء اليونان سعياً حثيثاً في بحثهم عن المادة والحياة وعللوا كلاهما بمظاهر طبيعية ناشئة عن اسباب طبيعية مجهولة وان لم يلاحظوا ان هذه المظاهر هي عبارة عن سلسلة حقائق تفهم بدرس كل حلقة منها على حدة . وكان ارسطو اعظم عالم يوناني وقد فهم هذه الحقيقة فعمد ببحثه عن الحقائق العلمية الى طريقة الاستقراء التي تقوم بملاحظة الحقائق ملاحظة تامة و بدرسها بالنسبة بعضها الى بعض ليعرف عرضها من جوهرها

وجمع ارسطو مجلدات ومجموعات مما لاحظه بنفسه او اخذه عن سواه وترى في ملاحظاته اراء تدل على فهمه ناموس النشوء والارتقاء . وقد عرف خمس مئة نوع من اصناف الحيوانات فرق بينها بواسطة اعضائها الخارجية لجهله علم التشريح . وظلَّ كتابه مورداً لعلماء اوربا في تاريخ علم الحيوان الى العصر الاخير . وقد درس علم الحيوان والنبات حتى وصل الى الانسان وكان كاكثر علماء عصره يعتقد بالتولد الذاتي أي نشوء الحي من غير الحي — ومع هذا فهو مؤسس علم الحيوان الحديث لانهُ أول من وضع اساسه بجمعه انواع الحيوانات وترتيبها على قدر طاقته . وكان وهو يقابل بعضها ببعض لاحت له فكرة النشوء فعرفها ولم يتمكن من اثباتها بالدليل . وجاء بعد ارسطو جالينوس وكان تشريح الجسم البشري ممنوعاً فابتدأ بتشريح اجسام القرود لمشابهتها بالانسان . ولما دالت دولة اليونان وحل الرومان محلها اصبح هذا العلم نسياً منسيا ولم يقم بين الرومانيين من اشتغل به وتوسع فيه سوى بليني سنة ٢٣ ب . م

علم الحيوان في العصور الوسطى

انقضى تاريخ اوربا القديم بانقضاء دولة الرومان سنة ٤٧٦ ب . م . والزمان الذي يتراوح بين القرن الخامس والقرن السادس عشر دعي بالعصور الوسطى والمدة من اوله الى القرن الحادي عشر تعرف بالعصور المظلمة . ولم يقم في اوربا طول ذلك الحين مفكرٌ أو عالم يستحق الذكر فظلت العلوم كما تركها مفكرو اليونان

وبينما كانت اوربا تخبط في ظلام دامس وتسير في احط درجات الجهل يقتلها التعصب الديني وتسهاها المشاحنات السياسية والمدنية كان الشرق زاهياً مستنيراً بلومه ومعارفه اذ قامت به دولة عربية اخضعت العالم العربي المعروف ومدت سيطرتها على غربي آسيا ومصر وشمالي افريقية ووصلت الى اوربا فنشرت أعلامها على الاندلس واسبانيا فقام فيها الفلاسفة ونبغ المفكرون فنقلوا الاداب اليونانية الى لغتهم وترجموا العلوم ومن جملتها كتب ارسطو وعلقوا عليها شروحاً كثيرة وعلى هذه الشروح العربية اعتمد الاوربيون في درس فلسفة ارسطو

وتوسع الكثيرون منهم في علم الحيوان وفهموا مذهب النشوء والارتقاء فاشاروا اليه في مؤلفاتهم ولكنهم كانوا من هذا القبيل كارسطو اذ لم يتمكنوا من ايراد الادلة على صحته . ولهم الفضل الاكبر في حفظ العلوم العصرية وابقائها حية حتى اليوم

وما كادت تنتهي العصور الوسطى حتى هبت اوربا من غفلتها ووجهت أنظارها للبحث والتنقيب فنشأت عن ذلك مدنيتها الجديدة التي عادت بالنفع العام على العالم كله.

وقام في ذلك الحين فاسيليوس فشرح الجسم البشري وأبان اغلاط جالينوس الذي شرح الحيوانات القريبة من الانسان وأطلق على الانسان ما اطلقه عليها

وجاء بعده كنراد فان جسنر السويسري (١٥١٧ — ١٥٧٥) فانشأ مجموعة حيوانات ونباتات وكتب تاريخ الحيوان بمجلد شرح به أنواع الحيوانات المعروفة في ذلك الحين وأبان علاقة أعضائها ونسبة بعضها الى بعض وهو أول من كتب مطولاً عن الحيوان منذ أيام أرسطو

علم الحيوان في القرنين السابع عشر والثامن عشر

وقام في القرن السابع عشر تلميذ من تلامذة فاسيليوس اسمه وليم هرفي (١٥٧٨ — ١٦٥٧) فاوضح الدورة الدموية في الانسان وتتبع مجرى الدم من القلب الى الرئتين فالى القلب أيضاً ومنه الى سائر أعضاء الجسم . ومن ذلك الحين نشأ علم الفيسيولوجيا . وسمي هارفي مؤسس علم الجنين لانه كان اول من درس نشوء الجنين في البيضة ولكنه لم يفهم ذلك حسناً لانه كان من المعتقدين بالتولد الذاتي

وقام غاليلو في أوائل القرن السابع عشر فكان اول من ادار تلسكوباً لرصد النجوم

وحرك ذلك مالبيغي الايطالي فاوضح بواسطة الميكرسكوب دورة الاوعية الشعرية التي لم يتمكن هرفي من معرفتها . وظهر يوحنا راي في انكلترا فحدد استعمال كلمة الانواع وبذلك وضع اساس نظام علم الحيوان

جاء القرن الثامن عشر وعالم الحيوان فصيلة واحدة فقسم ليناس(١٧٠٧—١٧٧٨) الحيوانات الى ستة اقسام وهي :

١ ذوات الاثدية
٢ الطيور
٣ الحيوانات التي تعيش على البر وفي الماء
٤ الاسماك
٥ السحافات
٦ الهوام

ولكنه كان يعتقد ان انواع الحيوانات ثابتة محدودة كما خلقها الله منذ البدء

وجاء بوفون (١٧٠٧— ١٧٨٨) فشرح تفرق الحيوانات الجغرافي وأبان كيفية توزيعها في سائر الاقطار . وقام كالفني ١٧٣٧ — ١٧٩٨ فاكتشف الكهربائية الحيوانية — وذلك أن امرأته كانت تحضر ضفادع للمائدة بجانب آلة كهربائية فلاحظت أن أرجل الضفادع تتحرك بشدة حينما تمس طرف الموسى

علم الحيوان في القرن التاسع عشر

انقضى القرن الثامن عشر وقد وضع الاساس العلمي الحقيقي للقرن التاسع عشر فتقدم فيه علم الحياة تقدماً باهراً وظهر به أشهر المفكرين واقدرهم على حل المشاكل العويصة كجورج كوفيير الفرنساوي(١٧٦٩ — ١٨٣٢) الذي درس الحيوانات المتحجرة وقابلها مع احياء اليوم ووضع ناموس تناسب الاعضاء وقسم عالم الحيوان الى اربعة اقسام:

١ ذوات الفقار
٢ الهوام
٣ ذوات المفاصل
٤ ذوات الاصداف

وقام سكيلدن سنة ١٨٣٨ فقال ان النباتات مركبة من خلايا صغيرة متعددة . وظهر سكوان بعده بسنة فاوضح ان الجسم الحيواني مركب أيضاً من خلايا كالنباتات . وتوسع الاستاذ طمسن في ذلك فقال :

١ كل المواد الالية (العضوية او الحية) مركبة من خلية واحدة أو اكثر
٢ كل المواد الالية ظهرت هيئتها أولاً بخلية واحدة ومن هذه تكونت بقية الخلايا

واطلق مول سنة ١٨٦١ كلمة بروتوبلاسما على المادة التي في قلب الخلايا وذهب من جاء بعده الى ان الحياة كامنة في هذه المادة

التولد الذاتي

وفي منتصف القرن التاسع عشر قامت الحرب العلمية بين أنصار مذهب التولد الذاتي ومضاديه وكان شيوع هذا المذهب عقبة في سبيل رقي علم الحياة الى ان اوضحت مباحث بستور سنة ١٨٦٠ فساد هذا الزعم

أما بستور (١٨٢٢ــ ١٨٩٥) فقد سار في ذلك على مبدئين فقال ان الاختبارات من ملابسات الحياة وان الحي لا يتولد الا من الحي . ثم أتى بنقاعة بعض المواد الالية وغلاها في قناني زجاجية وسدّها سدّاً محكماً وهي في حالة غليانها ثم قال « اذا كانت الاجسام الحيـة على زعم القائلين بالتولد الذاتي تتولد من نفسها وجب ان يكون نوعها ومقدارها واحداً في كل القناني . وأما اذا كان نوعها ومقدارها حسب اختلاف المكان والهواء كان تولد هـذه الحيوانات من الجراثيم المنتشرة في الهواء . ثم فتح القناني في اماكن مختلفة فتولد منها اجسام حية مختلفة النوع والمقدار . فكان بحثه هذا ضربة قاضية على مذهب التولد الذاتي ونفعاً كبيراً للباحثين والمجربين

ناموس التباين

ولما اغلق باب البحث في التولد الذاتي ولم يعد امام مفكري القرن التاسع عشر الا الاعتراف بان الحي لا يتولد الا من الحي وجهوا انظارهم للبحث في كيفية تولد هذا الحي من حي سواه . ودرس لويس اجاسيز (١٨٠٧ — ١٨٧٣) في جامعـة كمبردج بقايا الاسماك المنقرضة وقابلها باحياء اليوم وهو آخر عالم في الحيوان خالف فكرة النشوء المعروفة في ذلك الحين الشائعة بين جمهور العلماء منذ ايام اليونانيين . لكنها كانت غير ناضجة ولا صريحة كما هي الآن . فجاء اراسمس داروين جد داروين المشهور (١٧٣٧ ــ ١٨٠٢) وعلق عليها شروحاً ازالت بعض غوامضها . وقام لامارك (١٧٤٤ ــ ١٨٢٩) فقال بوراثة الصفات المكتسبة وكان يعتقد ان كل ما على الارض من

نبات وحيوان متسلسل بعضه من بعض . وان كل التغيرات في الموجودات الآلية وغير الآلية قد حدثت طبقاً لناموس طبيعي عام وليس ان الله اوجد كل نوع منهما لوحده . وكان يقول بوجود ناموس تجري عليه الاحياء في ارتقائها من حالة البساطة الى حالة ارقى منها تركيباً ولذلك فكل النباتات والحيوانات البسيطة التركيب في هذا العصر لم تكن موجودة في الماضي بل تولدت منذ زمن ليس ببعيد . ثم شرح ناموس التباين ووضع له سببين وهما البيئة واستعمال الاعضاء . وله اربعة اصول معروفة وهي :

١ ان الحياة في الجسم تزيد حجمه وحجم اعضائه الى حد تقف عنده

٢ ان نشوء عضو جديد في الجسم ناتج عنه حاجة جديدة في ذلك الجسم

٣ ان نمو الاعضاء وقوتها يكون بالنسبة الى استعمالها

٤ كل ما تغير او اكتسب في اجسام الافراد مدة حياتهم يحفظ مع الاجيال وينتقل الى نسلهم بعدهم

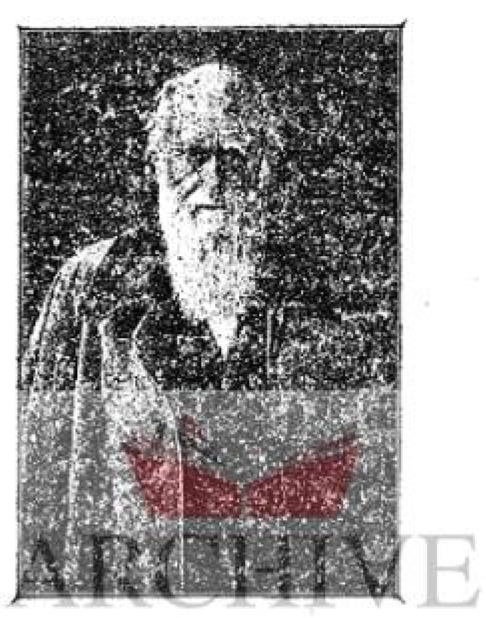
[illegible] داروين

وكان علم الحيوان لا يزال مجموعة آراء وافكار غير مرتبة ولم يكن موضوعاً على نسق يدل بمعرفة الواحد على معرفة الآخر حتى ظهر تشارلس داروين الشهير (١٨٠٩-١٨٨٢) شارح مذهب النشوء والارتقاء لا واضعه فنظر في آراء من سبقه من العلماء واستخلص منها رأياً درسه وبحث به بحثاً دقيقاً . وكانت نتائج السنين الطويلة التي قضاها يدرس وينقب انه اتى بالأدلة الدامغة على صحة مذهب النشوء الذي اشار اليه ارسطو وكتب عنه ابن خلدون وذهب مذهبه ابو بكر بن الطفيل وغيرهم . وكل ما فعله داروين من هذا القبيل انه جمع حقائق باهرة وفسرها بأدلة بسيطة مقنعة . ولكن كيف كان الحال فعلم الحيوان مدين بما هو عليه لداروين الذي وجه انظار الناس اليه بطريقة قريبة الى العقل مفهومة مشروحة شرحا بسيطاً

واقام داروين حربه العلمية الاولى مع القائلين بتحديد الانواع وثبوتها كما خلقت منذ البدء . فهدم هذا الزعم وابطله ثم زاد على مبادىء لامارك مبدأي الانتخاب الجنسي والانتخاب الطبيعي

ولما كان داروين في الثانية والعشرين من عمره ذهب الى جنوبي اميركا ثم

طاف حول العالم كله وعاد اخيراً الى انكلترا وكانت رغبته في علم الحياة تسهل عليه البحث في مشكلة الحياة . فجمع في سياحته هذه اجسام الحيوانات المتفرقة على وجه الارض ودرسها وقابلها بعضها مع بعض فاستنتج من ذلك حقائق عادت على العالم بأفضل المنافع



شارل داروين

و بينما كان داروين يبحث عن اصل هذه الحيوانات كان العالم الانكليزي الفرد رسل واس يبحث البحث نفسه ولحسن الحظ وصلا الى نتيجة واحدة واتفقا ونشر نتيجة بحثيهما في جورنال جمعية لينياس في ليدن في ٣٠ يونيو سنة ١٨٥٨

و بعد ذلك بسنة ظهر كتاب داروين في أصل الأنواع وقد شرح به الانتخاب الطبيعي شرحاً وافياً . ومن معاصري داروين ومساعديه في مباحثه نذكر اسم الفيلسوف هربرت سبنسر (١٨٢٠ — ١٩٠٣) مؤلف كتاب مبادىء علم الحياة وارنست هيكل المعروف والاستاذ هكسلي (١٨٢٥ —١٨٩٥) الذي زاد في شرح الانتخاب الطبيعي

ولما شاع مذهب النشوء والارتقاء بين الخاص والعام فهم القليلون أنه نتيجة بحث القرون الطوال التي مرت بين ارسطو وداروين وحسبه الكثيرون بدعة من بدع هذا العصر فقام الفريق الاكبر يبرهن انه رأي فاسد ينافي وجود الله ويضاد التعاليم الدينية . والغلط كل الغلط قائم في عدم فهمهم اياه كما هو اذ لا يزال الكثيرون يعتقدون

ان مذهب النشوء يقول ان الانسان قبل ان صار انساناً مرَّ على سائر ادوار الحيوانات فكان فرساً فصار بغلاً فقرداً الى ان ارتقى وصار انساناً . والحق يقال أن مذهب النشوء والارتقاء براء من هذا التعليل

مذهب النشوء والارتقاء

يراد بالنشوء والارتقاء أن جميع الاجسام الحية مع ما نرى بينها من الاختلافات مشتقة من صورة واحدة اصلية او من بضع صور بسيطة جداً وذلك الاشتقاق نتج عن تغييرات بطيئة طرأت على وظائف أعضائها الاولى منذ ملايين من السنين



هكسلي

فمذهب النشوء والارتقاء يرسم شجرة الحيوانات ويبين علاقة انواعها بعضها ببعض ويردها كلها الى اصل واحد . ويقول أن انواع الحيوانات تتغير في رقيها من حالة البساطة الى حالة التركيب . وهذا التغيير يحدث من طبيعة النشوء نفسها . وقد اتفق علماء الحياة أن كل انواع النباتات والحيوانات وصلت الى حالتها الحاضرة بواسطة هذا النشوء مع ان الدرجات التي سار عليها هذا التغيير ليست مفهومة تماماً

نظريات داروين

وأتى داروين بادلة على هذا النشوء وله في ذلك نظريتان وهما :

١ — الانتخاب الجنسي : وهو ان يستولي القوي من الحيوانات على الانثى وبواسطتها يتمكن من حفظ نسله أو أن الطير الجميل يستميل الانثى بلونه و بتغريده انغاماً شجية فيحوز عليها و يزيد نسله بواسطتها . بينما غيره الذي لم يحز هذه الصفات ينقرض و يتلاشى ولذلك نرى ذكور الطيور هي التي خصت بمنحة الصوت الجميل والالوان الحسنة . وقد قال داروين عن الانتخاب الجنسي انه جهادٌ بين افراد الذكور لامتلاك الاناث . والنتيجة من ذلك ليست الموت للفرد المغلوب بل قلة النسل وعدم زيادته لان الفرد القوي فقط يصبح قادراً على الزواج والضعيف لا يتمكن من ذلك فيموت دون ان يترك نسلاً ضعيفاً أما القوي فيتزايد نسله ويتقوى وينمو ويتقدم

٢ — الانتخاب الطبيعي : وهو بقاء الانسب وانقراض غيره وقد أتى دارون على ذلك بالادلة الآتية وهي :

أولاً : الوراثة واختلاف الصفات مع انتقال هذه الصفات الى النسل . فبينما نرى كل نوع من انواع الحيوانات يولد افراداً على شكله فلا نرى بينها تمام المماثلة مع ان كل فرد من هؤلاء يشبه والديه . وهذا ما يعبرون عنه بناموس الوراثة . أما انتقال الصفات الى النسل فلا حاجة لشرحه أذ قد نستعمله في احاديثنا و نأتي به شاهداً في كلامنا . وكم تقول العامة أن فلاناً كابيه ويعنون في الخُلق والخَلق

ثانياً : الجهاد لاجل البقاء وبقاء الانسب : والجهاد لاجل البقاء أو تنازع البقاء ناتج عن زيادة المخلوقات اكثر من زيادة وسائل المعيشة — قال الاستاذ جردن « لو كان كل الذباب الذي يضعه افراد هذا النوع ينمو ويجد طعاماً كافياً ووسطاً يساعده على النمو لكان سكان المدينة التي هو فيها يموتون من ضربة الذباب » . ولكن الجهاد لاجل الحياة يجعل القوي يأكل الضعيف وافراد الانواع تفترس بعضها بعضاً وذلك يمنع نمو النسل وتكاثره على السلسلة الهندسية . فيموت الضعيف ويسلم الاصلح للحياة فيتقوى ويزداد جسمه نشوءاً وارتقاء وتنتقل هذه الصفات الى نسله بعده فيكون منه نسل ارقى من النسل الاول واقدر على تحصيل اسباب الرزق . قال داروين ما معناه : ان الحيوان الحائز على صفة نافعة يكون انسب للحياة من سواه . فلو وجد حيوانان

يقتاتان على اشجار عالية الاغصان فالحيوان القصير العنق يموت وينقرض نسله وطويل العنق يبقى ويكثر بالتناسل . وهكذا كلما تولدت اشكال جديدة تنقرض الاشكال القديمة ويبعد الفرق بين الباقية ويظل هذا الفرق آخذاً في التباعد كما حدث لانواع الحيوانات البسيطة التي أوصلها الانتخاب الطبيعي الى حالتها الحاضرة

التحول الفجائي

ولم تقف همة العلماء عند هذا الحد فقام في هولاندا هيكودي فريس العالم النباتي ووضع ناموس التحول الفجائي وهو على نوع ما مخالف لنظريات داروِن ونعني به أن انواعاً جديدة نشأت عن تغيير جديد طرأ بغتة على الاعضاء وقد يكون هذا التحويل قليلاً أو كثيراً . فاذا حصل تحويل فبقاؤه يتوقف على الوسط الذي هو فيه فان وافقه نشأ ونما والعكس بالعكس

الوراثة وناموس مندل

ان اعظم اكتشاف في عالم الحياة بعد داروين هو ناموس الوراثة لمندل . وهو انه اذا تزاوج حيوانان مختلفان في الصفات فلا يظهر في نسلها الا صفات فرد واحد منهما فلو تزوج مثلاً ارنب ابيض البشرة من سلالة السود مع ارنب اشهب فالنسل الذي يتولد منهما يكون لونه اشهب . أما اللون الابيض فلا يظهر في الجيل الاول ولذلك يقولون انه « مخفيٌ » لانه يظهر في الجيل الثاني . وقد وجد أن هذا الناموس ليس عامًّا اذ كثيراً ما يتزاوج ارنب طويل الاذان وارنب قصيرها فيأتي نسلها متوسط الآذان

وربما برهنت التجارب في المستقبل على صحة هذا الناموس أو فساده . والحقيقة ان هذه النظريات والنواميس قريبة للعقل وقد ايدها الاختبار واثبتتها التجارب فنحن نقبلها كمبادىء علمية حقيقية الى ان تقوم مبادىء اقرب للحقيقة والتصديق منها .

بيروت . المدرسة الكلية توفيق مفرّج

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية — ٢ و٣ و٥ و٦ من السنة ١٨ و ٧ و١ و٢ و٣ و٦ و ٩ من السنة ١٧ و ٦ و ٨ و ٩ من السنة ١٦ و ٥ و ٧ من السنة ١٥ و ٣ من السنة ١٤ و ٥ من السنة ١٣ و١ و٣ و١٣ و١٤ من السنة ١٢ و١ و٢ و٥ و٦ و٩ من السنة ١١ و١ و٢ و٩ و١٢ من السنة ١٠ و١ و ١٢ من السنة ٢ و ٥ و٤ و٢٠ من السنة ٦

منافذ جهنم

في اواسط المدينة

لكل تمدن شوائب تتخلل حسناته وتذهب برونقه . ومن شوائب التمدن الحديث المغالاة في اطلاق الحرية من كل وجه . على ان نشر الحرية نعدُّه من حسنات هذا التمدن وهو كذلك اذا وقف عند حد لا يخشى معه الانقلاب الى عكس المراد بالحرية . وهذا بحث متشعب كثير العقبات نكتفي منه بفرع هو في نظرنا اهم تلك الفروع . نعني اطلاق حرية الفحشاء في المدن وغيرها مما يذهب برونق المدنية ويقضي على العفاف — وهو سياج العمران

ان اطلاق حرية الفحشاء من ثمار التمدن الحديث وهو ان تأذن الحكومة لجماعة من النساء الاقامة في اماكن معينة لارتكاب ذلك المنكر قد عبرنا عنها بمنافذ جهنم . لا ريب في ان حكومتنا اقتدت في ذلك بحكومات اشهر الممالك المقدمة وحجتها ان تلك الرذيلة مصيبة لا بدَّ منها تصان بها اعراض اهل البيوتات اذ ينصرف عنها طلاب الرذيلة الى تلك الاماكن القذرة — فهي تأذن بالزنا منعاً للزنا . ولكنها تتولى مراقبة صحة اهل تلك الاماكن لوقاية من يسوقه جهله الى الوقوع في تلك الشراك من الامراض العضالة وتتكلف في ذلك المشقة والنفقة بناء على منشورات واوامر رسمية دبجتها واذاعتها . واليك فقرة من قرار نظارة الداخلية الصادر في يوليو سنة ١٨٨٥ بشأن ذلك ومنها يتضح تصريح الحكومة رسمياً في تسهيل تلك الرذيلة . وقد يعاف القلم الخوض في هذا الموضوع لو لا استفحال امره واشتداد الخطر منه واليك الفقرة المشار اليها :

« مادة ١٦ : كل من رغب من الاورباويين او من ابناء العرب فتح . . . . . يجب عليه اولاً اخذ رخصة بذلك من الادارة المحلية وهذه الرخصة تكون دائماً قابلة للابطال ويعطى مدة ثلاثة شهور للاشخاص الذين لهم . . . . . الان لاجل حصولهم على هذه الرخصة . م ١٧ ان . . . . . التي بعد مضي ثلاثة اشهر لا تستحصل على الرخصة الموضحة والتي تفتح بدون رخصة يصير قفلها . م ١٨ يجب على اصحاب منازل الفواحش ان يبلغوا بالضبط الضبطية ومكتب التفتيش عن عدد النسوة العاهرات اللواتي بطرفهم واسمائهن واعمارهن وتبعياتهن وعن كل بنت عاهرة تخرج او تستجد

او تتوفى في ظرف اربع وعشرين ساعة ويكون بطرفهم دفتر خصوصي يجري تقديمه لمندوبي الكشف عند كل طلب . . . » اه

وبهذا القدر كفاية لبيان فظاعة هذا الامر . وعذر الحكومة طبعاً انها تفعل ما تفعله ارقى الامم المتمدنة اليوم مثل فرنسا مثلاً فلا حرج عليها. ولكنها ما اجدرها ان تقتدي باقرب الدول مصلحة منها — نعني انكلترا فان هذه الرذيلة غير مباحة فيها . ليس في انكلترا اماكن عمومية لهذا الغرض مطلقاً وربما كان ذلك عندها في ما مضى لكنها اصدرت الاوامر المشددة بمنع هذا المنكر من بلادها منذ عشرات من السنين فهل نعدُّ ذلك انحطاطاً ؟ ام هو فضيلة يحق لانكلترا ان تفاخر بها امم الارض ؟ — فاذا لم يكن لنا بدٌّ من تقليد الدول المتمدنة فاحرِ بنا ان نقلد الانكليز وهم قائمون بين اظهرنا واقرب سائر الدول الى مصالحنا وهم قدوة المتمدنين في التربية والآداب العمومية . ومع ما نعلمه من دخول النفوذ الانكليزي في مصالح حكومتنا فقد كان عليهم أن يرشدونا الى ما هو معول عليه في بلادهم

على اننا مع احترامنا للتمدن الحديث فان كثيراً من عوامله الملائمة لامم اوربا لا تلائمنا لاختلاف طبائعنا وسائر احوالنا عما لأولئك . وزد على ذلك ان هذه الرذيلة مكروهة ومحرمة شرعاً وعرفاً عند سائر الامم قديماً وحديثاً والتاريخ اصدق شاهد على ذلك — هذه شريعة حورابي اقدم الشرائع المعروفة تقول « اذا وجدت امراة مع غير زوجها فالاثنان يوثقان ويطرحان في الماء »

وتليها شريعة موسى وهي تحكم على الزاني والزانية بالقتل وكذلك تقضي عليه شريعة ليكورغوس (٨٨٤ ق م) وكان السكسونيون القدماء يحرقون الزانية ويبنون فوق قبرها مشنقة يشنقون بها الزاني . وكان كانوت يحكم على الزاني بصلم الاذنين وجدع الانف سنة ١٠٣٤ م . وقرر برلمان انكلترا سنة ١٦٥٠ ان يعاقب الزاني بقطع الراس . واكثر الشرائع تشدد النكير على الزاني ان لم يكن بالقتل فبما يقرب منه

ويدلنا التاريخ على ان الامة انما يبقى عمرانها اذا احاطته بسور من العفاف والا فانه منقوض. ولا خلاف في ان الامة الناهضة لا فائدة من مساعيها ان لم يكن العفاف تبراسها — اعتبر ذلك بما مر على الامم من ادوار التاريخ قديماً وحديثاً . فلا ترى دولة قامت وتأيدت الا وكان العفاف سياجها مع اعتبار طبائعها وسائر احوالها . وما من دولة ذهبت الا كان الانغماس في المنكرات من اكبر اسباب ذهابها . انظر الى دولة الرومان التي امتد رواق سلطانها على الخافقين وحملت اليها الجزية من اربعة اقطار المسكونة فانها حالما فسدت

آداب اهلها فسد نظامها ووهنت قواها وما لبثت ان سقطت وكان سقوطها عظيماً . ولو تتبعت تواريخ الامم على اختلاف الزمان والمكان لرايتها تتشابه من هذه الحيثية وكلها ذهبت فريسة التهتك والابتذال

ولكن مالنا وللامم البعيدة هذه دولة العرب التي قل ان بلغت دولة مبلغها من العظمة والسطوة وهي انما بلغت مابلغته من ذلك في صدر الاسلام على عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين الذين اتخذوا العفاف نبراساً وعملوا بمقتضى الكتاب والسنة فاتسع ملكهم ودانت لهم الرقاب حتى اذا كانت دولة بني العباس وقد بلغت شمسها الهاجرة في عهد الرشيد والمأمون مالوا الى الترف وانقطعوا للشهوات فاذا كانت ايام المعتصم ومن بعده تعاظم اقتناؤهم للجواري والمماليك واطلقوا لشهواتهم العنان فانغمسوا في الفساد واكثروا من التهتك والفحشاء فذلت نفوسهم وخارت قواهم وتغلب عليهم الاتراك والتتر والاكراد وغيرهم فدالت دولتهم واندك طود ملكهم واندثرت اعلام مجدهم ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين

على اننا لا نحتاج الى النظر بعيداً وشاهدنا قريب في دارنا — هذه مصر السعيدة فقد جاءها المغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة المحمدية العلوية والمنكر ضارب اطنابه فيها بما احله الامراء المماليك من المحرمات وقد ضربت الذلة والمسكنة على المصريين حتى لم يكن يرجى لهم بعث من ذلك الموات وخصوصاً بعد الحملة الفرنساوية التي زادت الاباحة واطلقت سراح المومسات فعلم محمد علي باشا الداء وبادر الى الدواء فشدد النكير على كل منكر وعمل على قطع دابر المتهتكات نفياً وقتلاً ويحكى انه علم بارتكاب بعض رجاله منكراً من هذا القبيل فأمر به وبالمرأة فاغرقا في النيل معاً ولا ازيدك علماً بعاقبة ذلك ولسان الحال شاهد عدل

وبالغ المغفور له سعيد باشا في اتباع التعفف حتى في الحلال لاعتقاده بما ينجم عن اطلاق هوى النفس من ضعف العزائم . ذكروا انه لما سافر في اوائل سنة ١٢٧٩ هـ الى اوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان كتب الى قائمقامه في مصر بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم في قصر النيل ومداومتهم على التمرس بالقوانين العسكرية وهذا قوله :

« ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم على هذا الحال الذي لا يعود عليهم الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر . وبما اننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم واظهرناهم فلا يصح لنا تركهم في هذا الحال الذي ذكرناه فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكينهم

من نسائهم حتى ولا بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليلاً ونهاراً في قصر النيل » اهـ

وزد على ذلك ان الفحشاء منكر من المنكرات التي ينهى عنها الدين والشرع على اختلاف الاعصر فما من دين الا وينهي عنها ويشدد العقاب على مرتكبيها كما تقدم. والشرائع لم توضع عبثاً سواء كانت دينية او مدنية وهي مجمعة على اضرار هذا المنكر

على اننا اذا سلمنا مع القائلين باطلاق الحرية اقتداء بالدول المتمدنة وان ذلك الشر ضروري لامندوحة عنه بشرط ان تتولى الحكومة مراقبته وتعهد المومسات بالكشف الطبي منعاً لانتشار الامراض ايثاراً لاختيار اهون الشرين لان حالها تخالف ما كان على عهد محمد علي وانها تعجز عن منع الفحشاء ـ اذا سلمنا معها بذلك فانها لاتنجو من غائلة اللوم على امر هو عندنا من الاهمية بمكان عظيم وذلك ان اماكن الفحشاء هذه معظمها في اواسط المدينة وعلى الشوارع العمومية بحيث تكون اشراكها اكثر اصابة فضلاً عن الاضرار التي تلحق بالعائلات الساكنة في ذلك الجوار . فالحكومة مطالبة شرعاً وعرفاً بدفع هذه المحظورات بتنقية المدينة من هذه الاوساخ وتطهيرها من هذه الارجاس . واذا كانت لاتستطيع استئصال شأفة اولئك الابالسة فلا اقل من اخراجهن من قلب المدينة الى مكان بعيد في ضواحيها فلا يذهب اليهن الا المستهلك في سبيل شهواته فينجو كثير من الشبان الذين انما ينقادون الى تلك الاماكن انقياد الشاة الى الذبح اما بلفظة او اشارة او على اثر كاس من الخمر او قدح من البيرا وهم غير مفطورين على الرذائل ولكن وجود تلك الفخاخ في وسط المدينة وعلى قارعة الطريق هو الذي جرّهم الى هذا المنكر . لان اولئك المومسات يتحرشن بهم باساليب من الخلاعة تشمئز منها النفوس . ولا ينجو منهن الا الذي رسخت قدمه في المبادىء الصحيحة ولكن الضعفاء في الناس اكثر كثيراً من الاقوياء . فلو كانت هذه الاماكن خارج المدينة لما وصل اليها الا المنغمس في شهواته ولا سبيل الى اصلاحه ولا فائدة من وعظه

وكما تبذل الحكومة الاموال في وقاية رعاياها من الامراض وتجبرهم على تلقيح ابنائهم بالجدري وتحملهم قهراً على اتقاء الاوبئة الوافدة فهي مطالبة بوقايتهم من شر هو اشد وطأة من المرض . وتنظيف الوطن المصري من تلك الاقذار اولى من تنظيف الشوارع من الغبار . ووقاية الشبيبة المصرية من مهاوي الفساد وحماية ابدانهم من تلك الامراض القذرة اولى في اعتبارنا من تطهير منزل حدثت فيه اصابة بالتيفويد او الدفتيريا لان عدوى هذه الامراض وامثالها تنحصر في بعض الاقربين ولاتتعدى الجيل

الواحد من الناس . واما تلك فانها تنتقل في الاعقاب حتى تأول الى فناء الذرية

وقد بعثنا على الرجوع الى هذا الموضوع ماقرأناه في الصحف السياسية من تحريض الحكومة على نقل نوافد جهنم هذه الى خارج المدينة فأحببنا ان نضمّ صوتنا الى اصواتهم لان الخطر على الامة منها اكثر من اخطار سائر الاوبئة على اختلاف اشكالها . والامراض الوافدة تذهب ببعض الافراد واما هذه الرذيلة فانها تذهب بالامة الى مهاوي الذل والخسف اذ لا تفلح امة انغمس ابناؤها في حمأة الفحشاء ولاسيما اذا كانت في دور النهوض تطلب استقلالاً او نيابة او رقياً سياسياً او ادارياً . والانغماس في الفحشاء انما يقع في اواخر الدولة ويكون دليلاً على سقوطها . اما في اوائلها او في اثناء نهوضها فلا بد من تنزيهها عن تلك الدنايا لما يترتب على ذلك الانغماس من ضياع القوى العقلية والبدنية فيتولى صاحبه ضعف العزيمة والخمول فيذهب نشاطه وتسقط همته وتصغر نفسه - ومن كان عبداً لشهواته لا غرو اذا استعبده الآخرون

مصر واسباب العمى فيها [1]

حالتها الاجتماعية والطبيعية

الاسباب الشائعة للعمى في مصر هي: النزلات الحادة والرمد الحبيبي و «الاغلوكوما» .

وتختلف الارماد الحادة شدة باختلاف الفصول واكثرها تبتدىء مع ابتداء حرارة الطقس (في ابريل ومايو) وتقل مع انخفاض الحرارة حتى انه يندر أن يرى في الشتاء

ويظن أن الرمد بعد الولادة باعتباره سبباً للعمى قليل الحدوث بمصر ولكن من الصعب جدًا الحصول على استعلامات يوثق بها

والرمد الحبيبي مرض معدٍ وهو مزمن في ابتدائه وسيره ويكاد يكون عاماً الا في الطبقات العالية جدًا والاطفال الذين لم تصل اليهم العدوى بعد

والاغلوكوما مرض ليس مصحوباً بظواهر التهابية ومن المحتمل ان يكون اكثر ظهوراً بمصر مما في أي مملكة اخرى ونسبة هذا المرض ٢١ في المائة من مجموع العميان الذين رأيتهم ورآهم المساعدون لي ضمن ٩١٩١٧ مريضاً رأيناهم من سنة ١٩٠٧ لغاية سنة ١٩١٠ و بعبارة اخرى ٤ر١ في المئة من مجموع المرضى الذين حضروا المستشفيات الرمدية بقصد العلاج . وهذا بيان عددهم وحالات العمى التي اصابتهم

(١) من تقرير الدكتور مكان رئيس تفتيش مستشفيات الرمد بمصر قدمه لمؤتمر العميان

سنة	عدد المرضى الذين حضروا للعلاج	عدد المصابين بالعمى بالعينين من امراض مختلفة	عدد المصابين بالعمى بالعينين من الاغلوكوما
١٩٠٧	٢٤٤١٦	٢٠١٠	٢٢١
١٩٠٨	١٩٦١٤	٨٥٢	٢٥٣
١٩٠٩	٢٢٣٧٣	١٣٨٥	٣٥٩
١٩١٠	٢٥٥١٤	٢٠١٠	٤٨٨
المجموع	٩١٩١٧	٦٢٥٧	١٣٢١

سنة	مجموع المرضى الذين حضروا للعلاج	المصابون بالعمى بعين واحدة		المصابون بالعمى في العينين		مجموع المصابين بالعمى في العين وفي العينين	
		عدد	النسبة في المائة	عدد	النسبة في المائة	عدد	النسبة في المائة
١٩٠٦	٤٠١٠٣	١٢٩٧	٣.٢	٦٦٣	١.٦	١٩٦٠	٤.٩
١٩٠٧	٢٤٤١٦	١٤٥٠	٥.٩	٦٩٧	٢.٨	٢١٤٧	٨.٧
١٩٠٨	١٩٦١٤	١١٨٩	٦	٨٥٢	٤.٣	٢٠٤١	١٠.٤
١٩٠٩	٢٢٣٧٣	٢١١٦	٩.٤	١٣٨٥	٦.١	٣٥٠١	١٥.٦
١٩١٠	٢٥٥٠٦	٢٤٣٨	٩.٥	٢٠١٠	٧.٨	٤٤٤٨	١٧.٤
المجموع	١٣٢٠١٢	٨٤٩٠	٦.٤	٥٦٠٧	٤.٣	١٤٠٩٧	١٠.٦

وتوجد اسباب اخرى للعمى ولكن الاسباب التي مر ذكرها هي الاكثر انتشاراً ومن الخطأ ان يقال ان العمى اقل الآن مما كان عليه من خمس عشرة سنة أو عشرين سنة مضت لاسباب بينتها في مقالتي في مؤتمر بودابست

والرمد الحبيبي والنزلات الحادة سببان مرتبطان بفقد الابصار بمصر ووجود احدهما يسهل العدوى بالآخر كما انه يزيد خطورته وأسباب ذلك تهيج الغشاء المبطن للعين ثم العادات القذرة في الطبقات المنحطة وصعوبة وجود الماء احياناً وازدحام الاشش ذات الحيطان المصنوعة من الطين التي ينام فيها الفلاحون مع مواشيهم وتراب الطرقات الغير المبلطة والغير المرشوشة لذي يطحن يوميا بارجل المواشي فيصير ذرات دقيقة والعواصف الكثيرة الحصول في بعض الشهور التي تثير التراب في الجو حتى يدخل في لامكنة المحكمة — كل هذه اسباب لحصول الالتهابات الحادة وهذه الالتهابات تزيد

الافرازات فيزداد انتشار الرمد الحبيبي بواسطة الاصابع والملابس والمناديل والمناشف الملوثة بهذه الافرازات

والرمد الحبيبي يسبب العمى بتأثيره على القرنية و بتسبيبه الشعرة التي تحتك على العين وتؤثر عليها . والنزلات الحادة تسبب التهابات وتقرحات القرنية وتنتج العدوى وسبب العدوى في الطبقات العالية هو وجود الخدم المصابين به واختلاط الاطفال بهم

التدابير لمنع الرمد

ان تعليم الدايات والحكيمات يقلل عمى الاطفال . واكثار مستشفيات الاطفال التي على نسق مستشفيات اللادي كرومر ينتج فوائد عظمى

والكتاتيب التي للحكومة على بعضها قليل من السيطرة وليس لها على الاغلبية منها ارق سلطة وكلها الا المبني منها حديثاً لا تصلح معاهد للتعليم لرداءتها صحياً وازدحام الاطفال بها . ونظارة المعارف عالمة بذلك وهي تحضر الآن مشروعاً لتحسين الحالة

يجب ان يكون في المدارس الابتدائية علاج رمدي مرتب كما في مدرسة طنطا الاميرية الآن ولكن يجب ان يكون اجبارياً على جميع التلامذة . أما في المدارس الثانوية فيجب ان يزور المدرسة طبيب رمدي اختصاصي على الاقل دفعتين في الاسبوع للاستشارة. وأما مدارس المعلمين (للمدارس والكتاتيب) فيجب ان تعطى لها فرصة العلاج اسوة بالمدارس الثانوية كما أنه يجب ان يكون لطلابها المام بقواعد حفظ صحة العيون . ويمكن القاء محاضرات في اهمية النظافة وقواعد حفظ الصحة للاهالي خارج المستشفيات

ومثل هذه الاعمال يجب ان تقوم بها جمعيات بدون دخل للحكومة . وستوزع قريباً نشرات تختص بقواعد حفظ الصحة في العيون في مصر وستوجد قريباً قطارات للعيون بأثمان زهيدة تشترى من صيدليات الحكومة

النظام الحالي لمنع العمى

الانسان يتوهم ان منع الرمد غير ممكن ولكنه يتيسر امكانه في المستقبل بواسطة القواعد التي وضعتها أو بواسطة اختراعات جديدة تعمل لمنع انواع الرمد المسببة للعمى ولكننا الآن نسعى في منع مضاعفات الرمد ونتائجه وكل ما يمكن التفكير فيه

لآن يلزم أن يكون بخصوص النظام الرمدي الذي تجريه الحكومة المصرية . يوجد الآن خمس من الاربع عشرة مديرية بنيت بها مستشفيات ثابتة كل منها أمدت بمبلغ ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ جنيه باحسان رجل واحد أو باكتتاب الاعيان او هبة من مجلس المديرية . وهذه المبالغ اعطيت للحكومة وهي التي تبني المستشفيات وتأتي بعدتها وتنفق عليها . وينتظر ان ستاً أو سبعاً من المديريات الباقية تجد المال الكافي لعمل مستشفى في كل منها

وهناك مستشفيان متنقلان لكل منهما عشر خيام كبيرة يطوفان المدن في انحاء القطر ويمكث كل منهما ستة اشهر في كل مدينة . ومتوسط عدد المرضى الذين يعالجون في كل منهما يوميا ٢٢٥ ومتوسط عدد العمليات التي تعمل يوميا ١٣ والذين يحضرون للمستشفيات يزيدون كثيراً عن العدد الذي ذكر ولكنهم يصرفون بدون علاج لعدم امكان علاجهم جميعاً

وينتظر ان يكون بالقطر المصري في بحر عشر سنين تقريباً اثنا عشر مستشفى ثابتة ومستشفيان يتنقلان او مستشفى متنقل في كل من الاربع عشرة مديرية

وتوجد المستشفيات الثابتة في عواصم المديريات . ولكن المراكز في القطر عددها ٨٤ يخص كل مديرية ستة مراكز تقريباً . وكل مركز به ١٢٠٠٠٠ نسمة تقريباً وبعض هذه المراكز على بعد ٢٠ او ٣٠ كيلومتراً من المستشفى الثابت . فكأن يجب ان يوجد في كل مركز مستشفى متنقل تكون قاعدته المستشفى الثابت في عاصمة المديرية ووظيفته علاج الرمد الحبيبي ومضاعفاته ونتائجه . وفي الصيف يعالج النزلات الحادة

ويتكلف المستشفى المتنقل الصغير ٤٠٠ جنيه وينفق عليه نحو ٨٠٠ جنيه في السنة والمديريات التي ليس بها مستشفى ثالث يمكن ايجاد مستشفى متنقل كبير ليكون قاعدة للمستشفيات الصغيرة . وفي الاحوال الاستثنائية يمكن ايجاد مستشفى صغير بدون قاعدة له بزيادة نفقاته ٣٠٠ جنيه في السنة لاستخدام جراح ثان وللاستعداد لقبول مرضى داخلية والمال اللازم لاتمام هذا المشروع يمكن جمعه من ثلاث طرق ١ الاكتتابات ٢ ميزانية الحكومة ٣ ميزانية مجالس المديريات

ولا بد من الصبر طويلاً لانفاذ هذا المشروع لتمرين عدد كاف من الاطباء

المصريين المتخرجين من مدرسة القصر العيني ليكونوا رمديين اكفاء يدبرون هذه المستشفيات . ويتوقف نجاح هذا المشروع على امرين اولهما ان يكون الاطباء متمرنين تمريناً كافياً حتى لا يحل الضرر محل النفع والثاني القدرة على حسن الادارة وضبط الاعمال الطبية بواسطة قسم الرمد التابع لمصلحة الصحة

بمثل هذا الترتيب المانع لانتشار الرمد سيشتغل اعضاء قسم الرمد في الجيل المستقبل في منع الرمد بدل الاشتغال في معالجة مضاعفاته ونتائجه

هذا وعدد العميان في مصر حسب التعداد الرسمي لسنة ١٩٠٧ هو ١٤٨٢٨٠ ذكورا واناثاً وهذا العدد اقل من الحقيقة بكثير ولو ضوعف لقرب منها . ونفرض جدلاً ان هذا هو العدد الحقيقي فمن المعلوم ان السن القابل للتعليم هو من ١٠ الى ١٥ وان اقل متوسط للزمن الكافي لتعليم الاعمى هو ٦ سنين وقد ظهر من التعداد الرسمي ان كل ١٠٠ ٠٠٠ نسمة تحتوي على ١٦١٤٢ من الاولاد الذكور و١١٧٦٠ من البنات او ٢٧٩٠٢ من الاولاد والبنات وبالتقريب ٢٨٠٠٠ وعلى ذلك نجد ١٤٨٢٨٠ اي مجموع العميان بالقطر ٣٩٧٦٠ طفلاً ما بين ١٠ و ١٥ سنة من العمر وحينما يذكر مشروع تعليم العميان ويعرض للمناقشة يجب ان يتذكر المسؤولون عن هذا المشروع انه يوجد الآن ٣٩٠٠٠ طفل اعمى في سن التعليم ويجب ايضاً ان يتذكروا ان التلميذ بالمدارس الابتدائية الاميرية يتكلف ٦ جنيهات و٤٧٣ مليماً في السنة والتلميذ الاعمى في مدرسة الزيتون يكلف ٢٨ جنيهاً في السنة تقريباً

ذم الكذب

قال بعض الشعراء

حسب الكذوب من البليـ	ـة بعض ما يحكى عليه
ما ان سمعت بكذبة	من غيره نسبت اليه

وقال آخر: لقد اخلفتني وحلفت حتى	اخالك قد كذبت وان صدقتا
ألا لاتحلفنّ على يمين	فاكذب ماتكون اذا حلفتا

وقال آخر: كلام ابي خلف كله	نداء الفواخت جاء الرطب
وليس وان كنّ يشبهنه	يقاربنه ابداً في الكذب

سكة حديد بغداد

هي من اهم مشروعات السكك الحديدية في اسيا العثمانية وقد ذكرنا في غير هذا المكان مباشرة العمل فيها بدأوا بذلك سنة ١٩٠٣ وعينوا الارضين والمدن التي سيمر بها الخط على ان يبدأ من الشمال بحيدر باشا تجاه الاستانة الى اسكي شهر ومنها في اسيا الصغرى شرقاً الى الى قرمان فادنة فكلس الى بريجك ومنها الى حران فرأس العين فنصيبين فالموصل . ثم ينحدر الخط جنوباً شرقيا الى تكريت فبغداد فالبصرة الى خليج فارس . وفروع هذا الخط اكثر من فروع السكة الحجازية واطول مسافة



السكك الحديدية في المملكة العثمانية

وهي : ١ فرع من اسكي شهر شرقاً الى انقرة ٢ فرع من قرا حصار تحت اسكي شهر يسير غرباً الى ازمير ومن هناك يدور ويعود شرقاً فيمر بايدين ويتفرع فروعاً عديدة مرسومة في الخارطة ٣ فرع من ادنة جنوبا الى مرسين ٤ فرع يذهب الى مرعش ٥ فرع يسير من نصيبين شمالا غربيا الى خربوط ٦ فرع من اسفل تكريت شرقا الى خانقين ٧ فرع آخر من هـذه النقطة غرباً الى هيت

ولما انقلبت الحكومة العثمانية بالامس جرت المفاوضة بشأن هذا الخط بين الشركة والحكومة فتقرر توسيع اختصاص الشركة على منافع تنالها الحكومة في جملة ذلك انشاء فرع يمتد من محطة عثمانية بدلاً من حلب الى الاسكندرونة وآخر من بولغرولو الى الخليف . وعلى بناء ميناء في الاسكندرونة واشترطت شروطاً من حيث الاجتزاء من الدخل والحقوق وهذا نص الاتفاق الجديد :

١ — فرع الخليف

بند ١ ــ اقرت الحكومة العثمانية على مواصلة انشاء خط من بولغرولو الى الخليف الى ان يصل بغداد فتكون زيادة الفرع نحو ٦٠٠ كيلو متر

بند ٢ ــ تعدل الشركة عن تناول الدخل الجديد المعين لدفع الضمانة السنوية كما ورد في البند ٣٥ من اتفاق ٥ مارس سنة ١٩٠٢ للخط الذي ينشأ من الخليف الى بغداد

ا ــ يجب ان يؤخذ المبلغ الذي يستحق للشركة بحكم المادة ٣٥ من نظام الامتياز مما يزيد من دخل صندوق الدين ويكون ملكاً للحكومة حسب المادة ٧ من دكريتو ٢٨ محرم سنة ١٢٧٩ بعد ازال الزيادة الجمركية ٣ بالماية . وعلى هذا تعدل الشركة عن كل حق لها ناجم عن احكام الاتفاق في مايتعلق بالمبلغ الذي يتحصل من زيادة ٤ بالمئة على الرسوم الجمركية وهي الزيادة التي تسعى الحكومة للوصول اليها

ب ــ وهذا المبلغ يدفع من زيادة دخل الاعشار المعطاة ضمانة كيلو مترية عن خط بغداد وسكة حديد الاناضول

بند ٣ ــ يجب عرض رسوم الخط من تل الخليف الى بغداد على ناظر الاشغال في خلال سنة من تاريخ توقيع هذا الاتفاق ويوافق ناظر الاشغال على ذلك في خلال شهرين

بند ٤ — يحق للشركة ان تطلب من الحكومة العثمانية ان تصدر بالجملة او المفرق فئات القرض وهي الفئات ٤ و ٥ و ٦ كل واحدة منها بمبلغ ٤٥ مليون فرنك وذلك من

ساعة توقيع هذا الاتفاق . وتتعهد بان تتم مد الخط في خلال ٥ سنين او لهايوم التصديق على مشروع مده الى بغداد

بند ٥ — ان فئات القرض ٤ و ٥ و ٦ تكون خاضعة لاحكام الفئات ٢ و ٣ المعينة باتفاق ٢ يونيو ١٩٠٨

ا — كل فئة تكون ٤٥ مليون فرنك

ب — تخص بهذه الفئات الدخل المذكور في البند الثاني من هذا الاتفاق

ت — تعين الشركة موعد دفع الكوبونات وتوزيع اسم الفئات الجديدة من سهم واحد الى خمسة اسهم

بند ٦ — تخصص الشركة لمد الخط من بولغورلو الى بغداد ثمن فئات القرض الجديد حتى الفئة السادسة وللخط من بولغورلو الى الحايف الفئات ٢ و ٣

٢ — فرع لاسكندرونة

بند ١ — تمنح الحكومة العثمانية بالشروط الآتية : لشركة خط بغداد امتياز انشاء واستثمار الخط الحديدي الواسع من الاسكندرونة الى مصطفى بك او عثمانية

بند ٢ — ان شروط هذا الامتياز هي كشروط الامتياز الممنوح للشركة في ٥ مارس ١٩٠٣ الا ما كان معدلاً في هذا الاتفاق

بند ٣ — تنتهي مدة هذا الامتياز بانتهاء مدة امتياز الفرع الاول بين الحايف وبغداد على مسافة ٢٠٠ كيلو متر

بند ٤ — تعرض رسوم هذا الفرع على ناظر الاشغال (النافعة) في مدة ٩ اشهر

بند ٥ — يجب اتمام الاعمال بعد سنتين من التصديق على الرسوم

بند ٦ — تمد الشركة هذا الخط على هواها وحسابها دون ان تكلف الحكومة اقل مساعدة او ضمانة . ودخل هذا الفرع مما لم يخصص بخط بغداد يكون للشركة حسب نص البند السابع

بند ٧ — ينزل من الدخل اليومي نفقات الفرع السنوية وما يلزم لصيانته وتجديد مداته . واستهلاك ستة بالمئة من نفقات الاعمال الاولية والاضافية وتعين الاموال اللازمة للاعمال الاولية والاضافية جمعية المساهمين العمومية . وتقدم الميزانية لنظارة النافعة فاذا لم يكف الدخل لنفقات الفرعين المحكي عنهما يدرج العجز باسم «الحساب الدائر» ويحسب له فائدة ٥ بالمئة بعنوان « عجز صافي الدخل » واذا زاد الدخل على النفقة يدفع من الزيادة ما يغطي به العجز وبعد ذلك يعطى ٥٠ بالمئة للحكومة و ٥٠ بالمئة للشركة

بند ٨ ـ تخضع الاسهم التي تصدر لنظام التمغه

بند ٩ ـ البندان ٤٥ و ٤٦ من اتفاق ٥ مارس سنة ١٩٠٣ يسريان على اتفاق هذا الفرع

بند ١٠ - لا يجوز للحكومة مشترى هذا الخط دون ان تشتري بالوقت ذاته فرع بولغرولو والحليف . فاذا اشترت يكون القسط الذي تدفعه حتى نهاية الامتياز معادلاً اصافي متوسط الدخل في خمس سنين بعد ازال نصيب الحكومة حسب البند السابع ولا يكون هذا القسط اقل من فائدة ٤ بالمئة عن الاموال التي انفقت على الاعمال الاولية والاعمال الاضافية وتدفع الحكومة فوق ذلك عجز مجموع الدخل

بند ١١ ـ اذا وضعت تعريفة عمومية لهذا الفرع وخط بغداد توزع الارباح على اطوال الخطين

٣ — ميناء الاسكندرونة

بند ١ ـ منحت الحكومة العثمانية شركة ميناء حيدر باشا امتياز انشاء مرفأ الاسكندرونة حتى تستطيع البواخر الدنو من حافة المرسى

بند ٢ ـ شروط هذا الامتياز هي كشروط امتياز ميناء حيدر باشا المعطى بتاريخ ٣ مارس ١٨٩٩ ما عدا المعدل منها في هذا الاتفاق

بند ٣ ـ تنتهي مدة الامتياز بانتهاء مدة امتياز الفرع الاول من الحليف الى بغداد وطوله ٢٠٠ كيلو متر

بند ٤ ـ تعرض على نظارة النافعة رسوم انشاء هذا المرفأ في ١٥ شهراً من تاريخ التوقيع على هذا بالا كثر

بند ٥ ـ يجب انجاز الاعمال في اربع سنين من تاريخ توقيع الاتفاق

بند ٦ ـ يحق للشركة انشاء اسكلة في باياز لانزال وركوب الجنود والمسافرين وهذه الاسكلة توصل بخط حديدي بخط عثمانية او مصطفى والاسكندرونة فاذا لم تنفذ الشركة هذا الحق بعد سنتين من انشاء مرفأ الاسكندرونة يحق للحكومة انشاء هذه الاسكلة في باياز او منح امتيازها لآخرين

بند ٧ — الاسهم التي تصدرها الشركة تكون خاضعة لنظام التمغه

بند ٨ ـ تنشئ الشركة الارصفة دون ان تطلب مساعدة الحكومة مالياً او ضمانة ولا تدفع للحكومة الا ماهو مشترط دفعه في البند العاشر

بند ٩ ـ متى انشئ مرفأ الاسكندرونة واسكلة باياز لا يحسب دخلها مع دخل ميناء حيدر باشا

بند ١٠ — يؤخذ من دخل مرفأ الاسكندرونة واسكلة باياز ـ اذا انشئت ـ ما عدا الاحتياطي

ا نفقة الادارة والبناء والتجديد ونفقة الآلات

ب — فائدة ٦ بالمئة وقيمة الاستهلاك لرأس المال حتى انتهاء مدة الامتياز وكمية راس المال تعينها جمعية المساهمين العمومية وتعرض الشركة هذه الميزانية على نظارة النافعة فاذا لم يكف الدخل للنفقة يسد العجز بقرض بفائدة بسيطة الى ان يكفي الدخل للاستهلاك . وزيادة الدخل يدفع منها اولا لسد العجز . فاذا دفع ذلك كله توزع الزيادة على الوجوه الآتية :

ا ـ لسد عجز نفقات خط الاسكندرونة وعثمانية اومصطفى بك اذا كان هناك عجز

ب ـ اذا سد العجز توزع صافي زيادة الدخل مناصفة بين الحكومة والشركة

بند ١١ ـ لا تستطيع الحكومة مشترى ميناء الاسكندرونة الا اذا ابتاعت خط بغداد بين بولغرولو والجبل

بند ١٢ ـ تتعهد الشركة بالا تتنازل لآخرين عن ميناء الاسكندرونة واسكلة باياز اذا انشئت ولا عن ميناء حيدر باشا

بند ١٣ ـ لا ينفذ البند ١٩ من امتياز ميناء حيدر باشا على ميناء الاسكندرونة واسكلة باياز ـ اذا انشئت



والي القاهرة تموكبه في زمن الامراء المماليك — نقلاً عن الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث

مكاتب حلب ودمشق

كانت هاتان المدينتان مشهورتين بعلمائهما ولا سيما بعد ما اضطرب حبل مدينة بغداد مباءة العلماء ومقرّ شيوخ الادباء . وكثيراً ما ذكر المقري في نفح الطيب وابن خلكان في الوفيات وغيرهما كتباً في المدينتين المذكورتين لم توجد في غيرهما . ولقد قضيت سنة كاملة في دمشق منذ سنتين وفي الصيف الماضي زرت حلب وتفقدت مكاتبهما العامّة والخاصّة فرأيت فيهما ما يأتي :

اولاً — مكاتب حلب

مكاتب حلب غنية بمخطوطاتها الدينية المسيحية والاسلامية وبكثير من التواريخ النادرة وكتب الطب والادب ومن اشهرها المكتبة الاحمدية فيها نحو اربعة آلاف مجلد من نوادرها التهذيب للازهري في اللغة وكان احمد فارس الشدياق قد تحداهُ بكتابه سرّ الليال. وقنعة الاريب في تفسير الغريب لابن قدامة المدرس . وعجالة المبتدىء وفضالة المنتهي للامام الحازمي في علم النسب . وكشف النقاب عن الاسماء والالقاب لابن الجوزي . والمذكر والمؤنث للفراء . وذيل مرآة الزمان لابن الجوزي تأليف قطب الدين البعلبكي في اربعة مجلدات وهي في التراجم . وطبقات الملوك للثعالبي . والرسالة الفتحية في الموسيقى للفارابي . وفيها تفاسير القرآن النادرة وغيرها

ومكتبة الجامع الاموي الكبير . ومن مخطوطاتها الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي . ومنه نسخة اخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق

ومكتبة جامع الناصرية . فيها كنوز الذهب في الاعيان المشرّفة بهم حلب لابراهيم العجمي الحلبي . ومكتبة المدرسة العثمانية . فيها اكثر من الفي مجلد . ومكتبة المدرسة القرصانية وفيها نحو ثمانمائة مجلد . والمكتبة المولوية وفيها نحو خمسة آلاف مجلد كلها مخطوطة ومعظمها تفاسير دينية وكتب في الطرُق الاسلامية . ومثلها المكتبة السكاكينية والاسماعيلية من المكاتب العامة ولبعضها قيّم يحافظ عليها ولها برنامجات

وأما المكاتب الخاصة فهي غنية ايضاً مثل مكتبة آل الكواكبي وفيها الذيل على تاريخ المرادي للشيخ عمر العرضي الحلبي . ومكتبة الشيخ محمد الزرقاء من

اشهر فقهاء سورية الآن . وفيها المعادن والجواهر للتيفاشي قديم . والوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الاثير . ومكتبة صالح آغا الكتخدا فيها نحو الفي مجلد . ومكتبة اسعد افندي مدير الاوراق بحلب . ومكتبة مرعي باشا الملاح . ومكتبة زكي بك آل حميد باشا زاده فيها اكثر من ثلاثة آلاف مجلد ولكن معظمها فقد بعد وفاته . ومكتبة آل الغزي وغيرهم من علماء حلب الاعلام

أما المكاتب المسيحية بحلب فاعظمها واشهرها المكتبة المارونية وفيها نحو ثلاثة آلاف مجلد بينها اكثر من اربعمئة مخطوطة جمع معظمها المطران جرمانوس فرحات الحلبي الماروني من اسبانيا . وقد وقفت بينها على كتاب مباهج العبر ومناهج الفكر للوطواط وهو اشبه بدائرة معارف عربية . ومن نوادر مخطوطاتها دمية القصر للباخرزي . وديوان ابن قزل قديم . وأدب القضاة للشعراني وتاج المداخل للشريفي في الفلك والكافي لابي نصر عدنان العين زربي في الطب . والتشويق الطبي لصاعد بن الحسن . وشرح مقامات الحريري للمطرزي

ومن المكاتب المسيحية مكتبة السريان والكلدان الارثوذكس والكاثوليك وفيها مخطوطات معظمها دينية . ومن المكاتب المسيحية الخاصة مكتبة القس جرجس منشى الحلبي الماروني . وفيها جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس لابي القاسم عبد الرحمن المعروف بابن الخطيب . وتاريخ ابن الشحنة ومقالات المطران سليمان الغزي الشاعر . ورسائل بولس اسقف صيداء الذي كان في زمن ابن تيمية . ومكتبة القس توما ايوب السرياني وصاحبها مولع بجمع المطبوعات القديمة وفيها آلاف منها . ومكتبة الخوربسكوبوس جرجس شلحت السرياني ومكتبة بني الدلال وقد بيع معظمها . ومكتبة آل المراش وفقد اكثرها . ومكتبة بني الانطاكي وفيها نوادر المخطوطات . ومكتبة قسطاكي بك الحمصي وفردريك بوخه وفيها تاريخ مصر والقاهرة للقزويني على مثال خطط المقريزي . ومكتبة الطبيب مخائيل الجد وفيها نوادر الكتب الطبية المخطوطة ولا سيما ديوان الطب المعروف بالمائة لابي سهل عيسى بن يحيى المسيحي نسخ سنة ٦٠٦ هـ (١٢٨٧ م) ومفردات ابن البيطار في مجلدين . وشرح ارشيلاوس لاقوال جالينوس وغيرها . وقد نقل كثير من مخطوطات حلب الى اوربا والى مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ومكتبة البطريركية الارثوذكسية بدمشق وغيرها

ثانياً – مكاتب دمشق

منها مكتبة الملك الظاهر قرب باب البريد وفيها كثير من المخطوطات النفيسة مثل تاريخ ابن عساكر غير كامل والضوء اللامع للسخاوي ونفحة الريحانة للمحبي . وابناء الغمر في ابناء العمر لابن حجر العسقلاني . والمدبجات لعبد المنعم الغساني . وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . والكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي . والفصول العربية لابن معطي النحوي . وسر الصناعة لابن جني . واسرار العربية للانباري وغيرها . وكثير منها بخطوط مؤلفيها مثل كتب ابن تيمية

ومن مكاتب دمشق مكتبة الروم الارثوذكس وهي غنية اليوم بمخطوطاتها الدينية والتاريخية والعلمية . وبعض مكاتب الخاصة . ومن اهم المكاتب الدمشقية مكتبة بني الحسيني ابن ابي السعود نقيب الاشراف . ومكتبة شيخ الحاضرة . ومكتبة آل العظم . ومكتبة عبد المجيد افندي الشطي والشيخ طاهر المغربي وهذه تفرقت بعد سفره الى مصر . والشيخ خالد الصاحب والشيخ احمد ابي الفتح . ومكتبة آل القوتلي ومردم بك وحمزة وآل اليوسف والعطار وغيرهم من علماء دمشق وفي جميعها نوادر المؤلفات. ومكتبة الملك الظاهر لها برنامج خاص وقد وصفها حبيب افندي الزيات في كتاب خزائن دمشق

وعلى الجملة فان في هاتين المدينتين حلب ودمشق نشأ علماء اعلام وظلت زمناً طويلاً ملاذ العلماء والدارسين فكثرت فيهما آثارهم وبقيت الى عهدنا لحفظها في الجوامع والكنائس والبيوت الوجيهة . وقد احترقت بعض كتب دمشق مثل مكتبة الارثوذكس في الكنيسة المريمية الكبرى وغيرها سنة ١٨٦٠ وكان كثير منها على رق – والله اعلم

(زحلة) عيسى اسكندر المعلوف

التدخين والمدخنون

حقائق جديدة مبنية على تجارب جديدة

منذ شاعت عادة تدخين التبغ بعد اكتشاف القارة الاميركية وضربت في انحاء الارض مشارقها ومغاربها كان ولا يزال الناس على اختلاف في فائدة التدخين وضرره. فمنهم من تعصب له وغيرهم تعصب عليه. وكان بين آراء الفريقين تضارب شديد وبون بعيد يقف بينهما المتجرد حائراً لا يهتدي في امره الى صواب ولا يقدر على الترجيح الا ان يكون ذلك اتباعاً للميل لا اقتناعاً بالدليل

وليس هذا شأن العامة فقط بل هو شأن الاطباء الاختصاصيين ايضاً. وقد اجتمع من الاطباء الاختصاصيين بامراض القلب منذ عهد غير بعيد في مدينة وشنطون عدد كبير في مؤتمر تبادلوا فيه الآراء في شؤون علمهم وجاءوا على ذكر تأثير التدخين في حركة القلب. فمنهم من اثبت للتدخين تأثيراً مضرًا على القلب قد تؤدي الى الموت الفجائي ومنهم من انكر هذا المذهب وبرهن العكس حتى اذا ارفض المؤتمر كان الاختصاصيون على نفس الانشقاق في الرأي والبعد عن النتيجة كما كانوا قبل اجتماعهم

ومن احدث الامتحانات التي اجريت في سبيل معرفة مضار التدخين او فوائده ما قام به الدكتور جورج مايلان رئيس ادارة الرياضة الجسدية في جامعة كلومبيا في نيو يورك اجراه على مائتين وثلاثة وعشرين طالباً من طلبة الجامعة منهم مائة وخمسة عشر اوثلاثة وخمسون بالمائة مدخنون. وقد كان غرضه معرفة تأثير التدخين على قوى الطلبة العقلية والجسدية. فوجد بعض الاستقصاء ان من المائة وخمسة عشر طالباً الذين يدخنون سبعة علقوا العادة في السابعة من اعمارهم وثمانية عشرة علقوها في السادسة عشرة. وستة عشر في التاسعة عشرة وواحداً في الحادية والعشرون اما الباقون فيتراوح ابتداؤهم التدخين بين هذين الحدين من العمر

واستمر الدكتور مايلان في امتحاناته سنتين فوجد ان المدخنين سمنوا وزاد وزنهم اكثر من غير المدخنين. غير ان ذلك قد يكون سببه تقدمهم في السن

على هؤلاء . ولكن غير المدخنين فازوا في دروسهم العقلية اكثر من اولئك ولا شك ان مرجع ذلك عدم اعتيادهم التدخين

وقد كتب الدكتور المشار اليه في نتيجة امتحاناته تقريراً وردت فيه ملاحظات مفيدة منها قوله . ان جميع العلماء متفقون على ان تدخين التبغ بين القصَّر والمراهقين مضرٌ للغاية . ومن اكبر واجبات الآباء والاساتذة والاطباء ان يحولوا دون اجازة التدخين لهم . اما عند الرجال البالغين فلا دليل علمي على ان الاعتدال في التدخين يحدث تأثيراً مذكوراً من حيث الافادة او الضرر . اما الافراط في التدخين فلا شك في ضرره وسوء نتائجه . وقد تبين ان التدخين بين طلبة المدارس يرافقه الكسل وخور العزيمة والتقصير في الدروس

ويقال ان للتدخين اضراراً لا تنكر وان يكن بعضهم يذكر له فوائد توازنها . من ذلك ان السرطان في الشفتين يعجله التدخين ان لم يسببه . وان للتدخين تأثيراً سيئاً جداً في البصر لانه يخدر الاعصاب ويوجد الالتباس في الاشياء حتى يصعب تمييزها بسرعة لان صورة الشيء تبقى مرتسمة في العين فاذا تحولت هذه الى شيء آخر فجأة ارتسم فيها ايضاً فيقع الالتباس

ومن نتائج الافراط في التدخين فقدان خاصة تمييز الالوان الا ان مداواة هذه العلة سهلة بالانقطاع عن التدخين او تخفيفه . ومن شر اضراره ايضاً اضعاف الذاكرة — هذا اذا كان المدخن مدمناً مفرطاً — وقد يضعف فيه ايضاً الميل الى الاشغال العقلية من اي نوع كانت فيصبح قلقاً كثير الضجر يريد ان يشتغل ولا يقدر

ومما لا مشاحة فيه ان حلق المفرط في التدخين يتأثر تأثراً شديداً فيضعف الصوت ويجعل صاحبه معرضاً للسعال والنزلة الوافدة . ولكن التأثير الاهم في زعم البعض انما هو على القلب فانه يبطيء حركته وتقل نبضاته حتى انه في فترة كل خمس نبضات يتوقف مدة نبضة . ولكن يجب ان يراعى في هذا الكلام اشتراط الافراط . اما ماهية الافراط فلا يمكن تحديدها فهو يختلف باختلاف استعداد الامزجة واصحابها وان ما يكون دسماً للواحد قد يكون سماً للآخر في الطعام والشراب ومثلهما التدخين

والحقيقة هي ان لكل مسألة وجهين ولكل صاحب مذهب براهين . واننا

نجد لكلا المذهبين في التدخين اتباعاً ومناصرين وموافقين ومقاومين . فمن المنقطعين عن التدخين من اعاظم الرجال ثيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق وفريق كبير من مشاهير رؤساء الجامعات والكليات ورجال الدين

المدخنون

اما المدخنون فجيش كبير ايضاً ولا نستثني النساء . فان جميع ملكات اوربا يدخن الا واحدة هي الملكة ويلهلمينا الهولندية . وقد اعلن احد تجار الدخان في باريس منذ عهد غير بعيد ان لفائفه تدخنها مرغريتا ملكة ايطاليا السابقة فاقيمت عليه الدعوى في المحاكم غير انه اثبت بالبينات السواطع صدق ما ادعى بل هو زاد اثباتاً ان اميليا ملكة البورتغال السابقة وماريا كريستينا الاسبانية وملكة رومانيا وامبراطورة روسيا جميعهن يدخنَّ . وكان الملك ادوارد مولعا بالسيكار والسيكارة ولا يقتني من النوعين غير ما كان فائقاً في جودته حتى ان ثمن السيكار الواحد من النوع الذي كان يدخنه لا يقل عن ريال مع انه يعفى من الرسم الجمركي

والامبراطور وليم مولع بتدخين السيكارات الكبيرة المصنوعة خصيصاً له بالطبع وهو لا يدخن السيكار الا قليلاً وقد يدخن الغليون في ساعات انفراده . والامبراطور فرنسوا جوزف لا يدخن الا نوعاً ضخماً من السيكار الوطني يصنع له من اجود ورق التبغ المختار . والملك الفونسو لا يدخن غير السيكارات الوطنية وربما احب تدخين السيكار لو ان جزيرة كوبا بقيت من املاكه . الا انها مرقت من سلطته قبل ان بلغ رشده فانقطعت موارد السيكار الفاخر التي كانت تأتي البلاط الملكي منها وهو لو شاء تدخين السيكار الكوبي الآن لاضطر الى مشتراه كبقية الناس

وكان الملك كارلوس البرتوغالي يدخن بين اربعين وخمسين سيكاراً يوميا . اما الباباوات فلم يعرف ان احداً منهم استعمل التدخين غير بيوس العاشر وقد كانوا يستعملون العطوس . وخديوي مصر يدخن كثيراً ولا يحب غير السيكارات . واخيراً القيصر الروسي يدخن السيكارات الوطنية وقلما يدخن سيكاراً

(مجلة العالم الجديد)

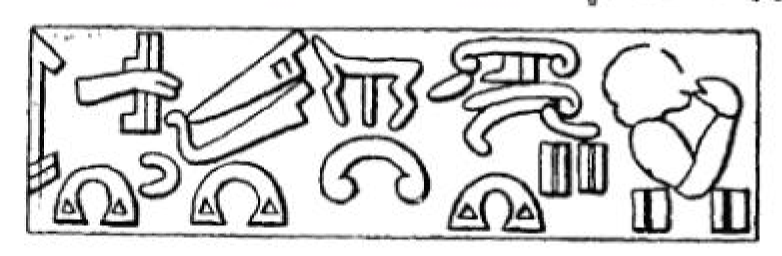
باب السؤال والاقتراح

الخط الهيروغليفي

(١) القاهرة . محمد افندي مصطفى الحسيني

كيف توصل العلماء الى قراءة الخطوط الصورية على الآثار المصرية المعروفة بالقلم المصري القديم او الخط الهيروغليفي . ومن هو اول من وفق الى ذلك وهل هذا النوع من الخط خاص بالمصريين ؟

(الهلال) ان الكتابة الصورية التي هي من قبل الهيروغليف اقدم ما تصوره الانسان من ضروب الكتابة لانها مبنية على تصوير الاشياء والحوادث كما جرت. والغالب ان اكثر الامم التي تمدنت قديماً استخدمت الكتابة الصورية وقد ضاعت اخبارها لانها لم تنقشها على الاحجار الصلبة كما فعل المصريون . ومن الامم التي وصلت الينا كتابتهم الصورية الحثيون سكان سوريا وآسيا الصغرى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وقد وقفوا على كثير من آثارهم في حمص وحماة وغيرهما وعليها نقوش كتابة صورية هذا مثال منها



الهيروغليف الحثي

وهو غير الهيروغليف المصري ولم يوفقوا الى حله بعد

اما الهيروغليف المصري فقد ظل الناس قروناً وهم ينظرون الى نقوشه على الآثار المصرية ويحسبونها من الطلاسم او الرموز او نحوها . وتكهن بعضهم في تعليلها او

تفسيرها تكهناً لا يخرج عن الحدس والتخمين . وسماها عبد اللطيف البغدادي القلم المجهول . وكان القلم المصري قد تفرع في اثناء العصور الى ثلاثة اقلام ١ القلم الهيروغليفي وهو الصوري الاصلي ٢ الهيراتي ٣ الديموطيقي وهذان الاخيران اقرب الى الاحرف الهجائية مما الى الصور فاستعملا واهمل الاول الا في الكتابات الدينية لصعوبة كتابته . على ان الاقباط اضطروا لما دخلوا في سيطرة اليونان على عهد البطالسة ان يستخدموا الابجدية اليونانية لكتابة لغتهم واضافوا اليها بعض الاحرف الديموطيقية للدلالة على مقاطع لا وجود لها في اليونانية

ووجه العلماء افكارهم الى حل الخط الهيروغليفي من اوائل القرن السادس عشر اي منذ اخذ التمدن الحديث في الظهور فلم يتأت لهم ذلك الا في اوائل القرن التاسع عشر بعد حملة الفرنساويين على مصر بقيادة بونابرت (سنة ١٧٩٩) فعثر احد ضباطها في جهات رشيد على حجر اسود غير منتظم الشكل طوله ثلاث اقدام وقيراطان وعرضه قدمان وخمسة قراريط له سطح مستوٍ املس في اعلاه كتابة بالقلم الهيروغليفي تحتها كتابة بالقلم الديموطيقي وفي الاسفل كتابة باللغة اليونانية فحمله الى الاسكندرية . فلما جاءت الجنود الانكليزية وافتتحوها دخل ذلك الحجر في قبضتهم فارسلوه الى انكلترا سنة ١٨٠٢ ثم وضعوه في المتحف البريطاني في لندرا وسموه حجر رشيد . ولا يزال هناك الى الآن وقد شاهدناه في ذلك المتحف عام ١٨٨٦ موضوعاً في صدر الآثار المصرية في صندوق غطاؤه من الزجاج حتى تظهر الكتابة وهي منقوشة في الحجر نقشاً كما ترى في الرسم بالصفحة التالية

فلما صار الحجر في لندرا نظر فيه الدكتور توماس يونغ احد علماء الانكليز هناك ثم نسخت جمعية العاديات رسمه وفرقت نسخاً منها في جمهور علماء الآثار الشرقية لينظروا في قراءتها فاهتدوا اولاً الى قراءة الكتابة اليونانية فاذا هي شكر كتبه كهنة منف الى الملك بطليموس ابيفانيس سنة ١٩٤ قم على ما اسبغه عليهم من النعم الجزيلة وانهم وضعوا منه نسخة في كل من هياكل الطبقة الاولى والثانية والثالثة بجانب تمثال ذلك الملك . ثم تمكن دساسي واكرلاند من حل بعض رموز الحرف الديموطيقي . وغاية ما وصلوا اليه انهم عينوا مواضع الاعلام في الكتابة المصرية المقابلة للاعلام اليونانية مع لفظ بعضها

ووفق الدكتور يونغ الى قراءة الكتابات الثلاث ونشر ترجمتها ونتيجة ابحاثه في ذلك سنة ١٨٢١ . وفي السنة التالية نشر الموسيو شمبوليون العالم الفرنساوي الشهير

المعروف بشمبوليون الشاب ترجمة هذه الكتابة واستخرج منها مايشبه الحروف الهجائية بعد أن درس اللغة القبطية وجغرافية مصر القديمة درساً جيداً ولا يبعد انه استعان بكتابة يونغ



حجر رشيد

وكان الاستاذ بلزوني الايطالي قد عثر في جزيرة البربة على مسلة عليها كتابة يونانية ومصرية وارسل صورة الكتابة الى اوربا فلما رآها شمبوليون ادرك ان الكتابة اليونانية ترجمة المصرية فتدبر كل ذلك حتى اهتدى الى معرفة لفظ المقاطع والحروف . واساس عمله في ذلك انه وجد في الكتابة اليونانية على تلك المسلة اعلاما يقابلها في الكتابة المصرية نقوشاً محاطة بخطوط اهليلجية. وكانت تلك الاعلام مكررة في الكتابة اليونانية

فوجدها ايضاً مكررة في الكتابة المصرية فاستنتج ان النقوش المحاطة بالاهليلج يجب ان تكون اسماء لتلك الاعلام . فوجد مثلاً في الكتابة اليونانية اسم بطليموس مكرراً كثيراً وتقابله اشكال اهليلجية فيها نقوش وموقعها في الكتابتين على نسبة واحدة فترجح لديه أن تلك النقوش هي اسم بطليموس . وتأكد ذلك لما راى اسم بطليموس وارداً في الكتابة اليونانية على الحجر الرشيدي ويقابله في الكتابة الهيروغليفية هناك نقوش محاطة بخط اهليلجي كالنقوش التي على المسلة تماماً . فعلى ذلك تكون الصورة الاولى ضمن الخط الاهليلجي تقابل الحرف الاول من بطليموس اي الباء والثانية الحرف الثاني اي الطاء وهلمَّ جرًّا . ووجد ايضاً في الكتابة اليونانية اسم كليوبطرا وتقابله في الكتابة المصرية نقوش ضمن خط اهليلجي . فقال شمبوليون بنفسه اذا كانت الاولى بطليموس فهذه كليوبطرا واخذ بالمقابلة مستعيناً باللغة القبطية لانها بقية اللغة المصرية القديمة . فرسم امامه الشكلين اللذين ظنهما اسمي بطليموس وكليوبطرا وجعل يقابل الاحرف المماثلة في الاسمين كاللام والباء وغيرهما فاذا بها متماثلة تماماً في الشكلين بمواقعها في الاسمين وهاك صورة اسم كليوبطرا وبطليموس في القلم الهيروغليفي



كليوبطرا



بطليموس

فالحرف الأول من اسم كليوبطرا صورة ركبة . واسم الركبة في اللغة القبطية يبتدئ بحرف الكاف فهو حرف الكاف . والحرف الثاني صورة اسد واسم الاسد يبتدي في اللغة قبطية بحرف اللام فهو صورة حرف اللام وهو الحرف الرابع في اسم بطليموس لان الثالث بمثابة الحركة . والحرف الثالث من اسم كليوبطرا صورة قصبة وهو الحرف السادس والسابع في اسم بطليموس فهو بمثابة الالف او الياء . واسم القصبة في اللغة القبطية يبتدئ بالالف . والحرف الرابع صورة عقدة وهو حرف الواو . والحرف الخامس مثل الحرف الاول من اسم بطليموس فهو حرف الباء . والسادس صورة نسر واسم النسر في القبطية يبتدئ بالالف فهو حرف الالف .

والسابع صورة يد واسم اليد في القبطية يبتدئ بحرف الطاء فهو حرف الطاء . والثامن صورة فم واسم الفم في القبطية يبتدئ بحرف الراء فهو حرف الراء . والتاسع تقدم ذكره . والعاشر مثل الثاني في بطليموس فهو طاء او تاء والحادي عشر لاحرف له باليونانية . وقد عرف بعد ذلك انه علامة تلحق آخر الاسماء المؤنثة . وفي اسم بطليموس حرفان هما الخامس والثامن لم يردا في اسم كليوبطرا فالاول هو الميم والثاني السين

وعلى هذه الصورة تمكن شمبوليون من معرفة كثير من الحروف الهجائية وقراءة كثير من الكتابات المصرية القديمة في مدة تسع سنوات كلها بحث وجد . والكتابة الهيروغليفية ليست واحدة فان من صورها ما هو حروف ومنها ما هو مقاطع او كلمات ويبلغ عددها كلها نحو الالف . والحجر رشيد مثالان ابضان في المتحف المصري معروضان للفرجة

هذا من قبيل حل الالفاظ اما المعاني فعرفت بالمقابلة باللغة القبطية وببعض ما كان يكتبه المصريون القدماء من الرموز التي تدل على اشباهها كدلالة صورة الرجل على الرجل وما شاكل ذلك



الهواء والشمعة

※ الاسكندرية ※ اسعد افندي سليم

لا تشتعل الشمعة الا في الهواء لكنه اذا اشتد عليها أطفأها فما هو تعليل ذلك

※ الهلال ※ لا بد من التفريق بين الاشتعال والانارة اما الاشتعال فهو اتحاد المادة المشتعلة باكسجين الهواء . والحرارة الحاصلة من الاشتعال من جملة الظواهر الكيماوية التي تنتج عن الاتحاد . والهواء لا يبطله بل هو يزيده ولذلك استعملوا المنافخ ونحوها . وبازدياد الاشتعال يزداد النور . وليس الاشتعال ضروريا له وانما سبب الانارة شدة حرارة الجسم الجامد . فالنور الكهربائي لا يحصل فيه اشتعال فينير وهو محجوب عن الهواء وسبب نوره شدة حرارة السلك او الفحم بفعل الكهربائية . واذا احميت قطعة من حديد احمرت فاذا اشتدت حرارتها حتى تبيض اضاءت ولا لهيب فيها فهي تختلف عن حال الشمعة

اما اللهيب فلا يحدث في الاشتعال الا اذا كانت المادة المشتعلة غازًا او تحولت الى غاز قبل الاشتعال . فالفحم لا لهيب له يشتعل وهو جامد ولكن الزيوت لها لهيب لان بعضها او كلها يتحول الى غاز او بخار قبل الاشتعال فحيثما ترى لهيبًا اعلم ان بعض المادة المشتعلة او

اسم محمد

(لندن) م . ص .

هل كان سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم اول من سمي باسم محمد ام كان هذا الاسم مستعملاً قبله في الامة العربية اذ لم يرد هذا الاسم قط في الجاهلية

(الهلال) المشهور انه قد سمي بهذا الاسم ثلاثة من العرب الجاهلية قبل الاسلام وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر . ومحمد بن احيحة بن الجلاح اخو عبد المطلب جد النبي لامه . ومحمد بن حمران بن ربيعة

صحة العائلة

التطبيب مسانهة

جرت عادة معظم أهل العالم المتمدن أن تتخذ كل عائلة طبيباً يتولى معالجة أفرادها أو يتعهد شؤونها الصحية في أثناء الأمراض الوافدة فيوصيها بما يجب اتخاذه من الاحتياطات دفعاً لغائلة الوباء على أن تجعل له راتباً معيناً في كل سنة يقبضه — وهو ما أردنا به بقولنا « التطبيب مسانهة »

وقد جرى على هذه الطريقة جماعة كبيرة من سكان مصر وسوريا ولكن السواد الاعظم منهم لايزالون يجهلون هذه العادة أو انهم لم يألفوها . وعندنا انها أفضل ذريعة لحفظ صحة العائلة وأقرب وسيلة للاقتصاد . وفيها مميزات حسنة للاطباء وللعائلات اذا بسطناها تبين للقارئ أن التطبيب مسانهة أو سنويا أفضل طرق الاستشفاء وأقرب أساليب الوقاية فنقول :

فائدته للعائلات

١ ان الراتب السنوى الذي يفرضه الاطباء عادة في معالجة العائلة يغلب أن يكون أقل من مجموع ما تدفعه تلك العائلة الاطباء متفرقا كلما احتاجت الى طبيب

٢ ان بعض أفرادها قد يصاب بانحراف ظاهره بسيط فلا يرى رب تلك العائلة ما يوجب استدعاء الطبيب ثم لا يلبث أن يتحقق ضخامة المرض وتمكنه . وقد يكون تأخره عن استدعاء الطبيب بضعة أيام سبباً في استعصاء العلة . أما اذا كان للعائلة طبيب خاص فانه مكلف بتعهدها غالباً واذا هو لم يأت فانها تستدعيه عند أقل انحراف فيتلافى بحكمته ما كانوا يخشون عقباه

٣ اذا دعي الطبيب لمعالجة المريض قلما يتأتى له معرفة حقيقة المرض لاول زيارة وخصوصاً اذا لم يكن عالماً بتاريخ صحة ذلك المريض ونوع معيشته . ويغلب أن يكون ما يصفه من الدواء في بادئ الرأي انما يصفه على سبيل التجربة وقد يتردد الى المريض مراراً قبل فهم مزاجه فلا يستطيع تشخيص المرض . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من خسارة المال والتفريط في الصحة

أما طبيب العائلة فقد يلاحظ حال المريض قبل حدوث ذلك المرض باسابيع او أيام فاذا لم يكن في امكانه منعه كلية فانه يتخذ الاحتياطات اللازمة لتخفيفه . وهب انه لم يستطع شيئاً من ذلك فهو على الاقل عارف مزاج مريضه وحال أعضائه وتأثير العقاقير فيه وقوة معدته على قبول بعض العقاقير دون البعض الآخر فلا يحتاج الى ضياع الوقت في استطلاع ذلك مما لا بد منه في المعالجة بوجه العموم . ناهيك بان بعض العوارض المرضية تظهر بشكل المرض وهي نتائج مرض قديم تعسر معرفته على غير طبيب العائلة ولا تزول تلك الاعراض الا بمعالجة المرض الاصلي كما يحدث في كثير من الاحوال الزهرية

٤ اذا طرأ على المدينة وباء وافد كالكوليرا أو نحوها فان العائلات في حاجة كلية الى اتخاذ الوسايل الواقية من فتك ذلك الوباء وقد تضع الحكومة في مثل هذه الحال قواعد صحية عامة يجري عليها سكان القطر عموماً ولكن تلك القواعد تحتاج الى تحوير يلائم أحوال العائلات الخصوصية . وهذا ما لا يستطيعه غير طبيب العائلة لانه يستلزم معرفة جيدة في أمزجة أفراد تلك العائلة وحال منزلهم وطرق معائشهم وغير ذلك ويغلب في مثل هذه الحال ان يتردد الطبيب على تلك العائلة كل بضعة ايام يتفقدها ويتعهد أحوالها ويرشدها الى ما تحتاج اليه من الاحتياطات الصحية

مائدته للاطباء

نعم أن الطبيب قد لا يستفيد من تلك العائلة ماليا وهو طبيبها السنوي ماقد يستفيده لو كان حسابه معها بغير المسانهة ولكنه يعوض عن ذلك من جهات اخرى منها :

١ انه يعرف له دخلاً معيناً في السنة من تلك العائلة ولا يخشى اذا دعته مرة الا تدعوه دائماً ٢ انه يستطيع بتردده على تلك العائلة ودرسه تاريخ صحتها وأمزجة أفرادها أن يقلل أمراضها فيخفف تعبه ٣ اذا تحقق أن صحة هذه العائلة مطلوبة منه وكان وقته ضيقاً اغتنم فرص الفراغ لزيارتها وقد لا يرى فرقاً كبيراً في ضياع وقته بين ان يزور كل يوم عشرة مرضى او ١٢

فترى مما تقدم ان التطبيب مسانهة مفيد للعائلات أكثر مما للاطباء . وقد تحققوا بالاحصاء والاختبار انه يقلل الامراض . ولكن يشترط فيه ان يكون الطبيب المختار ماهراً ذكيا والا انعكست النتيجة وكانت العاقبة مضرة

وقد كتبنا في هذا الموضوع قبل الآن ولكننا عدنا اليه للتحريض عليه

الحركة السياسية بمصر

المؤتمر القبطي والمؤتمر المصري

في مصر حركة سميناها سياسية لانها نشأت عن أحزاب تطالب بامور تتعلق بمصالح الامة. وليست الاحزاب حديثة بمصر ولكن الامة المصرية اليوم انقسمت الى حزبين عقد كل منهما مؤتمراً للنظر في مصالحه او المطالبة بحقوقه . ومع ما يشوبهما من الصبغة الدينية فان ظهورهما من أقوى الادلة على الارتقاء السياسي في وادي النيل . فرأينا أن ندون خبرهما خدمة للتاريخ

المؤتمر القبطي : عقد الاقباط مؤتمراً في اسيوط اجتمع فيه نوابهم من سائر انحاء القطر برئاسة بشرى بك حنا في ٦ مارس — ٨ منه سنة ١٩١١ و بلغ عدد الحضور نحو الف شخص للمطالبة بامور تتعلق بطائفتهم فخطب مخائيل افندي فانوس المحامي في وجوب توثيق عرى المحبة بين المسلمين والاقباط . والدكتور أخنوخ فانوس في اعفاء الموظفين

والطلبة الاقباط من العمل يوم الاحد . وتوفيق أفندي دوس في اسناد الوظائف للاكفاء من المصريين بلا تمييز بين عنصر وآخر . ومرقس أفندي حنا في وضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية . وحبيب أفندي دوس في وضع نظام لمجالس المديريات يكفل لجميع العناصر تمتعهم بالتعليم الاهلي . ومرقس أفندي فهمي المحامي في وجوب جعل الخزينة المصرية العمومية مصدراً للانفاق على جميع المرافق المصرية . وقد رفعوا هذه المطالب الى الحكومة المصرية

المؤتمر المصري : ولما كانت هذه المطالب تبحث في أشياء تعارض مصالح المسلمين من بعض الوجوه نهض المسلمون للدفاع وهم الاكثرية المصرية فعقدوا مؤتمراً سموه المؤتمر المصري دفعاً للصبغة الدينية ولتكون ابحاثه عمومية واختاروا لرئاسته دولتلو رياض باشا فاشترك فيه نخبة الوجهاء ورجال الاقلام وأهل السياسة والقضاء . وعينوا لاجتماعه خمسة أيام تبدأ يوم السبت ٢٩ أفريل الماضي ووضعوا لاعماله بروغراماً ذكروا فيه الخطب وبعضها يبحث في مواضيع اجتماعية أو اقتصادية أو تشريعية لا علاقة لها بالدفاع وانما اغتنم أصحابها انعقاد هذا المؤتمر لعرضها خدمة للمصلحة العامة وبعضهم من غير المسلمين . وقد عقد المؤتمر المصري جلسته الاولى في لونابارك بواحة عين شمس حضرها بضعة آلاف . ولا تزال الاجتماعات متوالية . وهذه مواضيع الخطب وأسماء أصحابها :

اليوم الاول : الخطبة الافتتاحية لدولة الرئيس . ثم تلاوة تقرير لجنة المؤتمر . وخطبة في أن عناصر الجنس المصري كلها من أصل واحد للدكتور أباتا باشا . وخطبة يوم الاحد للاستاذ محمود بك أبو النصر المحامي . والعوامل الاجتماعية للحركة القبطية للاستاذ محمد بك حافظ رمضان . وتمحيص مطاليب الاقباط وازالة الشقاق لصالح بك حمدي حماد . ونظارة عامة حول مؤتمر الاقباط لابراهيم بك غزالي

اليوم الثاني : الاقلية الدينية والمجالس النيابيـة للاستاذ أحمد بك عبد اللطيف . والكفاءة والتوظيف للاستاذ ابراهيم بك الهلباوي . ووسائل ترقية المرأة المسلمة المصرية للباحثة في البادية . والتعليم العام للاستاذ محمد بك أبو شادي

اليوم الثالث : التعليم العام وحظ المسلمين والاقباط مما تنفقه الامة عليه للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد . والتعليم العملي النافع للصناعة والزراعة والتجارة لعلي بك الشمسي .

والصناعة في مصر لابراهيم بك رمزي . وحماية وترويج المصنوعات الوطنية للاستاذ جبرائيل بك كحيل . وضرورة ترك بدع المآتم والمقابر للاستاذ محمد بك يوسف . واصلاح القضاء لعبد الستار افندي الباسل

اليوم الرابع : الوسائل المؤدية للتوفيق بين العناصر المصرية للاستاذ احمد بك لطفي . ومراعاة احوال الزمان والمكان في تطبيق الاحكام الشرعية للاستاذ عبد العزيز جاويش . وحالة مصر الاقتصادية الحالية ليوسف بك نحاس . والتعاون المالي والنقابات الزراعية للاستاذ عمر بك لطفي . ومستودعات التأمين للاستاذ محمود بك ابو النصر . والربا الفاحش وضرورة العقاب عليه للاستاذ هاشم محمد مينا . واضرار الربا الفاحش للاستاذ محمد بك علي . وحالتنا الاقتصادية الزراعية لاحمد أفندي الالفي

اليوم الخامس : مناقشة الاقتراحات التي وردت في تقرير اللجنة وفي المواضيع التي تليت بالجلسات المذكورة وغيرها مما ورد من المواضيع والطلبات التي لم تتل وسنذكر ما يكون في حينه

جمعية التوراة

هي جمعية دينية تبشيرية نشأت منذ قرن وبعض القرن . وقد نبه الاذهان الى انشائها مبشر اسمه توماس شارلس من ويلس في انكلترا . وذلك انه شكا قلة نسخ التوراة في تلك الجهات وبحث في الوسيلة التي يستطاع بها الحصول على نسخ كثيرة منها لتفرق في الفقراء . فاجابه وجيه غيور على الدين اسمه يوسف هيوز بقوله « ينبغي ان تشكل جمعية تسعى في نشر التوراة ليس في ويلس وحدها بل في انكلترا كلها وفي سائر العالم » ولم تمض سنتان حتى تشكلت الجمعية سنة ١٨٠٤ وتسابق الاغنياء الى الاشتراك والاكتتاب . ولم تعقد جلستها الاولى حتى بلغ المال المجموع ٧٠٠ جنيه . وبلغ المجموع في ختام السنة الاولى ٥٥٩٢ جنيهاً . وأخذت في العمل فطبعت في تلك السنة ٢٥٠٠٠ نسخة من المزامير فرقتها في ويلس وغيرها . واشترك في مساعدتها نخبة من وجهاء البلاد واغنيائها وأخذت تتقوى وتنتشر من ذلك الحين . ولما ابطلت تجارة الرقيق سنة ١٨٣٤ فتح لها باب جديد لنشر الكتاب فوزعت نحو ١٠٠٠٠٠ نسخة من العهد الجديد مع المزامير على العبيد مجاناً . وبلغ عدد النسخ التي فرقتها في القرن الاول من

الهلال

الجزء التاسع من السنة التاسعة عشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١١ و٤ جمادى الاخرى سنة ١٣٢٩



نظام الملك وعمر الخيام وحسن بن الصباح

واصل طائفة الباطنيين

في تاريخ الاسلام كثير من النقط الغامضة ضاعت المآخذ التي يرجع اليها في تحقيقها بتوالي الفتن في اثناء العصور الاسلامية الوسطى . وفي جملتها اخبار الباطنية او الحشاشين وما كان من فتكهم بالامراء والعظماء وعلاقة زعيمهم حسن بن الصباح بالدولة و بنظام الملك وزير السلاجقة الشهير . وهذه مقالة لصديقنا الشيخ عبد القادر المغربي الكاتب البحاثة بسط فيها حديث هذين الرجلين وثالثهم عمر الخيام باسلوبه المعروف بالطلاوة والسهولة قال :

كان بين تلامذة امام الحرمين في نيسابور في اواسط القرن الخامس للهجرة

ثلاثة رزقوا التوفيق في الطلب والتحصيل كما رزقوا الشهرة التاريخية في الاجيال التي تلت عصرهم . وهم نظام الملك وعمر الخيام وحسن بن الصباح وقد استحكمت بينهم عرى الالفة والمودة فكانوا يطالعون ويتذاكرون سوية . ويصطحبون في النزهة والرياضة . وكان لا يخفي احدهم عن رفيقيه شيئاً مما يختلج في صدره او يدور في خلده . فتعاهدوا انه اذا تولى احدهم الوزارة العظمى وكانت له الكلمة النافذة في الدولة سعى في تقريب رفيقيه من السلطان وتوسيد المناصب الرفيعة اليهما

دار الفلك دورته . وتسنم نظام الملك ذروته . فتولى الوزارة الكبرى للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي . ونظام الملك هذا هو باني المدرسة النظامية في بغداد التي حازت شهرة ما بعدها شهرة . وكان يدرس فيها الامام الغزالي احد تلاميذ امام الحرمين

اما ملكشاه فهو اشهر ملوك السلاجقة واكبرهم شأناً واوسعهم سلطانا . وقد امتدت مملكته من كاشغر على حدود الصين الى البحر الابيض المتوسط

عمر الخيام

لم ينس عمر الخيام صديقه القديم نظام الملك . ولم يلهه شيء عن زيارته وتهنئته بمنصب الوزارة . فوفد عليه ولقي منه الحفاوة والاكرام اللائق به

وبينما كانا على مائدة الطعام في بعض الايام . واذا بنظام الملك يخاطب عمر الخيام قائلاً : أنسيت يا أخي العهد الذي ابرمناه بيننا زمن التحصيل ؟ مالك لا تطالبني بالوفاء به ؟

فتجاهل عمر الخيام الامر . او انه لم يظهر الاكتراث بما قصه عليه الوزير نظام الملك وطلب منه الوزير ان يقترح عليه المنصب الذي يريده

فقال له الخيام بارك الله يا أخي فيما أعطيت . وهنئت بوزارتك ؟ انت تعلم اني لست من محبي الرئاسات . او الذين يتشوفون الى السياسات . وانما جل ما ابغي من دنياي ان اعكف على خدمة العلم والفلسفة وممارسة الحكمة والفضيلة . وان يكون لدي من الدخل ما يكفيني مؤونة السعي والكسب . فقال لك ذلك . وعين له في كل شهر ستمائة دينار يقبضها من بيت المال . وينفقها في شؤون معاشه . فشكر لصديقه معروفه

وانقلب الى بلده نيسابور . وعكف على درس العلم والفلسفة وقرض الشعر وتضمينه الاداب الفاضلة والحكم العالية

وقد صنف عمر الخيام كتباً كثيرة ونظم اشعاراً جمة . غير ان التتر لما زحفوا تحت راية جنكيز خان على البلاد الاسلامية — كان فيما دمروا من الامصار مدينة نيسابور . فاتوا عليها تخريباً وعلى اهلها تقتيلاً . وعلى ما فيها من الاثار والتحف والكتب اتلافاً وتحريقاً . ولم يبق لما جادت به قريحة « الخيام » من أثر سوى مائة رباعية تقريباً من شعره البديع . وهي رباعياته المشهورة التي ترجمت من الفارسية الى الانكليزية حديثاً — وكتاب له في الفلك يدعى « الزيج الجلالي » نسبة الى السلطان جلال الدين ملكشاه المشار اليه

ورباعيات عمر الخيام في الشعر الفارسي بمنزلة لزوميات ابي العلاء المعري في الشعر العربي من حيث ان موضوع كليهما الحكمة والافكار الفلسفية . واحسن معنى شعر برز فيه الخيام شكوى الدهر وغدر الزمان

ثم توفي الخيام في بلدته نيسابور . ورفع على قبره قبة جميلة جداً مزينة بالنقوش ومرصوفة بالقيشاني . وقد كتب حول القبة بعض رباعياته المذكورة . وقبره الى اليوم يزار في تلك المدينة

حسن بن الصباح

هذا ما كان من أمر عمر الخيام مع صديقه الوزير نظام الملك . أما رفيقهما الثالث « حسن بن الصباح » فانه وفد أيضاً على الوزير مهنئاً له بالوزارة . ومذكراً له بوعده ومطالباً بالوفاء به فهش له الوزير وارتاح اليه . ووعده بانجاز ما كان أخذه على نفسه من ذلك . ثم رفع أمره الى مخدومه السلطان ملكشاه وذكر له فضله ومقدرته . وطلب أن يوليه منصباً يليق به . فقربه الملك اليه وأحسن مثواه . وولاه رئاسة ديوان الجباية والخراج وهي نظارة المالية اليوم . لأن الحسن كان بارعاً في العلوم الحسابية . ثم ما لبث رئيس الخراج ان تمكن من الدولة وزاد تقرباً من السلطان

وفي بعض الايام سأل السلطان نظام الملك الوزير الاكبر قائلاً : في كم من الزمن يمكنك أن تنظم لي دفتراً يتضمن احوال المالية في مملكتي كلها وجداول تشرح

لي دخل الولايات وخرجها بالتفصيل التام

فاطرق الوزير هنيهة ثم قال يمكنني تقديم ذلك في سنتين . قال الملك هذا زمن طويل اريد اقصر من هذا . وعندها تقدم صديقه الحسن بن الصباح الى ما بين يدي الملك وقال له يمكنني تنظيم الدفتر ايها الخاقان في مدة لا تتجاوز اربعين يوماً

فسر ملكشاه من كلامه وكلفه انجاز ما تعهد به . وتقدم الى كتاب الديوان ان يساعدوه ويمدوه بما فيه نجاح عمله وتسهيل شغله . ثم اخذ الحسن بمباشرة العمل وهو به ضليع . قال الوزير نظام الملك في بعض تآليفه عند ذكره هذه الحادثة « لكن الله كفانا شره » اي شر الحسن فانه فشل وخذل . ولم يف للملك بما وعد به . ولم يزد الوزير على كلمته هذه . اما المؤرخون فقد فصلوا القول في كيفية فشله في عمله حتى وقى الله الوزير نظام الملك شره . وكان سبباً في نشوء طائفة الباطنية

دفتر المالية

لما اخذ « الحسن بن الصباح » في تنظيم دفتر مالية المملكة الفارسية حسبما اشار به السلطان ملكشاه السلجوقي ادرك الوزير الاكبر نظام الملك وخامة العاقبة . وان ذلك الدفتر ان تم على يد الحسن وراق لدى السلطان خلصت الوزارة له ولم يبال بنكث العهد ووصمة الغدر

فدعى نظام الملك بعض غلمانه الذين يثق بفطانتهم وامانتهم . وقال له اريد منك ان تصاحب غلام الحسن بن الصباح الخاص بخدمته والمؤتمن على اسراره واذهب به الى محل اللهو والسرور وانفق عليه ماشئت فاني مقدم اليك جميع ما تطلب . واتخذ جميع الوسائل في ان تجعله يثق بك ويطيعك فيما تريده منه ولك عندي في مقابلة ذلك ماتشتهي وتحب

فقال له غلامه سمعاً وطاعة واخذ من يومئذ في التقرب من غلام ابن الصباح والتحبب اليه . وجعل ينفق عليه الاموال الكثيرة ويهدي اليه الهدايا النفيسة حتى استحكمت المودة بينهما وبلغت الثقة اشدها . وفي اثناء تلك المدة كان الحسن منهمكاً في تنظيم الدفتر وجمع الاحصاآت ومخابرة عمال بيوت المال في اطراف المملكة فلم يكد يجيء اليوم الموعود حتى اشرف الدفتر على التمام

وكانت عادة الفرس يومئذ بل الى يومنا هذا — أن يؤلفوا مثل هذا الدفتر من أوراق على هيئة الصحائف غير متلاصقة ولامتصل بعضها ببعض . وانما يوضع على رأس كل منها نمرة خاصة ويكتب في بطن كل منها حساب ولاية من الولايات وبيان دخلها وخرجها تحت عنوان خوزستان أو مازندران او خراسان الخ . وبعد تمام التنظيم تضم هذه الاوراق بين دفتين وتربط باحكام . فلما عرضها الوزير على الملك اخذ هذا في السؤال عن مالية الولايات واحدة فواحدة . والوزير يخرج الورقة التي هي باسم الولاية المسؤول عنها . وهكذا الى الآخر

نظم الحسن بن الصباح الدفتر على هذه الصورة ولم يبق الا ان يطلبه منه الملك في اليوم الموعود

فدعى نظام الملك غلامه وقال له اليوم يومك . قال مُرني بما شئت قال اذا نحن صرنا الى ديوان الملك في يوم كذا فاصحبني الى هناك . ويكون غلام الحسن صديقك ثمة . فاطلب منه ان يطلعك على الدفتر الذى نظمه سيده وتلطف في السؤال واذا تمنع عده بكل ماير يد . وانا ضمين بتقديمه اليك . حتى اذا صار الدفتر بيدك خذ في تقليب اوراقه والتأمل في صحائفه ثم الق تلك الاوراق من يدك على الارض بحيث تقع مشوشة وتظاهر بانها تناثرت من بين يديك عن غير قصد منك . ثم خذ في جمعها وضم بعضها الى بعض بدون ان تمكنه من المحافظة على ترتيبها السابق . هذا كل ماريده منك .

ثم خف الوزير الى الديوان وفعل غلامه ما امره به . وبعد قليل طلب الحسن من غلامه ان يأتي بالدفتر لما ان الملك كان قد طلبه . ولما صار الدفتر في حضرة السلطان واخذه الحسن بين يديه منتظراً امر الملك . سأله الملك ان يريه جدول حساب ولاية خوزستان . فمد يده الى موضع نمرة تلك الولاية وسحب الورقة واذا بها ولاية مازندران . ثم سحب اخرى واذا بها خراسان . ثم ثالثة واذا آذربيجان ثم رابعة فكانت همذان . ثم وثم من دون ان يظفر بورقة الولاية التي طلبها السلطان . وكان السلطان يسأله كلما سحب ورقة اهذه هي ؟ فكان الحسن يجيبه بكلمة « هان » او « هون » وهي بالفارسية بمنزلة « اهو » بالعامية المصرية . ولما اكثر الحسن من كلمة « هان هان » وظهر القلق والضجر على وجه السلطان . انتصب الوزير الاكبر نظام الملك على قدميه ودعا

للسلطان ثم قال : اذا لم يثق مولانا الخاقان الاعظم بالاكفاء والعقلاء من رجال دولته الذين يعرفون ان كان الشيء ممكناً او غير ممكن . واصغى الى مجنون ليس لديه خبرة ولا معرفة بالامور ممن يوهمه ان مالايمكن ان يكون قد يقع ويكون . لم يسمع الا كلمات « هان وهون »

فغضب السلطان حينئذ على الحسن وانتهره وقال لولا انك قد اقمت في خدمتنا مدة لأمرنا بقتلك فاخرج من مملكتنا صاغراً . فاضطر الحسن الى مغادرة المملكة « سادماً نادماً يعض اليدين » . فمر على مدينة الري التي يقال لها اليوم طهران . ونزل على صاحبها الرئيس ابي الفضل فكان من جملة ما دار بينهما من الحديث ان قال الحسن لو كان لي صديقان إثق بهما لأزلت ملك هذا التركي « يعني ملكشاه »

فحسب ابو الفضل ان الرجل اصيب باختلال او مس في عقله فهو يهذي ويهجر . والا فكيف يقوى على ازالة ملك ملكشاه العظيم برجلين فذين . ثم اوعز الى رئيس مطبخه ان يطبخ للحسن من الوان الطعام ما كان مغذياً للدماغ مقوياً للاعصاب ففعل

ولما جلس الحسن الى المائدة ورأى ان الالوان التي كانت تقدم اليه مجهزة بالزعفران والافاويه مما يهيء عادة للمصاب بعقله المبتلى بضعف دماغه ازداد حنقة على البلاد وروسائها . ونهض في الصباح وتهيأ للسير . فحاول الرئيس منعه والح عليه بالبقاء اياماً اخر فلم يقبل

الباطنية

وامّ مصر وخلا بصاحبها اذ ذاك الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . ورغب اليه ان يبعثه داعية الى مذهب الشيعة في بلاد فارس . ولما لم يكن المستنصر على بينة من امر ذلك الرجل الفارسي اراد ان يستوثق منه فأرسله داعية الى مذهبهم في جزيرة سيسليا (صقلية) وما يليها من جنوبي اوربا . فشخص الحسن الى تلك البلاد واقام فيها سبع سنين يدعو الى مذهب الشيعة وينشر تعاليمهم ثم عاد الى مصر واطلع المستنصر على تفاصيل اعماله وما كان من سعيه في نشر المذهب والدعوة اليه مما حمل المستنصر على الثقة به والركون اليه فأرسله داعية الى مذهبهم في بلاد فارس فكان ما كان من تأسيس فرقة الباطنية الشهيرة واغتياله روساء تلك البلاد انتقاما وتشفياً حتى مات

كتب المستنصر الفاطمي ملك مصر كتاباً الى شيعتهم في بلاد فارس وسلمه الى الحسن بن الصباح : يأمرهم فيه باطاعته ومساعدته على بث الدعوة الشيعية وان يعطوه خمس اموالهم الذي اعتادوا ارساله الى المستنصر . فسلل الحسن بذلك الكتاب الى تلك الاصقاع وجعل يجوس خلالها و يدعو أهلها فاطاعوه والتفوا حواليه . وكان اول ما صنعه ان اتخذ لنفسه قلعة في ولاية جيلان امنع من عقاب الجو وهي قلعة الموت الشهيرة في التاريخ . ومن ثمة لقب الحسن بشيخ الجبل . ثم جعل يبني القلاع والحصون في مخارم الجبال والمواضع التي يعسر الوصول اليها او الدنو منها و يشحنها بالعدد والمقاتلة . و بعد ان استوثق من قوته على هذه الصورة شرع في مناوأة السلطان ملكشاه وشن الغارة على بلاده . وقد اصبح ابن الصباح بقواته وحصونه في داخل بلاد ملكشاه مملكة قائمة في وسط مملكة . ولم يكن لينسى عدوه الالد الوزير نظام الملك فارسل اليه من رجاله الاشداء من قتله في خيمة حرمه . وجعل يتتبع رجال المملكة وعظماءها و يقتلهم واحداً فواحدا

ولما كانت عمالة الري « طهران » داخلة في منطقة نفوذ ابن الصباح جاءه عاملها الرئيس ابو الفضل الذي جرى منه في حق ابن الصباح ما جرى — يطلب منه تجديد ولايته وابقاءه عاملاً عليها . فولاه الحسن ولم يرعه بشيء مما كان ينتظر منه لكنه و بخه على ما كان منه قائلاً : انا مجنون في قولي لو كان معي رجلان لازلت ملك هذا التركي ام انت مجنون ! كيف ترى اما أزلت ملكه

والحسن بن الصباح هذا — هو رئيس فرقة الباطنية الشهيرة ومؤسس تعاليمها وما ذكرناه هو مبدأ أمره . ومحصل خبره

ثم مات ملكشاه فتنازع بنوه الملك ووهنوا فقويت شوكت ابن الصباح وتمكن من البلاد

ولما مات في سنة ٥١٨ هجرية جعل خلفاؤه يقومون بعده في ادارة بلادهم وتدبير امر شيعتهم

الحفر والتصوير والبناء

عند اليونانيين القدماء

الاكتشافات الحديثة عن تلك الفنون

يجهل اليونانيون تاريخ نهضة هذه الفنون كما يجهلون اوائل تاريخ تمدنهم فعلى الباحثين المتأخرين ان يمحصوا اقوال المؤرخين المتقدمين قبل ان يقروا على صحتها

ومع اهتمام العلماء في السنين الاخيرة بعلم الآثار وهو من انفس العلوم واجلها مالاً من الفوائد وخصوصاً في تصحيح وضبط الروايات القديمة فان اهل البحث كانوا حتى الثلاثين عاماً الاخيرة يتخبطون في ظلام حالك لقلة المواد التي لديهم فاضطروا الى التسليم بروايات المؤرخين والكتاب المتقدمين امثال هيرودوتس وهوميروس وثيسيديدس مع ما عليه بعضها من الخطأ الفاحش

ولكن الحال تغير اليوم عما كان عليه بالامس وارسل شعاع منير على اطلال مدائن اليونان القديمة في ايام جاهليتها بواسطة الاكتشافات الخطيرة التي حدثت في اثناء الثلاثين عاماً الاخيرة وهان علينا معرفة الصحيح من تلك الروايات والعمل به ونبذ الاخبار الكاذبة ولو اردنا ان نكتب تاريخاً مدنياً اجتماعياً جديداً لتلك البلاد المحيطة بالبحر الايجي في زمن الجاهلية الذي اعقبه عصر الحضارة والتمدن والنور لما تعذر علينا ذلك ولا وجدنا فيه مشقة

ويعزى ذلك الانقلاب الفجائي الهائل الى الاستاذ هنريك شليمان الالماني وهمته العالية التي تغلبت على كل عقبة قامت في سبيله ومكنته من نبش بعض المدن القديمة وكشف اطلالها والعثور على نفائس تملأ عدة متاحف وتكون اعظم واكبر مدرسة لتعليم الفن اليوناني وعلم الآثار اليونانية القديمة . ان شليمان رجل خيالي كثير الادعاء وشديد الميل للبحث عن اشياء لا اثر لها الا في مخيلته ولكن ذلك لا يقلل من اهمية اكتشافاته او ينقص من قيمتها الحقيقية عند الباحثين من العلماء والاثريين

وقد يتعذر علينا رؤية ضريح اغا ممنون وغيره من اضرحة كبار الرجال في ميسينا (ميكينا) كما رآه هو وقد لا نسلم بصحة نظرياته عن مدينة تروادة وقصر بريام ولكنه مكننا من رؤية صورة واضحة جلية للحضارة القديمة التي رسمها لنا هوميروس في

شعره رسماً ضعيفاً واستخراج الحقائق التاريخية والروايات الصحيحة من جملة انباء المؤرخين واساطير الكتاب والشعراء المتقدمين

مثال ذلك نرى في كتابات الاولين انه كان على شواطىء البحر الابيض المتوسط بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ٩٠٠ قبل الميلاد آثار مدنية راقية مقابلة للعصر البرونزي في تلك الاصقاع وعليها آثار تتدرج من ادوات نحاسية او خزفية في غاية البساطة الى مصنوعات فنية محكمة الصنعة تداولتها ايدي التجار وان هذه المدنية الراقية اختفت فجأة او وقفت برهة وقامت على أثرها مدنية احدث واخشن منها مقابلة للعصر الحديدي وبه يبتديء تاريخ الفن اليوناني ثم يسير في طريقه سيراً حثيثاً حتى يصل الى اوج كماله واتقانه . ولكن هذا القول تخالفه الاكتشافات الأثرية الحديثة التي تبرهن ان تاريخ التمدن اليوناني وتاريخ الفن اليوناني يبتدئان في وقت ابعد من ذلك مصداقاً لما قاله هوراس وهو « ان تربة اليونان انبتت رجالاً عظماء قبل اغا ممنون » وتدلنا ايضاً على ان هوميروس لم يتكلم في شعره عن الحالة الاجتماعية بالبلاد اليونانية في العصور الاولى . وقد اشتغلت الافكار كثيراً في امر تسمية هذه المدنية (الاولى) باسم مخصوص فدعاها البعض باسم « يونانية » ولكن البعض الآخر عارض كثيراً في امر هذه التسمية

الميسينيون او المكينيون القدماء

ولما كانت ميسينا - كما يستدل من اكتشافات شليمان - من اكبر المدن اليونانية والآثار التي جمعت من اطلالها القديمة كثيرة جداً فقد اطلق بعض العلماء عليها اسم « ميكينية » على الفن والمدنية الاولين . واصبح هذا الاسم ذائعاً على السن العلماء وطلاب الفن

وعلى كل حال يجب ان يفهم جيداً ان هذه اللفظة المصطلح عليها الآن لا يراد بها تعريف حقبة ولا تجارة القوم الذين اقاموا بتلك الاصقاع حيناً من الزمن وارتحلوا . وسواء اعتبرناهم يونانيين او غير يونانيين فانهم كانوا يشغلون المكان الذي شغلته بعدهم المملكة اليونانية ويمثلون اهل تلك الاصقاع في ذلك العصر المعروف بالبرونزي

وقد حاول بعض العلماء معرفة ما اذا كان هؤلاء القوم هم انفسهم جماعة البلاسجيين الذين اقاموا في عصر الجاهلية الاولى في كثير من المدن اليونانية مثل اتيكا واركاديا وتساليا كما يزعم اليونانيون ولكنهم لم يهتدوا بعد الى نتيجة قطعية . وعلى كل حال نظن

في هذه النظرية شيئاً ولو قليلاً من الصحة . والمشهور ان اليونانيين آشيو الاصل (الاسم الذي اطلقه الشاعر هوميروس على القوم الذين حاربوا مدينة تروادة) وان ميكينيا تمثل عاصمة المملكة اليونانية وقاعدتها الكبرى في ذلك العهد وكانت مقراً لاغنياء الآشيين وامرائهم وحكامهم واصحاب الامر فيهم (امثال اغا ممنون) ويحتمل ان الانقلاب العظيم الذي حدث في تلك الاصقاع اضطر القوم بطبيعة الحال للاشتغال بفن جديد غير فنهم القديم وقد حدث ذلك في ايام الفتح الدوري نحو سنة ١١٠٠ قبل الميلاد

اما الدوريون فقد قدموا في الاصل من سهول اوروبا الوسطى واجتازوا جبال البلقان الى جبال اليونان وسهولها الوسطى ولما قويت شوكتهم زحفوا نحو الجنوب فجأة واخذوا جزيرة المورة عنوة وطردوا الآشيين فالتجأوا الى شواطىء آسيا الصغرى وجزيرة قبرس ولم يكن الدوريون على شيء من العلم كما يستدل من تاريخ نسلهم الاسبارطي . فكان الفن الذي اتوا به معهم جاهلياً بسيطاً خالياً من الجمال وقد ظهر تأثيره في المصنوعات الفنية الخزفية عدة قرون متعاقبة والظاهر انه لم يكن باقياً في ذلك الحين من التمدن الميكيني غير اثر ضعيف اثر تأثيراً غير محسوس في فن الجنس الفاتح الجديد

بقي علينا الآن ان نلخص تاريخ التمدن الميكيني في بضعة كلمات ولهذا نقول :

آثار تروادة والتمدن الميكيني

لا ريب ان اقدم الآثار اليونانية آثار تروادة وجزائر سقلادس في البحر الايجي وكريد وقبرس وقد عثر الدكتور شليمان والدكتور دوريفلد عن آثار مدينة تروادة على بقايا تسع غزوات في طبقات متراصة بعضها فوق بعض تمتد من سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد تقريباً الى الحكم الروماني . في الاولى منها آثار نوليثية جافة غير متقنة الصنعة وفي الثانية آثار من مستظرف راق فظنها شليمان خطأً تروادة التي تكلم عنها هوميروس في شعره وفي ما عثر عليه ادوات من البرونز (الشبهان) واوان خزفية خالية من الزينة والزخرفة

ويلاحظ في الطبقة الاخيرة ان الطريقة المتبعة عند الصناع هي الخلط التام بين الحرف الصغيرة والفنون الجميلة فكانوا يصنعون الآنية برأس مثل رأس الانسان وعنق مثل عنقه وقاعدة مثل قدميه ولكنهم لم يعثروا على رسوم ملونة بالاصباغ ولا تماثيل منحوتة

ونجد من جهة أخرى في الجزائر السقلادية اواني ملونة محكمة الصنعة وانصاباً من المرمر منحوتة نحتاً خالياً من الاتقان والدقة . اما النوع الاول فوجد في سنتورين (ثيرا) ويؤخذ من هيئته انه من بقايا حضارة قديمة دفنها في بطن الارض بركان هائل يصعد تاريخه حسب قول علماء طبقات الارض الى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد وهذه الاواني الملونة اللطيفة (وهي اقدم الاواني التي لدينا من نوعها) مزدانة بصور نباتات طبيعية جميلة واشكال حيوانات بديعة الصنعة

قبرس وكريد

أما آثار جزيرة قبرس فقريبة في هيئتها من آثار ترواده ويحتمل ان تكون معاصرة لها في تاريخ صنعها وتاريخها يصعد الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد المسيحي . وتحتوي مقابر تلك المدينة القديمة على اسلحة مصنوعة من النحاس النقي يستدل من هيئتها انها صنعت في عصر لم يكن فيه الشبهان معروفاً . وقبرس هذه مشهورة من قديم الزمان بمناجمها النحاسية ويحتمل ان تكون هي مهد صناعة الادوات النحاسية فالبرونزية على اختلاف اشكالها وانواعها . اما خزفها فيشبه في هيئته خزف مدينة ترواده وعليه رسوم هندسية منتظمة مؤلفة من خطوط مقطوعة في الطين وهو طري بآلة حادة الطرف . وظلت قبرس عدة قرون ارقى مدنية من سائر الاقاليم اليونانية ثم رجعت القهقرى وظلت تنقل عن الفنين اليوناني والشرقي وتجمع بينهما في مصنوعاتها الفنية زمناً طويلاً

أما في كريد فتجد آثار تمدن قديم تاريخه مجهول فالخزف مثلا يشبه في زينته خزف ثيرا ولكن اسلوبه ارقى واجمل واما الاختام والاحجار المنقوشة التي عثر عليها المستر ارثر ايفانس الاثري فانها قديمة وعليها رسوم واشكال ونقوش فريدة في بابها ويستدل منها ايضاً ان اليونانيين كانوا يكتبون باحرف غير التي يكتبون بها الآن . وقد شرع المستر ارثر ايفانس منذ الانقلاب السياسي الاخير في كريد واستعداد تلك الجزيرة الاثرية القديمة لقبول المكتشفين وعلماء التاريخ والآثار من جميع الاقطار في نبش الاكوام العالية وكشف الاطلال الدارسة وقد عثر على اشياء نفيسة جداً هي الآن زينة المتاحف

وعثر ارثر المذكور في كنوسس وهي القاعدة القديمة لجزيرة كريد على قسم من قصر فخيم مؤلف من عدة طبقات كان يسكنه حكام الجزيرة (بين سنة ٣٠٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد) وقد هدم واعيد بناؤه مراراً

ويستدل من نص الخرافات اليونانية القديمة التي ذكرها هيرودوتس وتيسيديدس ان حاكم كريد الكبير الذي وسع نطاق المملكة باغارته على الجزائر المجاورة له واسيا الصغرى اسمه مينوس والد مينوطور الشنيع الخلقة وكان قد شيد القصر المذكور من اجله . وسيان وجد مينوس او لم يوجد فاننا لا نزال نرى في هذا القصر الفخيم صور مساكن حكام كريد وهي صاحبة النفوذ والسلطان على ما يجاورها من الجزر والاقاليم والبلدان

والقصر الكبير المذكور يشبه التيه الكبير الذي ذكر في روايات المتقدمين ولما كانت كلمة « تيه » في اليونانية مشتقة من لفظ معناه « بلطة » فلذلك رأيت بلطة بحدين مرسومة على اغلب حيطان القصر رمزاً عن ذلك . وفي الجزيرة كثير من الآثار القديمة المصنوعة على أصول الفن المينوسي وفيها مجوهرات ثمينة واوان خزفية مزدانة برسوم متقنة وصور بديعة

ولكن قدر لتلك الجزيرة بان تتقهقر امام تيار تجاري جارف وبراعة فنية غريبة مركزها ميكينا وقصر تيرينس المجاور لها . وقد ارسل اكتشاف شليمان للقصر المذكور شعاعاً فسر وصف هوميروس لمنازل القواد فزاده ايضاحاً . ونرى الآن هيئة القصر بغرفه وقاعاته ودهاليزه الارضية « العقلوسة » ولكن اطلال مدينة ميكينا مع هذا اجمل منه كثيراً

وعلى السائح اذا شاء ان يرى هذا الاثر الفخيم ان يصعد الى التل الذي عليه الحصن ويمر في تلك البوابة الاثرية المعروفة ببوابة الاسد التي غالبت الزمان ولم تغلب فيرى ما يسمونه « الاجورة » او « قصر المجلس » وفيه مقاعد حجرية مستديرة كان يجلس عليها رؤساء الآثيين للمناقشة في المسائل العمومية كما وصفهم هوميروس في اشعاره . وهذه الدائرة الكبرى تحتوي على المقابر الفخيمة التي استخرج منها شليمان مجموعة الحلى الذهبية البديعة والاواني الخزفية الملونة اللطيفة المحفوظة بمتحف آثينا

اما بوابة الاسد وهي اقدم بناء اثري موجود للان ببلاد اليونان وشيد حسب فن العمارة الدوري القديم عقده مصنوع من صخرة ضخمة فوقها عامود رفيع مستدق الطرف الاسفل فوقه تاج مستدير الشكل مستوي السطح حول عنقه طوق من الزخارف المستديرة المقببة ويكتنفه جناحان على شكل اسدين رابضين بديعي الصنع تخامرهما الفروسية الشرقية . وعند سطح التل المقابر المعروفة من قديم الزمان باسم « بيت المال » او « قبر اتروس » وقبر كليتمنسترا وكان الاول مزداناً بصفائح من

البرونز وكرانيش مطلية بالمينا الزرقاء كالتي وصفها هوميروس في شعره

ومدخل القبر مسند بعامودين مستدقي الاطراف احدهما مزدان باربطة على هيئة خطوط لولبية . وقد وجدت قطع من هذين العامودين في سنة ١٨١٠ وانتقلت الى يد الماركيز اف سليجو فاهداها الى المتحف البريطاني وهي هناك

الفن الميكيني

ويظهر الفن الميكيني بابهى حلله في الصور والادوات المعدنية . اما فنا الحفر والعمارة فكانا متأخرين الى ذلك الحين . وقد وجد بانكومي (في قبرس) كمية كبرى من الحلي الذهبية على كثير منها نقوش محكمة الصنعة ورسوم لطيفة على المينا وقطع من العاج عليها صور حيوانات واوان من القاشاني (الزليزلي) على هيئة رؤوس اشخاص وحيوانات تشبه في شكلها الاواني المصنوعة بواسطة القوالب التي شاع استعمالها بعد ذلك بزمن طويل

اما رسوم الحيطان في تيرنيس وكنوسس فجميلة جداً وعليها اشكال حيوانات واشخاص تمثل للرائي كانها حية وترى هذه المهارة بعينها في نقش الجواهر النفيسة التي وجدت في قطعة من آنية فضية قديمة وجدت بميكينا سنة ١٨٩٠ عليها رسم موقعة حربية وحصار مدينة وفي جملة كؤوس وجامات بمقابض من الذهب يظن البعض انها مصنوعة على مثال كاس نستور المذكور عرضاً في الالياذة

وأجمل من ذلك كله الكؤوس الذهبية التي عثروا عليها في مدينة فافيو بجوار اسبارطة وعليها نقوش محكمة الصنعة مثل منظر اسر الثيران وهي الطف ما صنعته كف الصانع والاواني التي وجدت في اجيا ترياد ها بكريد ناهيك بالاواني الخزفية الملونة المزينة بالمناظر البحرية كصيد الاسماك واشكال الاعشاب المائية وما شاكلها لانها بديعة الصنع جداً ولا تقلّ جمالاً ودقة عن اجمل ما صنعته يد الصانع

الى هنا يدور البحث عن بقايا العصر الجاهلي الحقيقية التي وجدت بتربة اليونان وهي توضح لنا صورة التمدن في ايام نهضته الاولى اكثر مما توضحها لنا الروايات التي لدينا حتى روايات هوميروس نفسها . ولكن علم الآثار من هذه الوجهة وحدها يعد ناقصاً ويجب على كل حال تطبيق الروايات القديمة على الاكتشافات الأثرية . وقد استنتجنا من الابحاث الأثرية نتيجة يمكن ان تتخذ قاعدة وهي ان جميع الاخبار والروايات القديمة سواء كانت خرافية او واقعية لها نصيب ولو قليل من الصحة

اصل الميثولوجيا

وقد وجد عند اليونانيين بوجه خاص وعند الامم الاخرى المتمدنة بوجه عام آثار قديمة يصعد تاريخ بعضها الى الدور الجاهلي وطقوس دينية واحتفالات موسمية بعضها تشتم منه رائحة الخشونة التامة والهمجية لم يعرفوا مصدرها ولا حقيقتها ومنها كونوا التاريخ الخرافي الميثولوجي المعروف . واوجدوا اشخاصاً تخيلوهم ووزعوا عليهم تلك الآثار والاعمال ونسبوها اليهم . وبذلك تكون التاريخ الخرافي المعروف عند علماء الآثار بعلم الميثولوجيا فنسبوا مباني تيرنيس وميكينا القديمة الى الجنس الصقلوبي الغريب الذي قدم من ليسيا « ليكيا » وبنى الاسوار لامراء البلاد فاطلقوا لفظة « صقلوبي » على ذلك الشكل المخصوص من البناء ذي الكتل الحجرية غير المنتظمة

وكانوا يعتقدون ايضاً ان هؤلاء الاشخاص الخرافيين الذين ولدتهم بنات افكارهم وتصوراتهم ماهرون في صناعة المعادن وهذا على ما نرى هو المصدر الحقيقي للقصص التي رواها اليونانيون عن الدكتيليين بكريد والهلياديين برودس . وهم الذين صنعوا تماثيل الاشخاص والحيوانات التي كانت تسير في الطرق بحركات ميكانيكية والناس يظنون انها سائرة بقوة الهية

الحفر والنقش

اما اختراع الحفر والنقش والنحت فقد نسبوه الى شخص خيالي سموه دايدالوس يشك اليونانيون انفسهم في صحة وجوده . ويزعمون انه « اول من صنع تمثالاً يمشي بنفسه » اي بقوة الهية غير منظورة . والمراد من ذلك انه اول من صنع تمثالاً مكوناً من اجزاء متحركة لا يربطها غير مسامير او ما يشاكلها وسنرى في الابواب التالية ان هذه الطريقة في عمل التماثيل شاعت شيوعاً عظيماً في بعض العصور وصارت احدى مميزات الفن في دور من الادوار . وشاهد بوزانياس الاصنام القبيحة الاشكال تعبد في بعض المعابد اليونانية . ولاحظ انهم ينسبونها لدايدالوس المذكور آنفاً فقال : « ان اعمال دايدالوس تأنف من رؤيتها العيون ولكن فيها روح خفية الهية » وهذه الروح الخفية هي على ما نظن سر تقدم فن الحفر اليوناني اذ كان الصانع يرى عمله ستحل فيه الروح فيجتهد في اتقانه

وهنا مسألة في غاية الاهمية كان عليها مدار البحث في المجتمعات العلمية الكبرى وهي : « ما هي علاقة التمدن الميكيني بالتمدن الذي وصفه هوميروس وهو التمدن الآخي »

يشاهد الباحث في طرق الدفن والاسلحة وملابس النساء ان بين وصف هوميروس لها ونتيجة المباحث الاثرية بوناً عظيماً مع الاتفاق التام بينهما في كل شيء

آخر . واحسن حل لهذه المشكلة قبول نظرية ان التمدن الميكيني هو بعينه التمدن الآخي وان هوميروس كان يصف حالتين اجتماعيتين احداهما كانت في عصره والثانية كانت في الاحقاب الخوالي جاءته من روايات المتقدمين او عرفها بالظن

وما قلناه عن التمدن نقوله ايضاً عن الفن وان اكثر ما رواه الشاعر المذكور مبني على حالة الفن في عصره مع توسع في الشرح حسب ضرورة الشعر واضافة ما قاله المتقدمون عن مجد بلادهم . وعلى كل حال يجب التعويل على روايات هوميروس التي تكلم فيها عن نهضة الفن مع الانتباه الكلي والحذر مخافة الزلل اذ بين الاعمال الفنية اشياء تكاد تكون خرافية لا وجود لها الا في الفكر كآلة هيفائستوس الميكانيكية بالالياذة . والفتيان الذهبيون في قصر الكينوس بالاوديسي ولكن عدم صحة هذين الشيئين لا يمنع ان يكون غيرهما صحيحاً كمنازل منلاوس والكينوس المصنوعة من الذهب والبرنز الوارد ذكرها بالاوديسي وفي التاريخ القديم اشياء مماثلة لها كما ان طرق الزخرفة بصفائح البرونز وكرانيش المينا الزرقاء لها اشباه في فن العمارة الميكيني

وليس لدينا شيء يستحق الذكر عن فن النقش على الجواهر النفيسة والاواني الخزفية الملونة مع انها كانت معروفة في ذلك العهد ولكننا نقول شيئاً عن المصنوعات المعدنية المحكمة الصنعة مثل ريشة صدر اوديسيوس المرسوم عليها منظر كلب يقتل ظبياً وعصابة كتف هرقل فان لها اشباهاً ونظائر في الفن الشرقي

ترس اشيل

أما ترس اشيل الوارد ذكره بالالياذة فهو بالحقيقة اشهر المصنوعات الفنية التي وصفها هوميروس. وتركيب هذا الترس البديع لا يختلف كثيراً عن الاتراس الاعتيادية المعروفة ولكن اتقان التركيب وكثرة المناظر والاشكال المرسومة عليه ليس لها مثيل في الاعمال الفنية التي صنعت في ذلك العهد في مصنع المعبود الذي كان يحمله

اما الرسوم التي على الترس فهي عبارة عن شكل الكون وما يحيط به من اوقيانوسات وبحار ومناظر من الحياة الاجتماعية وما شاكلها . ويظهر من كلام الشاعر ان هذه الرسوم لم تصنع بالحفر بل بلصق المعادن المختلفة المعروفة بالتكفيت لكثرة الالوان واختلاف انواعها

وان تكن تلك الاشكال مأخوذة من مناظر اجنبية فان تصور هوميروس يتخلله الروح اليونانية ويظهر منه تقدم الفن . الا ان الفن اليوناني وخصوصاً الحفر كان في عهد انشاء هذه القصائد قد اخذ يسترد بعض قواه التي تجرد منها على اثر الفتح الدوري

ويلاحظ في الاواني الخزفية المصنوعة بعد العصر الميكيني ان الجمال الفني وخفة الروح والحياة التي كانت ظاهرة في رسوم الحيوانات والاشخاص ابدلت برسوم هندسية خشنة تدل على انتشار الهمجية . على ان فيها شيئاً من التناسب الهندسي والترتيب الفني والجمال الصناعي . اما رسوم الحيوانات والاشخاص التي صنعت في العصور التالية فانها قبيحة جداً . وقد دوّن الرحالة بوزانياس وصفاً لعملين فنيين قديمين

صندوق كيبسلوس

هما صندوق كيبسلوس وعرش ابولون في اميكلا وكان الاول في هيكل هيرا باولمبيا وهو احدى الهدايا التي قدمها طغاة كيبسليد بكورنثة في اوائل القرن السادس قبل الميلاد لذلك الهيكل وهو من نوابغ الصناع في تلك المدينة ولا ارى سبباً يدعو القوم للظن بان ذلك الصندوق هو الصندوق الذي خبيء فيه الغلام كيبسلوس كما هو مذكور في اساطير الاولين

وكان هذا الصندوق مصنوعاً من خشب الارز والاشكال المرسومة عليه بعضها مصنوع من العاج والبعض الآخر من الذهب وبعضها من نفس خشب الصندوق والزخارف المذكورة مقسمة الى خمسة افاريز على الافريز الاوسط رسم يمثل التقاء جيشين وعلى العلوي رسم زواج بيلوس من تيتيس ومعركة هرقل مع السنتوريين . والافاريز الثلاثة الاخرى مقسمة الى مجموعات ميثولوجية او اشخاص عليهم مسحة دينية وهنا يلاحظ الفرق العظيم بين هذه الرسوم ورسوم ترساشيل المأخوذة صوره من مناظر الحياة المنزلية

واما عرش ابولون في اميكلا قرب اسبارطة فكان ناقشه وراسم اشكاله الصانع باسيكلس وهو احد الصناع في مغنيسيا بآسيا الصغرى ويحتمل ان ذلك الرجل كان موجوداً في عصر كروسوس نحو سنة ٥٦٠ ـ ٥٥٠ قبل الميلاد ولكن وصف بوابياس لهذا الاثر ضعيف بالنسبة لوصف الصندوق ولا يمكن باي حال من الاحوال ان يتصوّره القارئ كما يتصور صندوق كيبسلوس . اما تمثال المعبود الجالس على ذلك العرش فكان جاهلياً اي اسطواني الشكل ضخم الحجم والقاعدة والعرش مزخرفان بنقوش لطيفة بارزة

الفن اليوناني والفنون الشرقية

وتعترضنا هنا مسئلة هامة وهي : « ما هي علاقة الفن اليوناني بالفنون الشرقية بمصر واشور وفينيقيا ومبلغ تلك العلاقة »

وقد اشتغلت الافكار كثيراً في البحث عن نسبة الفن اليوناني في ابان نهضته الى الفنون الشرقية ثم انقلبت دفة الاحوال وانعكست الامور خصوصاً بعد الاكتشافات الأثرية الميكينية الاخيرة

ومن الخطأ ان نبني النتائج على التشابه الظاهري في مميزات الفنون ايام نهضتها . يقولون في الامثال « ان جميع الاولاد يرسمون رسماً اشورياً » وتشابه الفنون في ايام نهضتها لا يستدلُّ منه على انها مشتقة بعضها من بعض وانما هو يدلُّ على سبب طبيعي يجعل المبادئ واحدة وسببه التشابه الغريب بين الطبائع البشرية كالتشابه الغريب بين الخزف اليوناني في اقدم ازمانه وخزف القبائل المتوحشة او النصف متمدنة كالبروفيين وقبائل افريقيا الشمالية

قال احد المشتغلين بالفن اليوناني ان اليونانيين اقتبسوا فنونهم من الشرقيين كما اقتبسوا حروف الهجاء واذا فحصنا هذا القول وجدناه يدل فقط على ان اليونانيين استعملوا طريقة التعبير عن الاغراض والافكار في المواد الصلبة كالرخام والاحجار والبرونز الخ وهذا امر عام عند الامم . ومن الخطأ ان يفهم منه انهم (اليونانيين) اخذوا من الشرقيين غير ما اخذه غيرهم منهم او عن سواهم كما سنذكره

ان بقايا الفن المصري القديم الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد تدلُّ على ان المصريين تمكنوا بعد الجهد من تقليد الطبيعة ولكن هذا الفن القديم ضاع قبل ان يستطيع اليونانيون الاستفادة منه . ثم اتى عصر الرمسيسيين وغيرهم من الملوك المصريين الذين اقاموا المباني الفخمة والتماثيل الضخمة الدالة على ماكان عليه اولئك الملوك من الظلم والقوة وشدة البأس ابعد زمناً في تاريخ التمدن المصري وتاريخها يتفق مع تاريخ الحقبة الميكينية في بلاد اليونان . ومع اننا نرى آثار التشابه بين المصريين واضحة تمام الوضوح فلا يمكننا الحكم ان في الفن الميكيني شيئاً من مميزات الفن المصري القديم وخواصه الا في بعض الامور الطفيفة . وبالفعل لم يكن هناك علاقة صحيحة بين مصر واليونان الا في العائلة السادسة والعشرين في حكم الملكين الكبيرين بساماتيك (٦٦٤ — ٦١٠ ق م) وامازيس وكان الفن اليوناني قد ترقى كثيراً وقرب من درجة الكمال

واما علاقته بالفن الاشوري فمثل علاقته بالفن المصري اي ان الفن الاشوري كان مقدماً في النقش البارز والغائر بنمرود ونينوي (كويونجيك) ولكن تأثيره لم يظهر بالقوة نفسها التي ظهر بها الفن المصري

والفن اليوناني مدين للفن الاشوري باشكال الزينة والزخرفة اكثر من طرق الصناعة

والاساليب الفنية والمتامل يجد ان الاسود والجياد والوحوش (المجنحة) التي تشتمل عليها الزخارف الاشورية والرسوم المطرزة كلها نموذجات يعتني بالنقل منها وتقليدها اليونانيون مع اضافة اشياء من عندهم يزيدها رونقاً ولم تكن بين المملكتين الاشورية واليونانية قبل الملك الاشوري سرجون (في القرن الثامن قبل الميلاد) علاقة حتى في ذلك العصر لم تكن العلائق متينة

اما الفينيقيون فقد كانوا واسطة التعارف بين الامتين ولم يكن تأثيرهم الفني يستحق الذكر لانهم كانوا يصنعون الاشياء الفنية للاتجار بها لا لاستعمالها وهي توجد في اغلب الاقاليم المحيطة بالبحر الايض المتوسط مثل قبرس وسردينيا واترور يا و يندر وجودها في فينيقية نفسها لانها لم تصنع لها . اضف الى ذلك ان تاريخ اغلب الآثار الفينيقيـة اتى متأخراً لا يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد وهذه الآثار تمتاز عن سواها من آثار البلاد الاخرى بخلطها الغريب بين الاشكال المصرية والاشورية

وكان تأثير الفينيقيين شديداً في قبرس بين سنة ٨٠٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد وعلى الخصوص في النقش والمصنوعات الخزفية التي كانت تصنعها تلك الجزيرة على ان الفن القبرسي حفظ شيئاً من استقلاله ولم يصر في وقت من الاوقات فينيقياً محضاً . وفي اناشيد هوميروس وخصوصاً الاوديسي ادلة على علاقة تجار الفينيقيين ببلاد اليونان . والغالب انهم احتلوا كاميروس بجزيرة رودس وغيرها من البلدان في البحر الايجي بدليل ما وجد من البقايا المشتملة على الاواني الزجاجية التي جلبوها معهم اليها

على ان نهوض اليونانيين واتساع تجارتهم في القرن السادس اخرج الفينيقيين من بحر ايجي الى شواطيء البحر الايض الغربية فاختفى اثرهم من البحر الايجي

ومن نتائج اتساع التجارة اليونانية ظهور المدارس الفنية المختلفة في اقاليم البحر الايض واشتغال كل منها بطريقة مخصوصة . ففي قبرس وآسيا الصغرى وصقلية ولقراطس (بمصر) وفي سيرين (بشمال افريقية) وغيرها من المدائن والبلدان الصغيرة ظهرت حركة فنية لا تقل عن التي كانت في بلاد اليونان نفسها

اما تاريخ الفن اليوناني في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد فما هو في الحقيقة الا خلاصة تاريخ الاتحاد التدريجي للمدارس الفنية المختلفة ثم انضمامها اخيراً تحت لواء واحد في اثينا عروس المدائن والبلدان في ذلك الزمان وربما أتينا على تاريخ ذلك في فرصة أخرى

مصر شكري صادق

الحرية والمساواة والاخاء

واسباب السعادة

ما زال الانسان منذ القدم حليف الاهتمام بالغد وبما يكنه له من سعادة او شقاء آخذاً لذلك كل ما يسعه عقله من الاحتياط لتقليل المضر به واكثار المفيد له محاولاً نيل البغية بمداركه العقلية التي زينه بها الخالق عز وجل وميزه بها عن سائر المخلوقات وما برح يخترع ويكتشف ويورث اكتشافاته ذرية بعد أخرى ووجهته الوحيدة تلك الغاية القصوى غاية الحصول على « السعادة » التي لا نجسر ان نسميها سعادة مطلقة رغم الوف الاجيال التي عبرت مع مواصلة السعي في نيلها . اذا قابلنا حالة الانسان في ابتداء النشوء بحالته الحاضرة جاز لنا ان نحكم فوراً بوجود عامل خفي في القلب البشري ليرفع به ابداً الى الارتقاء من درجة كاملة الى درجة اكمل . ولعل هذا العامل سر اودعه الله في الطبيعة ليعمل بموجبه كل ما فيها فيدرك الكمالات تحت ظواهر ركضه وراء المنفعة الذاتية . وهكذا يكون الخالق قد لطف على المخلوق مرارة اجتيازه مشاق الحياة بلذة تمتعه بارتقائه تدريجاً في مهد الايام . اما مدة زمن الوصول الى فردوس السعادة الحقيقية فهي نقطة الاستفهام السرمدية نظلُّ نتهجاها في كتاب حياتنا الحاضرة ولا نستطيع ان نتصور خيالها في حياتنا العتيدة جاهلين ما هو معدود لنا من وراء ظلمة القبر كما جهلنا امس وجودنا في ظلمة الرحم . فالسعادة مهما توفرت لمخلوق فلا تزال لديه سعادة نسبية محدودة بمقدار ما توفر بشخصه من الاهلية والمعارف والصفات الحسنة وبمكانه من فوائد المحيط ولا فائدة بمحيط غير مترابط الاجتماع او متضامن الانتفاع . وخير اجتماع ما توحدت غاية افراده وتعززت قوات احاده وتماسكت قلوب ابنائه بعرى الحرية والمساواة والاخاء الحقيقية . أجل اننا لا نتلفظ بالحرية والمساواة والاخاء الا بالفرح لما توحيه هذه الالفاظ الثلاث من سحر العذوبة الى كل قلب بشري . كيف لا وهي اشرف رمز على عتق الانسان من رق عبودية القوانين الظالمة واسطع نبراس تهتدي بانواره الامم في طريق رقيها المكتنف بانواع المصاعب الى اقصى

مراميها — الى السعادة الى الرفاه الى حسن التفاهم الى تسهيل المعاملات الاجتماعية وتلطيفها الى توثيق عوامل المحبة الى بسط جناحي العدل الى استتباب الراحة العمومية . وما اجمل ذلك المشهد العجيب اذ تصبح العائلة البشرية متصافحة الايدي متعاونة بعضها مع بعض على اجتياز مشاق الحياة المؤلمة دائبة على استنطاق الطبيعة الخرساء لاكتشاف كنوز اسرارها المحيية بلسان العلوم الحقيقية التي بدونها يظل الانسان مكبلاً ابداً بقيود جهله لا ميزة له عن الحيوان الابكم . وعبثاً نحاول الحصول على نتيجة آيتنا هذه المقدسة ان لم نرسم حروفها على صفحات قلوبنا ونجد معانيها قوتاً لنفوسنا ومبدأ لكل حركة من اعمالنا

فالحرية وان تعدد تحديدها بين العلماء والكتاب فالبق تحديد لها هو « استطاعة الانسان ان يفعل كل ما يشاء بشرط الا يضر بقريبه » او ما قد سبق وفاه به يسوع الناصري « لا تفعل بالغير ما لا تحب ان يفعله الغير بك » منشأها الطبيعة وقاعدتها العدل وحاميها الشريعة . فبهذا التحديد ليس فقط نفهم الحرية ولكننا نفهم خصوصاً اي متى تصبح الحرية من حقوق الافراد وان الشرائع لم تكن الا للمدافعة عنها وعن كل فرد قد حرمها بالعنف والجور . فهي مطلب طبيعي يطلبه الانسان منذ دبت فيه الحياة . وكما انه يستحيل ارغام مجاري المياه ان تعود الى اصلها كذلك يستحيل على الانسان ان يرغم الانسان على عدم طلب حريته والتمتع بها . خير للانسان ان يحرم وجوده من ان يحرم حريتي القول والعمل

كل الاديان على اختلاف منازعها ومبادئها قد اتفقت على منح الحرية اذ ليس بالحرية ما يغاير النصوص الدينية . فالحرية وحدها لا غيرها ترقي الشعوب وتدفع بها الى معارج النجاح . نعم ان فوائدها تكون اعم متى عمل بها في الشعوب الراقية انما بالوقت نفسه يكون من الخطأ الكبير ان نتصور بان لا حق لشعب بحريته ان لم يكن مجموعه بتمام الاستعداد لقبولها . اذ يستحيل على اي شعب كان ان يحسن العمل بالحرية ان لم يسبق له استعمالها فباستعمالها يتوصل تدريجاً الى حق معرفتها ويحترم حدودها حتى ان الاختبار ابان لنا ان جهل استعمال الحرية مع الحرية لأفضل من الحرمان منها فهي وان اضرت مع الجهل فانها كحراب آشيل تشفي الجراح التي عملتها وهي

كالخبز اليومي لا تكتسب الا بعرق الجبين . فيكون من مجد البلاد العثمانية وفخرها ان تحافظ على نعمة الحرية التي حصلت عليها بعد شق المرائر وتوالي الازمان وذلك بكل قواها ونشاطها وحسن سلوكها لانها نظام الانسان كما ان الحركة هي نظام الاكوان

أما المساواة فلا يراد بها مساواة افراد الهيئة الاجتماعية بالثروة أو تقسيم الثروة على الافراد كما يتبادر لمفهوم البعض لانه لو امكن توزيع الثروة البشرية على افرادها بالسواء لما مضى زمن الا واضطررنا الى اعادة العملية لاختلاف طبقات المواهب والقوى العقلية بين الناس . فمن كان نبيهاً نشيطاً يتوصل تدريجاً بنشاطه ودرايته الى كسب الاموال الكثيرة فتقلّ او تضمحل اموال من كان خاملا كسولاً فترجع ميزانية الاموال البشرية الى حالتها الحاضرة فعليه لا فائدة من التفكير بتوزيع الاموال بالمساواة على الافراد لان ذلك يستحيل كما يستحيل جعل الناس طبقة واحدة

وانما المقصود من المساواة المساواة امام القوانين اذ يعتبر الامير كالفقير وابن الكناس كابن القصور بدون فارق ولا تمييز والمساواة بالتعليم اذ تفتح الحكومة لاولادها ابواب المدارس الابتدائية فالمتوسطة فالعالية ليتسنى لكل فرد ان يتمتع باكتساب العلوم والمعارف والصنائع وان تجعل التعليم امراً اجبارياً ليتحتم على الاهل العمل بموجبه آخذة على عاتقها تعليم وتهذيب اولاد الفقراء والمقعدين الذين لا استطاعة لهم على وضع الرسوم المدرسية . وهكذا تنمو الامة بنمو افرادها فيصير مجال أوسع لكل فكرة ان تبدي من مكنوناتها كل ما تبتدعه الى حيز الوجود ولا فرق تأتى ذلك عن قريحة الوضيع ام الرفيع . فكما انه لا وطنية بدون حرية كذلك لا مساواة بدون تعليم المعارف والصنائع على اختلاف طبقات الشعب فكما أن الماركيز كوندورسه والكونت ميرابو قد اوجدا في فرنسا تغييرات ذات اهمية وفائدة كذلك عدد غفير من رجال الفقراء الذين لم يجروا اذيال الفخامة والنبل قد اتوا بالاصلاحات الجمة التي سطرها لهم التاريخ باحرف ذهبية يتناقلها الخلف عن السلف . فالمساواة حق مقدس وهبه الله لكل مخلوق اذ خلق الجميع عراة على هيئة واحدة وتركيب واحد. لنتذكرنَّ ابداً اننا متضامنون وان ما يولم الفرد فانه يولم المجموع واننا لا نعد احراراً متساوين الا اذا كنا اخواناً .

فالاخاء منزلتهُ من الحرية والمساواة كمنزلة الروح من الجسم الانساني لا سلطة

عليه من الشرائع المدنية لانه عاطفة روحية مصدرها السماء ولا سلطة للشرائع البشرية على شرائع الله . فالبغض مهما عظم وظل مكنوناً في طيات القلوب لا يتسنى للشرائع ان تعاقب المبغض على بغضه الا اذا عمل بذلك البغض واضرَّ بقريبه فعلاً فعندها تتداخل بالامر وتقاص الفاعل على فعله

فالاخاء هو كمال الحرية والمساواة كطيب الازهار المكمل جمالها وروتقها فكم نجني على سوانا اذ نقتص من الغير لمجرد كونه لا يعتقد معتقدنا ولا يفتكر فكرنا . دع القريب يفتكر بحريته ويعتقد كيف شاء واهتم باتمام واجب واحد لا غير وهو ان تعامل مثيلك بالبشرية بالرفق والمحبة والعدل كما تعامل نفسك . فلو فعل كل فرد منا هكذا لاستغنت الامة عن الحكومات والحكام وعن كل ما تتكبده من الاموال الطائلة للحراسة وسن الشرائع وبناء المدرعات وشراء الاسلحة وحشد الجنود العديدة الى آخر ما رزحت وسترزح تحته من الاحمال الثقيلة اكبر دول الارض . لا تنتظر من مثيلك ان يعاملك بالخير لتبادله بمثله كن انت البادئ بمساعدته وعضده ونفعه فيشرف فعلك وتسمو نفسك وتعظم كرامتك ولكنك اذا بادلته بما كان قد سبقك اليه من الخير فلست الا وافياً ديناً كان مستحقاً عليك وفاؤه

اقام المعجبون بالبارون تاليور الفرنساوي تمثالاً له في احدى فسحات بولفار سان مارتين الجيل المجاور لساحة الحرية في باريز وكتبوا على احدى جوانبه ما هو مأثور عن البارون « ساعد قبل ان تساعَد فهكذا تشرف المساعدة كلاً ممن يبذلها وممن يقبلها »

مهما كان من صحيح الشرائع وفاسدها ومهما كان من استئثار اغلب الناس بالثروات الكثيرة وبذلها على رفاههم دون التفات الى المساكين فكن انت يقظاً متمسكاً ابداً بحب مساعدة الفقير جهد استطاعتك قولاً وفعلاً لان فعلك يساعد على تعليم الخير العام وفعل غيرك يناقض المبادي الصحيحة ويعاكس انتشار الخير العام ويحاول مضادة سيره الى قمة الارتقاء المتصاعد اليها ولا ينفع الا بعض الافراد . فمثله مثل الطيور الكاسرة التي تحوم على جثث القتلى في المواقع الدموية فانها تستفيد من لحومها أما الهيئة الاجتماعية فانها تخسر اصحابها

باريز يوسف اسعد رحيم

باب السؤال والاقتراح

فراسة الكف وفراسة الايدي

(الاسكندرية) جرجي افندي نعمة الحايلي

جاء الاسكندرية من مدة وجيزة بعض الشبان وادعى بانه ذو المام بعلم قراءة اليد وانا اجهل هذا العلم من الوجهة العلمية فعارضته ولم اصدقه وسفهت معتقده ونسبته للادعاء الفارغ لاعتقادي انه لاعلاقة بين خطوط اليد ومستقبل الانسان خيراً كان او شرّاً وبعد جدال دار بيني وبينه طلب مني ان ابسط له كفي فبسطتها فاخذ ينظر بامعان كلي واستعلم عن عمري تماماً وانا في الاربعين من العمر فبدأ يذكرني باايامي الماضية كما حصل لي تماماً لا بل كان يفكرني بحوادث انتابتني من الصحة والمرض والتوفيق وعدمه كنت اجهل تاريخها لو لم يذكرني بها فوجدت كلامه صحيحاً وعجبت وعجب الحاضرون وقلنا لا بد من امتحانه مرة ثانية . فاحضرت بعض اصحابي ولم يكن له بهم سابق معرفة على الاطلاق وبعد ان تفرس بكف كل منهم شرح احوالهم وحدد اعمارهم كم يعيش كل منهم وما سيصيبهم في المستقبل كل سنة من السنين من نحس واقبال . واجمعنا على ان نستفتي حضرتكم عما تقدم والسؤال عن هذا العلم هل هو صحيح واين يدرسونه ومن هم اساتذته وما هي العلاقة بين خطوط الكف ومستقبل الانسان

﴿ الهلال ﴾ ان علم فراسة الكف او قراءة اليد فرع من علم الفراسة العام ذكرنا خلاصته في كتابنا علم الفراسة الحديث . وقد الف فيه بعضهم كتاباً مستقلاً باسم علم قراءة اليد . وهو من العلوم القديمة ويسمى في اصطلاح الافرنج Palmistry وكانوا يستدلون به قديماً على مستقبل الناس وما يلاقونه من السعد او النحس مما لا يخرج عن حدود الخرافة . على ان الافرنج درسوه في تمدنهم الحديث فوصلوا الى نتائج بنوها على ما في بطن الكف من الخطوط استدلوا بما تكون عليه من الطول والقصر والاتجاه ونحوها على احوال الناس واعمارهم ومآربهم — وخلاصة ذلك ان في الكف من قواعد الاصابع الى الرسغ ميازيب او اخاديد بينها ارتفاعات تختلف كبراً وسعة . وعبروا عن الميازيب بالخطوط

وعن الارتفاعات بالاكمات • وجعلوا لكل منها اسماً من اسماء الكواكب او بعض الاعضاء ـ فلنبدأ بالخطوط العرضية ـ فالخط المعبر عنه في الشكل بالرقم ٥ يسمونه حلقة الزهرة . والخط ٣ خط القلب و ٦ خط الرأس • واما الخطوط الطولية فالخط من ١ – ٢ يسمونه خط زحل . والخط ٧ ـ ١٠ خط ابولون . والخط ٨ ـ ١ الخط الكبدي، والخط المنحني من اصل الابهام الى الرسغ اسمه خط الحياة . وقد يكون مفرداً او مزدوجاً كما في الشكل

خطوط الكف

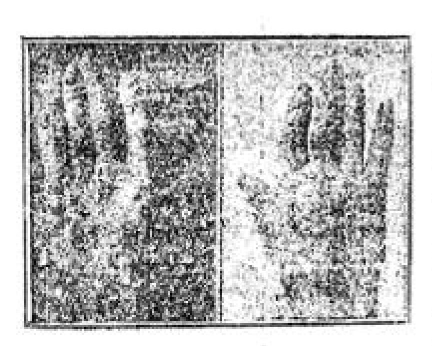
واما الاكمات فمنها عند اصول الاصابع رقم ٤ اكمة جوبتير و ٢ اكمة زحل و ٧ اكمة ابولون و ٨ اكمة المشتري ويسمون المسافة بين خط القلب ٣ وخط الرأس ٦ في بطن الكف «سطح المريخ» والمسافة الواقعة في طرف الكف تحت الخنصر اكمة المريخ وتحتها اكمة القمر • والارتفاع تحت الابهام ١١ يسمونه اكمة الزهرة

ويبنون على نسبة هذه الخطوط بعضها الى بعض واشكال الزوايا الواقعة بينها اقوالاً قلما تفرق عن اقوال القدماء من حيث ضعف دلالتها وقربها من الخرافات

ولكن يقال بالاجمال ان كثرة الخطوط وعمقها تدلان على العمل . وان صاحب تلك اليد عامل نشيط . وقلتها مع ضعف ظهورها يدل على الخمول او الضعف ولا يعتدُّ في ما خلا ذلك

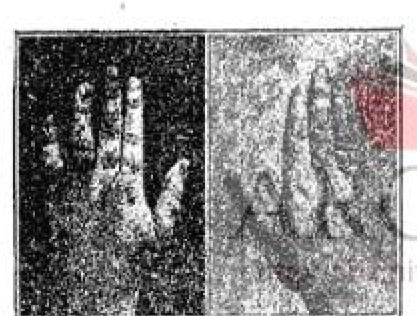
ولعلماء الفراسة نظر في الايدي من حيث شكلها الخارجي بقطع النظر عن الخطوط المتقدم ذكرها وهذا ما عبرنا عنه بفراسة الايدي فهم يقسمون الايدي الى ثلاثة اقسام تبعاً لمزاج اصحابها : وهي ١ المستطيلة العظمية ٢ القصيرة اللحمية ٣ النحيفة • فالاولى يد صاحب المزاج العضلي والثانية يد صاحب المزاج الحيوي والثالثة يد العصبي فاذا عرفت ذلك هان عليك معرفة اخلاق اصحابها

على ان بعضهم نظر في الكفوف نظراً آخر فقسمها الى ثلاثة اشكال جعل لكل شكل دلالة خاصة ١ الكفوف المحددة ٢ الكفوف المخروطية ٣ الكفوف المربعة



كف محددة لرجل   كف محددة لامرأة

١ الكفوف المحددة : يقرب شكل اصابعها من المغازل ولذلك سموها ايضاً « الكف المغزلية » اظفارها لوزية الشكل تشبه براثن الكواسر وتدل عند اصحاب هذا الفن عَلَى طيش صاحبها واهماله واسرافه وكذبه وصلابة قلبه وقلة احساسه و يقولون « اجمع بين اليد المحددة واليد المخروطية وابعدها عن المربعة لئلا تقتلها » ومحددات الايدي ذوات احلام واوهام لا يعرفن تدبير المنزل ولا يقدرن عَلَى ادارة العائلة يحببن اولادهن ولكن لا يعرفن كيف يربينهم . وترى في الشكل صورة كف اميرة تزوجت ثلاث مرات وافترقت عن ازواجها الثلاثة بالطلاق



كف مخروطية لرجل   كف مخروطية لامرأة

٢ الكف المخروطية : يشبه شكلها لاول وهلة شكل الكف المحددة لكن اصابعها تنتهي باطراف مستديرة . و يقولون ان من حظي بالحصول عَلَى زوجة يدها مخروطية كان سعيداً لانها افضل الايدي من حيث الزواج . والسبب في ذلك انها مع خلوها من نقائص اليد المحددة فهي ايضاً خالصة مما في اليد المربعة من حب الاثر والشدة . وهي تدل عندهم على النباهة وحسن السياسة وحب الوفاق والسلام والامانة والشعور بالواجب مع قوة الحكم والحنو والصلاح . فهي خير كف يجب التماسها في الزواج وصاحبها يوافق صاحب اليد المحددة وصاحب اليد المربعة لانه متوسط الاخلاق بينهما

٣ اليد المربعة : وهي يد الاساتذة والعلماء وذوي العقول السامية والرياضيين واهل الحزم والهمم العالية والاقدام ورابطي الجأش وارباب الرئاسات واصحاب الامر والنهي . وهم في الغالب اهل طمع واثرة يحبون ذواتهم و يستهلكون في سبيل الاستقلال . فلا تتوقع منهم الحنو والرقة .

كف مربعة لرجل   كف مربعة لامرأة

وقد يكونون حسني السريرة لكن بدون انعطاف . وهم لا يحبون الفنون الجميلة ولا يفرقون بين حسنها وقبيحها . ولكنهم اهل عمل وعدالة ونظام ولذلك فهم لا يتوافقون مع اصحاب الايدي المحددة

اما نصيب هذه الآراء من الصحة فالحقيقة فيها ان كل شكل من الاشكال المتقدم ذكرها تابع للمزاج الذي يكون لتلك الكف في صاحبه . ولكل من الامزجة المعروفة طبائع تظهر في اصحابها وا كثرها صحيح . فاذا كان الوصف بني على خصائص المزاج كان قريباً من الصحة والا فهو حديث خرافة

وعليه فما ذكرتموه من اقوال صاحبكم اشبه باقوال القدماء في التنبوء عن مستقبل الناس بالنظر الى اكفهم او ايديهم وهذا لا يليق بابناء القرن العشرين ان يعتقدوه ولا ان يضيعوا الوقت في اثبات فساده . واذا سلمنا ان بعض ظواهر اليد قد تدل على اخلاق الانسان او ما مرَّ به لان الحوادث المتشابهة تترك آثاراً متشابهة فما هو تعليل زعمهم معرفة المستقبل وهو من قبيل الغيب ولا يعلمه الا الله

شعوذة الحواة

✱ ابو تيج ✱ انطون افندي عبد الله روادي

اتانا احد المشعوذين في بلدة سوهاج وكنا ثلاثة في محل تجاري واخبرنا ان في المحل ثعباناً يريد اخراجه وبعد تردد اطعناه فدمدم بكلمات غير مسموعة ثم مد يده نحو غرفة فيها حدايد وخردوات فخرج اليه الثعبان فقبض عليه من وسطه واخذه . فشككنا في امره وقلت ربما وضعه هو نفسه في هذه الغرفة ولم ننتبه له فاحببنا ان نختبر صدقه واخذناه الى منزل احدنا وسألناه اذا كان في المنزل ثعبان فاجاب بالايجاب فطلبنا منه ان يستخرجه على شرط ان يضع اولاً جرابه وكل ما يحمله خارجاً ويخلع ثيابه ونفتشه لئلا يكون قد خبأ شيئاً تحتها وبعد ان انتهينا من هذه كله شمر عن ساعده وامسك عصا رفيعة وسار نحو غرفة فيها بعض الاخشاب . وليس لها نوافذ غير بابها حيث وقف المشعوذ ومد يده بالعصا نحو صندوق هناك وصار يدمدم بكلمات غير مفهومة ويقول « يا رفاعي مدد » وهو بعيد عن الصندوق نحو ثلاثة امتار وبعد قليل رأينا ثعباناً طوله نصف متر خرج من تحت الصندوق فهم به المشعوذ وقبض عليه واراناه اياه ثم وضعه في جرابه فما رأيكم في ذلك

كثيراً من المهمات العامة في تلك البلاد والحكومة الاميركية تعوّل على رايه في ما يتعلق بسكانها وآدابهم وكيفية معاملتهم . وقد اكثرت مجلات فيلبين من ذكره وامتداحه وهو ذو عناية في صناعة الطب فضلاً عن الادب وقد اجرى عملية جراحية لم يسبقه احد اليها نعني انه فتح بطن بعض ضباط الجيش الاميركي وهو مصاب بالحمى التيفويدية ونظف الامعاء في مواضع التقرح فشفي العليل بعد اليأس من حياته وقد فصلنا ذلك في الهلال ١ سنة ٨ وهو في الحادية والاربعين من عمره

اما جزائر فيلبين فلا نعرف لها حاكماً عربيًّا عاما وآخر من عرفناه تولاها رجل انكليزي اسمه جس سميث . ولعل حضرة النائب يشير الى ما اصابه الدكتور صليبي من النفوذ لدى حكام تلك الجزيرة ، وقد تولى بعض فروع الحكومة هناك منذ ثلاث سنين وكان عضواً في مجلس المعارف الاعلى . او لعلهم عينوا حاكما عربيًّا لم نعرف خبره

العلم في الصغر

﴿ شياباس مكسيكو ﴾ مهيب افندي داود

اذا تجاوز الانسان الخامسة والعشرين من عمره ثم خطر بباله العلم هل يقدر ان يستفيد منه مثل صغار السن

﴿ الهلال ﴾ لاشك انه يستفيد ولكن العلم في الصغر كالنقش في الحجر. على ان بعض العلوم اسهل على الكبار مما على الصغار فيكتسب منها الشاب في شهر ما لا يستطيعهُ الغلام في سنة

قصيدة ابن هانئ

(القاهرة) محمد أفندي مصطفى وغيره

من هو ناظم القصيدة التي منها قوله « ماشئت لاماشاءت الاقدار » وعن قالها وما هي :

﴿ الهلال ﴾ أن صاحب هذه القصيدة هو ابن هانئ الاندلسي المعروف بمتنبي الغرب توفي سنة ٣٦٢ هـ وقد نظم القصيدة المشار اليها في المعز لدين الله الفاطمي على أثر فتحه مصر وهي :

ماشئت لاماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهارُ

وكأنما أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الانصار
أنت الذي كانت تبشرنا به ... في كتبها الاحبار والاخبار
هذا امام المتقين ومن به ... قد دوخ الطغيان والكفار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه ... وبه يحط الاصر والاوزار
هذا الذي تجدي شفاعته غداً ... حقاً وتخمد ان تراه النار
من آل احمد كل فخر لم يكن ... ينمى اليهم ليس فيه فخار
كالبدر تحت غمامة من قسطل ... ضحيان لايخفيه عنك سرار
في جحفل هتم الثنايا وقعه ... كالبحر فهو غطامط زخار
غمر الرعان الباذخات وأغرق الـ ... قنن المنيفة ذلك التيار
رجل يبرح في الفضاء مضيفه ... فالسهل يمٌّ والجبال بحار
لله غزوتهم غداة فراقس ... وقد استشبت للكريهة نار
والمستظل سماؤه من عثير ... فيها الكواكب لهذم وغرار
وكان غيضات الرماح حدائق ... لمع الاسنة بينها الازهار
فثمارها من عظلم أو ابدع ... ينع فليس لها سواه ثمار(١)
والخيل تمرح في الشكيم كأنها ... عقبان صارة شاقها الاوكار
من كل يعبوب سبوح سلهب ... نقش السباط عنانه التيار
لاه بطيبة غير كثبة معرك ... ذي هبوة من ماقط ومعار
ساط السنابك بالهجين مخدم ... واذيب منه على الاديم نضار
وكان وفرته غدائر غادة ... لم يلقها بؤس ولا اقتار
واحمٌ حلوك واصفر فاقع ... منها واشهب امهق زهار
يعلقن ذا العقال عن غاياته ... وتقول ان لن يخطر الاخطار
مرت لغايتها فلا والله ما ... علقت بها في عدوها الابصار
وجرت فقلت اسابح ام طائر ... هلاً استتار لوقعهن غبار
من آل اعوج والصريح ودا ... حس فيهن منها ميسم ونجار
وعلى مطاها فتية شيعية ... ما ان لها الا الولاء شعار
من كل اغلب باسل متخمط ... كالليث فهو لقرنه هصار
قلق الى يوم الهياج مغامس ... دم كل قيل في ظباه جبار

(١) العظلم نبت يصبغ به . الابدع الزعفران

ان تخب نار الحرب فهو بفتكه ... ميقادها مضرامها المغوار
فاداته فضفاضة وتريكة ... ومثقف ومهند بتار
أسد اذا زارت وجار ثعالب ... ما ان لها الا القلوب وجار
حفوا برايات المعز ومن به ... تستبشر الاملاك والاقطار
ظن الدمستق بعد ذلك رجعة ... قضيت بسيفك منهم الاوطار
اضحوا جميعاً خامدين واقفرت ... عرصاتهم وتعطلت آثار
كانت جناناً ارضهم معروشة ... فاصابها من جيشه اعصار
امسوا عشاء عروبة في غبطة ... فاناخ بالموت الزؤام نهار
واستقطع الخفقان حب قلوبهم ... وجلا الشرور وحلت الادعار
صدعت جيوشك في العجاج وعند ... شة ليل العجاج فوردها اصدار
ملأوا البلاد رغائباً وكتائباً ... وقواضباً وشوازباً ان ساروا
وعواطفاً وعوارقاً وقواصفاً ... وجوانفاً يشتاقها المضمار
وجداولاً واجادلاً ومقاولاً ... وعواملاً وذوابلا واختاروا
عكسوا الزمان عوانا ودواجنا ... فالصبح ليل والظلام نهار
سفروا فاخلت بالشموس جباعهم ... وتمعجرت بقامها الاقار
ورسوا احجى حتى استخف متالع ... وهموا ندى فاستحيت الامطار
وتبسموا فزها واخصب ماحل ... وافتر في روضاته النوار
واستبسلوا فتخاضع الشم الذري ... وسطوا فذل الضيغم الزؤار
ابناء فاطم هل لنا في حشرنا ... لجأ سواكم عاصم ومجار
انتم احباء الاله وآله ... خلفاؤه في ارضه الابرار
اهل النبوة والرسالة والهدى ... في البينات وسادة اطهار
والوحي والتأويل والتحريم والـ ... تحليل لا خلف ولا انكار
ان قيل من خير البرية لم يكن ... الا كمُ خلق اليه يشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به ... وتفجرت وتدفقت انهار
او كان منكم للرفاق مخاطب ... لبوا وظنوا انه اشار
لستم كابناء الطليق المرتدي ... بالكفر حتى يحض فيه اسار
ابناء نثلة مالكم ولمعشر ... هم دوحة الله الذي يختار
ردوا اليهم حقهم وتنكبوا ... وتحملوا فقد استحم بوار

ودعوا الطريق لفضلهم فهم الاولى لهمُ بمجهلة الطريق منار
كم تنهضون بعبء عار واصم والعار يأنف منكم والنار
يلهيهم زمر المثاني كلما الها كم المثني والمزمار
امعزَّ دين الله ان زماننا بك فيه عزٌّ جل واسكبار
ها ان مصر غداة درت قطينها تجري لتحسدها بك الاقطار
والارض كادت تفخر السبع العلى لولا يظلك سقفها المواز
والدهر لاذ بمقويتك وصرفه وملوكه وملائك اطوار
والبحر والنيبان شاهدة به والشامخات الشم والاحجار
والدوُّ والظلمان والذؤبان والـ غزلان حتى خرنق وفرار
شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الارزاق والاجال والاعمار
عطرت بك الافواه اذعذبت بك الامواه حين صفت بك الاكدار
جلت صفاتك أن تحد بمقول ما يصنع المصداق والمكثار
والله خصك بالقران وفضله واخجلتي ما تبلغ الاشعار

اختزال الكتابة

﴿ الاقصر ﴾ الياس افندي حكيم

ما هو فن اختزال الكتابة الذي جعلته نظارة المعارف العمومية ضمن بروجرامها لتعليم القسم التجاري الليلي الذي انشأته حديثاً . ومن هو مبتكر هذا الفن وما هي علاقته بالتجارة

(الهلال) اختزال الكتابة او اختصارها من الفنون القديمة وقد فكر فيه القدماء من عهد اليونان ولم يصرفناً له حروف وعلامات الا في اواسط القرن الخامس عشر واخذ من ذلك الحين في التحسين وتداولته امم اوربا والغرض منه نقل اقوال الخطباء والوعاظ ونحوهم وهم يخطبون او يتكلمون مهما اسرعوا. فوضعوا لذلك علامات مختصرة تنوب عن كلمات طويلة اوعن فقرات يتكرر ورودها على السنة الخطباء وغيرهم وهم يسمون هذا الفن في اصطلاحهم Stenography والانكليز يسمونها short-hand ايضاً . فلما اخذ الشرق باسباب المدنية الحديثة فكروا في نقل هذا الفن الى العربية

الاسطول العثماني

وصفهُ لاحمد بك شوقي

هزَّ اللواء بعزك الاسلامُ وعنت لقائم سيفك الايام
وانقادت الدنيا اليك تخسبها عذراً قيادٌ اسلمت وزمام
ومشى الزمان الى سريرك تائباً خجلاً عليهِ الذلُّ والارغام
عرش (النبي محمد) جنباتهُ نور ورفرفهُ الطهور غمام
لما جلست سما وعزَّ كأنما (هرون) و (ابناه) عليهِ قيامُ
البحر محشود (البوارج) دونهُ والبرُّ تحت ظلاله آجامُ
نعم الرعية في ذراك ونضرت اياءهم في ظلاك الاحكام
في كل ناحية وكل قبيلةٍ عدلٌ وامنٌ مورفٌ ووئامُ
حمل (الصليب) اليك من فتيانه جنداً وقاتل دونك (الحاخام)
والدين ليس بنافع ملكاً اذا لم يبد للدنيا عليهِ نظام
بالله قد دان الجميع وتمَّ بالله ثم بعرشك استعصام

***

يا ابن الذين اذا الحروب تتابعت صلوا على حد السيوف وصاموا
المظهرين لنور (بدر) [1] بعد ما خيف المحاق عليهِ والاظلام
(عشرون) خاقاناً نموك (وعشرة) غرّ الفتوح خلائف اعلام
نسبٌ اذا ذكر الملوك فانهُ لرفيع انساب الملوك سنامُ
لا تحفلنَّ من الجراح بقية ان البقية في غدٍ تلتام [2]
جرت النحوس لغاية فتبدلت ولكل شيء غاية وتمام
تعبت بامتك الخطوب فاقصرت والدهر يقصر والخطوب تنامُ
لبثت تنوشهم الحوادث حقبة ويصدها الاخلاق والاحلام
ولقد يداس الذئب في فلواتهِ ويهابُ بين قيوده الضرغام
زدهم (امير المؤمنين) من القوى ان القوى عزٌّ لهم وقوامُ
الملك والدولات ما يبني القنا والعلم لا ما ترفع الاحلامُ

(١) اشارة الى غزاة بدر (٢) اشارة الى الحوادث الحاضرة وانها لابد ان تزول

والحقُّ ليس وان علا بمؤيد حتى يحوط جانبيه حسام
خط (النبي) براحتيه خندقاً ومشى يحيط به قناً وسهام

***

(يا بربروس)[1] على ثراك تحية وعلى (سميك) في البحار سلام
اعلمت ما اهدى اليك عصابة[2] غر المآثر من بنيك كرام
نشروا حديثك في البرية بعد ما همت بطي حديثك الايامُ
خصوك من (اسطولهم) بدعامة يبنى عليها ركنهُ ويقام
شماء في عرض الخضم كأنها برج بذات الرجع ليس يرامُ
كانت كبعض (البارجات) تخفها لما تحلت باسمك الاعظام
ما مات من نبل الرجال وفضلهم يحيي لدى التاريخ وهو عظام
يمضي وينسى العالمون وانما تبقى السيوف وتخلد الاقلام
وتلاك (طرغود)[3] كما قد كنتما جنباً لجنب والعباب ضرامُ
ارسى على باب «الامام» كأنه للفلك من فرط الجلال امام[4]
جمعتكما الايام بعد تفرق ما للقاء وللفراق دوامُ
سيشد ازرك والشدائد جمة ويعز نصرك والخطوب جسام
ما السفن في عدد الحصى بنوافع حتى يهز لواءَها مقدام
لما لمحتكما سكبت مدامعي فرحاً وطال تشوف وقيام
وسألت هل من لؤلؤ او طارق[5] في البحر تخفق فوقهُ الاعلام

***

يا معشر الاسلام في اسطولكم عزٌ لكم ووقاية وسلام
جودوا عليهِ بمالكم واقضوا له ما توجب الاعلاق والارحام
لا الهند قد كرهت ولا مصر سخت والغرب قصر عن ندى والشام

(١) «بربروس» هو من ابطال البحر العثمانيين سمت الحكومة بارجة باسمه وهي الآن السفينة الرئيسية للاسطول (٢) يريد بهم رجال الحكومة الحاضرة
(٣) طرغود من ابناء البحر العثمانيين سمت الحكومة العثمانية بارجة باسمه
(٤) اشارة الى مرسى البارجتين أمام قصر السلطان
(٥) حسام الدين لؤلؤ الحاجب اميرال الاسطول المصري في الحروب الصليبية وطارق بن زياد بطل الاندلس المشهور

سيلُ الممالك جارفٌ من شدة وقوى وانتم في الطريق نيام
حب السيادة في شمائل دينكم والجدُّ روحٌ منهُ والاقدام
والعلم من آياته الكبرى اذا رجعت الى آياتهِ الاقوامُ
لو تقرئون صغاركم تاريخهُ عرف البنون الجد كيف يرام
كم واثق بالنفس نهَّاض بها ساد البرية فيه وهو عصام

الشعر الحميني

هو ضرب الشعر الشائع في الحجاز وغيرها اليوم وينظمونه في الحماسة او الحث على الجهاد . وقد وقفنا على انشودة نظم بعضها امير مكة في استنهاض قومه على العصاة ببلاد اليمن والبعض الآخر من كلام امير الطائف . رواها مكاتب الاتحاد العثماني بمكة فاحببنا نشرها لبيان هذا الضرب من الشعر وهذه هي القصيدة :

كيف البصر يا الحسن(١) وآل بركات نزالة المشرق ومن في تهامه
نسمع طواريكم(٢) تسوّن خيرات(٣) ومن لا مشا يغشاه منا ملامه
وان جا من المقدور كم جاوكم فات والعمر لهُ في اللوح خط العلامه
نتصا(٤) معادينا على كيف ما جات والموتُ دون العزّ ما به ندامه
منهو تمنى داورنا بالدبارات(٥) جينا وما هي له ولا للكرامه
ما دون من ينصا(٦) بلادنا تعلاّت ولا نسمع من قال ثور الرخامه(٧)
نِحنّا(٨) عمدناهم بخيل وسلات والذلُّ ما سرَّ الظبي والنعامه
مرسا كداده(٩) دونه الموت حومات ما يخرجهُ منا يكون القيامه
احيا لنا الله عزنا بعد ما مات احياهُ ابو فيصل لنا بالقرامه(١٠)
ما عادأ بهِ مقعاد فيّه وقيلات وانتم لكم عادات يهل(١١) الشهامه
قلنهُ بعد ما شفت فيكم عدالات والالي يحسَّب يدّ رق فالجهامه(١٢)
ترا مقابلكم معادى وشمات يبغي عليكم دورت النهزامه

(١) اي يا آل حسن (٢) مذاكراتكم (٣) استخارات في المشي مع الامير
(٤) اي نقصد (٥) اي التدابير والحيل (٦) اي يقصد (٧) اي الدنية
(٨) اي نحن (٩) اي قتاده جد الاشراف (١٠) اي الشهامة والفتوه
(١١) اي يا اهل (١٢) اي الغباب والظلام

لاتنكرون(1) من الحكايا والاصوات ... مغزا تهامه كسب والأ سلامه
مع شيخكم فالمقديه والخطيات ... حظه جلا عنكم وعنا الغمامه
رحنا على الدين الحنيفي بالاثبات ... مراقبين الشرع بالاستقامه
للخارجين عن الطريقه علامات ... تنبيه شيطان الفتن من منامه
وعقول جهال العرب راحت اشتات ... فرّق شرائط دينهم من كلامه
دخل عليهم بالزخارف وحيلات ... يقول اجدّد دينكم عن عدامه
حاشا وكلاّ ديننا بالحقيقات ... ما راعه اضغاث الكرا من حلامه
جاءنا من القرآن تفصيل آيات ... نعرف بها حاله ونعرف حرامه
الدين منا منبعه بالرسالات ... نحن مقاديمه ونحن خطامه
من هو تمنى عندنا للامارات ... ياكم قصرنا رايم عن مرامه(2)



الرياضة البدنية

فلسفة فائدتها الصحية

للدكتور شبلي شميل

ان الرياضة تؤثر اولاً في التنفس ودورة الدم وتأثيرها في التنفس اهمّ جداً فانها تزيد سعة الصدر . ويعرف ذلك اما بقياس الصدر نفسه او بالآلات التي تقاس بها الحركات التنفسية . وقد تبين من قياسات دالي وشسين في فرنسا مأخوذة عن اربعمائة شخص وشخص مارسوا العاب الجباز مدة سنين ان محيط الصدر من عند الثديين قد زاد معدله ٢،٥١ سنتمتر في ٣٠٧ اشخاص منهم . ويقرب من ذلك ايضاً قياسات الدكتور ابل في المانيا ولهم طريقة اخرى لمعرفة هذه الزيادة في سعة الصدر والحركات التنفسية وهي المقياس التنفسي المعروف عندهم « بالبناموغراف »

وهذه الزيادة في سعة الصدر لها عدة نتائج : اولاً تعرّض مقداراً عظيماً من الدم

(1) اي تشدون (2) اي كم رددنا قاصداً عن قصده

للهواء الخارجي وهذا يزيد الاحتراق في البدن وتسمح كذلك بدخول مقدار عظيم من الهواء الى الرئتين وتمنع اللهثة اعني زيادة الحركات التنفسية زيادة متعبة عند الحركة . والجدول الآتي الذي وضعهُ سميث يريك فرق مقدار الهواء الداخل الى الرئتين في حالات الانسان المختلفة من الحركة والسكون باعتبار هذا المقدار في الانسان المستلقي على ظهره واحداً (وهذا المقدار هو ٥٤٠ لتراً)

في الوقوف	١٫٣٣
» المشي المعتدل	١٫٩٠
» المشي السريع	٤٫٧٦
» الركوب والسير المعتدل	٢٫٢٠
» » والجري	٣٫١٦
» » والسير خبباً	٤٫٥٠
» السباحة	٤٫٣١
» العدو السريع	٧٫٠٠

فكي ينفذ مثل هذا المقدار العظيم الى الرئتين في الحركات المتقدم ذكرها ينبغي زيادة الحركات التنفسية بحيث تحصل اللهثة فيمن لم يتعوَّد الالعاب الجبازية بخلاف من تعودها فان زيادة سعته التنفسية تسمح بدخول مقدار عظيم من الهواء بدون تكلف زيادة عدد التنفسات بحيث يجتنب اللهثة فيه

وتؤثر الرياضة في الدورة ايضاً بحيث تزيد عدد النبضات وامتلاءها ولهذه الزيادة سببان احدهما الانقباض العضلي والثاني زيادة السعة الرئوية . فالانقباض العضلي يقوي الدورة الوريدية ولنا دليل واضح على ذلك في الفصد حيث تأمر المفصود من ذراعه ان يحرك عضلات يده لانتظام سيلان الدم المستفرغ ولزيادة مقداره

واما زيادة السعة التنفسية فلانها تدعو زيادة الدم الوريدي الى الرئتين فيزيد توارد الدم الى البطين الايمن ومن ثمَّ يزيد تَوارده ايضاً الى البطين الايسر بحيث تحصل الزيادة في الدورتين الوريدية والشريانية معاً

واما تأثير الرياضة في عضلة القلب نفسها فيستحق زيادة بسط . وسترى فيما يأتي ان اشد مسائل المداواة بالحركة خلافاً هو ما تعلق منها بمداواة علل القلب فالجميع متفقون على ان الرياضة تزيد ضربات القلب عدداً وشدة وانما منشأ الاختلاف بينهم عند ما يحدث الافراط في الرياضة اعراضاً في القلب مزعجة من زيادة التعب كما يرى كثيراً في الجند

من جراء الاشغال الشاقة التي يعانونها . فبقطع النظر عن الانصداعات الصمامية والقلبية التي تحصل دائماً عن المجهودات. نقول ان الاضطرابات القلبية الناشئة عن زيادة التعب مرجع اسبابها الى ثلاثة: فبعضهم يذهب الى ان سببها ضخامة القلب التي هي نفسها نتيجة زيادة عمل القلب . وبعضهم يذهب الى انه ضعف اصلي في نسيج القلب سابق التمدُّد . وبعضهم يذهب الى ان اضطرابات القلب انما هي من انسمام البدن باللوكومائين المتجمع في البدن والناشئ من تحليل الخلايا نفسها بسبب زيادة عملها ولا يخفى ان هذا السم من السموم التي لها تأثير خصوصي على القلب كما ابانه غوتير . وسواء كان تعب القلب ناشئاً عن ضخامة او حؤول او انسمام باللوكومائين فاعراضه هي عدم انتظام في ضربات القلب وخفقان وتقطع في الدرجه الاولى. واما في الدرجة الثانية فهي ضخامة القلب وتمدُّده واما الدرجة الثالثة فاعراضها ضعف انقباض القلب الى حد العدم وما يتبع ذلك من الاعراض الشديدة

واما العضل نفسه فيحصل فيه بفعل الرياضة اعراض طبيعية وكيماوية تزيد الاحتراقات العضوية بسبب الانقباضات العضلية . وقد تبين من تجارب كلودبرنار ان دم العضلة الوريدي اذ تكون العضلة في حال العمل يسودُّ في الحال ولا يعود يحتوي شيئاً من الاكسجين حال كونه يحتوي من الاكسجين اذ تكون العضلة في حالة الراحة مقداراً يعادله في الدم الشرياني مما يدل على ان العضلة في الراحة قلما تصرف من الاكسجين وبالضد من ذلك في الحركة فانها تصرف منه مقداراً وافراً

وما عدا هذه الزيادة في الاحتراق فالعمل ينمي العضلة ويزيدها شدة والادلة على ذلك كثيرة فانك اذا سكّنت عضواً فلا يلبث ان يضمر وبالضد من ذلك اذا حركته فانهُ يعظم ويقوى ولا يقتصر هذا النمو على العضل فقط بل يتناول العصب ايضاً لان الحركة العضلية تقتضي حركة عصبية موازية لها . ولا يقتصر هذا التأثير على عصب النخاع الشوكي فقط بل يمتدُّ الى عصب الدماغ ايضاً ولذلك كانت الرياضة من احسن ما يصحُّ به البدن والعقل معاً

ولا تؤثر الرياضة في التنفس والدورة والعضل والعصب فقط بل تؤثر في المفرزات والمبرزات ايضاً فكل حركة اذا طالت فانها تحدث العرق الذي يذهب بكثير من الاوريا والحامض الاوريك فقد شوهد بعد الحركة ساعة ان العرق قد بلغ ٦٠٠ غرام وفي بعضهم ١٥٠٠ غرام وفي ذلك من امكان التعويض عن وظيفة الكليتين ما ينفعنا احياناً كثيرة في العلاج

وفي الجملة فالرياضة تزيد التغذية فقد رأينا مما تقدم انها تزيد الدورة الدموية والسعة التنفسية وهذه الزيادة تعرّض مقداراً عظيماً من الدم الوريدي للهواء وهذا يزيد الاحتراق. وقد راينا ايضاً ان الاحتراق العضلي نفسه يزيد بالحركة كذلك وهذه الزيادة في الاحتراقات العضلية والتنفسية يصحبها زيادة في الحرارة المركزية ولكن زيادة العرق الجلدي مع ذلك وزيادة تعرّض الدم الوريدي للهواء الخارجي التي تحدث عرقاً رثوياً حقيقيًّا تجعلان تعديلاً بين الحرارة الخارجية الناقصة بالعرق والحرارة الباطنية الزائدة بالاحتراق

والمهمُّ في ذلك ما يتمُّ في تغذية الخلية فالرياضة تزيد قوة التغذية الخلوية وتنتظم وتزيد الاحتراقات في باطن الخلايا ويزيد مقدار اللوكومائين الذي هو سم يتولد في الخلية على الدوام ويزيد افرازه ايضاً ومن ذلك كله ينتج ان الدهن يحترق وان الوظائف الخلوية تنتظم وتحصل الموازنة بين خلايا النخاع الشوكي وخلايا الدماغ. وفي الجملة تزيد التغذية العمومية. وتنال وظيفة الهضم من ذلك حظاً وافراً لسببين احدهما انقباضات الحجاب الحاجز والعضلات البطنية التي تزيد دورة الدم البطنية والكبدية وثانيهما زيادة الاحتراقات عموماً. ولذلك كانت الرياضة تزيد شهوة الطعام. وهذا التأثير العمومي في التغذية يظهر للحس حتى في البالغين اذ تزيد به القوة العضلية والثقل. اما زيادة القوة فثابتة واما زيادة الثقل فغير ثابتة بل البعض يزيد ثقله والبعض لا يزيد او ينقص وتعليل ذلك واجب لفهم هذا الاختلاف

اعلم ان الرياضة بما لها من خاصة احراق الدهن وزيادة الاحتراقات وتقوية التغذية الخلوية من اعظم الوسائل العلاجية التي لنا لتضعيف السمين وعليه فالسمين الذي ليس له في انسجته دهن متجمع فالرياضة تزيد ثقله لانها تكسب عضله نماء بشرط ان لا يحصل افراط والا فتكون النتيجة الهزال لزيادة التعب لان زيادة التعب كما علم من درس تأثيرها في الحيوان تهزل وتضعف ولو زاد الغذاء مع ذلك وتعرض الحيوان للامراض وهي كذلك في الانسان والمرض الذي تعرضه له اكثر من سواه هو السلُّ. وهو امر معروف منذ القديم فان ابقراط نفسهُ مع اعترافهِ بمنفعة الرياضة كان يندد جدًّا بالافراط بها وكان يستشهد على ضرره باصحاب الرياضة انفسهم الذين لم يكن لهم صبر على المشقات في الحروب وكانوا معرضين للامراض اكثر من سواهم

ولقد اخذ البحث في مسألة تأثير التعب وجهة أخرى بالمباحث الحديثة بعد

اكتشاف اللوكومائين اذ قد تبين ان البدن يحصل فيه انسمام ذاتي ناتج عن تجمع اللوكومائين فيه الزائد بزيادة التعب ولذلك كان البول اشد سمية في وقت الحركة منه في وقت الراحة لزيادة افراز هذا السم فيه

على ان افراط الرياضة وان كان فيه ضرر للبالغين الا ان كله منافع للاطفال فهؤلاء كالشمع يحفظون في بدنهم كباراً أثر التربية التي يربونها صغاراً فالرياضة تنمي عظامهم وعضلاتهم وسعة صدورهم وتقوي دورة دمهم فتتوازن وظائف مجموعهم العصبي وتشتد تغذيتهم وفي الجملة يصيرون رجالاً اشداء . ولذلك اصطلح اهل اوربا اليوم على ادخال فن الجمباز في مدارس الصبيان والبنات في بلادهم فعسى ان ينتبه رجال المشرق الى هذه المسألة الجوهرية فيدخلون تعليم هذا الفن في المدارس علماً بما له من الفوائد للبدن والعقل معاً

واجبات المؤلفين

نحو الامة التي يؤلفون لها

نقلاً عن كتاب الواجبات لسامي افندي يواكيم راسي

ما من عمل يعمله المرء دون غاية يتطلب الوصول اليها منه ، وتتنوع هذه الغاية بالنسبة الى مبادىء الناس واخلاقهم . عَلَى ان الغاية الرئيسية من الجهاد في الحياة هي الحصول عَلَى ضروريات المعاش من غذاء وكساء ومأوى

ولو وقف الناس عند هذا الحد البسيط من السعي لاحتاجوا الى كدح الايام وسهر الليالي . فانهم عَلَى تمادي الاجيال والاعوام تجاوزوا الاكتفاء بما هو ضروري للكيان الى الاكثار من الكماليات حتى اصبحت هذه الكماليات من ضروريات حياتهم وصار الربح القليل قليلاً عَلَى الكثير من مطالبهم . وما مصدر هذا التجاوز الا حب الميزة الذي تتطلبه اميال البشر واخلاقهم . فبينما كان الانسان يغتذي بقليل من اللحوم والاثمار اصبح لا يكتفي بالكثير من الالوان المركبة من الاطعمة عَلَى مائدته وبينما كان يقتنع بارتداء الحرير والاطالس وبعد ان كان الكوخ الحقير كافياً لوقايته من حر الشمس وقرس البرد اصبح لا يرضيه الا القصور الشامخة والمباني الشاهقة

كان الغرض من العمل الحصول عَلَى ما هو ضروري للكيان فتحول الى اشباع النفس

من شهواتها . وهيهات ان نجد حداً لمطالبنا وشهواتها . واذ ذاك انقسمت الغاية من اعمالنا الى المفيد والضار ثم انقلبت من السعي لسد الحاجة الى السعي لنيل الشهرة والمجد

انت ايها العامل لا تحسن عملك وتجهد قواك لتربح وتعيش من هذا الربح فقط . لكنك اذ تيسرت لك كفاية يومك من الخبز تتحول من طلب الخبز الى طلب المجد لك ولقومك ، وما ذلك الا لان نفسك آهلة بعاملي الميزة والشهرة وفي قواك ومواهبك ما يدفعك الى الغيرة والمجد . على انك اذا حولت تلك القوى والمواهب الى الشر عوضاً عن ان تحولها الى الخير فانما انت تتطلب المجد الفارغ الذي يؤول الى حصر المنفعة في الذات معاً تأتي بعد ذلك من المضار للآخرين

وحب المجد والسعي اليه في سبيل الخير والصلاح قد آلا الى قيام المشاريع النافعة الكبيرة . وحب المجد والسعي اليه في سبيل الشر والطلاح قد آلا الى سقوط الجماعات وتسمم اداب المجتمع الانساني . لذلك لا عار على المرء في طلب الشهرة والمجد اللهم اذا طلبهما في طريق الخير والنفع العام

على ان مقياس عظمة الشهرة وسمو المجد ونبالة الاعمال هو مقدار ثبوتها وامتداد نفعها ولذلك كان فن التأليف من اشرف الفنون مقاماً لانه الصناعة الخالدة التي تربط الماضي بالمستقبل وتصل الخيال بالحقيقة

ان اهرام مصر وسور الصين وجنائن بابل و بقايا عمار اثينة ومباني رومية لم تكن اكثر ثبوتاً على الايام من اسفار موسى وتعاليم كنفوشيوس وفلسفة ارسطو وفصاحة شيشرون . ومدمرو المدائن ومهلكو القبائل لم يكونوا اكثر قسوة على النوع البشري واشد تاثيراً في تقهقر المدنية من مؤلفي الكتب الساقطة وناشري الاراء السافلة

لا عار على من يتطلب المجد والربح اذا كتب في خدمة الحقيقة والنفع العام كما انه لا مجد لمن يتطلب المجد والربح اذا كتب في خدمة الذات المجردة ولم يتوخ ان يكون ما كتبه مفيداً

يد الاول قلم الفضيلة الذي يستحق ان يكون ذهبياً لانه بركة الانسانية . ويد الثاني قلم الرذيلة ويده تستحق القطع لانه لعنة المجموع

لذلك ارى ان اول واجبات المؤلف واهمها النظر الى النفع العام . كثيراً ما يقع في يدك كتب تجتنب ادخالها الى بيتك لانها تسمم آداب العائلة بسموم مبادئها ولست ترى لمؤلفيها عذراً سوى انهم توخوا منافعهم الشخصية بكتابة ما يقرب الى اذواق الفريق المنحط من النوع الانساني فكانوا مرغبين في السفالة مشجعين عليها واقل ما يقال في اولئك المؤلفين انهم لصوص — لصوص الربح والشهرة

على أن الامة الغنية بمؤلفاتها الفنية والعلمية والادبية انما تدل بتلك المؤلفات على سمو آدابها وعلومها كما ان الامة الغنية بمؤلفاتها الساقطة تدل على انحطاط ادابها واخلاقها . واذا كانت مؤلفات الامة شاهدة عليها كان من واجب الامة الاهتمام بمؤلفيها وذلك بتشجيع الراقين منهم ومساعدة انتشار مؤلفاتهم ورذل الساقلين منهم ومنع صدور نفثاتهم — من واجباتها رفع المؤلفين الى اعلى المناصب الاجتماعية اذا كانت الغاية من تآليفهم صدق الخدمة ولو قُرنت تلك الغاية بالميل الى الربح والشهرة

ثم ان المؤلف يجب ان يراعي في تأليفه الطبقة التي يكتب لها فان كان يكتب للشعب فمن واجباته البساطة لاننا نعلم جيداً ان الذين الفوا ليظهروا مقدرتهم الفنية قلما افادوا . والكتب التي تحتاج الى منجمين وقواميس لحل كلماتها وجملها هي كتب تختص بفئة قليلة من الناس — على ان الغاية الرئيسية من التأليف هي المنفعة العامة وكل كتاب لا نفع منه فضرره يفوق فائدته . ومن يهتم بهذه التآليف لهو كمن يهتم بالفرع ويترك الاصل او يهتم بالقشور ويترك اللباب

كل مؤلفات علماء الاجتماع تدل على بساطة في التعبير لانهم وهم يكتبون كانوا ينظرون الى الحقيقة وافهام الجمهور في آن واحد فخدموا الحقيقة قبلما خدموا نفوسهم

ومن واجبات المؤلف خدمة الحقيقة . فان المؤلف الذي تعميه الاغراض والاهواء فيسرد الحقائق كما يريد لا كما تكون ويؤول الابحاث كما يرى لا كما هي لهو اصغر من ان يرقى عرش الفلسفة والعلم

خدمة الحقيقة واجب من اهم واجبات المؤلف وهذا الواجب يحتاج الى قوة التسلط على النفس والارادة والاقرار بفضل الاعداء عند ثبوته . على انك كثيراً ما تقرأ كتباً لمؤلف يتستر وراء الحقيقة فينظر الى اغراضه واحقاده التي لا يهتم الناس لمعرفتها ويكتب طاعناً قادحاً مع ان بحثه قد يكون طبياً او علمياً فذاك يبرهن عن نفسه انه منتقم اكثر مما يبرهن انه مؤلف . بل هو يقيم الدليل على النقص في نضوج افكاره . وكتاباته لا تستحق اقبال الناس واعجابهم

على المؤلف ان يرفع الناس ويسمو بعواطفهم وادابهم لا ان يساعدهم على تقوية قواهم الحيوانية — على المؤلف ان يزيد شعور القراء لطفاً وحساستهم رقة لا ان يثير براكين الشر والاحقاد في عواطفهم لاسيما اذا كان موسيقياً او شاعراً — على المؤلف ان يخفف التعاسة والشر في الهيئة الاجتماعية لا ان يساعد العواطف الدنيئة على الظهور والعمل

فاذا شرعت في التأليف فاعلم قبل كل شيء اهمية موضوعك ومقدار المسئولية الملقاة على عاتقك ودرجة تأثير بحثك في اخلاق المجموع وتوخَّ النفع العام قبل النفع الذاتي والشهرة وتحرَّ الحقيقة في البحث والبساطة في التعبير فان المؤلفات الادبية والاجتماعية والطبية والعلمية هي ادلة على اخلاق الامة ومقدار ارتقائها . وعلى الامة مساعدة الحسن ونبذ الضار ليتمجد النافعون فيقدمون على مشاق التأليف ، ويعلم المؤلفون الذين يوجهون الانظار الى اسفل انهم احط من الامة التي يتوخون تسميمها فيرجعون عن غيهم خاسئين صاغرين

كلمات حكمية

لعلي بن ابي طالب

العمر اقصر من ان تعلم كل ما يحسن بك علمه فتعلم الاهم فالاهم

في التجارب علم مستانف والاعتبار يفيدك الرشاد وكفاك ادباً لنفسك ما كرهته من غيرك وعليك لاخيك مثل الذي له عليك

لا تقصروا اولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسألون فيم فرغ من العمل انما يسألون عن جودة صنعته

العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم . كثرة الجدال تورث الشك

اذا بلغ المرء من الدنيئات فوق قدره تنكرت للناس اخلاقه

من سامح نفسه في ما يحب اتعبها في مالا يحب

من اداء الامانة المكافاة على الصنيعة لانها كالوديعة عندك

اياك ومواقف الاعتذار فرب عذر اثبت الحجة على صاحبه وان كان بريئاً

لا يرضى عليك الحاسد حتى يموت احدكما

اقتل الاشياء للعدو ان لا تعرفه انك اتخذته عدواً

قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك . ان الشر تاركك ان تركته

احذروا الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

اسوأ الناس حالاً من اتسعت معرفته وبعدت همته وضاقت قدرته

الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه . التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه

الهلال

الجزء العاشر من السنة التاسعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١١ و ٥ رجب سنة ١٣٢٩

رياض باشا

وزير مصر الوطني الكبير

ولد سنة ١٨٣٤ وتوفي سنة ١٩١١

فجعت مصر في ١٧ يونيو الماضي بوفاة وزير مصر الكبير المرحوم رياض باشا في رمل الاسكندرية بالسكتة وهو نائم بعد الغداء . فدوى القطر بخبر نعيه ونقلت جثته الى العاصمة ودفنت باحتفال عظيم حضره امراء العائلة الخديوية والنظار وكبار الموظفين والقناصل وقواد جيش الاحتلال وسائر الاعيان والوجهاء

ترجمة حاله

يندر في وزراء مصر الذين عاصروا رياض باشا من كان مصري الاصل والمولد . فان اكثرهم كانوا من الاتراك او الارمن او غيرهم من الاجانب الوافدين او المولدين . ولم يغلب العنصر الوطني في الوزارة المصرية الا في العهد الاخير على أثر النهضة الوطنية . فاكبر زملاء رياض باشا او انداده في الوزارة نوبار باشا وهو ارمني الاصل وشريف باشا تركي ومصطفى فهمي باشا كريدي . اما رياض فانه مصري الاصل من اسرة اسرائيلية دخلت في الاسلام تعرف ببيت الوزان نسبة الى وزن النقود في دار الضرب بمصر. وكانت هذه المهنة متسلسلة في افراد هذا البيت . آخرهم اسماعيل الوزان والد

صاحب الترجمة فانه كان ناظراً لدار الضرب في زمن المغفور له محمد علي باشا

ولد رياض سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) واسمه مصطفى رياض فرباه والده احسن تربية وعلمه في مدارس الحكومة التي انشأها محمد علي. ولما توفي محمد علي خلفه عباس الاول فاقفل تلك المدارس الا واحدة سماها المدرسة المفروزة لتخريج الضباط والعناية بهم وتدريبهم. وقد حدثنا بعض الذين عرفوا رياضاً من صغره انه دخل تلك المدرسة رغبة منه في العمل وهو في السابعة عشرة من العمر. فذهب بنفسه يطلب الانتظام فيها فاعجب سعيد باشا باقدامه وذكائه فجعله كاتباً خاصاً له . ثم جعل يرتقي في المناصب ومصر يومئذ في حاجة الى الرجال العاملين فكان هو في مقدمتهم . وقد خدمها نحو نصف قرن تنقل في أثنائها بمناصب مختلفة من مدير الجيزة الى رئاسة مجلس النظار فرئاسة الامة في المؤتمر المصري

تولى مديرية الجيزة سنة ١٨٧٣ في زمن اسماعيل فقام باعبائها احسن قيام وظهرت مواهبه الادارية فيها ووثق اسماعيل بمقدرته فولاه رئاسة الديوان الخديوي ثم رئاسة المجلس الخصوصي ومراقبة نظارة المعارف . فلما تشكلت اللجنة المالية المختلطة لفحص المالية المصرية في اواخر ايام اسماعيل سنة ١٨٧٨ لتصفية الديون عهدت اليه نيابة الرئاسة مع السير ولسن . وكان رئيسها الموسيو دليسبس . فعمل رياض فيها بما تقتضيه واجبات منصبه واستقلال فكره . ولم يرض اسماعيل باعمال تلك اللجنة فقاومها وضيق عليها . فكان موقف رياض فيها حرجاً لكنه عمل بما يوحيه اليه ضميره . فاضطر الى الوقوف في وجه اسماعيل موقفاً لم يستطعه سواه قبله . على انه لم ير بدًّا من النزوح الى خارج القطر . وقد شهد له بالفضل في ذلك اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة قال « وقد عارضت فرنسا في تعيين عضو مصري في هذه اللجنة خوفاً من عدم وجود رجل مصري كفء لهذا المنصب فاتضح بتعيين رياض خطأ هذا الوهم لانه كان اكبر عون لرفقائه وقد اظهر شجاعة ادبية عظمى »

فلما اقيل اسماعيل باشا سنة ١٨٧٩ كلفه المغفور توفيق باشا بتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسته فشكلها وما زال فيها الى سنة ١٨٨١ في زمن عرابي . اذ طلب العرابيون اسقاط الوزارة فابدلت بوزارة المرحوم شريف باشا وتولى فيها رياض نظارة الداخلية . ثم استقال في السنة التالية واعتزل الخدمة في اثناء الحوادث العرابية واوائل زمن الاحتلال ثم اعيد الى الوزارة سنة ١٨٨٨ فرأسها وهو في احرج المراكز بالنظر الى تنازع السيادة بين المحتلين والحكومة . وكان التنازع يومئذ في اوائله فقاسى رياض في

المقاومة اشد العذاب حتى اضطر سنة ١٨٩٠ الى الاستقالة اذ اراد الانكليز تعيين المستر سكوت مستشاراً قضائياً في نظارة الحقانية . فكبر ذلك عليه فاعترض واحتدم الجدال بينه وبينهم فاستقال . ثم اعيد الى الوزارة سنة ١٨٩٣ في اوائل ولاية سمو الخديوي الحالي . فمكث فيها سنة وبعض السنة حتى كانت مسألة الحدود بين سمو الخديوي واللورد كتشنر سردار الجيش المصري يومئذ — وذلك ان الجناب العالي مرَّ بحلفا في اثناء سياحته في القطر المصري فاستعرض له الجيش المصري فقدم بعض الملاحظات على نظامه فغضب كتشنر لذلك ورفع أمره الى عميد انكلترا وعدُّوا ذلك اهانة لانكلترا فتوسطت الوزارة في تسوية الامر واسترضاء انكلترا بامتداح نظام الجيش . فآل ذلك الى استقالة رياض واعتزاله الاعمال السياسية فانقطع الى مزارعه ومطالعاته وهو لا يتأخر عن الاخذ بناصر المشروعات الوطنية اذا انتدبوه لرئاستها او ادارتها او تنشيطها او الاشتراك فيها . وآخر مهمة عهدت اليه من هذا القبيل رئاسة المؤتمر المصري في هذا العام . وفي انتدابه لهذا المنصب دليل على ثقة الامة والحكومة به

صفاته ومناقبه

كان متوسط القامة نحيف البدن عصبي المزاج سريع الحركة رخيم الصوت لطيف المجالسة حسن العشرة . وكان حر الضمير صادق الوطنية جريئاً في نصرة الحق — حتى في زمن اسماعيل . ومن كان يجسر على مقاومة الخديوي اسماعيل وبين شفتيه الموت والحياة والسعادة والشقاء ؟ وهو الذي رقى رياضاً واجلسه على منصة الوزارة فلم يكن ذلك ليمنع هذا الوزير من التصريح بما يراه في سبيل مصلحة الامة والدولة ولو عرض نفسه لغضب مولاه مما لم يكن يأتيه زملاؤه . واشد تلك المقاومة ما فعله في اثناء رئاسته اللجنة المالية المختلطة فلما لم ينفع نصحه غادر القطر الى سواه كما تقدم

وكان نزيه النفس طاهر الجيب يعترف له بذلك القاصي والداني : قال ملنر في كتابه عن انكلترا بمصر « ان النزاهة اجل مناقب رياض » وقال السير ولتر ميافيل « ان لرياض حسنات كثيرة اعظمها النزاهة والامانة انه لا يخاف في الحق لاغماً » وقال فرازر راي في كتابه « مصر اليوم » « ان رياضاً ينادي زملاءه في الوزارة الفقر مع الامانة خير من الثروة مع الانحراف عن الحق » وقس على ذلك اقوال سائر الذين عرفوه أو خبروه من ارباب المناصب او الكُتاب من الشرقيين والغربيين . ولذلك احبته الامة المصرية واخلصت له وانقادت لارادته . وقد شهد بذلك اللورد كرومر في رسالة بعث بها الى حكومته قال « ان رياضاً هو الرجل المصري الوحيد الذي له بين قومه كلمة نافذة وصوت مسموع »

والواقع ان رياضاً كان شديد الشغف بالامة المصرية يتفانى في سبيل مصلحتها وكل عمل من اعماله يؤيد ذلك . ومما يؤثرونه من اقواله « اني وحدي استطيع ان اسعد امتي » وكان ثابتاً في رايه يصعب تحويله عن عزمه مما يدل على ثقته بنفسه وتعويله على احكامه . ومن هذا القبيل اعتقاده ان هذه البلاد يمكنها النهوض والتقدم في معارج المدنية بغير مداخلة الاجانب . فكان يشق عليه ان يرى نفوذ انكلترا سائداً في الحكومة . وكان يقاوم ذلك النفوذ جهده وكثيراً ما فضل الاستقالة على القبول بما يخالف اعتقاده . واذا رضخ في بعض الاحيان فلانه لم ير بدًّا من الرضوخ . ولذلك فان الامة المصرية اجمعت على احترامه واجلال قدره . وقد نال ارقى رتب الدولة العثمانية (المشيخية) من عهد بعيد وكثيراً من الاوسمة العثمانية وغيرها

اعماله

ان اعماله السياسية انما هي اعمال الحكومة المصرية في ايام وزارته واهمها الاصلاحات المالية . اذ لا يخفى ما آلت اليه مالية مصر في زمن اسماعيل حتى اصبحت الحكومة المصرية كالتاجر المفلس . فلما تولى توفيق باشا وعهد الى رياض باشا بالوزارة كان اهم ما وجه اليه اهتمامه المسائل المالية فالغى الضرائب الظالمة وترك كثيراً من المتأخرات . ووضع الضرائب على وجه معتدل واهتم بالامن العام ونظم الجباية حتى اصبح الفلاح في امن على ماله لا يخاف استبداد الجباة او ظلم الحكام . فغلت اسعار الاطيان وتضاعفت ثروة البلاد ودار دولاب الاعمال . وزادت ثقة اوربا بمصر فارتفعت قيمة الدين الموحد والقونصيلد وزاد المال الباقي في الخزينة المصرية

وفي ايامه وضع قانون التصفية وقوانين الادارة والمعارف والاشغال العمومية والمحاكم . وبحسن سياسته جعل اوربا تقبل بمراقبين ماليين بدلاً من وزراء اجانب . وجعل فائدة الدين المصري ٤ في المئة وكانت اوربا قد اصرت على ان تكون خمسة

ومن الحوادث السياسية الهامة التي جرت في عهده الثورة العرابية بدأت في وزارته الاولى سنة ١٨٨٠ . وهو الذي حكم على زعماء الثورة بالحبس والمحاكمة في مجلس عسكري . وكان هذا القرار سرياً ولكن ذلك السر وصل الى الزعماء فاستعدوا للدفاع . فلما جاء امر النظار بدعوتهم الى قصر النيل دبروا شأنهم مع آلاياتهم وذهبوا الى قصر النيل فجردوهم من السلاح واوقفوهم تحت المحاكمة . واذا برجال الالايات قد دخلوا وانقذوهم بالقوة وساروا بهم الى سراي عابدين والحوا في طلب عزل ناظر الجهادية فلم تجد الحكومة بدًّا من اجابة الطلب لان القوة في غير ايديها . فاجابهم الخديوي بعزل

رفقي باشا ناظر الجهادية وتعيين محمود باشا سامي البارودي مكانه وهو من حزبهم .
ويقال انه هو الذي ابلغهم قرار مجلس النظار بالقبض عليهم . وقام في نفوس العرابيين
الحقد على رياض وما زالوا حتى طلبوا عزله على اثر حادثة ساحة عابدين . واستفحل
امر الثورة من ذلك الحين . وقد فصلنا ذلك في كتابنا تاريخ مصر الحديث

فكانت سياسة الوزارة في هذه الحادثة الفتك برؤساء الثورة كأنهم ارادوا قطع
الشجرة من جذورها — وهي سياسة الحزم لقطع اسباب الشر . ولكنها حبطت بانتقال
سرها الى العرابيين . ولو تمكنت الحكومة من القبض على اولئك الزعماء ومحاكمتهم
والفتك بهم او تشتيتهم قبل ان تعرف الايام لخمدت الثورة وهي يومئذ في اولها او ربما
كان لها عواقب غير التي وصلنا اليها

ومن اعماله الادارية انه نظم كثيراً من النظارات والادارات ووقف في وجه
المسألة السودانية ضد راي اللورد كرومر . وكانت انكلترا ترى التخلي عن السودان
فكتب رياض مذكرة سنة ١٨٨٨ بين فيها حاجة مصر الى السودان وعدم استغنائها
عنها لوجود منابع النيل فيها وان استرجاعها ضروري . ومن اهم اجراءاته في وزارته
الثالثة في زمن سمو الخديوي الحالي انه وضع قانوناً للاستخدام ضيق فيه الدخول في
خدمة الحكومة المصرية على غير المصري وهو اول من فعل ذلك رسمياً . وقد جرّ هذا
القانون الى انتقادات حادة واختلف الناس في تصويبه وتخطئته . ولا ريب في كل حال
ان عمله هذا يشهد بغيرته على ابناء هذا الوطن ولا سيما على طلبة الاستخدام . وقد
افادهم على الخصوص انه ابطل جواز الحجز على رواتبهم او التنازل عنها بدعوى
الدائنين او غيرهم . وبذلك استبقى تلك الرواتب لنساء اولئك المستخدمين وعيالهم
وضمن لهم العيش واراح افكار المستخدمين

ومن آثاره في هذا القطر انه احيا الصحافة ونصرها وكانت قبله لا تزال ضعيفة
وهو اول من رفع شأنها واخذ بايدي اصحابها ببذل المال والتشجيع . وذلك مبنيٌّ على
صدق نظره في الرقي الاجتماعي واعتقاده الشديد في تأثير الصحافة بارتقاء الامم . فكان
اول ما وجه نظره اليه اقدم الصحف العربية في العالم نعني « الوقائع المصرية » فقد
انشئت سنة ١٨٣٠ وظلت الى عهد صاحب الترجمة مقتصرة على الاخبار السياسية
الرسمية فسعى في توسيع قسمها غير الرسمي . والف لذلك لجنة من كبار الكتاب في جملتهم
المرحوم الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وابراهيم بك الهلباوي وسعد
باشا زغلول وغيرهم . ولو تتبعت تاريخ الصحافة المصرية لرايت اكثر جرائدنا الكبرى

نشأت في عهده وترعرعت في ظله وقد نصرها بماله ونفوذه واحاطها بعنايته . لكنه لم يلاق منها كلها ما كان يتوقعه من الثبات على رايه او خدمة سياسته وانقلب بعضها عليه فتغير هو عليها وتحولت نصرته الى نقمة . وبعد ان كان كثير الاصغاء لاقوال الجرائد شديد الاهتمام بها اصبح لايعبأ باقوالها

وله على ارباب الاقلام بمصر والشام وغيرهما افضال لاينكرونها . ففي ايامه صدرت دائرة المعارف للبستاني في بيروت . فاستحث الخديوي اسماعيل على مساعدتها فاشرك الحكومة بالف نسخة وفوض الى المرحوم سليم البستاني ان ينتقي من المكتبة الخديوية ما يحتاج اليه من الكتب فحمل معه كثيراً من المخطوطات وامر له بجانب كبير من المطبوعات المصرية

قال البستاني في مقدمة الجزء الاول من دائرة المعارف الذي صدر في بيروت سنة ١٨٧٦ « ولما وقف (المغفور له اسماعيل باشا) على المثال وتفاصيل المشروع قال مواجهة ثم تبليغاً « انا في احتياج الى هذا الكتاب ولا نستغني عنه فلا نسمح بالعدول عن تأليفه فانا نعلم فوائده واحتياج الامم اليه وهي في ظروف امتنا فهل يكفي اشتراك حكومتنا بالف نسخة منه فاذا لم يكف ذلك فقرروا فتقالوا ما يتكفل بصدور كتاب لكم اقتدار على تأليفه ولا غنى عنه » الى ان قال صاحب الدائرة « وقد جاد الجناب الخديوي المعظم فضلاً عن الاشتراك بالف نسخة بمكتبة نفيسة من مطبوعات مصر الخ»

واصحاب الكتاب يذكرون لرياض باشا دخلاً كبيراً في تقرير هذا الانعام وهو يومئذ صاحب الكلمة النافذة عند اسماعيل ومحل ثقته

وقس على ذلك اخذه بناصر كل مشروع ادبي او علمي او صحافي او اقتصادي او اجتماعي في مصر وغيرها

ومن آثاره في الزراعة المصرية انه جعل نفسه قدوة للفلاح في الاهتمام بشؤونها بما اتخذه من الوسائل لتحسين الزراعة مما لم يسبقه اليه احد . فقضى اعوامه الاخيرة في ملاحظة مزارعه في محلة روح وغيرها . وقد ادخل في الزراعة المصرية كثيراً من الطرق الحديثه المبنية على العلم والاختبار

وله آثار خيرية لا تعد ولا تحصى ويقال بالاجمال انه لم تنشأ جمعية خيرية كبرى وطنية او اسلامية الا عهدوا اليه برئاستها او استعانوه في السخاء عليها